كتاب الشفا

[illegible] الإعراب [illegible] كتاب الشفا [illegible] القرآن [illegible] القاضي عياض [illegible]

شفا [illegible]

اليحصبي
بالفتح وسكون الحاء [illegible]
المهملتين ثم [illegible] والموحدة
الى يحصب
بالاندلس

دخل في سلك ملك الفقير [illegible]
الحسيني النقيب [illegible]
عفي عنه

[illegible] ٢٣٦

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم

قال الفقيه القاضي الإمام أبو الفضل عياض بن موسى بن عياض اليحصبي رضي الله عنه

الحمد لله المنفرد باسمه الأسمى المختص بالملك الأعز الأحمى الذي ليس دونه منتهى ولا وراءه مرمى الظاهر لا تخيلا ووهما والباطن تقدسا لا عدما وسع كل شيء رحمة وعلما وأسبغ على أوليائه نعما عما وبعث فيهم رسولا من أنفسهم أنفسهم عربا وعجما وأزكاهم محتدا ومنمى وأرجحهم عقلا وحلما وأوفرهم علما وفهما وأقواهم يقينا وعزما وأشدهم بهم رأفة ورحما زكاه روحا وجسما وحاشاه عيبا ووصما وآتاه حكمة وحكما وفتح به أعينا عميا وقلوبا غلفا وآذانا صما فآمن به وعزره ونصره من جعل الله له في مغنم السعادة قسما وكذب به وصدف عن آياته من كتب الله عليه الشقاء حتما ومن كان في هذه أعمى فهو في الآخرة أعمى صلى الله عليه وسلم صلاة تنمو وتنمى وعلى آله وصحبه وسلم تسليما

أما بعد أشرق الله قلبي وقلبك بأنوار اليقين ولطف لي ولك بما لطف به لأوليائه المتقين الذين شرفهم بنزل قدسه وأوحشهم من الخليقة بأنسه وخصهم من معرفته ومشاهدة عجائب ملكوته وآثار قدرته بما ملأ قلوبهم حبرة وولّه عقولهم في عظمته حيرة فجعلوا همهم به واحدا ولم يروا في الدارين غيره فهم بمشاهدة كماله وجلاله يتنعمون وبين آثار قدرته وعجائب عظمته يترددون وبالانقطاع إليه والتوكل عليه يتعززون لهجين بصادق قوله قل الله ثم ذرهم في خوضهم يلعبون

فإنك كررت علي السؤال في مجموع يتضمن التعريف بقدر المصطفى عليه الصلاة والسلام وما يجب له من توقير وإكرام وما حكم من لم يوف واجب عظيم ذلك القدر أو قصر في حق منصبه

الجليل قلامة ظفر، وان اجمع لك ما لاسلافنا وائمتنا في ذلك من مقال
وابينه بتنزيل صور وامثال فاعلم اكرمك الله انك حملتني من ذلك امرا
امرا، وارهقتني فيما ندبتني اليه عسرا، وارقيتني بما كلفتني مرتقى صعبا،
ملأ قلبي رعبا، فان الكلام في ذلك يستدعي تقرير اصول، وتحرير فصول،
والكشف عن غوامض ودقائق من علم الحقائق مما يجب للنبي صلى الله عليه وسلم
ويضاف اليه، او يمتنع او يجوز عليه، ومعرفة النبي والرسول والرسالة
والنبوة والمحبة والخلة وخصائص هذه الدرجة العلية، وههنا مهامه
فيح تحار فيها القطا، وتقصر بها الخطا، ومجاهل تضل فيها الاحلام ان لم
تهتد بعلم علم ونظر سديد، ومداحض تزل بها الاقدام ان لم تعتمد
على توفيق من الله وتأييد، لكني لما رجوته لي ولك في هذا السؤال والجواب
من نوال وثواب، بتعريف قدره الجسيم، وخلقه العظيم، وبيان خصائصه
التي لم تجتمع قبل في مخلوق، وما يدان الله تعالى به من حقه الذي هو ارفع
الحقوق، ليستيقن الذين اوتوا الكتاب ويزداد الذين امنوا ايمانا، ولما
اخذ الله على الذين اوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه، ولما حدثنا
به ابو الوليد هشام بن احمد الفقيه رحمه الله بقراءتي عليه، قال حدثنا
الحسين بن محمد حدثنا ابو عمر النمري حدثنا ابو محمد بن عبد المؤمن حدثنا
ابو بكر محمد بن بكر حدثنا سليمان بن الاشعث، حدثنا موسى بن اسمعيل حدثنا
حماد حدثنا علي بن الحكم عن عطاء عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم من سئل عن علم فكتمه الجمه الله بلجام من نار
يوم القيمة، فبادرت الى نكت سافرة عن وجه الغرض، مؤديا من ذلك الحق
المفترض، اختلستها على استعجال لما المرء بصدده من شغل البدن والبال،

مما طوقه من تقلد المنة التي ابتلي بها تكاد تشغل عن كل فرض ونفل،
وترد بعد حسن التقويم إلى أسفل سفل، ولو أراد الله بالإنسان خيرا لجعل
شغله وهمه كله فيما يحمد غدا أو يذم محله، فليس ثم سوى نضرة النعيم
أو عذاب الجحيم، ولكان عليه بخويصته، واستنقاذ مهجته، وعمل صالح
يستزيده، وعلم نافع يفيده أو يستفيده، جبر الله صدع قلوبنا، وغفر
عظيم ذنوبنا، وجعل جميع استعدادنا لمعادنا، وتوفر دواعينا فيما ينجينا
ويقربنا إليه زلفى ويحظينا بمنه ورحمته، ولما نويت تقريبه، ودرجت
تبويبه، ومهدت تأصيله، وخلصت تفصيله، وانتحيت حصره وتحصيله،
ترجمته بالشفا بتعريف حقوق المصطفى، وحصرت الكلام فيه في
أقسام أربعة: القسم الأول في تعظيم العلي الأعلى لقدر هذا النبي
صلى الله عليه وسلم قولا وفعلا، وتوجه الكلام فيه في أربعة أبواب: الباب
الأول في ثنائه تعالى عليه وإظهاره عظيم قدره لديه، وفيه عشرة فصول.
الباب الثاني في تكميله تعالى له المحاسن خلقا وخلقا، وقرانه جميع
الفضائل الدينية والدنيوية فيه نسقا، وفيه سبعة وعشرون فصلا.
الباب الثالث فيما ورد من صحيح الأخبار ومشهورها بعظيم قدره
عند ربه ومنزلته، وما خصه به في الدارين من كرامته، وفيه اثنا عشر
فصلا. الباب الرابع فيما أظهره تعالى على يديه من الآيات والمعجزات،
وشرفه به من الخصائص والكرامات، وفيه ثلاثون فصلا. القسم الثاني
فيما يجب على الأنام من حقوقه عليه السلام، ويترتب القول فيه في أربعة
أبواب: الباب الأول في فرض الإيمان به، ووجوب طاعته، واتباع
سنته، وفيه خمسة فصول. الباب الثاني في لزوم محبته ومناصحته

نضرة

ولابد منه

خويصته نفسه بالتشديد للتصغير خاصة

يحظينا بالحاء المهملة والظاء المعجمة أي يفضلنا بخيرنا

المصطفى

وفيه ستة فصول الباب الثالث في تعظيم أمره ووجوب توقيره
وبره وفيه سبعة فصول الباب الرابع في حكم الصلوة عليه والتسليم
وفرض ذلك وفضيلته وفيه عشرة فصول القسم الثالث فيما
يستحيل في حقه وما يجوز عليه وما يمتنع ويصح من الأمور البشرية
أن يضاف إليه وهذا القسم أكرمك الله هو سر الكتاب ولباب
ثمرة هذه الأبواب وما قبله له كالقواعد والتمهيدات والدلائل
على ما نورده فيه من النكت البينات وهو الحاكم على ما بعده والمنجز
من غرض هذا التأليف وعده وعند التقصي لموعده والتفصي عن
عهدته يشرق صدر العدو اللعين ويشرق قلب المؤمن باليقين وتملأ
أنواره جوانح صدره ويقدر العاقل النبي حق قدره ويتحرر الكلام فيه
في بابين الباب الأول فيما يختص بالأمور الدينية ويتشبث به
القول في العصمة وفيه ستة عشر فصلا الباب الثاني في أحواله
الدنيوية وما يجوز طروءه عليه من الأعراض البشرية وفيه تسعة فصول
القسم الرابع في تصرف وجوه الأحكام على من تنقصه أو سبه
عليه السلام وينقسم الكلام فيه في بابين الباب الأول في بيان
ما هو في حقه سب ونقص من تعريض أو نص وفيه عشرة فصول
الباب الثاني في حكم شانئه ومؤذيه ومتنقصه وعقوبته
وذكر استتابته والصلوة عليه ووراثته وفيه عشرة فصول وختمناه
بباب ثالث جعلناه تكملة لهذه المسألة ووصلة للبابين اللذين قبله
في حكم من سب الله جل وتعالى ورسله وملائكته وكتبه وآل النبي صلى الله
عليه وسلم وصحبه واختصرنا الكلام فيه في خمسة فصول وبتمامها ينتجز

العاقل

واختصر الكلام

الكتاب وبهم الاقسام والابواب ويلوح في غرة الايمان لمعة منيرة

وفي تاج التراجم درة خطيرة تزيح كل لبس وتوضح كل تخمين وحدس

وتشفي صدور قوم مؤمنين وتصدع بالحق وتعرض عن الجاهلين وبالله

تعالى لا اله سواه استعين **القسم الاول** في تعظيم العلي الاعلى لقدر

المصطفى عليه الصلوة والسلام قولا وفعلا قال القاضي الامام ابو الفضل

رضي الله عنه لا خفا على من مارس شيا من العلم او خص بادنى لمحة من

فهم بتعظيم الله تعالى قدر نبينا عليه الصلوة والسلام وخصوصه اياه

بفضايل ومحاسن ومناقب لا تنضبط لزمام وتنويهه من عظيم قدره

بما تكل عنه الالسنة والاقلام **فمنها** ما صرح به تعالى في كتابه ونبه

به على جليل نصابه واثنى به عليه من اخلاقه وادابه وحض العباد

على التزامه وتقلد ايجابه فكان جل جلاله هو الذي تفضل واولى ثم طهر

وزكى ثم مدح بذلك واثنى ثم اثاب عليه الجزاء الاوفى فله الحمد بدءا وعودا

والحمد اولى واخرى **ومنها** ما ابرزه للعيان من خلقه على اتم وجوه الكمال

والجلال وتخصيصه بالمحاسن الجميلة والاخلاق الحميدة والمذاهب

الكريمة والفضايل العديدة وتاييده بالمعجزات الباهرة والبراهين الواضحة

والكرامات البينة التي شاهدها من عاصره وراها من ادركه وعلمها علم

يقين من جا بعده حتى انتهى حقيقة علم ذلك الينا وفاضت انواره علينا

صلى الله عليه وسلم تسليما كثيرا **حدثنا** القاضي الشهيد ابو علي الحسين بن محمد

الحافظ رحمه الله قراءة مني عليه قال حدثنا ابو الحسين المبارك بن عبد الجبار

وابو الفضل احمد بن خيرون قالا حدثنا ابو يعلى البغدادي قال حدثنا ابو علي

السنجي قال حدثنا محمد بن احمد بن محبوب قال حدثنا ابو عيسى بن سورة الحافظ

عيسى بن م

قال حدثنا

[Margin: لا اله الا هو الملك الحق المبين — النبي — الفهم — لتعظيم — انتشر — الشديدة]

قال حدثنا إسحق بن منصور حدثنا عبد الرزاق أخبرنا معمر عن قتادة عن أنس
رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم أتي بالبراق ليلة أسري به ملجما مسرجا
فاستصعب عليه فقال له جبريل أبمحمد تفعل هذا فما ركبك أحد أكرم على الله
منه قال فارفض عرقا **الباب الأول في ثناء الله تعالى**
عليه وإظهاره عظيم قدره لديه. اعلم أن في كتاب الله العزيز آيات كثيرة
مفصحة بجميل ذكر المصطفى وعد محاسنه وتعظيم أمره وتنويه قدره اعتمدنا
منها على ما ظهر معناه وبان فحواه. وجمعنا ذلك في عشرة فصول
الفصل الأول فيما جاء من ذلك مجيء المدح والثناء وتعداد المحاسن
كقوله تعالى لقد جاءكم رسول من أنفسكم الآية. قال السمرقندي وقرأ
بعضهم من أنفَسكم بفتح الفاء وقراءة الجمهور بالضم **قال** القاضي الإمام
أبو الفضل وفقه الله أعلم الله تعالى المؤمنين أو العرب أو أهل مكة أو جميع
الناس على اختلاف المفسرين من المواجه بهذا الخطاب أنه بعث فيهم رسولا
من أنفسهم يعرفونه ويتحققون مكانته ويعلمون صدقه وأمانته. فلا
يتهمونه بالكذب وترك النصيحة لهم لكونه منهم وأنه لم تكن في العرب
قبيلة إلا ولها على رسول الله صلى الله عليه وسلم ولادة أو قرابة وكونه من
أشرفهم وأرفعهم وأفضلهم على قراءة الفتح وهذه نهاية المدح. ثم وصفه
بعد بأوصاف حميدة وأثنى عليه بمحامد كثيرة من حرصه على هدايتهم ورشدهم
وإسلامهم وشدة ما يعنتهم ويضر بهم في دنياهم وأخراهم وعزته عليه
ورأفته ورحمته بمؤمنيهم **قال** بعضهم أعطاه اسمين من أسمائه رؤوف
رحيم. ومثله في الآية الأخرى قوله تعالى لقد من الله على المؤمنين إذ بعث
فيهم رسولا من أنفسهم الآية. وفي الآية الأخرى قوله تعالى هو الذي بعث في

من

بمؤمنيهم

الامين رسولا منهم الاية • وقوله تعالى كما ارسلنا فيكم رسولا منكم •
وروى عن علي بن ابي طالب رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى
من انفسكم قال نسبا وصهرا وحسبا ليس في اباي من لدن ادم سفاح
كلنا نكاح • قال ابن الكلبي كتبت للنبي صلى الله عليه وسلم خمس مائة ام فما
وجدت فيهن سفاحا ولا شيئا مما كان عليه الجاهلية وعن ابن عباس رضي الله
عنهما في قوله تعالى وتقلبك في الساجدين قال من نبي الى نبي حتى اخرجتك
اخرجك
نبيا وقال جعفر بن محمد علم الله عجز خلقه عن طاعته فعرفهم ذلك
لكي يعلموا انهم لا ينالون الصفو من خدمته فاقام بينه وبينهم مخلوقا
من جنسهم في الصورة والبسه من نعته الرافة والرحمة واخرجه الى الخلق
سفيرا صادقا وجعل طاعته طاعته وموافقته موافقته فقال من يطع
الرسول فقد اطاع الله • وقال تعالى وما ارسلناك الا رحمة للعالمين •
قال ابو بكر بن طاهر زين الله محمدا صلى الله عليه وسلم بزينة الرحمة فكان
كونه رحمة وجميع شمائله وصفاته رحمة على الخلق فمن اصابه شيء من
رحمته فهو الناجي في الدارين من كل مكروه والواصل فيهما الى كل محبوب
الا ترى ان الله تعالى يقول وما ارسلناك الا رحمة للعالمين • فكانت
حياته رحمة ومماته رحمة كما قال عليه الصلوة والسلام حياتي خير لكم
ومماتي خير لكم • وكما قال صلى الله عليه وسلم اذا اراد الله رحمة امة قبض
نبيها قبلها فجعله لها فرطا وسلفا • وقال السمرقندي رحمة للعالمين
يعني للجن والانس • وقيل لجميع الخلق للمؤمنين رحمة بالهداية • ورحمة
للمنافق بالامان من القتل • ورحمة للكافر بتاخير العذاب • قال
ابن عباس رضي الله عنهما هو رحمة للمؤمنين والكافرين اذ عوفوا مما

أصاب غيرهم من الأمم المكذبة وحُكي أن النبي صلى الله عليه وسلم قال
لجبريل عليه السلام هل أصابك من هذه الرحمة شيء قال نعم كنت أخشى
العاقبة فأمنت لثناء الله عز وجل علي بقوله تعالى ذي قوة عند ذي
العرش مكين مطاع ثم أمين وروي عن جعفر بن محمد الصادق رضي الله عنهما
في قوله تعالى فسلام لك من أصحاب اليمين أي بك إنما وقعت سلامتهم من أجل
كرامة محمد صلى الله عليه وسلم وقال الله تبارك وتعالى الله نور السموات
والأرض الآية قال كعب وابن جبير المراد بالنور الثاني هنا محمد صلى الله
عليه وسلم وقوله تعالى مثل نوره أي نور محمد صلى الله عليه وسلم وقال
سهل بن عبد الله المعنى الله هادي أهل السموات والأرض ثم قال مثل نور
محمد صلى الله عليه وسلم إذ كان مستودعا في الأصلاب كمشكاة صفتها كذا
وأراد بالمصباح قلبه والزجاجة صدره أي كأنه كوكب دري لما فيه من
الإيمان والحكمة توقد من شجرة مباركة أي من نور إبرهيم وضرب المثل
بالشجرة المباركة وقوله تعالى يكاد زيتها يضيء أي تكاد نبوة محمد صلى الله
عليه وسلم تبين للناس قبل كلامه كهذا الزيت وقد قيل في هذه الآية غير
هذا والله أعلم وقد سماه الله تعالى في القرآن في غير هذا الموضع نورا
وسراجا منيرا فقال تعالى قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين وقال تعالى
إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وداعيا إلى الله بإذنه وسراجا منيرا
ومن هذا قوله تعالى ألم نشرح لك صدرك إلى آخر السورة شرح وسع
والمراد بالصدر هنا القلب قال ابن عباس رضي الله عنهما شرحه
بالإسلام وقال سهل بنور الرسالة وقال الحسن ملأه حكما وعلما وقيل بالإيمان حقا
معناه ألم نطهر قلبك حتى لا يؤذيك الوسواس ووضعنا عنك وزرك الذي

انقض ظهرك. وقيل ما سلف من ذنبك يعني قبل النبوة. وقيل أراد ثقل أيام الجاهلية. وقيل أراد ما أثقل ظهره من الرسالة حتى بلّغها حكاه الماوردي والسلمي. وقيل عصمناك ولولا ذلك لأثقلت الذنوب ظهرك حكاه السمرقندي. ورفعنا لك ذكرك قال يحيى بن آدم بالنبوة. وقيل إذا ذكرت ذكرت معي قول لا إله إلا الله محمد رسول الله. وقيل في الأذان. قال القاضي أبو الفضل وفقه الله هذا تقرير من الله جل اسمه لنبيه صلى الله عليه وسلم على عظيم نعمه لديه. وشريف منزلته عنده وكرامته عليه. بأن شرح قلبه بالإيمان والهداية ووسّعه لوعي العلم وحمل الحكمة ورفع عنه ثقل أمور الجاهلية عليه وبغّضه لسيرها وما كانت عليه بظهور دينه على الدين كله وحطّ عنه عهدة أعباء الرسالة والنبوة لتبليغه للناس ما نزل إليهم وتنويهه بعظيم مكانه وجليل رتبته ورفعه ذكره وقرانه مع اسمه اسمه قال قتادة رفع الله ذكره في الدنيا والآخرة فليس خطيب ولا متشهد ولا صاحب صلوة إلا يقول أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله روى أبو سعيد الخدري رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال أتاني جبريل عليه السلام فقال إن ربي وربك يقول أتدري كيف رفعت ذكرك قلت الله ورسوله أعلم قال إذا ذكرت ذكرت معي قال ابن عطا جعلت تمام الإيمان بذكري معك وقال أيضا جعلتك ذكرا من ذكري فمن ذكرك ذكرني وقال جعفر ابن محمد الصادق رضي الله عنهما لا يذكرك أحد بالرسالة إلا ذكرني بالربوبية وأشار بعضهم في ذلك إلى الشفاعة. ومن ذكره معه تعالى أن قرن طاعته بطاعته واسمه باسمه. فقال تعالى وأطيعوا الله والرسول وآمنوا بالله ورسوله. فجمع بينهما بواو العطف المشركة ولا يجوز جمع هذا الكلام في غير

ورفع ذكره مع ذكره

وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول

حقه

حقه عليه السلام حدثنا الشيخ أبو علي الحسين بن محمد الجياني الحافظ فيما
أجازنيه وقرأته على الثقة عنه قال حدثنا أبو عمر النمري قال حدثنا أبو
محمد عبد المؤمن أخبرنا أبو بكر بن داسة حدثنا أبو داود السجستاني حدثنا
أبو الوليد الطيالسي حدثنا شعبة عن منصور عن عبد الله بن يسار عن حذيفة
عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا يقولن أحدكم ما شاء الله وشاء فلان ولكن
ما شاء الله ثم شاء فلان قال الخطابي أرشدهم صلى الله عليه وسلم إلى الأدب
في تقديم مشيئة الله تعالى على مشيئة من سواه واختارها بثم التي هي للنسق
والتراخي بخلاف الواو التي هي للاشتراك. ومثله الحديث الآخر أن خطيبا
خطب عند النبي صلى الله عليه وسلم فقال من يطع الله ورسوله فقد رشد
ومن يعصهما فقال له النبي صلى الله عليه وسلم بئس خطيب القوم أنت قم أو
قال اذهب. قال أبو سليمان كره منه الجمع بين الاسمين بحرف الكناية
لما فيه من التسوية. وذهب غيره إلى أنه إنما كره له الوقوف على يعصهما
وقول أبي سليمان أصح لما روي في الحديث الصحيح أنه قال ومن يعصهما فقد
غوى ولم يذكر الوقوف على يعصهما. وقد اختلف المفسرون وأصحاب
المعاني في قوله تعالى إن الله وملائكته يصلون على النبي هل يصلون
راجعة على الله تعالى والملائكة أم لا فأجازه بعضهم ومنعه آخرون
لعلة التشريك وخصوا الضمير بالملائكة وقدروا الآية إن الله يصلي
وملائكته يصلون وقد روي عن عمر رضي الله عنه أنه قال من فضيلتك
عند الله تعالى أن جعل طاعتك طاعته فقال تعالى من يطع الرسول
فقد أطاع الله. وقد قال تعالى قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم
الله الآية روي أنه لما نزلت هذه الآية قالوا إن محمدا يريد أن نتخذه

حنانا كما اتخذت النصارى عيسى فأنزل الله تعالى قل أطيعوا الله والرسول
فقرن طاعته بطاعته رغمًا لهم • وقد اختلف المفسرون في معنى قوله تعالى
في أم الكتاب اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم فقال
أبو العالية والحسن البصري الصراط المستقيم هو رسول الله صلى الله عليه وسلم
وخيار أهل بيته وأصحابه حكاه عنهما أبو الحسن الماوردي وحكى مكي
عنهما نحوه • وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وصاحباه أبو بكر وعمر
رضي الله عنهما وحكى أبو الليث السمرقندي مثله عن أبي العالية في قوله
تعالى صراط الذين أنعمت عليهم قال فبلغ ذلك الحسن فقال صدق والله ونصح
وحكى الماوردي ذلك في تفسير صراط الذين أنعمت عليهم عن عبد الرحمن
ابن زيد وحكى أبو عبد الرحمن السلمي عن بعضهم في تفسير قوله تعالى فقد
استمسك بالعروة الوثقى أنه محمد صلى الله عليه وسلم وقيل الإسلام وقيل
شهادة التوحيد وقال سهل في قوله تعالى وإن تعدوا نعمة الله لا
تحصوها قال نعمته محمد عليه الصلوة والسلام • وقال تعالى والذي جاء
بالصدق وصدق به أولئك هم المتقون الآية • أكثر المفسرين على
أن الذي جاء بالصدق هو محمد صلى الله عليه وسلم • قال بعضهم وهو الذي
صدق به وقرئ صدَق بالتخفيف وقال غيرهم الذي صدق به المؤمنون
وقيل أبو بكر وقيل علي رضي الله عنهما • وقيل غير هذا من الأقوال وعن
مجاهد في قوله تعالى ألا بذكر الله تطمئن القلوب قال بمحمد صلى الله عليه
وسلم وأصحابه • الفصل الثاني في وصفه له تعالى بالشهادة وما تعلق
بها من الثناء والكرامة • قال الله تعالى يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا
ونذيرا الآية • جمع الله تعالى له في هذه الآية ضروبا من رتب الأثرة

وجمله أوصافٍ من المدحة فجعله شاهدًا على أمته لنفسه بإبلاغهم
الرسالة وهي من خصائصه صلى الله عليه وسلم، ومبشرًا لأهل طاعته، ونذيرًا
لأهل معصيته، وداعيًا إلى توحيده وعبادته، وسراجًا منيرًا يهتدى به
إلى الحق. حدثنا الشيخ أبو محمد بن عتّاب رحمه الله قال حدثنا أبو القاسم حاتم
بن محمد أخبرنا أبو الحسن القابسي أخبرنا أبو زيد المروزي حدثنا أبو عبد الله
محمد بن يوسف حدثنا البخاري أخبرنا محمد بن سنان حدثنا فليح حدثنا هلال
عن عطاء بن يسار لقيت عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه قلت
أخبرني عن صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أجل والله إنه لموصوف
في التوراة ببعض صفته في القرآن يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهدًا ومبشرًا
ونذيرًا وحرزًا للأميين أنت عبدي ورسولي سميتك المتوكل ليس بفظ ولا
غليظ ولا سخاب في الأسواق ولا يدفع بالسيئة السيئة ولكن يعفو ويغفر
ولن يقبضه الله حتى يقيم به الملة العوجاء بأن يقولوا الا اله الا الله
ويفتح به أعينًا عميًا وآذانًا صمًا وقلوبًا غلفًا. وذكر مثله عن عبد الله بن سلام
وكعب الأحبار، وفي بعض طرقه عن ابن إسحاق ولا صخب في الأسواق ولا متزين
بالفحش ولا قوال للخنا أسدده لكل جميل وأهب له كل خلق كريم، وأجعل
السكينة لباسه، والبر شعاره، والتقوى ضميره، والحكمة معقوله، والصدق
والوفاء طبيعته، والعفو والمعروف خلقه، والعدل سيرته، والحق شريعته،
والهدى إمامه، والإسلام ملته، وأحمد اسمه، أهدي به بعد الضلالة،
وأعلّم به بعد الجهالة، وأرفع به بعد الخمالة، وأسمي به بعد النكرة، وأكثر
به بعد القلة، وأغني به بعد العيلة، وأجمع به بعد الفرقة، وأؤلف به بين
قلوب مختلفة، وأهواء متشتتة، وأمم متفرقة، وأجعل أمته خير

أمتهِ أخرجت للناس. وفي حديث آخر أخبرنا رسول الله صلى الله عليه و
عن صفته في التوراة عبدي أحمد المختار مولده بمكة ومهاجره بالمدينة
أو قال طيبة. أمته الحمادون لله على كل حال. وقال تعالى الذين يتبعون
الرسول النبي الأمي الآيتين. وقال تعالى فبما رحمة من الله لنت لهم الآية
قال السمرقندي ذكّرهم الله منّته أنه جعل رسوله رحيما بالمؤمنين
رؤوفا لين الجانب ولو كان فظا خشنا في القول لتفرقوا من حوله لكن
جعله الله سمحا سهلا طلقا برا لطيفا هكذا قاله الضحاك. وقال تعالى
وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول
عليكم شهيدا قال أبو الحسن القابسي أبان الله تعالى فضل نبينا صلى الله
عليه وسلم وفضل أمته بهذه الآية. وفي قوله تعالى في الآية الأخرى
وفي هذا ليكون الرسول شهيدا عليكم وتكونوا شهداء على الناس. وكذلك
قوله تعالى فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا
الآية. وقوله وسطا أي عدولا خيارا. ومعنى هذه الآية وكما هديناكم
فكذلك خصصناكم وفضلناكم بأن جعلناكم أمة خيارا عدولا لتشهدوا
للأنبياء على أممهم ويشهد لكم الرسول بالصدق قيل إن الله جل وعلا
إذا سأل الأنبياء هل بلغتم فيقولون نعم فتقول أممهم ما جاءنا من
بشير ولا نذير فتشهد أمة محمد للأنبياء ويزكيهم النبي صلى الله عليه وسلم
وقيل معنى الآية إنكم حجة على كل من خالفكم والرسول حجة عليكم
حكاه السمرقندي. وقال الله تعالى وبشر الذين آمنوا أن لهم قدم صدق
عند ربهم. قال الحسن وقتادة وزيد بن أسلم قدم صدق وهو محمد صلى الله
عليه وسلم يشفع لهم وعن الحسن أيضا هي مصيبتهم بنبيهم وعن أبي سعيد

ذكّره

يشفع

الخدري

البشرى في شفاعة نبيهم محمد صلى الله عليه وسلم هو شفيع صدق عند ربهم
وقال سهل بن عبد الله التستري هي سابقة رحمة اودعها في محمد صلى الله عليه
وسلم وقال محمد بن علي الترمذي هو امام الصادقين والصديقين الشفيع
المطاع والسائل المجاب محمد صلى الله عليه وسلم حكاه عنه السلمي
الفصل الثالث فيما ورد في خطابه اياه مورد الملاطفة والمبرة
فمن ذلك قوله تعالى عفا الله عنك لم اذنت لهم قال ابو محمد مكي
بيا هذا افتتاح كلام بمنزلة اصلحك الله واعزك الله وقال عون بن عبد الله
اخبره بالعفو قبل ان يخبره بالذنب حكى السمرقندي عن بعضهم
ان معناه عافاك الله يا سليم القلب لم اذنت لهم قال ولو بدا النبي
صلى الله عليه وسلم بقوله تعالى لم اذنت لهم لخيف عليه ان ينشق قلبه من
هيبة هذا الكلام لكن الله تعالى برحمته اخبره بالعفو حتى سكن قلبه
ثم قال له لم اذنت لهم بالتخلف حتى يتبين الصادق في عذره من الكاذب
وفي هذا من عظيم منزلته عند الله ما لا يخفى على ذي لب ومن اكرامه اياه
وبره به ما ينقطع دون معرفة غايته نياط القلب قال نفطويه ذهب
ناس الى ان النبي صلى الله عليه وسلم معاتب بهذه الاية وحاشاه من ذلك بل
كان مخيرا فلما اذن لهم اعلمه الله انه لو لم ياذن لهم لقعدوا لنفاقهم
وانه لا حرج عليه في الاذن لهم قال القاضي ابو الفضل رحمه الله يجب
على المسلم المجاهد نفسه الرائض بزمام الشريعة خلقه ان يتادب بآداب
القرآن في قوله وفعله ومعاطاته ومحاوراته فهو عنصر المعارف الحقيقية
وروضة الآداب الدينية والدنيوية وليتامل هذه الملاطفة العجيبة
في السؤال من رب الارباب المنعم على الكل المستغني عن الجميع ويستثير

ما فيها من الفوائد وكيف ابتدأ بالإكرام قبل العتب وآنس بالعفو قبل ذكر
الذنب إن كان ثم ذنب. وقال تعالى ولولا أن ثبتناك لقد كدت تركن
إليهم شيئا قليلا. قال بعض المتكلمين عاتب الله تعالى الأنبياء بعد الزلات
وعاتب نبينا عليه الصلوة والسلام قبل وقوعه ليكون بذلك أشد انتهاء
ومحافظة لشرائط المحبة وهذه غاية العناية ثم انظر كيف بدأ بثباته وسلامته
قبل ذكر ما عتبه عليه وخيف أن يركن إليه ففي أثناء عتبه براءته وفي طي تخويفه
تأمينه وكرامته. ومثله قوله تعالى قد نعلم إنه ليحزنك الذي يقولون
فإنهم لا يكذبونك الآية. قال علي رضي الله عنه قال أبو جهل للنبي صلى الله
عليه وسلم إنا لا نكذبك ولكن نكذب بما جئت به فأنزل الله تعالى فإنهم لا
يكذبونك الآية وروي أن النبي صلى الله عليه وسلم لما كذبه قومه حزن
فأتاه جبريل عليه السلام فقال ما يحزنك قال كذبني قومي فقال إنهم يعلمون
أنك صادق فأنزل الله هذه الآية ففي هذه الآية منزع لطيف المأخذ
من تسليته تعالى له عليه الصلوة والسلام وإلطافه في القول بأن قرر
عنده أنه صادق عندهم وأنهم غير مكذبين له معترفون بصدقه قولا
واعتقادا. وقد كانوا يسمونه قبل النبوة الأمين فدفع بهذا التقرير
ارتماض نفسه بسمة الكذب ثم جعل الذم لهم بتسميتهم جاحدين
ظالمين فقال تعالى ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون فحاشاه من الوصم
وطوقهم بالمعاندة بتكذيب الآيات حقيقة الظلم إذ الجحد إنما يكون
ممن علم الشيء ثم أنكره كقوله تعالى وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم
ظلما وعلوا ثم عزاه وآنسه بما ذكره عمن قبله ووعده النصر بقوله تعالى
ولقد كذبت رسل من قبلك الآية فمن قرأ لا يكذبونك بالتخفيف فمعناه

لا يجدونك

لا يجدونك كاذبا وقال الفراء والكسائي لا يقولون إنك كاذب وقيل
لا يحتجون على كذبك ولا يثبتونه ومن قرأ بالتشديد فمعناه لا ينسبونك
إلى الكذب وقيل لا يعتقدون كذبك ومما ذكر من خصائصه وبر الله
تعالى به أن الله تعالى خاطب جميع الأنبياء بأسمائهم فقال يا آدم يا نوح
يا إبرهيم يا داود يا عيسى يا زكريا يا يحيى ولم يخاطب هو إلا بيا أيها
الرسول يا أيها النبي يا أيها المزمل يا أيها المدثر صلى الله عليه وسلم

الفصل الرابع في قسمه تعالى بعظيم قدره

قال الله تعالى لعمرك إنهم لفي سكرتهم يعمهون اتفق أهل التفسير في هذا
أنه قسم من الله جل جلاله بمدة حياة محمد صلى الله عليه وسلم وأصله ضم العين
من العمر ولكنها فتحت لكثرة الاستعمال ومعناه وبقائك يا محمد وقيل
وعيشك وقيل وحياتك وهذه نهاية التعظيم وغاية البر والتشريف
قال ابن عباس رضي الله عنهما ما خلق الله وما ذرأ وما برأ نفسا أكرم
عليه من محمد صلى الله عليه وسلم وما سمعت الله تعالى أقسم بحياة أحد
غيره وقال أبو الجوزاء ما أقسم الله بحياة أحد غير محمد صلى الله عليه وسلم
لأنه أكرم البرية عنده وقال تعالى يس والقرآن الحكيم الآيات
اختلف المفسرون في معنى يس على أقوال فحكى أبو محمد مكي أنه روي
عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لي عند ربي عشرة أسماء ذكر أن منها طه
ويس اسمان له وحكى أبو عبد الرحمن السلمي عن جعفر الصادق رضي الله
عنهما أنه أراد يا سيد مخاطبة لنبيه صلى الله عليه وسلم وعن ابن عباس
رضي الله عنهما يس يا إنسان أراد محمدا صلى الله عليه وسلم وقال هو قسم
وهو من أسماء الله تعالى وقال الزجاج قيل معناه يا محمد وقيل يا رجل

وقيل يا انسان وعن ابن الحنفية رضي الله عنهما يس يا محمد وعن كعب الاحبار
يس قسم اقسم الله به قبل ان يخلق السماء والارض بالفي عام يا محمد انك لمن
المرسلين ثم قال والقرآن الحكيم انك لمن المرسلين فان قدر انه من
اسمائه صلى الله عليه وسلم وصح فيه انه قسم كان فيه من التعظيم ما تقدم ويؤكد
فيه القسم عطف القسم الآخر عليه وان كان بمعنى النداء فقد جاء قسم آخر
بعده لتحقيق رسالته والشهادة بهدايته اقسم تعالى باسمه وكتابه انه
من المرسلين بوحيه الى عباده وعلى صراط مستقيم من ايمانه اي طريق لا اعوجاج
فيه ولا عدول عن الحق قال النقاش لم يقسم الله تعالى لاحد من انبيائه
بالرسالة في كتابه الا له عليه الصلوة والسلام وفيه من تعظيمه وتمجيده
على تأويل من قال انه يا سيد ما فيه وقد قال عليه الصلوة والسلام انا
سيد ولد آدم وقال تعالى لا اقسم بهذا البلد وانت حل بهذا البلد قيل
لا اقسم به اذا لم تكن فيه بعد خروجك منه حكاه مكي وقيل لا زائدة
اي اقسم به وانت به يا محمد حلال او حل لك ما فعلت فيه على التفسيرين
والمراد بالبلد عند هؤلاء مكة وقال الواسطي اي نحلف لك بهذا البلد
الذي شرفته بمكانك فيه حيا وببركتك ميتا يعني المدينة والاول
اصح لان السورة مكية وما بعده يصححه قوله وانت حل بهذا البلد ونحوه قول
ابن عطاء في تفسير قوله تعالى وهذا البلد الامين قال امنها الله تعالى بمقامه
فيها وكونه بها فان كونه امان حيث كان ثم قال ووالد وما ولد من
قال اراد آدم فهو عام ومن قال هو ابراهيم وما ولد فهي ان شاء الله اشارة
الى محمد صلى الله عليه وسلم فتتضمن السورة القسم به في موضعين وقال
تعالى الم ذلك الكتاب قال ابن عباس رضي الله عنهما هذه الحروف

اقسام

أقسام أقسم الله بها وعنه وعن غيره فيما عبر ذلك وقال سهل بن عبد الله
التستري رحمه الله الألف هو الله تعالى واللام جبريل والميم محمد
عليهما الصلوة والسلام وحكى هذا القول السمرقندي ولم ينسبه إلى
سهل وجعل معناه الله أنزل جبريل على محمد صلى الله عليهما وسلم بهذا
القرآن الذي لا ريب فيه وعلى الوجه الأول يحتمل القسم أن هذا الكتاب
حق لا ريب فيه ثم فيه من فضيلة قران اسمه باسمه نحو ما تقدم وقال
ابن عطاء في قوله تعالى ق والقرآن المجيد أقسم بقوة قلب حبيبه صلى الله
عليه وسلم حيث حمل الخطاب والمشاهدة ولم يؤثر ذلك فيه لعلو حاله
وقيل هو اسم للقرآن وقيل هو اسم لله وقيل جبل محيط بالأرض
وقيل غير هذا وقال جعفر بن محمد في تفسير والنجم إذا هوى إنه محمد
عليه الصلوة والسلام وقال النجم قلب محمد هوى انشرح من الأنوار
وقال انقطع عن غير الله وقال ابن عطاء في قوله تعالى والفجر وليال عشر
الفجر محمد صلى الله عليه وسلم لأن منه تفجر الإيمان الفصل الخامس
في قسمه تعالى جده له بتحقيق مكانته عنده قال جل اسمه والضحى
والليل إذا سجى السورة اختلف في سبب نزول هذه السورة فقيل كان ترك
النبي صلى الله عليه وسلم قيام الليل لعذر نزل به فتكلمت امرأة في ذلك
بكلام وقيل بل تكلم به المشركون عند فترة الوحي فنزلت السورة قال
القاضي الفقيه وفقه الله تعالى تضمنت هذه السورة من كرامة الله له
وتنويهه به وتعظيمه إياه ستة وجوه الأول القسم له عما أخبره به
من حاله بقوله والضحى والليل إذا سجى أي ورب الضحى وهذا من أعظم
درجات المبرة الثاني بيان مكانته عنده وحظوته لديه بقوله تعالى

ما ودّعك ربّك وما قلى • أي ما تركك وما أبغضك • وقيل ما أهملك بعد أن
اصطفاك • الثاني قوله تعالى وللآخرة خير لك من الأولى قال ابن إسحاق
ما لك في مرجعك عند الله أعظم مما أعطاك من كرامة الدنيا • وقال سهل
أي ما ذخرت لك من الشفاعة والمقام المحمود خير لك مما أعطيتك في الدنيا
الرابع قوله تعالى ولسوف يعطيك ربك فترضى • وهذه آية جامعة لوجوه
الكرامة وأنواع السعادة وشتات الإنعام في الدارين والزيادة • قال
ابن إسحاق يرضيه بالفلج في الدنيا والثواب في الآخرة • وقيل يعطيه الحوض
والشفاعة • وروي عن بعض آل النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال ليس آية في
القرآن أرجى منها ولا يرضى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يدخل أحد من
أمته النار • الخامس ما عدّه تعالى من نعمه وقرره من آلائه قبله في بقية
السورة من هدايته إلى ما هداه له أو هداية الناس به على اختلاف التفاسير
ولا مال له فأغناه بما آتاه أو بما جعله في قلبه من القناعة والغنى ويتيما
فحدب عليه عمه وآواه إليه • وقيل آواه إلى الله • وقيل يتيما لا مثال لك
فآواك إليه • وقيل المعنى ألم يجدك فهدى بك ضالا وأغنى بك عائلا وآوى
بك يتيما • ذكّره بهذه المنن وأنه على المعلوم من التفسير لم يهمله في حال صغره
وعيلته ويتمه وقبل معرفته به ولا ودّعه ولا قلاه فكيف بعد اختصاصه
واصطفائه • السادس أمره بإظهار نعمته عليه وشكر ما شرّفه به بنشره
وإشادة ذكره بقوله تعالى وأما بنعمة ربك فحدّث فإن من شكر النعمة الحديث
بها وهذا خاص له عام لأمته صلى الله عليه وسلم • وقال تعالى والنجم إذا هوى
إلى قوله لقد رأى من آيات ربه الكبرى • اختلف المفسرون في قوله والنجم
بأقاويل معروفة منها النجم على ظاهره ومنها القرآن • وعن جعفر بن محمد

أنه محمد صلى الله عليه وسلم وقال هو قلب محمد عليه السلام، وقد قيل في قوله تعالى
والسماء والطارق وما أدراك ما الطارق النجم الثاقب إن النجم هنا أيضا محمد
صلى الله عليه وسلم حكاه السلمي. تضمنت هذه الآيات من فضله وشرفه العد ما
يقف دونه العد، أقسم جل اسمه على هداية المصطفى وتنزيهه عن الهوى وصدقه
فيما تلا، وأنه وحي يوحى، أوصله إليه عن الله عز وجل جبريل عليه السلام وهو
الشديد القوى، ثم أخبر تعالى عن فضيلته بقصة الإسراء وانتهائه إلى سدرة
المنتهى وتصديق بصره فيما رأى وأنه رأى من آيات ربه الكبرى، وقد نبه على
مثل هذا تعالى في أول سورة الإسراء. ولما كان ما كاشفه عليه الصلاة والسلام
من ذلك الجبروت، وشاهده من عجائب الملكوت، لا تحيط به العبارات
ولا تستقل بحمل سماع أدناه العقول، رمز عنه تعالى بالإيماء والكناية الدالة
على التعظيم فقال تعالى فأوحى إلى عبده ما أوحى، وهذا النوع من الكلام يسميه
أهل النقد والبلاغة بالوحي والإشارة، وهو عندهم أبلغ أبواب الإيجاز، وقال
لقد رأى من آيات ربه الكبرى، انحسرت الأفهام عن تفصيل ما أوحى، وتاهت
الأحلام في تعيين تلك الآيات الكبرى. قال القاضي أبو الفضل: واشتملت هذه
الآيات على إعلام الله تعالى بتزكية جملته عليه الصلاة والسلام وعصمتها
من الآفات في هذا المسرى، فزكى فؤاده ولسانه وجوارحه، فزكى قلبه بقوله
تعالى ما كذب الفؤاد ما رأى، ولسانه بقوله تعالى وما ينطق عن الهوى، وبصره
بقوله ما زاغ البصر وما طغى، وقال تعالى فلا أقسم بالخنس الجوار الكنس إلى قوله
وما هو بقول شيطان رجيم، لا أقسم أي أقسم إنه لقول رسول كريم أي كريم
عند مرسله، ذي قوة على تبليغ ما حمله من الوحي، مكين أي متمكن المنزلة من ربه
رفيع المحل عنده، مطاع ثم أي في السماء، أمين على الوحي. قال علي بن عيسى

وغيره الرسول الكريم هنا محمد صلى الله عليه وسلم الجامع للأوصاف بعد عجز عنه
له وقال غيره هو جبريل ويترجح الأوصاف الستة والمذكور يعني محمدا ليس
أي رتبته وقيل الذي جبريل في صورته وما هو على الغيب بضنين أي بمتهم
ومن قرأ بالضاد فمعناه ما هو بخيل بالدعاء والتذكير بحكمه وعلمه وهذه
لمحمد صلى الله عليه وسلم بالاتفاق وقال تعالى ن والقلم الآيات أقسم تعالى بما أقسم
به من عظيم قسمه على تنزيه المصطفى صلى الله عليه وسلم مما غمصته الكفرة وكذبته
له وآنسه وبسط أمله بقوله محسنا خطابه ما أنت بنعمة ربك بمجنون وهذه
نهاية المبرة في المخاطبة وأعلى درجات الآداب في المحاورة ثم أعلمه بما له عنده
من نعيم دائم وثواب غير منقطع لا يأخذه عد ولا يمتن به عليه فقال وإن لك
لأجرا غير ممنون ثم أثنى عليه بما منحه من هباته وهداه إليه وأكد ذلك
تتميما للتمجيد بحرفي التأكيد فقال تعالى وإنك لعلى خلق عظيم قيل القرآن وقيل
الإسلام وقيل الطبع الكريم وقيل ليس لك همة إلا الله قال الواسطي أثنى عليه
بحسن قبوله لما أسداه إليه من نعمه وفضله بذلك على غيره لأنه جبله على ذلك
الخلق فسبحان اللطيف الكريم المحسن الجواد الحميد الذي يسر للخير وهدى إليه
ثم أثنى على فاعله وجازاه عليه سبحانه ما أغمر نواله وأوسع أفضاله ثم سلاه
عن قولهم بعد هذا بما وعده به من عقابهم وتوعدهم بقوله فستبصر
ويبصرون الثلاث الآيات ثم عطف بعد مدحه على ذم عدوه وذكر سوء
خلقه وعد معايبه متوليا ذلك بفضله ومنتصرا لنبيه صلى الله عليه وسلم
فذكر بضع عشرة خصلة من خصال الذم فيه بقوله فلا تطع المكذبين إلى قوله
أساطير الأولين ثم ختم ذلك بالوعيد الصادق بتمام شقائه وخاتمة بواره بقوله
سنسمه على الخرطوم فكانت نصرة الله تعالى له أتم من نصرته لنفسه ورده تعالى على عدوه

أبلغ من برده. وأثبت في ديوان مجده **الفصل السادس** فيما ورد
من قوله تعالى في جهته عليه الصلوة والسلام مورد الشفقة والإكرام
قال الله تعالى طه ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى. قيل طه اسم من
أسمائه عليه السلام. وقيل هو اسم لله عز وجل. وقيل معناه يا رجل
وقيل يا إنسان. وقيل هي حروف مقطعة لمعان قال الواسطي أراد يا طاهر
يا هادي. وقيل هو أمر من الوطء والها كناية عن الأرض أي اعتمد على الأرض
بقدميك ولا تتعب نفسك بالاعتماد على قدم واحدة وهو قوله تعالى ما
أنزلنا عليك القرآن لتشقى نزلت الآية فيما كان النبي صلى الله عليه وسلم يتكلفه
من السهر والتعب وقيام الليل أخبرنا القاضي أبو عبد الله محمد بن عبد
الرحمن وغير واحد عن القاضي أبي الوليد الباجي إجازة ومن أصله نقلت.
قال حدثنا أبو ذر الحافظ. قال حدثنا أبو محمد الحموي. أخبرنا إبرهيم بن خزيم
الشاشي قال حدثنا عبد بن حميد حدثنا هاشم بن القاسم عن أبي جعفر عن
الربيع بن أنس قال كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا صلى قام على رجل ورفع الأخرى
فأنزل الله تعالى طه يعني طإ الأرض يا محمد ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى ولا
خفاء بما في هذا كله من الإكرام وحسن المعاملة وإن جعلنا طه من أسمائه
عليه الصلوة والسلام كما قيل أو جعلت قسما لحق الفصل ما قبله ومثل هذا
من نمط الشفقة والمبرة قوله تعالى فلعلك باخع نفسك على آثارهم إن لم
يؤمنوا بهذا الحديث أسفا أي قاتل نفسك لذلك غضبا أو غيظا أو جزعا ومثله
قوله تعالى أيضا لعلك باخع نفسك ألا يكونوا مؤمنين ثم قال إن نشأ ننزل
عليهم من السماء آية فظلت أعناقهم لها خاضعين. ومن هذا الباب قوله تعالى
فاصدع بما تؤمر وأعرض عن المشركين إلى قوله ولقد نعلم أنك يضيق صدرك

ج بالزاي

بما يقولون إلى آخر السورة. وقوله تعالى: ولقد استهزئ برسل من قبلك
الآية. قال مكي: سلاه الله تعالى بما ذكر وهون عليه ما يلقى من المشركين
وأعلمه أن من تمادى على ذلك يحل به ما حل بمن قبله. ومثل هذه التسلية
قوله تعالى: وإن يكذبوك فقد كذبت رسل من قبلك. ومن هذا قوله تعالى:
كذلك ما أتى الذين من قبلهم من رسول الآية. عزاه الله تعالى بما أخبره به
عن الأمم السالفة ومقالها لأنبيائهم قبله ومحنتهم بهم وسلاه بذلك عن
محنته بمثله من كفار مكة وأنه ليس أول من لقي ذلك. ثم طيب نفسه وأبان عذره
بقوله تعالى: فتول عنهم أي أعرض عنهم فما أنت بملوم أي في أداء ما بلغت وإبلاغ
ما حملت. ومثله قوله تعالى: واصبر لحكم ربك فإنك بأعيننا. أي اصبر
على أذاهم فإنك بحيث نراك ونحفظك. سلاه الله تعالى بهذا في آي كثير
من هذا المعنى. الفصل الثالث فيما أخبره الله تعالى به
في كتابه العزيز من عظيم قدره وشريف منزلته على الأنبياء وحظوة رتبته
قوله تعالى: وإذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة
إلى قوله من الشاهدين. قال أبو الحسن القابسي: استخص الله تعالى محمدا
صلى الله عليه وسلم بفضل لم يؤته غيره أبانه به وهو ما ذكره في هذه الآية.
قال المفسرون: أخذ الله الميثاق بالوحي فلم يبعث نبيا إلا ذكر له محمدا
صلى الله عليه وسلم ونعته وأخذ عليه ميثاقه إن أدركه ليؤمنن به وقيل
أن يبينه لقومه ويأخذ ميثاقهم أن يبينوه لمن بعدهم. وقوله تعالى: ثم
جاءكم الخطاب لأهل الكتاب المعاصرين لمحمد صلى الله عليه وسلم. قال
علي بن أبي طالب رضي الله عنه: لم يبعث الله نبيا من آدم فمن بعده إلا أخذ
عليه العهد في محمد صلى الله عليه وسلم لئن بعث وهو حي ليؤمنن به ولينصرنه

وبأخذ العهد بذلك على قومه ونحوه عن السدي وقتادة في آي تضمنت
فضله من غير وجه واحد قال الله تعالى وإذ أخذنا من النبيين
ميثاقهم ومنك ومن نوح الآية وقال تعالى إنا أوحينا إليك كما أوحينا
إلى نوح إلى قوله شهيدا روي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال
في كلام بكى به رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال بأبي أنت وأمي يا رسول الله لقد
بلغ من فضيلتك عند الله تعالى أن بعثك آخر الأنبياء وذكرك في أولهم
فقال تعالى وإذ أخذنا من النبيين ميثاقهم الآية بأبي أنت وأمي يا رسول الله
لقد بلغ من فضيلتك عنده أن أهل النار يودون أن يكونوا أطاعوك
وهم بين أطباقها يعذبون يقولون يا ليتنا أطعنا الله وأطعنا الرسولا
قال قتادة إن النبي صلى الله عليه وسلم قال كنت أول الأنبياء في الخلق وآخرهم
في البعث فلذلك وقع ذكره مقدما هنا قبل نوح وغيره صلى الله عليهم
أجمعين قال السمرقندي في هذا تفضيل نبينا عليه الصلاة والسلام
لتخصيصه بالذكر قبلهم وهو آخرهم المعنى أخذ الله عليهم الميثاق إذ
أخرجهم من ظهر آدم كالذر وقال تعالى تلك الرسل فضلنا بعضهم على
بعض الآية قال أهل التفسير أراد بقوله ورفع بعضهم درجات محمدا صلى الله
عليه وسلم لأنه بعث إلى الأحمر والأسود وأحلت له الغنائم وظهرت
على يديه المعجزات وليس أحد من الأنبياء أعطي فضيلة أو كرامة إلا وقد
أعطي محمد صلى الله عليه وسلم مثلها قال بعضهم ومن فضله أن الله تعالى
خاطب الأنبياء بأسمائهم وخاطبه بالنبوة والرسالة في كتابه فقال تعالى
يا أيها النبي يا أيها الرسول وحكى السمرقندي عن الكلبي في قوله تعالى وإن
من شيعته لإبراهيم أن الهاء عائدة على محمد صلى الله عليه وسلم أي إن من شيعة محمد

لإبراهيم أي على دينه ومنهاجه وأجازه الفراء وحكاه عنه مكي وقيل المراد
نوح عليه السلام. الفصل الثامن في إعلام الله تعالى خلقه
بصلوته عليه وولايته له ورفعه العذاب بسببه قال الله تعالى وما كان
الله ليعذبهم وأنت فيهم أي ما كنت بمكة فلما خرج النبي صلى الله عليه وسلم من مكة
وبقي فيها من بقي من المؤمنين نزل وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون. وهذا
مثل قوله تعالى لو تزيلوا لعذبنا الآية. وقوله تعالى ولولا رجال مؤمنون الآية
فلما هاجر المؤمنون نزلت وما لهم ألا يعذبهم الله وهم يصدون عن المسجد
الحرام. وهذا من أبين ما يظهر مكانته صلى الله عليه وسلم ودرأته العذاب عن
أهل مكة بسبب كونه ثم كون أصحابه بعده بين أظهرهم فلما خلت مكة
منهم عذبهم بتسليط المؤمنين عليهم وغلبتهم إياهم وحكّم فيهم سيوفهم
وأورثهم أرضهم وديارهم وأموالهم. وفي الآية أيضا تأويل آخر حدثنا
القاضي الشهيد أبو علي رحمه الله بقراءتي عليه. حدثنا أبو الفضل بن خيرون
وأبو الحسين الصيرفي قالا حدثنا أبو يعلى بن زوج الحرة. حدثنا أبو علي السنجي حدثنا
محمد بن محبوب المروزي. حدثنا أبو عيسى الحافظ. حدثنا سفين بن وكيع. حدثنا
ابن نمير عن إسمعيل بن إبرهيم بن مهاجر عن عباد بن يوسف عن أبي بردة بن أبي موسى
عن أبيه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أنزل الله علي أمانين لأمتي وما كان
الله ليعذبهم وأنت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون فإذا مضيت
تركت فيكم الاستغفار. ونحو منه قوله تعالى وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين
قال عليه الصلوة والسلام أنا أمان لأصحابي قيل من البدع وقيل من الاختلاف
والفتن. قال بعضهم الرسول صلى الله عليه وسلم هو الأمان الأعظم ما
عاش وما دامت سنته باقية فهو باق فإذا أميتت سنته فانتظر البلاء والفتن

وَقَالَ تَعَالَى إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ الْآيَةَ. أَبَانَ اللَّهُ تَعَالَى
فَضْلَ نَبِيِّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِصَلَاتِهِ عَلَيْهِ ثُمَّ بِصَلَاةِ مَلَائِكَتِهِ وَأَمَرَ
عِبَادَهُ بِالصَّلَاةِ وَالتَّسْلِيمِ عَلَيْهِ وَالصَّلَاةُ مِنَ الْمَلَائِكَةِ وَمِنَّا لَهُ دُعَاءٌ وَمِنَ
اللَّهِ رَحْمَةٌ وَقِيلَ يُصَلُّونَ يُبَارِكُونَ. وَقَدْ فَرَّقَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
حِينَ عَلَّمَ الصَّلَاةَ عَلَيْهِ بَيْنَ لَفْظِ الصَّلَاةِ وَالْبَرَكَةِ. وَسَنَذْكُرُ حُكْمَ
الصَّلَاةِ عَلَيْهِ وَذَكَرَ بَعْضُ الْمُتَكَلِّمِينَ فِي تَفْسِيرِ حُرُوفِ كهيعص أَنَّ
الْكَافَ مِنْ كَافٍ أَيْ كِفَايَةُ اللَّهِ تَعَالَى لِنَبِيِّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ
اللَّهُ تَعَالَى أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ. وَالْهَاءُ هِدَايَتُهُ لَهُ قَالَ وَيَهْدِيَكَ
صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا. وَالْيَاءُ تَأْيِيدُهُ قَالَ هُوَ الَّذِي أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِ. وَالْعَيْنُ
عِصْمَتُهُ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ. وَالصَّادُ صَلَاتُهُ
عَلَيْهِ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ وَقَالَ
تَعَالَى وَإِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ الْآيَةَ. مَوْلَاهُ أَيْ وَلِيُّهُ وَصَالِحُ
الْمُؤْمِنِينَ قِيلَ الْأَنْبِيَاءُ وَقِيلَ الْمَلَائِكَةُ. وَقِيلَ أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.
وَقِيلَ عَلِيٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. وَقِيلَ الْمُؤْمِنُونَ عَلَى ظَاهِرِهِ. الْفَصْلُ التَّاسِعُ
فِيمَا تَضَمَّنَتْهُ سُورَةُ الْفَتْحِ مِنْ كَرَامَاتِهِ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ
فَتْحًا مُبِينًا إِلَى قَوْلِهِ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ. تَضَمَّنَتْ هَذِهِ الْآيَاتُ مِنْ فَضْلِهِ
وَالثَّنَاءِ عَلَيْهِ وَكَرِيمِ مَنْزِلَتِهِ عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى وَنِعْمَتِهِ لَدَيْهِ مَا يَقْصُرُ الْوَصْفُ
عَنِ الِانْتِهَاءِ إِلَيْهِ. فَابْتَدَأَ جَلَّ جَلَالُهُ بِإِعْلَامِهِ بِمَا قَضَاهُ لَهُ مِنَ الْقَضَاءِ الْبَيِّنِ
بِظُهُورِهِ وَغَلَبَتِهِ عَلَى عَدُوِّهِ وَعُلُوِّ كَلِمَتِهِ وَشَرِيعَتِهِ وَأَنَّهُ مَغْفُورٌ لَهُ غَيْرُ
مُؤَاخَذٍ بِمَا كَانَ وَمَا يَكُونُ وَقَالَ بَعْضُهُمْ أَرَادَ غُفْرَانَ مَا وَقَعَ وَمَا لَمْ يَقَعْ
أَيْ إِنَّكَ مَغْفُورٌ لَكَ وَقَالَ مَكِّيٌّ جَعَلَ الْمِنَّةَ سَبَبًا لِلْمَغْفِرَةِ وَكُلٌّ مِنْ عِنْدِهِ

قال ابو بكر بن فورك قال بعض العلماء ... وقد قال عليه الصلاة والسلام ... صلاة الله ... وصلاة الملائكة ... ونحن سائلون

لا إله غيره منة بعد منة وفضلا بعد فضل . ثم قال ويتم نعمته عليك
قيل بخضوع من تكبر عليك . وقيل بفتح مكة والطائف . وقيل برفع ذكرك
في الدنيا ونصرك وغفر لك فأعلمه تمام نعمته عليه بخضوع متكبري
عدوه له وفتح أهم البلاد عليه وأحبها له ورفع ذكره وهدايته طريقه
المستقيم المبلغ جنته وسعادته ونصره النصر العزيز ومنته على أمته
المؤمنين بالسكينة والطمأنينة التي جعلها في قلوبهم وبشارتهم بما
لهم بعد وفوزهم العظيم والعفو عنهم والستر لذنوبهم وهلاك
عدوه في الدنيا والآخرة ولعنهم وبعدهم من رحمته وسوء منقلبهم .
ثم قال إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا الآية . فعدد محاسنه
وخصائصه من شهادته على أمته لنفسه بتبليغه الرسالة لهم
وقيل شاهدا لهم بالتوحيد ومبشرا لأمته بالثواب . وقيل بالمغفرة
ومنذرا عدوه بالعذاب . وقيل محذرا من الضلالات ليؤمن بالله ثم
به من سبقت له من الله الحسنى . ويعزروه أي يجلونه . وقيل ينصرونه .
وقيل يبالغون في تعظيمه . ويوقروه أي يعظموه وقرأ بعضهم يعززوه
بزايين من العز والأكثر والأظهر أن هذا في حق محمد صلى الله عليه وسلم
ثم قال وتسبحوه فهذا راجع إلى الله عز وجل قال ابن عطاء جمع للنبي
صلى الله عليه وسلم في هذه السورة نعم مختلفة من الفتح المبين وهو من
أعلام الإجابة . والمغفرة وهي من أعلام المحبة . وتمام النعمة وهي من
أعلام الاختصاص . والهداية وهي من أعلام الولاية . فالمغفرة تبرئة من
العيوب . وتمام النعمة بلاغ الدرجة الكاملة . والهداية وهي الدعوة
إلى المشاهدة وقال جعفر بن محمد من تمام نعمته عليه أن جعله حبيبه

وأقسم

وأقسم بحياته ونسخ به شرائع غيره وعرج به إلى المحل الأعلى وحفظه
في المعراج حتى ما زاغ البصر وما طغى. وبعثه إلى الأسود والأحمر وأحل
له ولأمته الغنائم. وجعله شفيعاً مشفعاً وسيد ولد آدم وقرن
ذكره بذكره ورضاه برضاه وجعله أحد ركني التوحيد. ثم قال
إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله. يعني بيعة الرضوان. أي إنما
يبايعون الله ببيعتهم إياك. يد الله فوق أيديهم. يريد عند البيعة
قيل قوة الله. وقيل ثوابه. وقيل منته. وقيل عقده. وهذه استعارة
وتجنيس في الكلام وتأكيد لعقد بيعتهم إياه وعظم شأن المبايع
صلى الله عليه وسلم وقد يكون من هذا قوله تعالى فلم تقتلوهم ولكن
الله قتلهم وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى وإن كان الأول في
باب المجاز وهذا من باب الحقيقة لأن القاتل والرامي بالحقيقة هو الله
وهو خالق فعله ورميه وقدرته عليه ومسببه ولأنه ليس في قدرة
البشر توصيل تلك الرمية حيث وصلت حتى لم يبق منهم من لم تملأ عينيه
وكذلك قتل الملائكة لهم حقيقة وقد قيل في هذه الآية الأخرى
إنها على المجاز العربي ومقابلة اللفظ ومناسبته أي ما قتلتموهم وما
رميتهم أنت إذ رميت وجوههم بالحصباء والتراب ولكن الله رمى
قلوبهم بالجزع أي إن منفعة الرمي كانت من فعل الله تعالى فهو القاتل
والرامي بالمعنى وأنت بالاسم **الفصل الثامن فيما أظهره**
في كتابه العزيز من كرامته عليه ومكانته عنده وما خصه به من ذلك
سوى ما انتظم فيما ذكرناه قبل. من ذلك ما نصه الله تعالى من قصة
الإسراء في سورة سبحان والنجم وما انطوت عليه القصة من عظيم

منزلته وقربه ومنا هذه بما هذا من العجائب • ومن ذلك عصمته من
الناس بقوله تعالى والله يعصمك من الناس • وقوله تعالى وإذ يمكر بك
الذين كفروا الآية • وقوله تعالى إلا تنصروه فقد نصره الله الآية • وما
دفع الله به عنه في هذه القصة من أذاهم بعد تحزبهم لهلكه وخلوصه منهم
نجيا في نومه والأخذ على أبصارهم عند خروجه عليهم وذهولهم عن طلبه
في الغار وما ظهر لهم في ذلك من الآيات ونزول السكينة عليه وقصة سراقة
ابن مالك حسب ما ذكره أهل الحديث والسير في قصة الغار وحديث
الهجرة • ومنه قوله تعالى إنا أعطيناك الكوثر فصل لربك وانحر إن شانئك
هو الأبتر • أعلمه الله تعالى بما أعطاه • والكوثر حوضه • وقيل نهر في
الجنة • وقيل الخير الكثير • وقيل الشفاعة • وقيل المعجزات الكثيرة • وقيل
النبوة • وقيل المعرفة • ثم أجاب عنه عدوه ورد عليه قوله تعالى إن
شانئك هو الأبتر • أي عدوك ومبغضك • والأبتر الحقير الذليل أو
المفرد الوحيد أو الذي لا خير فيه • وقال تعالى ولقد آتيناك سبعا
من المثاني والقرآن العظيم • قيل السبع المثاني السور الطوال الأول
والقرآن العظيم أم القرآن • وقيل السبع المثاني أم القرآن • والقرآن
العظيم سائره • وقيل السبع المثاني ما في القرآن من أمر ونهي وبشرى
وإنذار وضرب مثل وإعداد نعم • وآتيناك نبأ القرآن العظيم • وقيل
سميت أم القرآن مثاني لأنها تثنى في كل ركعة • وقيل بل الله استثناها
لمحمد صلى الله عليه وسلم وذخرها له دون الأنبياء • وسمى القرآن مثاني
لأن القصص تثنى فيه • وقيل السبع المثاني أكرمناك بسبع كرامات
الهدى • النبوة • والرحمة • والشفاعة • والولاية • والتعظيم • والسكينة •

تعا

وقال وأنزلنا إليك الذكر الآية • وقال وما أرسلناك إلا كافة للناس
الآية • وقال قل يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعا الآية • قال فهذه
من خصائصه • وقال تعالى وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه
ليبين لهم فخصهم بقومهم وبعث محمدا صلى الله عليه وسلم إلى الخلق كافة
كما قال صلى الله عليه وسلم بعثت إلى الأحمر والأسود • وقال تعالى النبي
أولى بالمؤمنين من أنفسهم وأزواجه أمهاتهم • قال أهل التفسير أولى
بالمؤمنين من أنفسهم أي ما أنفذه فيهم من أمر فهو ماض عليهم كما يمضي
حكم السيد على عبده • وقيل اتباع أمره أولى من اتباع رأي النفس وأزواجه
أمهاتهم • أي هن في الحرمة كالأمهات حرم نكاحهن عليهم بعده تكرمة
له وخصوصية ولأنهن له أزواج في الآخرة • وقد قرئ وهو أب لهم
ولا يقرأ به الآن لمخالفته المصحف • وقال تعالى وأنزل الله عليك الكتاب
والحكمة الآية • قيل فضله العظيم بالنبوة • وقيل بما سبق له في الأزل
وأشار الواسطي إلى أنها إشارة إلى احتمال الرؤية التي لم يحتملها موسى
صلى الله عليهما وسلم • **الباب الثاني في تكميل الله تعالى**
له المحاسن خلقا وخلقا وقرانه جميع الفضائل الدينية والدنيوية فيه
نسقا • اعلم أيها المحب لهذا النبي الكريم • الباحث عن تفاصيل جمل قدره
العظيم • أن خصال الجمال والكمال في البشر نوعان ضروري دنيوي
اقتضته الجبلة وضرورة الحياة الدنيا • ومكتسب ديني وهو ما يحمد
فاعله ويقرب إلى الله زلفى • ثم هي على فنين أيضا منهما ما يتخلص لأحد
الوصفين • ومنها ما يتمازج ويتداخل • فأما الضروري المحض فما ليس
للمرء فيه اختيار ولا اكتساب مثل ما كان في جبلته من كمال خلقته •

وجمال صورته وقوة عقله وفهمه وفصاحة لسانه وقوة حواسه وأعضائه
واعتدال حركاته وشرف نسبه وعزة قومه وكرم أرضه ويلحق به
ما تدعوه ضرورته وحاجته إليه من غذائه ونومه وملبسه ومسكنه ومنكحه
وماله وجاهه وتلحق هذه الخصال الأخروية إذا قصد بها
التقوى ومعونة البدن على سلوك طريقها وكانت على حدود الضرورة
وقوانين الشريعة من الدين والعلم والحلم والصبر والشكر والعدل
والزهد والتواضع والعفو والعفة والجود والشجاعة والحياء والمروءة
والصمت والتؤدة والوقار والرحمة وحسن الأدب والمعاشرة وأخواتها
وهي التي جماعها حسن الخلق وقد يكون من هذه الأخلاق ما هو في الغريزة
وأصل الجبلة لبعض الناس وبعضهم لا تكون فيه فيكتسبها ولكنه
لا بد أن يكون فيه من أصولها في أصل الجبلة شعبة كما سنبينه إن شاء
الله تعالى وتكون هذه الأخلاق دنيوية إذا لم يرد بها وجه الله والدار
الآخرة ولكنها كلها فضائل ومحاسن باتفاق أصحاب العقول السليمة
وإن اختلفوا في موجب حسنها وتفضيلها فصل إذا كانت خصال
الكمال والجمال ما ذكرناه ووجدنا الواحد منا يشرف بواحدة منها
أو اثنتين إن اتفقت له في كل عصر إما من نسب أو جمال أو قوة أو علم
أو حلم أو شجاعة أو سماحة حتى يعظم قدره وتضرب باسمه الأمثال
ويتقرر له بالوصف بذلك في القلوب أثرة وعظمة وهو منذ عصور خوال
رمم بوال فما ظنك بعظيم قدر من اجتمعت فيه كل هذه الخصال إلى ما لا يأخذه
عد ولا يعبر عنه مقال ولا ينال بكسب ولا حيلة إلا بتخصيص الكبير المتعال
من فضيلة النبوة والرسالة والخلة والمحبة والاصطفاء والإسراء والرؤية

والقرب

والقرب والدنو والوحي والشفاعة والوسيلة والفضيلة والدرجة الرفيعة
والمقام المحمود والبراق والمعراج والبعث إلى الأحمر والأسود والصلاة
بالأنبياء والشهادة بين الأنبياء والأمم وسيادة ولد آدم ولواء الحمد والبشارة
والنذارة والمكانة عند ذي العرش والطاعة والإمامة والهداية ورحمة
للعالمين وإعطاء الرضى والسؤال والكوثر وسماع القول وإتمام النعمة
والعفو عما تقدم وتأخر وشرح الصدر ووضع الوزر ورفع الذكر وعزة
النصر ونزول السكينة والتأييد بالملائكة وإيتاء الكتاب والحكمة والسبع
المثاني والقرآن العظيم وتزكية الأمة والدعاء إلى الله تعالى وصلاة الله
والملائكة والحكم بين الناس بما أراه الله ووضع الإصر والأغلال عنهم والقسم
باسمه وإجابة دعوته وتكليم الجمادات والعجم وإحياء الموتى وإسماع
الصم ونبع الماء من بين أصابعه وتكثير القليل وانشقاق القمر ورد الشمس
وقلب الأعيان والنصر بالرعب والاطلاع على الغيب وظل الغمام وتسبيح
الحصى وإبراء الآلام والعصمة من الناس إلى ما لا يحويه محتفل ولا يحيط
بعلمه إلا مانحه ذلك ومفضله به لا إله غيره إلى ما أعد الله له في الدار
الآخرة من منازل الكرامة ودرجات القدس ومراتب السعادة والحسنى
والزيادة التي تقف دونها العقول ويحار دون إدراكها الوهم فصل
إن قلت أكرمك الله لا خفاء على القطع بالجملة أنه صلى الله عليه وسلم أعلى الناس
قدرا وأعظمهم محلا وأكملهم محاسن وفضلا وقد ذهبت في تفاصيل
خصال الكمال مذهبا جميلا شوقني إلى أن أقف عليها من أوصافه صلى الله
عليه وسلم تفصيلا فاعلم نور الله قلبي وقلبك وضاعف في هذا النبي الكريم
صلى الله عليه وسلم حبي وحبك أنك إذا نظرت إلى خصال الكمال التي هي غير

والأمانة
والسؤل

مكتسبة. وفي جبلة الخلقة وجدناه حائزا جميعها محيطا بشتات محاسنها
دون خلاف بين نقلة الأخبار لذلك بل قد بلغ بعضها مبلغ القطع. أما
الصورة وجمالها وتناسب أعضائه في حسنه. فقد جاءت الآثار الصحيحة
والمشهورة الكثيرة بذلك من حديث علي. وأنس بن مالك. وأبي هريرة.
والبراء بن عازب. وعائشة أم المؤمنين. وابن أبي هالة. وأبي جحيفة. وجابر
بن سمرة. وأم معبد. وابن عباس. ومعرض بن معيقيب. وأبي الطفيل
والعداء بن خالد. وخريم بن فاتك. وحكيم بن حزام. وغيرهم رضي الله
عنهم من أنه صلى الله عليه وسلم كان أزهر اللون. أدعج. أنجل
أشكل. أهدب الأشفار. أبلج. أزج. أقنى. أفلج. مدور الوجه. واسع الجبين
كث اللحية. تملأ صدره. سواء البطن والصدر. واسع الصدر. عظيم
المنكبين. ضخم العظام. عبل العضدين والذراعين والأسافل. رحب
الكفين والقدمين. سائل الأطراف. أنور المتجرد. دقيق المسربة. ربعة
القد ليس بالطويل البائن. ولا القصير المتردد. ومع ذلك فلم يكن
يماشيه أحد ينسب إلى الطول إلا طاله صلى الله عليه وسلم. رجل الشعر.
إذا افتر ضاحكا افتر عن مثل سنا البرق. وعن مثل حب الغمام. إذا تكلم
رؤي كالنور يخرج من ثناياه. أحسن الناس عنقا. ليس بمطهم ولا
مكلثم. متماسك البدن. ضرب اللحم. قال البراء ما رأيت من ذي لمة
في حلة حمراء أحسن من رسول الله صلى الله عليه وسلم. وقال أبو هريرة
ما رأيت شيئا أحسن من رسول الله صلى الله عليه وسلم كأن الشمس تجري
في وجهه. وإذا ضحك يتلألأ في الجدر. وقال جابر بن سمرة وقال له
رجل كان وجهه صلى الله عليه وسلم مثل السيف فقال لا بل مثل الشمس

والعين وكان مشذبا وقالت أم معبد في بعض ما وصفته به أجمل
الناس من بعيد وأحلاه وأحسنه من قريب وفي حديث ابن أبي هالة
يتلألأ وجهه تلألؤ القمر ليلة البدر وقال علي رضي الله عنه في آخر وصفه
له من رآه بديهة هابه ومن خالطه معرفة أحبه يقول ناعته لم أر
قبله ولا بعده مثله والأحاديث في بسط صفته مشهورة كثيرة فلا نطول
بسردها وقد اختصرنا في وصفه نكت ما جاء فيها وجملة مما فيه الكفاية
في القصد إلى المطلوب وختمنا هذه الفصول بحديث جامع لذلك تقف
عليه هناك إن شاء الله تعالى فصل وأما نظافة جسمه وطيب
ريحه وعرقه ونزاهته عن الأقذار وعورات الجسد فكان قد خصه
الله صلى الله عليه وسلم في ذلك بخصائص لم توجد في غيره ثم تممها
بنظافة الشرع وخصال الفطرة العشر وقال بني الدين على النظافة
حدثنا سفيان بن العاص وغير واحد قالوا حدثنا أحمد بن عمر حدثنا
أبو العباس الرازي حدثنا أبو أحمد الجلودي حدثنا ابن سفيان حدثنا
مسلم حدثنا قتيبة حدثنا جعفر بن سليمان عن ثابت عن أنس رضي الله
عنه قال ما شممت عنبرا قط ولا مسكا ولا شيئا أطيب من ريح رسول الله
صلى الله عليه وسلم وعن جابر بن سمرة رضي الله عنه أنه صلى الله عليه وسلم
مسح خده قال فوجدت ليده بردا وريحا كأنما أخرجها من جؤنة عطار
قال غيره مسها بطيب أو لم يمسها يصافح المصافح فيظل يومه يجد
ريحها ويضع يده على رأس الصبي فيعرف من بين الصبيان بريحها ونام رسول الله
صلى الله عليه وسلم في دار أنس فعرق فجاءت أمه بقارورة تجمع فيها عرقه
فسألها صلى الله عليه وسلم عن ذلك فقالت نجعله في طيبنا وهو من أطيب الطيب

وروى البخاري في تاريخه الكبير عن جابر لم يكن النبي صلى الله عليه وسلم
يمر في طريق فيتبعه احد الا عرف انه سلكه من طيبه وروي
عن جابر اردفني النبي صلى الله عليه وسلم فالتقمت خاتم النبوة بفمي فكان
ينم علي مسكا وذكر اسحاق بن راهويه ان تلك كانت رائحته بلا طيب
صلى الله عليه وسلم وقد حكى بعض المعتنين باخباره وشمائله صلى الله عليه
وسلم انه كان اذا اراد ان يتغوط انشقت الارض فابتلعت غائطه وبوله
وفاحت لذلك رائحة طيبة صلى الله عليه وسلم وهذا الخبر وان لم
يكن مشهورا فقد قال قوم من اهل العلم بطهارة الحدثين منه صلى الله عليه
وسلم وهو قول بعض اصحاب الشافعي رضي الله عنه وقد حكى القولين
عن العلماء في ذلك ابو بكر بن سابق المالكي في كتابه البديع في فروع المالكية
وتخريج ما لم يقع لهم منها على مذهبهم من تفاريع الشافعية وشاهد هذا
انه صلى الله عليه وسلم لم يكن منه شيء يكره ولا غير طيب ومنه حديث
علي رضي الله عنه غسلت النبي صلى الله عليه وسلم فذهبت انظر ما يكون
من الميت فلم اجد شيئا فقلت طبت حيا وميتا قال وسطعت منه ريح طيبة
لم نجد مثلها قط ومثله قال ابو بكر رضي الله عنه حين قبل النبي صلى الله
عليه وسلم بعد موته ومنه شرب مالك بن سنان دمه يوم احد ومصه
اياه وتسويغه صلى الله عليه وسلم ذلك له وقوله لن تصيبه النار ومثله
شرب عبد الله بن الزبير دم حجامته فقال له عليه الصلاة والسلام ويل
لك من الناس وويل لهم منك ولم ينكره عليه وقد روي نحو من هذا عنه
في امرأة شربت بوله فقال لها لن تشتكي وجع بطنك ابدا ولم يامر واحدا منهم
بغسل فم ولا نهاه عن عوده وحديث هذه المرأة التي شربت بوله صحيح الزم

حكاه الامام ابو نصر
متابع لما سابه

الدارقطني

دارقطني مسلما والبخاري إخراجه في الصحيح واسم هذه المرأة بركة
واختلف في نسبها وقيل هي أم أيمن وكانت تخدم النبي صلى الله عليه وسلم
قالت وكان لرسول الله صلى الله عليه وسلم قدح من عيدان يوضع تحت
سريره يبول فيه من الليل فبال فيه ليلة ثم افتقده فلم يجد فيه شيئا فسأل
بركة عنه فقالت قمت وأنا عطشانة فشربته وأنا لا أعلم روى حديثها
ابن جريج وغيره وكان صلى الله عليه وسلم في بعض الروايات قد ولد مختونا
مقطوع السرة وروي عن أمه آمنة أنها قالت ولدته نظيفا ما به قذر
وعن عائشة رضي الله عنها ما رأيت فرج رسول الله صلى الله عليه وسلم
قط وعن علي رضي الله عنه أوصاني النبي صلى الله عليه وسلم لا يغسله غيري
فإنه لا يرى أحد عورتي إلا طمست عيناه وفي حديث عكرمة عن ابن
عباس رضي الله عنهما أنه صلى الله عليه وسلم نام حتى سمع له غطيط فقام فصلى (عن حال النائم غيره)
ولم يتوضأ قال عكرمة لأنه كان محفوظا صلى الله عليه وسلم فصل
وأما وفور عقله وذكاء لبه وقوة حواسه وفصاحة لسانه واعتدال حركاته
وحسن شمائله فلا مرية أنه كان صلى الله عليه وسلم أعقل الناس وأذكاهم
ومن تأمل تدبيره أمر بواطن الخلق وظواهرهم وسياسة العامة والخاصة مع
عجيب شمائله وبديع سيره فضلا عما أفاضه من العلم وقرره من الشرع دون تعلم
سبق ولا ممارسة تقدمت ولا مطالعة للكتب منه لم يمتر في رجحان عقله وثقوب
فهمه لأول بديهة وهذا ما لا يحتاج إلى تقرير لتحققه وقد قال وهب بن
منبه قرأت في أحد وسبعين كتابا فوجدت في جميعها أن النبي صلى الله عليه وسلم
أرجح الناس عقلا وأفضلهم رأيا وفي رواية أخرى فوجدت في جميعها أن الله تعالى
لم يعط جميع الناس من بدء الدنيا إلى انقضائها من العقل في جنب عقله صلى الله

عليه وسلم [illegible] من بين يديه [illegible] وقال مجاهد كان رسول الله صلى الله
عليه وسلم إذا قام في الصلاة يرى من خلفه كما يرى من بين يديه. وقيل في قوله تعالى
وتقلبك في الساجدين. وفي الموطأ عنه عليه السلام إني لأراكم من وراء ظهري
ونحوه عن أنس رضي الله عنه في الصحيحين. وعن عائشة رضي الله عنها مثله قالت
زيادة زاده الله إياها في حجته. وفي بعض الروايات إني لأنظر من ورائي كما
أنظر إلى ما بين يدي. وفي أخرى إني لأبصر من قفاي كما أبصر من بين يدي. وحكى
بقي بن مخلد عن عائشة رضي الله عنها كان النبي صلى الله عليه وسلم يرى في الظلمة
كما يرى في الضوء. والأخبار كثيرة صحيحة في رؤيته صلى الله عليه وسلم للملائكة
والشياطين. ورفع النجاشي له حتى صلى عليه، وبيت المقدس حين وصفه لقريش
والكعبة حين بنى مسجده صلى الله عليه وسلم. وقد حكي عنه أنه كان يرى في
الثريا أحد عشر نجما. وهذه كلها محمولة على رؤية العين. وهو قول أحمد بن حنبل
وغيره. وذهب بعضهم إلى ردها إلى العلم، والظواهر تخالفه، ولا إحالة في
ذلك، وهي من خواص الأنبياء وخصالهم كما أخبرنا أبو محمد عبد الله بن أحمد العدل
من كتابه. حدثنا أبو الحسن المقرئ الفرغاني. حدثتنا أم القاسم بنت أبي بكر
عن أبيها. حدثنا الشريف أبو الحسن علي بن محمد الحسني. حدثنا محمد بن محمد
بن سعيد. حدثنا محمد بن أحمد بن سليمان. حدثنا محمد بن محمد بن مرزوق. حدثنا
همام. حدثنا الحسن. عن قتادة. عن يحيى بن وثاب. عن أبي هريرة رضي الله عنه
عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لما تجلى الله عز وجل لموسى صلى الله
عليه وسلم كان يبصر النملة على الصفا في الليلة الظلماء مسيرة عشرة
فراسخ. ولا يبعد على هذا أن يختص نبينا صلى الله عليه وسلم بما ذكرناه
من هذا الباب بعد الإسراء والحظوة بما رأى من آيات ربه الكبرى.

وقد جاءت الاخبار بانه صرع ركانة اشد اهل وقته وكان دعاه الى
الاسلام وصارع ابا ركانة في الجاهلية وكان شديدا وعاوده ثلاث مرات
كل ذلك يصرعه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال ابو هريرة ما رايت
احدا اسرع من رسول الله صلى الله عليه وسلم في مشيه كانما الارض
تطوى له انا لنجهد انفسنا وهو غير مكترث وفي صفته صلى الله عليه
وسلم ان ضحكه كان تبسما اذا التفت التفت معا واذا مشى
مشى تقلعا كانما ينحط من صبب **فصل** واما فصاحة اللسان
وبلاغة القول فقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم صح
من ذلك بالمحل الافضل والموضع الذي لا يجهل سلاسة طبع
وبراعة منزع وايجاز مقطع وفصاحة لفظ وجزالة قول
وصحة معان وقلة تكلف اوتي جوامع الكلم وخص ببدائع الحكم
وعلم السنة العرب يخاطب كل امة منها بلسانها ويحاورها بلغتها
ويباريها في منزع بلاغتها حتى كان كثير من اصحابه يسألونه في غير
موطن عن شرح كلامه وتفسير قوله من تامل حديثه وسيره علم ذلك
وتحققه وليس كلامه مع قريش والانصار واهل الحجاز ونجد ككلامه
مع ذي المشعار الهمداني وطهفة النهدي وقطن بن حارثة العليمي
والاشعث بن قيس ووائل بن حجر الكندي وغيرهم من اقيال حضرموت
وملوك اليمن وانظر كتابه الى همدان ان لكم فراعها ووهاطها وعزازها
تاكلون علافها وترعون عفاءها لنا من دفئهم وصرامهم ما سلموا بالميثاق
والامانة ولهم من الصدقة الثلب والناب والفصيل والفارض والداجن والكبش
الحوري وعليهم فيها الصالغ والقارح وقوله لنهد اللهم بارك لهم في محضها ومذقها

وابعث راعيها في الدثر وافجر له الثمد وبارك له في المال والولد من اقام الصلاة
كان مسلماً ومن اتى الزكوة كان محسناً ومن شهد ان لا اله الا الله كان مخلصاً لكم
يا بني نهد ودايع الشرك ووضايع الملك لا تلطط في الزكوة ولا تلحد في الحيوة
ولا تتثاقل عن الصلوة وكتب لهم في الوظيفة الفريضة ولكم الفارض
والفريش وذو العنان الركوب والفلو الضبيس لا يمنع سرحكم ولا
يعضد طلحكم ولا يحبس دركم ما لم تضمروا الرماق وتاكلوا الرباق
من اقر فله الوفاء بالعهد والذمة ومن ابى فعليه الربوة
ومن كتابه لوايل بن حجر الكندي الى الاقيال العباهلة
والارواع المشابيب وفيه التيعة شاة لا مقورة الالياط ولا ضناك
وانطوا الثبجة وفي السيوب الخمس ومن زنى مم بكر فاصقعوه مائة
واستوفضوه عاماً ومن زنى مم ثيب فضرجوه بالاضاميم ولا توصيم في
الدين ولا غمة في فرايض الله وكل مسكر حرام ووايل بن حجر يترفل على
الاقيال اين هذا من كتابه لانس في الصدقة المشهور لما كان كلام هؤلاء
على هذا الحد وبلاغتهم على هذا النمط واكثر استعمالهم هذه الالفاظ
استعملها معهم ليبين للناس ما نزل اليهم وليحدث الناس بما يعلمون كقوله في
حديث عطية السعدي فان اليد العليا هي المنطية واليد السفلى هي المنطاة قال
فكلمنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بلغتنا وقوله في حديث العامري حين ساله فقال له
النبي صلى الله عليه وسلم سل عنك اي سل عما شئت وهي لغة بني عامر واما كلامه المعتاد
وفصاحته المعلومة وجوامع كلمه وحكمه الماثورة فقد الف الناس فيها الدواوين وجمعت
في الفاظها ومعانيها الكتب ومنها لا يوازى فصاحة ولا يبارى بلاغة كقوله صلى الله عليه وسلم
وقوله الناس كاسنان المشط والمرء مع من احب ولا خير

المسلمون تتكافا دماؤهم ويسعى بذمتهم ادناهم وهم يد على من سواهم صح

في صحبة

في صحبة من لا يرى لك ما ترى له. والناس معادن. وما هلك امرؤ عرف
قدره. والمستشار مؤتمن. وهو بالخيار ما لم يتكلم. ورحم الله عبدا قال
خيرا فغنم أو سكت فسلم. وقوله صلى الله عليه وسلم أسلم تسلم وأسلم يؤتك
الله أجرك مرتين. وإن أحبكم إلي وأقربكم مني مجالس يوم القيمة مجلسا
أحاسنكم أخلاقا. الموطؤون أكنافا الذين يألفون ويؤلفون. وقوله
صلى الله عليه وسلم لعله كان يتكلم بما لا يعنيه ويبخل بما لا يغنيه. وقوله عليه
السلام ذو الوجهين لا يكون عند الله وجيها. ونهيه عن قيل وقال وكثرة
السؤال وإضاعة المال ومنع وهات وعقوق الأمهات ووأد البنات
وقوله عليه الصلوة والسلام اتق الله حيثما كنت وأتبع السيئة الحسنة تمحها
وخالق الناس بخلق حسن. وخير الأمور أوساطها. وقوله صلى الله عليه وسلم
أحبب حبيبك هونا ما عسى أن يكون بغيضك يوما ما. وقوله عليه السلام
الظلم ظلمات يوم القيمة. وقوله عليه السلام في بعض دعائه. اللهم إني
أسألك رحمة تهدي بها قلبي وتجمع بها أمري وتلم بها شعثي وتصلح بها
غائبي وترفع بها شاهدي وتزكي بها عملي وتلهمني بها رشدي وترد بها
ألفتي وتعصمني بها من كل سوء. اللهم إني أسألك الفوز في القضاء ونزل الشهداء
وعيش السعداء والنصر على الأعداء. إلى ما روته الكافة عن الكافة من مقاماته
ومحاضراته وخطبه وأدعيته ومخاطباته وعهوده مما لا خلاف أنه نزل
مرتبة من ذلك مرتبة لا يقاس بها غيره. وحاز فيها سبقا لا يقدر قدره. وقد جمعت
من كلماته التي لم يسبق إليها ولا قدر أحد أن يفرغ في قالبه عليها كقوله صلى الله
عليه وسلم حمي الوطيس. ومات حتف أنفه. ولا يلدغ المؤمن من جحر مرتين
والسعيد من وعظ بغيره. في أخواتها ما يدرك الناظر العجب في مضمنها

وتذهب به الفكر في أذكى حكمها • وقد قال له أصحابه صلى الله عليه وسلم
ورضي عنهم أجمعين ما رأينا الذي هو أفصح منك فقال صلى الله عليه وسلم وما
يمنعني وإنما أنزل القرآن بلساني لسان عربي مبين • وقال مرة أخرى بيد
أني من قريش ونشأت في بني سعد فجمع له بذلك صلى الله عليه وسلم قوة
عارضة البادية وجزالتها ونصاعة ألفاظ الحاضرة ورونق كلامها
إلى التأييد الإلهي الذي مدده الوحي الذي لا يحيط بعلمه بشري •
وقالت أم معبد في وصفها له صلى الله عليه وسلم حلو المنطق فصل لا نزر
ولا هذر كأن منطقه خرزات نظمن • وكان عليه السلام جهير الصوت
حسن النغمة صلى الله عليه وسلم وأما شرف نسبه وكرم بلده
ومنشئه فما لا يحتاج إلى إقامة دليل عليه ولا بيان مشكل ولا خفي منه
فإنه نخبة بني هاشم وسلالة قريش وصميمها وأفضل العرب وأعزهم
وأشرفهم نفرا من قبل أبيه وأمه ومن أهل مكة من أكرم بلاد الله على الله وعلى
عباده حدثنا قاضي القضاة حسين بن محمد الصدفي رحمه الله حدثنا القاضي
أبو الوليد سليمان بن خلف حدثنا أبو ذر عبد بن أحمد حدثنا أبو محمد السرخسي
وأبو إسحق وأبو الهيثم حدثنا محمد بن يوسف حدثنا محمد بن إسمعيل حدثنا
قتيبة بن سعيد حدثنا يعقوب بن عبد الرحمن عن عمرو عن سعيد المقبري عن
أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال بعثت من خير
قرون بني آدم قرنا فقرنا حتى كنت من القرن الذي كنت منه
رضي الله عنه قال النبي صلى الله عليه وسلم إن الله خلق الخلق فجعلني من
خيرهم من خير قرنهم ثم تخير القبائل فجعلني من خير قبيلة ثم تخير البيوت
فجعلني من خير بيوتهم فأنا خيرهم نفسا وخيرهم بيتا وعن واثلة بن الأسقع

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الله اصطفى من ولد ابرهيم اسمعيل واصطفى من ولد اسمعيل بني كنانة واصطفى من بني كنانة قريشا واصطفى من قريش بني هاشم واصطفاني من بني هاشم . قال الترمذي وهذا حديث صحيح وفي حديث عن ابن عمر رضي الله عنهما رواه الطبري انه صلى الله عليه وسلم قال ان الله اختار خلقه فاختار منهم بني ادم ثم اختار بني ادم فاختار منهم العرب ثم اختار العرب فاختار منهم قريشا فاختار منهم بني هاشم ثم اختار بني هاشم فاختارني منهم فلم ازل خيارا من خيار الا من احب العرب بحبي احبهم ومن ابغض العرب فببغضي ابغضهم وعن ابن عباس رضي الله عنهما ان قريشا كانت نورا بين يدي الله تعالى قبل ان يخلق ادم بالفي عام يسبح ذلك النور وتسبح الملائكة بتسبيحه فلما خلق الله ادم القى ذلك النور في صلبه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فاهبطني الله الى الارض في صلب ادم وجعلني في صلب نوح وقذف بي في صلب ابرهيم ثم لم يزل الله تعالى ينقلني من الاصلاب الكريمة والارحام الطاهرة حتى اخرجني بين ابوي لم يلتقيا على سفاح قط . ويشهد بصحة هذا الخبر شعر العباس رضي الله عنه في مدح النبي صلى الله عليه وسلم المشهور فصل واما ما تدعو ضرورة الحياة اليه مما فصلناه فعلى ثلثة ضروب ضرب الفضل في قلته وضرب الفضل في كثرته وضرب تختلف الاحوال فيه فاما ما التمدح والكمال بقلته اتفاقا وعلى كل حال عادة وشريعة كالغذاء والنوم فلم تزل العرب والحكماء تتمادح بقلتهما وتذم كثرتهما لان كثرة الاكل والشرب دليل على النهم والحرص والشره وغلبة الشهوة مسبب لمضار الدنيا والاخرة جالب لادواء الجسد وخثارة النفس وامتلاء الدماغ وقلته

ثم اختار قريشا ثم

وابن عباس ... ان قريشا ... تسبيح الملائكة ... بالفي عام

دليل على القناعة وملك النفس وقمع الشهوة مسبب للصحة وصفاء الخاطر
وحدة الذهن كما أن النوم دليل على الفسولة والضعف وعدم الذكاء
والفطنة مسبب للكسل وعادة العجز وتضييع العمر في غير نفع وقساوة القلب
وغفلته وموته والشاهد على هذا ما يعلم ضرورة ويوجد مشاهدة وينقل
متواترا من كلام الأمم المتقدمة والحكماء السالفين وأشعار العرب وأخبارها
وصحيح الحديث وآثار من سلف وخلف مما لا يحتاج إلى الاستشهاد عليه
اختصارا واقتصارا على اشتهار العلم به وكان النبي صلى الله عليه وسلم
قد أخذ من هذين الفنين بالأقل هذا ما لا يدفع من سيرته وهو الذي
أمر به وحض عليه لا سيما بارتباط أحدهما بالآخر حدثنا أبو علي الصدفي
الحافظ بقراءتي عليه حدثنا أبو الفضل الأصبهاني حدثنا أبو نعيم الحافظ
حدثنا سليمن بن أحمد حدثنا بكر بن سهل حدثنا عبد الله بن صالح حدثني معوية
ابن صالح أن يحيى بن جابر حدثه عن المقدام بن معدي كرب أن رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال ما ملأ ابن آدم وعاء شرا من بطنه حسب ابن آدم أكلات يقمن
صلبه فإن كان لا محالة فثلث لطعامه وثلث لشرابه وثلث لنفسه ولأن
كثرة النوم من كثرة الشرب والأكل قال سفين الثوري بقلة الطعام يملك
سهر الليل وقال بعض السلف لا تأكلوا كثيرا فتشربوا كثيرا فترقدوا كثيرا
وقد روي عنه صلى الله عليه وسلم أنه كان أحب الطعام إليه ما كان على ضفف
أي كثرة الأيدي وعن عائشة رضي الله عنها لم يمتلئ جوف النبي صلى الله عليه وسلم
شبعا قط وأنه كان في أهله لا يسألهم طعاما ولا يتشهاه إن أطعموه أكل
وما أطعموه قبل وما سقوه شرب ولا يعترض على هذا بحديث بريرة
وقوله صلى الله عليه وسلم ألم أر البرمة فيها لحم إذ لعل سبب سؤاله ظنه

صلى الله

صلى الله عليه وسلم أغنياءهم أنه لا يحل لهم ما أراد بيان سنته إذ رآهم
لم يعدموا قوة السمع عليه أنهم لا يستأثرون عليه تصدق عليهم ظنه وبين
لهم ما جهلوه من أمره بقوله هو لها صدقة ولنا هدية وفي حكمة
لقمان يا بني إذا امتلأت المعدة نامت الفكرة وخرست الحكمة وقعدت
الأعضاء عن العبادة وقال سحنون لا يصلح العلم لمن يأكل حتى يشبع وفي
صحيح الحديث قوله صلى الله عليه وسلم أما أنا فلا آكل متكئا والاتكاء هو التمكن
للأكل والقعود في الجلوس له كالمتربع وشبهه من تمكن الجلسات التي يعتمد
فيها الجالس على ما تحته والجالس على هذه الهيئة يستدعي الأكل ويستكثر
منه والنبي صلى الله عليه وسلم إنما كان جلوسه للأكل جلوس المستوفز مقعيا
ويقول صلى الله عليه وسلم إنما أنا عبد آكل كما يأكل العبد وأجلس كما يجلس العبد
وليس معنى الحديث في الاتكاء الميل على شق عند المحققين وكذلك نومه صلى الله
عليه وسلم كان قليلا شهدت بذلك الآثار الصحيحة ومع ذلك فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
إن عيني تنامان ولا ينام قلبي وكان نومه على جانبه الأيمن استظهارا
على قلة النوم لأنه على جانبه الأيسر أهنأ لهدو القلب وما يتعلق به من
الأعضاء الباطنة حينئذ لميلها إلى الجانب الأيسر فيستدعي ذلك الاستثقال
فيه والطول وإذا نام النائم على الأيمن تعلق القلب وقلق فأسرع الإفاقة
ولم يغمره الاستغراق فصل والضرب الثاني ما يتفق التمدح بكثرته والفخر
بوفوره كالنكاح والجاه. أما النكاح فمتفق فيه شرعا وعادة فإنه دليل الكمال
وصحة الذكورية ولم يزل التفاخر بكثرته عادة معروفة والتمادح به سيرة
ماضية. وأما في الشرع فسنة مأثورة وقد قال ابن عباس رضي الله عنهما
أفضل هذه الأمة أكثرها نساء مشيرا إلى النبي صلى الله عليه وسلم وقد قال

عَلَيْهِ الصَّلوٰةُ وَالسَّلامُ تناكحوا فانّي مباهٍ بكم الامم. ونهى عن التبتل مع ما
فيه من قمع الشهوة وغض البصر التي نبّه عليها صلى الله عليه وسلم بقوله
من كان ذا طول فليتزوج فانه اغض للبصر واحصن للفرج حتى لم يره
العلماء مما يقدح في الزهد قال سهل بن عبد الله التستري قد حُبّبن الى
سيد المرسلين فكيف يزهد فيهن ونحوه لابن عيينة وقد كان زهاد
الصحابة كثيري الزوجات والسراري كثيري النكاح وحكي في ذلك عن
علي والحسن وابن عمر وغيرهم غير شيء وكره غير واحد ان يلقى الله عزوجل
عزبا فان قيل كيف يكون النكاح وكثرته من الفضائل وهذا يحيى بن
زكريا عليهما السلام قد اثنى الله تعالى عليه انه كان حصورا فكيف يثني الله
عليه بالعجز عما تعده فضيلة وهذا عيسى عليه السلام تبتل من النساء
فلو كان كما قررته لنكح فالجواب ان الله تعالى اثنى على يحيى بانه حصور ليس كما
قال بعضهم انه كان هيوبا او لا ذكر له بل انكر هذا حذاق المفسرين
ونقاد العلماء وقالوا هذه نقيصة وعيب ولا يليق بالانبياء وانما معناه
انه معصوم من الذنوب اي لا ياتيها كانه حصر عنها وقيل مانعا
نفسه من الشهوات وقيل ليست له شهوة في النساء فقد بان لك من هذا
ان عدم القدرة على النكاح نقص وانما الفضل في كونها موجودة ثم
قمعها اما بمجاهدة كعيسى عليه السلام او بكفاية من الله تعالى كيحيى عليه
السلام فضيلة زائدة لكونها شاغلة في كثير من الاوقات حاطّة الى الدنيا
ثم هي في حق من اقدر عليها وملكها وقام بالواجب فيها ولم تشغله عن
ربه درجة عليا وهي درجة نبينا صلى الله عليه وسلم الذي لم تشغله كثرتهن
عن عبادة ربه عزوجل بل زاده ذلك عبادة لتحصينهن وقيامه بحقوقهن

واكثاره

وأكثرهم نساءً بهن وهذا بيّن إنّما صرّح أنّها ليست من حظوظ دنياه هو
وإن كانت من حظوظ دنيا غيره فقال حُبّب إليّ من دنياكم فقد قال إن حبّه
لما ذكر من النساء والطيب اللذين هما من أمور دنيا غيره واشتغاله بهما ليس لدنياه
بل لآخرته للفوائد التي ذكرناها في التزويج وللقاء الملائكة في الطيب ولأنّه
أيضًا مما يحضّ على الجماع ويعين عليه ويحرّك أسبابه وكان حبّه صلى الله عليه
وسلم لهاتين الخصلتين لأجل غيره وقمع شهوته وكان حبّه الحقيقي المختص
بذاته في مشاهدة جبروت مولاه ومناجاته ولذلك ميّز بين الحبّين وفصل
بين الحالين فقال صلى الله عليه وسلم وجعلت قرة عيني في الصلاة فقد ساوى
يحيى وعيسى عليهما السلام في كفاية فتنتهن وزاد فضيلة بالقيام بهن وكان
صلى الله عليه وسلم ممن أقدر على القوة في هذا وأعطي الكثير منه ولهذا أبيح
من عدد الحرائر ما لم يبح لغيره وروينا عن أنس رضي الله عنه أنه صلى الله
عليه وسلم كان يدور على نسائه في الساعة من الليل والنهار وهن إحدى عشرة
قال أنس وكنا نتحدث أنه أعطي قوة ثلاثين. خرجه النسائي وعن طاوس
أُعطي عليه السلام قوة أربعين رجلًا في الجماع. ومثله عن صفوان بن سليم
وقالت سلمى مولاته طاف النبي صلى الله عليه وسلم ليلة على نسائه التسع وتطهّر
من كل واحدة قبل أن يأتي الأخرى وقال هذا أطهر وأطيب. وروي نحوه
عن أبي رافع. وقد قال سليمان عليه السلام لأطوفنّ الليلة على مائة امرأة أو تسع
وتسعين وإنّه فعل ذلك. وقال ابن عباس رضي الله عنهما كان في ظهر سليمن
ماء مائة رجل وكانت له ثلاثمائة امرأة وثلاثمائة سرية وحكى النقاش وغيره
سبعمائة امرأة وثلاثمائة سرية. وقد كان لداود عليه السلام على زهده
وأكله من عمل يده تسع وتسعون امرأة وتمت بزوج أوريا مائة. وقد نبّه

اللذين هما

رجلًا

وأما الجاه

على ذلك في الكتاب العزيز بقوله تعالى إن هذا أخي له تسع وتسعون نعجة
وفي حديث أنس عنه عليه السلام فضلت على الناس بأربع بالسخاء والشجاعة
وكثرة الجماع وقوة البطش. وأما الجاه فمحمود عند العقلاء عادة وبقدر
جاهه عظمته في القلوب. وقد قال تعالى في صفة عيسى عليه السلام وجيها
في الدنيا والآخرة لكن آفاته كثيرة فهو مضر لبعض الناس لعقبى الآخرة فلذلك
ذمه من ذمه ومدحه من مدحه وورد في الشرع مدح الخمول وذم العلو في
الأرض. وكان صلى الله عليه وسلم يذكر قدر حشمته والمكانة في القلوب
والعظمة قبل النبوة وعند الجاهلية وبعدها وهم يكذبونه ويؤذون أصحابه
ويقصدون أذاه في نفسه خفية حتى إذا واجههم أعظموا أمره وقضوا
حاجته وأخباره في ذلك معروفة سيأتي بعضها وقد كان يبهت ويرعد
إذا رآه من لم يره كما روي عن قيلة أنها لما رأته أرعدت من الفرق فقال
يا مسكينة عليك السكينة وفي حديث ابن مسعود أن رجلا قام بين يديه
فأرعد فقال هون عليك فإني لست بملك الحديث وأما عظيم قدره بالنبوة
وشريف منزلته بالرسالة وإنافة رتبته بالاصطفاء والكرامة في الدنيا
فأمر هو مبلغ النهاية ثم هو في الآخرة سيد ولد آدم وعلى معنى هذا الفصل
نحونا هذا القسم بأسره بعون الله. وأما الضرب الثالث فهو ما تختلف
الحالات في التمدح به والتفاخر بسببه والتفضيل لأجله ككثرة المال
فصاحبه على حاله معظم عند العامة لاعتقادها توصله به إلى حاجاته
وتمكن أغراضه بسببه وإلا فليس فضيلة في نفسه فمتى كان المال بيد الشخص
وصاحبه منفقا له في مهماته ومهمات من اعتراه وأمله وتصرفه في مواضعه
مشتريا به المعالي والثناء الحسن والمنزلة في القلوب كان فضيلة في صاحبه

عند أهل الدنيا وإذا صرفه في وجوه البر وأنفقه في سبيل الخير وقصد بذلك
الله تعالى والدار الآخرة كان فضيلة عند الكل بكل حال ومتى كان صاحبه
ممسكا له غير موجهه وجوهه حريصا على جمعه عاد كثره كالعدم وكان
منقصة في صاحبه ولم يقف به على جدد السلامة بل أوقعه في هوة رذيلة
البخل ومذمة النذالة فإذا التمدح بالمال وفضيلته عند مفضله ليست
لنفسه وإنما هو للتوصل به إلى غيره وتصريفه في متصرفاته فجامعه إذا لم يضعه
مواضعه ولا وجهه وجوهه غير مليء بالحقيقة ولا غني بالمعنى ولا ممتدح
عند أحد من العقلاء بل هو فقير أبدا غير واصل إلى غرض من أغراضه إذ ما بيده
من المال الموصل لها لم يسلط عليه فأشبه خازن مال غيره ولا مال له فكأنه
ليس في يده منه شيء والمنفق مليء غني بتحصيله فوائد المال وإن لم يبق في
يده شيء من المال فانظر سيرة نبينا صلى الله عليه وسلم وخلقه في المال تجده
قد أوتي خزائن الأرض ومفاتيح البلاد وأحلت له الغنائم ولم تحل لأحد
قبله وفتح عليه في حياته صلى الله عليه وسلم بلاد الحجاز واليمن وجميع جزيرة
العرب وما دانى ذلك من الشام والعراق وجلبت إليه من أخماسها وجزيتها
وصدقاتها ما لا يجبى للملوك إلا بعضه وهادته جماعة من ملوك الأقاليم فما
استأثر بشيء منه ولا أمسك منه درهما بل صرفه مصارفه وأغنى به غيره
وقوى به المسلمين وقال ما يسرني أن لي أحدا ذهبا يبيت عندي منه دينار
إلا دينارا أرصده لديني وأتته دنانير مرة فقسمها وبقيت منها ستة فدفعها
لبعض نسائه فلم يأخذه نوم حتى قام وقسمها وقال الآن استرحت ومات
صلى الله عليه وسلم ودرعه مرهونة في نفقة عياله واقتصر من نفقته وملبسه
ومسكنه على ما تدعوه ضرورته إليه وزهد فيما سواه فكان يلبس ما وجده

بلبس الثياب السملة والكتان الخشن والبرد الغليظ ويقسم على من حضره أقبية
الديباج المخوصة بالذهب ويرفع لمن لم يحضره إذ المباهاة في الملابس والزينة
بها ليست من خصال الشرف والجلالة وهي من سمات النساء والمحمود منها نقاوة
الثوب والتوسط في جنسه وكونه لبس مثله غير مسقط لمروءة جنسه مما لا يؤدي
إلى الشهرة في الطرفين وقد ذم الشرع ذلك وغاية الفخر به في العادة عند
الناس إنما تعود إلى الفخر بكثرة الموجود ووفور الحال وكذلك التباهي بجودة
المسكن وسعة المنزل وتكثير آلاته وخدمه ومركوباته ومن ملك الأرض وجبي
إليه ما فيها فترك ذلك زهداً وتنزهاً فهو حائز لفضيلة المالية ومالك
للفخر بهذه الخصلة إن كانت فضيلة زائداً عليها في الفخر ومعرق في المدح بإضرابه
عنها ورغبته في فانيها وبذلها في مظانها [illegible] وأما الخصال المكتسبة
من الأخلاق الحميدة والآداب الشريفة التي اتفق جميع العقلاء على تفضيل صاحبها
وتعظيم المتصف بالخلق الواحد منها فضلاً عما فوقه وأثنى الشرع على جميعها
وأمر بها ووعد السعادة الدائمة للمتخلق بها ووصف بعضها بأنه من أجزاء النبوة
وهي المسماة بحسن الخلق وهو الاعتدال في قوى النفس وأوصافها والتوسط فيها
دون الميل إلى منحرف أطرافها فجميعها قد كانت خلق نبينا صلى الله عليه وسلم
على الانتهاء في كمالها والاعتدال إلى غايتها حتى أثنى الله تعالى عليه بذلك فقال تعالى
وإنك لعلى خلق عظيم. قالت عائشة رضي الله عنها كان خلقه صلى الله عليه وسلم
القرآن يرضى برضاه ويسخط بسخطه. وقال عليه السلام بعثت لأتمم
مكارم الأخلاق. وقال أنس كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أحسن الناس
خلقاً. وعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه مثله وكان فيما ذكره المحققون
مجبولاً عليها في أصل خلقته وأول فطرته لم تحصل له باكتساب ولا رياضة

إلا بجود إلهي وخصوصية ربانية وهكذا الشأن في الأنبياء ومن طالع سيرهم صلوات الله عليهم
منذ صباهم إلى مبعثهم حقق ذلك كما عرف من حال عيسى وموسى ويحيى
وسليمان وغيرهم عليهم السلام بل غرزت فيهم هذه الأخلاق في الجبلة وأودعوا
العلم والحكمة في الفطرة قال الله تعالى وآتيناه الحكم صبيا قال المفسرون
أعطي يحيى العلم بكتاب الله في حال صباه. وقال معمر كان ابن سنتين أو ثلاث
فقال له الصبيان لم لا تلعب فقال أللعب خلقت. وقيل في قوله تعالى ما للعب خلقت
مصدقا بكلمة من الله صدق يحيى بعيسى وهو ابن ثلاث سنين فشهد له أنه
كلمة الله وروحه. وقيل صدقه وهو في بطن أمه فكانت أم يحيى تقول لمريم
إني أجد ما في بطني يسجد لما في بطنك تحية له وقد نص الله تعالى على كلام
عيسى لأمه عند ولادتها إياه بقوله لها ألا تحزني على قراءة من قرأ من تحتها
وعلى قول من قال إن المنادي عيسى ونص على كلامه في مهده فقال إني عبد الله
آتاني الكتاب وجعلني نبيا. وقال ففهمناها سليمان وكلا آتينا حكما وعلما تعالى
وقد ذكر من حكم سليمان وهو صبي يلعب في قصة المرجومة وفي قصة
الصبي ما اقتدى به داود أبوه. وحكى الطبري أن عمره كان حين أوتي
الملك اثني عشر عاما. وكذلك قصة موسى مع فرعون وأخذه بلحيته
وهو طفل. قال المفسرون في قوله تعالى ولقد آتينا إبراهيم رشده من قبل
أي هديناه صغيرا قاله مجاهد وغيره وقال ابن عطاء اصطفاه قبل إبداء
خلقه وقال بعضهم لما ولد إبراهيم بعث الله إليه ملكا يأمره عن الله أن
يعرفه بقلبه ويذكره بلسانه فقال قد فعلت ولم يقل أفعل فذلك رشده
وقيل إن إلقاء إبراهيم في النار ومحنته كانت وهو ابن ست عشرة سنة
وإن ابتلاء إسحاق بالذبح وهو ابن سبع سنين وإن استدلال إبراهيم بالكوكب كان

والعمر المنير كان وهو ابن خمسة عشر سنة . وقيل أوحي إلى يوسف وهو
صبي عندما هم إخوته بإلقائه في الجب بقول الله تعالى وأوحينا إليه لتنبئنهم
بأمرهم هذا إلى غير ذلك من أخبارهم . وقد حكى أهل السير أن آمنة بنت من أخبار غيرهم والتفسير
وهب أخبرت أن نبينا صلى الله عليه وسلم ولد حين ولد باسطا يديه إلى الأرض
رافعا رأسه إلى السماء وقال في حديثه صلى الله عليه وسلم لما نشأت بغضت
إلي الأوثان وبغض إلي الشعر ولم أهم بشيء مما كانت الجاهلية تفعله إلا
مرتين فعصمني الله منهما ثم لم أعد ثم يتكامل لأمرهم ويترادف إحسان الله عليهم
وتشرق أنوار المعارف في قلوبهم حتى يصلوا الغاية ويبلغوا باصطفاء الله
لهم بالنبوة في تحصيل هذه الخصال الشريفة النهاية دون ممارسة ولا رياضة
قال الله تعالى ولما بلغ أشده واستوى آتيناه حكما وعلما وقد يجد عن غيرهم نحو بيمن
هذه الأخلاق دون جميعها ويولد عليها فيسهل عليه اكتساب تمامها عناية
من الله تعالى كما نشاهد من خلقة بعض الصبيان على حسن السمت أو الشهامة
وصدق اللسان أو السماحة كما تجد بعضهم على ضدها فالاكتساب تحمل
ما يضيئها أو بالرياضة والمجاهدة يستعمل معقودها ويعتد التخيير بها وبخلاف
هذين الحالين يتفاوت الناس فيها وكل ميسر لما خلق له ولهذا ما قد
اختلف السلف فيها هل هذه الخلق جبلة أو مكتسبة . وحكى البصري عن بعض هذه
السلف أن الخلق الحسن جبلة وغريزة في العبد وحكاه عن عبد الله بن مسعود
والحسن رضي الله عنهما وبه قال هو والصواب ما قلناه . وقد روى
سعد عن النبي صلى الله عليه وسلم قال كل الخلال يطبع عليها المؤمن إلا الخيانة
والكذب . وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه في حديثه والجرأة والجبن
غرائز يضعها الله حيث يشاء فهذه الأخلاق محمودة والخصال الجميلة كثيرة

وَلَكِنَّا نَذْكُرُ أُصُولَهَا وَنُشِيرُ إِلَى جَمِيعِهَا وَنُحَقِّقُ وَصْفَهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
بِهَا إِنْ شَاءَ اللهُ تَعَالَى فَصْلٌ أَمَّا أَصْلُ فُرُوعِهَا وَعُنْصُرُ يَنَابِيعِهَا وَنُقْطَةُ
دَائِرَتِهَا فَالعَقْلُ الَّذِي يَنْبَعِثُ مِنْهُ العِلْمُ وَالمَعْرِفَةُ وَيَتَفَرَّعُ عَنْ هَذَا ثُقُوبُ
الرَّأْيِ وَجَوْدَةُ الفِطْنَةِ وَالإِصَابَةُ وَصِدْقُ الظَّنِّ وَالنَّظَرُ لِلْعَوَاقِبِ وَمَصَالِحِ
النَّفْسِ وَمُجَاهَدَةُ الشَّهْوَةِ وَحُسْنُ السِّيَاسَةِ وَالتَّدْبِيرِ وَاقْتِنَاءُ الفَضَائِلِ وَتَجَنُّبُ
الرَّذَائِلِ ۔ وَقَدْ أَشَرْنَا إِلَى مَكَانِهِ مِنْهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وَبُلُوغِهِ مِنْهُ
وَمِنَ العِلْمِ الغَايَةَ الَّتِي لَمْ يَبْلُغْهَا بَشَرٌ سِوَاهُ ۔ وَإِذْ جَلَالَةُ مَحَلِّهِ مِنْ ذَلِكَ وَمِمَّا
يَتَفَرَّعُ مِنْهُ مُتَحَقِّقٌ عِنْدَ مَنْ تَتَبَّعَ مَجَارِيَ أَحْوَالِهِ وَاطِّرَادَ سِيَرِهِ وَطَالَعَ جَوَامِعَ كَلَامِهِ
وَحُسْنَ شَمَائِلِهِ وَبَدَائِعَ سِيَرِهِ وَحِكَمَ حَدِيثِهِ وَعِلْمَهُ بِمَا فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ
وَالكُتُبِ المُنَزَّلَةِ وَحِكَمِ الحُكَمَاءِ وَسِيَرِ الأُمَمِ الخَالِيَةِ وَأَيَّامِهَا وَضَرْبِ الأَمْثَالِ
وَسِيَاسَاتِ الأَنَامِ وَتَقْرِيرِ الشَّرَائِعِ وَتَأْصِيلِ الآدَابِ النَّفِيسَةِ وَالشِّيَمِ الحَمِيدَةِ
إِلَى فُنُونِ العِلْمِ الَّتِي اتَّخَذَ أَهْلُهَا كَلَامَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِيهَا قُدْوَةً وَإِشَارَاتِهِ حُجَّةً
كَالعِبَارَةِ وَالطِّبِّ وَالحِسَابِ وَالفَرَائِضِ وَالنَّسَبِ وَغَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا سَنُبَيِّنُهُ فِي
مُعْجِزَاتِهِ إِنْ شَاءَ اللهُ تَعَالَى دُونَ تَعْلِيمٍ وَلَا مُدَارَسَةٍ وَلَا مُطَالَعَةِ كُتُبِ مَنْ تَقَدَّمَ
وَلَا الجُلُوسِ إِلَى عُلَمَائِهِمْ بَلْ نَبِيٌّ أُمِّيٌّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمْ يُعْرَفْ بِشَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ حَتَّى
شَرَحَ اللهُ صَدْرَهُ وَأَبَانَ أَمْرَهُ وَعَلَّمَهُ وَأَقْرَأَهُ يُعْلَمُ ذَلِكَ بِالمُطَالَعَةِ وَالبَحْثِ عَنْ حَالِهِ
ضَرُورَةً وَبِالبُرْهَانِ القَاطِعِ عَلَى نُبُوَّتِهِ نَظَرًا فَلَا نُطَوِّلُ بِسَرْدِ الأَقَاصِيصِ وَآحَادِ
القَضَايَا إِذْ مَجْمُوعُهَا مَا لَا يَأْخُذُهُ حَصْرٌ وَلَا يُحِيطُ بِهِ حِفْظُ جَامِعٍ وَبِحَسَبِ
عَقْلِهِ كَانَتْ مَعَارِفُهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى سَائِرِ مَا عَلَّمَهُ اللهُ وَأَطْلَعَهُ عَلَيْهِ مِنْ عِلْمِ
مَا يَكُونُ وَمَا كَانَ وَعَجَائِبِ قُدْرَتِهِ وَعَظَائِمِ مَلَكُوتِهِ ۔ قَالَ اللهُ تَعَالَى وَعَلَّمَكَ
مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ الآيَةَ حَارَتِ العُقُولُ فِي تَقْدِيرِ فَضْلِهِ عَلَيْهِ وَخَرِسَتِ الأَلْسُنُ

متحققة

وعظيم

دون وصف يحيط بذلك. وينتهي إليه نفسه. وأما الحلم والاحتمال
والعفو مع المقدرة والصبر على ما يكره وبين هذه الألقاب فرق فإن
الحلم حالة توقر وثبات عند الأسباب المحركات. والاحتمال حبس النفس
عند الآلام والمؤذيات. ومثلها الصبر ومعانيها متقاربة. وأما العفو
فهو ترك المؤاخذة. وهذا كله مما أدب الله به نبيه صلى الله عليه وسلم فقال
تعالى خذ العفو وأمر بالعرف الآية. روي أن النبي صلى الله عليه وسلم لما نزلت
عليه هذه الآية سأل جبريل عن تأويلها فقال له حتى أسأل العالم ثم
ذهب فأتاه فقال يا محمد إن الله تعالى يأمرك أن تصل من قطعك وتعطي من حرمك
وتعفو عمن ظلمك. وقال الله تعالى له واصبر على ما أصابك الآية. وقال تعالى
فاصبر كما صبر أولو العزم من الرسل الآية. وقال تعالى وليعفوا وليصفحوا الآية
وقال تعالى ولمن صبر وغفر الآية. ولا خفاء بما يؤثر من حلمه واحتماله وأن كل
حليم قد عرفت منه زلة وحفظت عنه هفوة وهو صلى الله عليه وسلم لا يزيد
مع كثرة الأذى إلا صبرا وعلى إسراف الجاهل إلا حلما. حدثنا القاضي أبو عبد الله
محمد بن علي التغلبي وغيره قالوا حدثنا محمد بن عتاب حدثنا أبو بكر بن واقد القاضي
وغيره حدثنا أبو عيسى حدثنا عبيد الله حدثنا يحيى بن يحيى حدثنا مالك عن
ابن شهاب عن عروة عن عائشة رضي الله عنها قالت ما خير رسول الله صلى الله عليه وسلم
في أمرين قط إلا اختار أيسرهما ما لم يكن إثما فإن كان إثما كان أبعد الناس منه
وما انتقم رسول الله صلى الله عليه وسلم لنفسه إلا أن تنتهك حرمة الله فينتقم لله بها
وروي أن النبي صلى الله عليه وسلم لما كسرت رباعيته وشج وجهه يوم أحد شق ذلك
على أصحابه شديدا وقالوا لو دعوت عليهم فقال إني لم أبعث لعانا ولكني بعثت
داعيا ورحمة اللهم اهد قومي فإنهم لا يعلمون. وروي عن عمر رضي الله عنه أنه قال

في بعض كلامه بأبي أنت وأمي يا رسول الله لقد دعا نوح على قومه فقال رب
لا تذر على الأرض الآية ولو دعوت علينا مثلها لهلكنا من عند آخرنا فلقد
وطئ ظهرك وأدمي وجهك وكسرت رباعيتك فأبيت أن تقول إلا خيرا
فقلت اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون. قال القاضي أبو الفضل رحمه الله
ورضي عنه انظر ما في هذا القول من جامع الفضل ودرجات الإحسان وحسن جماع
الخلق وكرم النفس وغاية الصبر والحلم إذ لم يقتصر صلى الله عليه وسلم على السكوت
عنهم حتى عفا ثم أشفق عليهم ورحمهم ودعا وشفع لهم فقال اغفر أو اهد اللهم
ثم أظهر سبب الشفقة والرحمة بقوله صلى الله عليه وسلم لقومي ثم اعتذر عنهم
بجهلهم فقال فإنهم لا يعلمون. ولما قال له الرجل اعدل فإن هذه قسمة
ما أريد بها وجه الله لم يزده في جوابه أن بين له ما جهله ووعظ نفسه
وذكرها بما قال له فقال له ويحك فمن يعدل إن لم أعدل خبت وخسرت
إن لم أعدل ونهى من أراد من أصحابه قتله. ولما تصدى له غورث بن
الحارث ليفتك به ورسول الله صلى الله عليه وسلم منتبذ تحت شجرة
وحده قائلا والناس قائلون في غزاة فلم ينتبه رسول الله صلى الله عليه وسلم
إلا وهو قائم والسيف صلتا في يده فقال من يمنعك مني فقال الله فسقط
السيف من يده فأخذه النبي صلى الله عليه وسلم وقال من يمنعك مني قال
كن خير آخذ فتركه وعفا عنه فجاء إلى قومه فقال جئتكم من عند
خير الناس. ومن عظيم خبره في العفو عفوه عن اليهودية التي سمته
في الشاة بعد اعترافها على الصحيح من الرواية. وأنه لم يؤاخذ لبيد
بن الأعصم إذ سحره وقد أعلم به وأوحي إليه بشرح أمره ولا عتب
عليه فضلا عن معاقبته. وكذلك لم يؤاخذ عبد الله بن أبي وأشباهه

من ماله يعطي بعضهم ما يقي عنه في جهنم قولا ولا فعلا قال إن شاء
بقتل بعضهم لأحدثت أن محمدا صلى الله عليه وسلم يقتل أصحابه وعن
أنس رضي الله عنه كنت مع النبي صلى الله عليه وسلم وعليه برد غليظ
الحاشية فجبذه أعرابي بردائه جبذة شديدة حتى أثرت حاشية البرد
في صفحة عاتقه ثم قال يا محمد احمل لي على بعيري هذين من مال الله
الذي عندك فإنك لا تحمل لي من مالك ولا مال أبيك فسكت النبي
صلى الله عليه وسلم ثم قال المال مال الله وأنا عبده ثم قال ويقاد منك
يا أعرابي ما فعلت بي قال لا قال لم قال لأنك لا تكافي بالسيئة السيئة
فضحك النبي صلى الله عليه وسلم ثم أمر أن يحمل له على بعير شعير وعلى
الآخر تمر قالت عائشة رضي الله عنها ما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم
منتصرا من مظلمة ظلمها قط ما لم تكن حرمة من محارم الله تعالى وما ضرب
بيده شيئا قط إلا أن يجاهد في سبيل الله وما ضرب خادما ولا امرأة
وجيء إليه برجل فقيل هذا أراد أن يقتلك فقال له صلى الله عليه وسلم لن تراع
لن تراع ولو أردت ذلك لم تسلط علي وجاءه زيد بن سعنة قبل إسلامه يتقاضاه
دينا عليه فجبذ ثوبه عن منكبه وأخذ بمجامع ثيابه وأغلظ له ثم قال إنكم
يا بني عبد المطلب مطل فانتهره عمر رضي الله عنه وشدد له في القول والنبي
صلى الله عليه وسلم يتبسم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا وهو كنا إلى
غير هذا منك أحوج يا عمر تأمرني بحسن القضاء وتأمره بحسن التقاضي ثم قال
لقد بقي من أجله ثلاث وأمر عمر يقضيه ماله ويزيده عشرين صاعا لما روعه
فكان سبب إسلامه وذلك أنه كان يقول ما بقي من علامات النبوة شيء إلا وقد
عرفتها في محمد صلى الله عليه وسلم إلا اثنتين لم أخبرهما يسبق حلمه جهله ولا يزيده

شدة

بشدة الجهل إلا حلماً فأخبره بهذا فوجده كما وصف. والحديث عن حلمه
صلى الله عليه وسلم وصبره وعفوه عند المقدرة أكثر من أن نأتي عليه وحسبك
ما ذكرناه مما في الصحيح والمصنفات الثابتة إلى ما بلغ متواتراً مبلغ اليقين
من صبره على مقاساة قريش وأذى الجاهلية ومصابرته الشدائد الصعبة
معهم إلى أن أظفره الله عليهم وحكّمه فيهم وهم لا يشكون في استئصال أظهره
شأفتهم وإبادة خضرائهم فما زاد على أن عفا وصفح وقال ما تقولون أني
فاعل بكم قالوا خيراً أخ كريم وابن أخ كريم فقال أقول كما قال أخي يوسف
لا تثريب عليكم اليوم الآية اذهبوا فأنتم الطلقاء وقال أنس بن مالك رضي الله البرية
عنه هبط ثمانون رجلاً من التنعيم صلاة الصبح ليقتلوا رسول الله
صلى الله عليه وسلم فأخذوا فأعتقهم صلى الله عليه وسلم فأنزل الله تعالى وهو
الذي كف أيديهم عنكم الآية وقال لأبي سفيان وقد سيق إليه بعد أن
جلب إليه الأحزاب وقتل عمه وأصحابه ومثّل بهم فعفا عنه صلى الله عليه
وسلم ولاطفه في القول ويحك يا أبا سفيان ألم يأن لك أن تعلم أن لا إله
إلا الله فقال بأبي أنت وأمي ما أحلمك وأوصلك وأكرمك وكان صلى الله
عليه وسلم أبعد الناس غضباً وأسرعهم رضى صلى الله عليه وسلم فصل عن عطايا
وأما الجود والكرم والسخاء والسماحة ومعانيها متقاربة وقد فرق بعضهم
بينها بفروق فجعلوا الكرم الإنفاق بطيب النفس فيما يعظم خطره ونفعه
وسموه أيضاً حرية وهو ضد النذالة والسماحة التجافي عما يستحقه المرء
عند غيره بطيب نفس وهو ضد الشكاسة والسخاء سهولة الإنفاق وتجنب
اكتساب ما لا يحمد وهو الجود وهو ضد التقتير وكان صلى الله عليه وسلم لا يوازى
في هذه الأخلاق الكريمة ولا يبارى بهذا وصفه كل من عرفه حدثنا القاضي

التميمي أبو علي الصدفي رحمه الله. حدثنا القاضي أبو الوليد الباجي، حدثنا
أبو ذر الهروي، حدثنا أبو الهيثم الكشميهني وأبو محمد السرخسي وأبو إسحاق
البلخي قالوا: أخبرنا أبو عبد الله الفربري، حدثنا البخاري، حدثنا ابن كثير،
حدثنا سفيان عن ابن المنكدر، سمعت جابر بن عبد الله يقول: ما سئل النبي صلى الله
عليه وسلم شيئا فقال: لا. وعن أنس وسهل بن سعد مثله. وقال ابن عباس: كان
النبي صلى الله عليه وسلم أجود الناس بالخير، وأجود ما كان في شهر رمضان،
وكان إذا لقيه جبريل عليه السلام أجود بالخير من الريح المرسلة. وعن
أنس أن رجلا سأله فأعطاه غنما بين جبلين، فرجع إلى بلده وقال: أسلموا
فإن محمدا صلى الله عليه وسلم يعطي عطاء من لا يخشى فاقة. وأعطى غير واحد
مائة من الإبل، وأعطى صفوان مائة ثم مائة ثم مائة. وهذه كانت حاله صلى الله
عليه وسلم قبل أن يبعث. وقد قال له ورقة بن نوفل: إنك تحمل الكل وتكسب
المعدوم. ورد على هوازن سباياها وكانوا ستة آلاف. وأعطى العباس من الذهب
ما لم يطق حمله. وحمل إليه تسعون ألف درهم فوضعت على حصير ثم قام إليها
يقسمها فما رد سائلا حتى فرغ منها. وجاءه رجل فسأله فقال صلى الله عليه وسلم:
ما عندي شيء ولكن ابتع علي فإذا جاءنا شيء قضيناه. فقال له عمر: ما كلفك الله
ما لا تقدر عليه. فكره النبي صلى الله عليه وسلم ذلك. فقال رجل من الأنصار:
يا رسول الله أنفق ولا تخف من ذي العرش إقلالا. فتبسم رسول الله
صلى الله عليه وسلم وعرف البشر في وجهه وقال: بهذا أمرت.
ذكره الترمذي. وذكر عن معوذ بن عفراء: أتيت النبي صلى الله عليه وسلم
بقناع من رطب يريد طبقا وأجر زغب يريد قثاء فأعطاني ملء كفه حليا
وذهبا. قال أنس رضي الله عنه: كان النبي صلى الله عليه وسلم لا يدخر شيئا لغد.

عن شيء

حمله

ذهبا

دخر

في الخبر نحوه. وكرمه صلى الله عليه وسلم كثيرة. وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن
رجلا أتى النبي صلى الله عليه وسلم يسأله فاستسلف له رسول الله صلى الله عليه
وسلم نصف وسق فجاء الرجل يتقاضاه فأعطاه وسقا وقال نصفه قضاء ونصفه
نائل منك. وأما الشجاعة والنجدة فالشجاعة فضيلة قوة الغضب وانقيادها
للعقل والنجدة ثقة النفس عند استرسالها إلى الموت حيث يحمد فعلها دون
خوف. وكان صلى الله عليه وسلم منهما بالمكان الذي لا يجهل قد حضر المواقف
الصعبة وفر الكماة والأبطال عنه غير مرة وهو ثابت لا يبرح ومقبل لا
يدبر ولا يتزحزح. وما شجاع إلا وقد أحصيت له فرة وحفظت عنه جولة
سوى النبي صلى الله عليه وسلم. حدثنا أبو علي الجياني فيما كتب لي قال حدثنا القاضي
سراج حدثنا أبو محمد الأصيلي حدثنا أبو زيد الفقيه حدثنا محمد بن يوسف حدثنا
محمد بن إسماعيل حدثنا ابن بشار حدثنا غندر حدثنا شعبة عن أبي إسحاق سمع
البراء وسأله رجل أفررتم يوم حنين عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لكن
رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يفر ثم قال لقد رأيته على بغلته البيضاء وأبو سفيان
آخذ بلجامها والنبي صلى الله عليه وسلم يقول أنا النبي لا كذب. وزاد غيره
أنا ابن عبد المطلب. فما رؤي يومئذ أحد كان أشد منه. وقال غيره نزل
النبي صلى الله عليه وسلم عن بغلته. وذكر مسلم عن العباس رضي الله عنه قال
فلما التقى المسلمون والكفار ولى المسلمون مدبرين فطفق رسول الله صلى الله
عليه وسلم يركض بغلته نحو الكفار وأنا آخذ بلجامها أكفها إرادة أن لا تسرع
وأبو سفيان آخذ بركابه ثم نادى يا للمسلمين الحديث. وقيل كان رسول الله
صلى الله عليه وسلم إذا غضب ولا يغضب إلا لله لم يقم لغضبه شيء. وقال
ابن عمر رضي الله عنهما ما رأيت أشجع ولا أنجد ولا أجود ولا أرضى من رسول الله

صلى الله عليه وسلم وعن علي رضي الله عنه إنا كنا إذا حمي البأس ويروى إذا
اشتد البأس واحمرت الحدق اتقينا برسول الله صلى الله عليه وسلم فما يكون
أحد أقرب إلى العدو منه ولقد رأيتني يوم بدر ونحن نلوذ بالنبي صلى الله
عليه وسلم وهو أقربنا إلى العدو وكان من أشد الناس يومئذ بأسا وقيل
كان الشجاع هو الذي يقرب منه صلى الله عليه وسلم إذا دنا العدو لقربه
منه وعن أنس رضي الله عنه كان النبي صلى الله عليه وسلم أحسن الناس
وأجود الناس وأشجع الناس لقد فزع أهل المدينة ليلة فانطلق ناس
قبل الصوت فتلقاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم راجعا قد سبقهم إلى
الصوت واستبرأ الخبر على فرس لأبي طلحة عري والسيف في عنقه وهو يقول
لن تراعوا وقال عمران بن حصين ما لقي النبي صلى الله عليه وسلم كتيبة إلا كان أول
من يضرب ولما رآه أبي بن خلف يوم أحد وهو يقول أين محمد لا نجوت
إن نجا وقد كان يقول للنبي صلى الله عليه وسلم حين افتدى يوم بدر عندي
فرس أعلفها كل يوم فرقا من ذرة أقتلك عليها فقال له النبي صلى الله
عليه وسلم أنا أقتلك إن شاء الله فلما رآه يوم أحد شد أبي على فرسه على رسول الله
صلى الله عليه وسلم فاعترضه رجال من المسلمين فقال النبي صلى الله عليه وسلم
هكذا أي خلوا طريقه وتناول الحربة من الحارث بن الصمة فانتفض بها انتفاضة
تطايروا عنه تطاير الشعراء عن ظهر البعير إذا انتفض ثم استقبله النبي
صلى الله عليه وسلم فطعنه في عنقه طعنة تدأدأ منها عن فرسه مرارا وقيل
بل كسر ضلعا من أضلاعه فرجع إلى قريش يقول قتلني محمد وهم يقولون لا بأس
بك فقال لو كان ما بي بجميع الناس لقتلهم أليس قد قال أنا أقتلك والله لو
بصق علي لقتلني فمات بسرف في قفولهم إلى مكة فصل وأما الحياء والإغضاء

فالحيا رقة تعتري وجه الإنسان عند فعل ما يتوقع كراهته أو ما يكون تركه
خيرا من فعله. والإغضاء التغافل عما يكرهه الإنسان بطبيعته وكان النبي
صلى الله عليه وسلم أشد الناس حيا وأكثرهم عن العورات إغضا قال الله تعالى
إن ذلكم كان يؤذي النبي فيستحيي منكم الآية حدثنا أبو محمد بن عتاب رحمه
الله بقراتي عليه حدثنا أبو القاسم حاتم بن محمد حدثنا أبو الحسن القابسي
حدثنا أبو زيد المروزي حدثنا محمد بن يوسف حدثنا محمد بن إسماعيل حدثنا
عبدان حدثنا عبد الله أخبرنا شعبة عن قتادة سمعت عبد الله مولى أنس
عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أشد
حيا من العذرا في خدرها وكان إذا كره شيئا عرفناه في وجهه وكان صلى الله
عليه وسلم لطيف البشرة رقيق الظاهر لا يشافه أحدا بما يكرهه حيا وكرم نفس
وعن عايشة رضي الله عنها كان صلى الله عليه وسلم إذا بلغه عن أحد ما يكرهه
لم يقل ما بال فلان يقول كذا ولكن يقول ما بال أقوام يصنعون أو يقولون
كذا ينهى عنه ولا يسمي فاعله وروى أنس رضي الله عنه أنه دخل عليه رجل
به أثر صفرة فلم يقل له شيئا وكان لا يواجه أحدا بما يكره فلما خرج قال
صلى الله عليه وسلم لو قلتم له يغسل هذا ويروى ينزعها قالت عايشة رضي الله عنها
في الصحيح لم يكن النبي صلى الله عليه وسلم فاحشا ولا متفحشا ولا سخابا بالأسواق
ولا يجزي بالسيئة السيئة ولكن يعفو ويصفح وقد حكي مثل هذا الكلام عن التوراة
من رواية ابن سلام وعبد الله بن عمرو بن العاص وروي عنه أنه كان من حيائه
صلى الله عليه وسلم لا يثبت بصره في وجه أحد وأنه كان يكني عما اضطره الكلام
إليه مما يكره وعن عايشة رضي الله عنها ما رأيت فرج رسول الله صلى الله عليه
وسلم قط [illegible] وأما خبر عشرته وأدبه وبسط خلقه صلى الله عليه وسلم

مع أصناف الخلق فبحيث انتشرت به الأخبار الصحيحة قال علي رضي الله عنه
في وصفه صلى الله عليه وسلم كان أوسع الناس صدرا وأصدق الناس لهجة
وألينهم عريكة وأكرمهم عشرة أبو الحسن علي بن مشرف الأنماطي فيما
أجازنيه وقرأته على غيره قال حدثنا أبو إسحاق الحبال حدثنا أبو محمد بن النحاس
حدثنا ابن الأعرابي حدثنا أبو داود حدثنا هشام أبو مروان ومحمد بن المثنى
قالا حدثنا الوليد بن مسلم حدثنا الأوزاعي سمعت يحيى بن أبي كثير يقول حدثني
محمد بن عبد الرحمن بن أسعد بن زرارة عن قيس بن سعد قال زارنا رسول الله صلى الله
عليه وسلم وذكر قصة في آخرها فلما أراد الانصراف قرب له سعد حمارا وطأ عليه
بقطيفة فركب رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال سعد يا قيس اصحب رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال قيس فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم اركب فأبيت
فقال إما أن تركب وإما أن تنصرف فانصرفت أخرى اركب
أمامي فصاحب الدابة أولى بمقدمها وكان صلى الله عليه وسلم يؤلفهم ولا
ينفرهم ويكرم كريم كل قوم ويوليه عليهم ويحذر الناس ويحترس منهم من غير
أن يطوي عن أحد منهم بشره ولا خلقه يتفقد أصحابه ويعطي كل جلسائه
نصيبه لا يحسب جليسه أن أحدا أكرم عليه منه من جالسه أو قاربه لحاجة
صابره حتى يكون هو المنصرف عنه ومن سأله حاجة لم يرده إلا بها أو بميسور
من القول قد وسع الناس بسطه وخلقه فصار لهم أبا وصاروا عنده في الحق
سواء بهذا وصفه ابن أبي هالة قال وكان صلى الله عليه وسلم دائم البشر سهل
الخلق لين الجانب ليس بفظ ولا غليظ ولا صخاب ولا فحاش ولا عياب ولا مداح
يتغافل عما لا يشتهي ولا يؤيس منه وقال الله تعالى فبما رحمة من الله لنت
لهم ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك وقال تعالى ادفع بالتي هي

صخاب

أحسن

أحسن الإجابة وكان يجيب صلى الله عليه وسلم من دعاه ويقبل الهدية ولو كانت كراعا
ويكافئ عليها وقال أنس رضي الله عنه خدمت رسول الله صلى الله عليه وسلم
عشر سنين فما قال لي أف قط وما قال لشيء صنعته لم صنعته ولا لشيء تركته
لم تركته وعن عائشة رضي الله عنها ما كان أحد أحسن خلقا من رسول الله
صلى الله عليه وسلم ما دعاه أحد من أصحابه ولا أهل بيته إلا قال لبيك وقال
جرير بن عبد الله ما حجبني رسول الله صلى الله عليه وسلم منذ أسلمت ولا رآني
إلا تبسم وكان يمازح أصحابه ويخالطهم ويحادثهم ويداعب صبيانهم
ويجلسهم في حجره ويجيب دعوة العبد والحر والأمة والمسكين ويعود المرضى
في أقصى المدينة ويقبل عذر المعتذر وقال أنس رضي الله عنه ما التقم
أحد أذن رسول الله صلى الله عليه وسلم فينحي رأسه حتى يكون الرجل هو الذي
ينحي رأسه وما أخذ أحد بيده فيرسل يده حتى يرسلها الآخر ولم ير مقدما
ركبتيه بين يدي جليس له وكان يبدأ من لقيه بالسلام ويبدأ أصحابه بالمصافحة
ولم ير قط مادا رجليه بين أصحابه حتى يضيق بهما على أحد يكرم من يدخل
عليه وربما بسط له ثوبه ويؤثره بالوسادة التي تحته ويعزم عليه في الجلوس
عليها إن أبى ويكني أصحابه ويدعوهم بأحب أسمائهم تكرمة لهم ولا يقطع
على أحد حديثه حتى يتجوز فيقطعه بنهي أو قيام ويروى بانتهاء أو قيام
وروي أنه صلى الله عليه وسلم كان لا يجلس إليه أحد وهو يصلي إلا خفف
صلاته وسأله عن حاجته فإذا فرغ عاد إلى صلاته وكان أكثر الناس تبسما
وأطيبهم نفسا ما لم ينزل عليه قرآن أو يعظ أو يخطب وقال عبد الله بن الحارث
ما رأيت أحدا أكثر تبسما من رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن أنس رضي الله
عنه كان خدم المدينة يأتون رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا صلى الغداة

حـ التي

حـ الأخذ

بآنيتهم فيها الماء فما يؤتى بإناء إلا غمس يده فيها وربما كان ذلك في الغداة الباردة بذلك
يريدون به التبرك فصل وأما الشفقة والرأفة والرحمة لجميع الخلق
فقد قال الله فيه صلى الله عليه وسلم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين
رؤوف رحيم وقال تعالى وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين وقال بعضهم من
فضله عليه السلام أن الله تعالى أعطاه اسمين من أسمائه فقال بالمؤمنين رؤوف
رحيم وحكى نحوه الإمام أبو بكر بن فورك حدثنا الفقيه أبو محمد عبد الله بن محمد
الخشني بقراءتي عليه حدثنا إمام الحرمين أبو علي الطبري حدثنا عبد الغافر الفارسي
حدثنا أبو أحمد الجلودي حدثنا إبراهيم بن سفيان حدثنا مسلم بن الحجاج حدثنا
أبو الطاهر أخبرنا ابن وهب أخبرنا يونس عن ابن شهاب قال غزا رسول الله صلى الله
عليه وسلم غزوة وذكر حنينا قال فأعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم صفوان
بن أمية مائة من النعم ثم مائة ثم مائة قال ابن شهاب حدثني سعيد بن المسيب
أن صفوان قال والله لقد أعطاني ما أعطاني وإنه لأبغض الخلق إلي فما زال
يعطيني حتى إنه لأحب الخلق إلي وروي أن أعرابيا جاءه يطلب منه شيئا فأعطاه
ثم قال أحسنت إليك قال الأعرابي لا ولا أجملت فغضب المسلمون وقاموا إليه
فأشار إليهم أن كفوا ثم قام ودخل منزله فأرسل إليه وزاده شيئا ثم قال
أحسنت إليك قال نعم فجزاك الله من أهل وعشيرة خيرا فقال له النبي صلى الله عليه
نفسي
وسلم إنك قلت ما قلت وفي نفس أصحابي من ذلك شيء فإن أحببت فقل بين أيديهم
ما قلت بين يدي حتى يذهب ما في صدورهم عليك قال نعم فلما كان الغد
أو العشي جاء فقال صلى الله عليه وسلم إن هذا الأعرابي قال ما قال فزدناه فزعم
أنه رضي أكذلك قال نعم فجزاك الله من أهل وعشيرة خيرا فقال صلى الله عليه وسلم
مثلي ومثل هذا مثل رجل له ناقة شردت عليه فاتبعها الناس فلم يزيدوها إلا

نفورا

نفور فإذا هو صاحبها خلّوا بيني وبين ناقتي فإني أرفق بها منكم وأعلم
فتوجّه لها بين يديها فأخذ لها من قُمام الأرض فردّها حتى جاءت واستناخت وشدّ
عليها رحلها واستوى عليها وإني لو تركتكم حيث قال الرجل ما قال فقتلتموه دخل
النار. وروي عنه صلى الله عليه وسلم قال لا يبلغني أحد منكم عن أحد من
أصحابي شيئاً فإني أحب أن أخرج إليكم وأنا سليم الصدر ومن شفقته على أمته
صلى الله عليه وسلم تخفيفه وتسهيله عليهم وكراهته أشياء مخافة أن تفرض
عليهم كقوله صلى الله عليه وسلم لولا أن أشق على أمتي لأمرتهم بالسواك مع كل
وضوء وخبر صلاة الليل ونهيهم عن الوصال وكراهته دخول الكعبة لئلا تعنت
أمته ورغبته لربه أن يجعل سبّه ولعنه لهم رحمة بهم وأنه كان يسمع بكاء الصبي
فيتجوز في صلاته ومن شفقته صلى الله عليه وسلم أن دعا ربه وعاهده فقال
أيما رجل سببته أو لعنته فاجعل ذلك له زكاة ورحمة وصلاة وطهوراً وقربة
تقربه بها إليك يوم القيامة. ولما كذبه قومه أتاه جبريل فقال له إن الله تعالى
قد سمع قول قومك لك وما ردوا عليك وقد أمر ملك الجبال لتأمره بما شئت
فيهم فناداه ملك الجبال وسلم عليه وقال له مرني بما شئت إن شئت أن أطبق
عليهم الأخشبين قال النبي صلى الله عليه وسلم بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم
من يعبد الله وحده ولا يشرك به شيئاً وروى ابن المنكدر أن جبريل عليه
السلام قال للنبي صلى الله عليه وسلم إن الله تعالى أمر السماء والأرض والجبال
أن تطيعك فقال أؤخر عن أمتي لعل الله أن يتوب عليهم قالت عائشة
رضي الله عنها ما خيّر رسول الله صلى الله عليه وسلم بين أمرين إلا اختار أيسرهما
وقال ابن مسعود رضي الله عنه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتخوّلنا بالموعظة
مخافة السآمة علينا وعن عائشة رضي الله عنها أنها ركبت بعيراً وفيه صعوبة

وحاسبه
خ
إلى يوم القيامة

فجعلت تردده فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم عليك بالرفق فصل
وأما خلقه صلى الله عليه وسلم في الوفاء وحسن العهد وصلة الرحم حدثنا
القاضي أبو عامر محمد بن إسماعيل بقراءتي عليه قال حدثنا أبو بكر محمد بن محمد حدثنا
أبو إسحاق الحبال حدثنا أبو محمد بن النحاس أخبرنا ابن الأعرابي أخبرنا أبو داود
حدثنا محمد بن يحيى حدثنا محمد بن سنان حدثنا إبراهيم بن طهمان عن بديل عن
عبد الكريم بن عبد الله بن شقيق عن أبيه عن عبد الله بن أبي الحمساء بايعت النبي
صلى الله عليه وسلم ببيع قبل أن يبعث وبقيت له بقية فوعدته أن آتيه بها
في مكانه فنسيت ثم ذكرت بعد ثلاث فجئت فإذا هو في مكانه فقال يا فتى
لقد شققت علي أنا هاهنا منذ ثلاث أنتظرك وعن أنس رضي الله عنه كان
النبي صلى الله عليه وسلم إذا أتي بهدية قال اذهبوا بها إلى بيت فلانة فإنها
كانت صديقة لخديجة إنها كانت تحب خديجة وعن عائشة رضي الله عنها
قالت ما غرت على امرأة ما غرت على خديجة لما كنت أسمعه يذكرها وإن كان
ليذبح الشاة فيهديها إلى خلائلها واستأذنت عليه أختها فارتاح إليها
ودخلت عليه امرأة فهش لها وأحسن السؤال عنها فلما خرجت قال إنها كانت
تأتينا أيام خديجة وإن حسن العهد من الإيمان • ووصفه بعضهم فقال كان
يصل ذوي رحمه من غير أن يؤثرهم على من هو أفضل منهم وقال صلى الله عليه وسلم
إن آل أبي فلان ليسوا لي بأولياء غير أن لهم رحما سأبلها ببلالها وقد صلى
عليه السلام بأمامة ابنة ابنته زينب يحملها على عاتقه فإذا سجد وضعها
وإذا قام حملها وعن أبي قتادة رضي الله عنه قال وفد وفد للنجاشي فقام
النبي صلى الله عليه وسلم يخدمهم فقال له أصحابه نكفيك فقال إنهم كانوا
لأصحابنا مكرمين وإني أحب أن أكافئهم • ولما جيء بأخته من الرضاعة الشيماء

سبي

في سبايا هوازن وتعرفت له بسط لها رداءه وقال لها إن أحببت أقمت عندي
مكرمة محببة أو متعتك ورجعت إلى قومك فاختارت قومها فمتعها وقال
أبو الطفيل رأيت النبي صلى الله عليه وسلم وأنا غلام إذ أقبلت امرأة حتى دنت
منه فبسط لها رداءه فجلست عليه فقلت من هذه قالوا أمه التي أرضعته
وعن عمرو بن السائب رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان جالسا
يوما فأقبل أبوه من الرضاعة فوضع له بعض ثوبه فقعد عليه ثم أقبلت أمه
فوضع لها شق ثوبه من جانبه الآخر فجلست عليه ثم أقبل أخوه من الرضاعة
فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فأجلسه بين يديه وكان يبعث إلى ثويبة
مولاة أبي لهب مرضعته بصلة وكسوة فلما ماتت سأل صلى الله عليه وسلم من بقي
من قرابتها فقيل لا أحد وفي حديث خديجة رضي الله عنها أنها قالت له صلى الله
عليه وسلم أبشر فوالله لا يخزيك الله أبدا إنك لتصل الرحم وتحمل الكل وتكسب
المعدوم وتقري الضيف وتعين على نوائب الحق فصل وأما تواضعه صلى الله
عليه وسلم على علو منصبه ورفعة رتبته فكان أشد الناس تواضعا وأقلهم كبرا
وحسبك أنه صلى الله عليه وسلم خير بين أن يكون نبيا ملكا أو نبيا عبدا فاختار أن
يكون نبيا عبدا فقال له إسرافيل عند ذلك فإن الله قد أعطاك بما تواضعت له
أنك سيد آدم يوم القيمه وأول من تنشق عنه الأرض وأول شافع حدثنا أبو الوليد (ولد)
ابن العواد الفقيه رحمه الله بقراءتي عليه في منزله بقرطبة سنة سبع وخمسمائة (مطلب)
قال أخبرنا أبو علي الحافظ حدثنا أبو عمر حدثنا ابن عبد المؤمن حدثنا ابن داسة حدثنا
أبو داود حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة حدثنا عبد الله بن نمير عن مسعر عن أبي العنبس
عن أبي العدبس عن أبي مرزوق عن أبي غالب عن أبي أمامة رضي الله عنه قال خرج
علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم متوكئا على عصا فقمنا له فقال لا تقوموا كما

يقوم الأعاجم يعظم بعضها بعضا وقال إنما أنا عبد آكل كما يأكل العبد وأجلس
كما يجلس العبد وكان صلى الله عليه وسلم يركب الحمار ويردف خلفه ويعود
المساكين ويجالس الفقراء ويجيب دعوة العبد ويجلس بين أصحابه رضي الله عنهم
مختلطا بهم حيث ما انتهى به المجلس جلس وفي حديث عمر رضي الله عنه عنه
صلى الله عليه وسلم لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم إنما أنا عبد فقولوا
عبد الله ورسوله وعن أنس رضي الله عنه أن امرأة كان في عقلها شيء جاءته
فقالت إن لي إليك حاجة قال اجلسي يا أم فلان في أي طرق المدينة شئت
أجلس إليك حتى أقضي حاجتك قال فجلست فجلس النبي صلى الله عليه وسلم إليها
حتى فرغت من حاجتها وقال أنس كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يركب الحمار
ويجيب دعوة العبد وكان يوم بني قريظة على حمار مخطوم بحبل من ليف عليه
إكاف … وكان يدعى إلى خبز الشعير والإهالة السنخة فيجيب قال
وحج النبي صلى الله عليه وسلم على رحل رث وعليه قطيفة ما تساوي أربعة دراهم
فقال اللهم اجعله حجا لا رياء فيه ولا سمعة وقد فتحت عليه الأرض صلى الله
عليه وسلم وأهدى في حجه ذلك مائة بدنة ولما فتحت عليه مكة ودخلها
بجيوش المسلمين طأطأ على رحله رأسه حتى كاد يمس قادمته تواضعا لله تعالى
ومن تواضعه صلى الله عليه وسلم قوله لا تفضلوني على يونس بن متى ولا تفضلوا
بين الأنبياء ولا تخيروني على موسى ونحن أحق بالشك من إبراهيم ولو لبثت ما
لبث يوسف في السجن لأجبت الداعي وقال للذي قال له يا خير البرية ذاك
إبراهيم وسيأتي الكلام على هذه الأحاديث بعد هذا إن شاء الله تعالى وعن
عائشة والحسن وأبي سعيد وغيرهم رضي الله عنهم في صفته وبعضهم يزيد على بعض
كان في بيته في مهنة أهله يفلي ثوبه ويحلب شاته ويرقع ثوبه ويخصف نعله

ويخدم مهنته ويقمّ البيت ويعقل البعير ويعلف ناضحه ويأكل مع الخادم ويعجن
معها ويحمل بضاعته من السوق. وعن أنس رضي الله عنه إن كانت الأمة
من إماء أهل المدينة لتأخذ بيد رسول الله صلى الله عليه وسلم فتنطلق به حيث
شاءت حتى يقضي حاجتها. ودخل عليه رجل فأصابته من هيبته رعدة فقال
له هوّن عليك فإني لست بملك إنما أنا ابن امرأة من قريش تأكل القديد. وعن
أبي هريرة رضي الله عنه دخلت السوق مع النبي صلى الله عليه وسلم فاشترى سراويل
وقال للوزان زن وأرجح وذكر القصة قال فوثب إلى يد النبي صلى الله عليه وسلم
يقبلها فجذب يده صلى الله عليه وسلم وقال هذا تفعله الأعاجم بملوكها
ولست بملك إنما أنا رجل منكم ثم أخذ السراويل فذهبت لأحمله فقال صلى الله
عليه وسلم صاحب الشيء أحق بشيئه أن يحمله. فصل وأما عدله صلى الله عليه
وسلم وأمانته وعفته وصدق لهجته فكان صلى الله عليه وسلم آمن الناس
وأعدل الناس وأعف الناس وأصدقهم لهجة منذ كان اعترف له بذلك
محادّوه وعداه. وكان يسمى قبل نبوته الأمين قال ابن إسحاق كان يسمى الأمين
بما جمع الله فيه من الأخلاق الصالحة. وقال تعالى مطاع ثم أمين أكثر
المفسرين على أنه محمد صلى الله عليه وسلم. ولما اختلفت قريش وتحازبت عند بناء
الكعبة فيمن يضع الحجر حكّموا أول داخل عليهم فإذا بالنبي صلى الله عليه وسلم
داخل وذلك قبل نبوته صلى الله عليه وسلم فقالوا هذا محمد هذا الأمين قد
رضينا به. وعن الربيع بن خثيم كان يتحاكم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم
في الجاهلية قبل الإسلام وقال صلى الله عليه وسلم والله إني لأمين في السماء
أمين في الأرض. حدثنا أبو علي الصدفي الحافظ بقراءتي عليه حدثنا أبو الفضل
ابن خيرون حدثنا أبو يعلى بن زوج الحرة حدثنا أبو علي السنجي حدثنا محمد

ابن محبوب المروزي حدثنا ابو عيسى الحافظ حدثنا ابو كريب حدثنا معوية
ابن هشام عن سفين عن ابي اسحق عن ناجية بن كعب عن علي رضي الله عنه ان
ابا جهل قال للنبي صلى الله عليه وسلم انا لا نكذبك ولكن نكذب بما جئت به
فانزل الله تعالى فانهم لا يكذبونك ويروى لا يكذبونك وما انت فينا بمكذب
وقيل ان الاخنس بن شريق لقي ابا جهل يوم بدر فقال له يا ابا الحكم ليس
هنا غيري وغيرك يسمع كلامنا تخبرني عن محمد صادق ام كاذب فقال ابو جهل
والله ان محمدا لصادق وما كذب محمد قط وسأل زهير بن فلان عنه ابا سفين فقال
هل كنتم تتهمونه بالكذب قبل ان يقول ما قال قال لا وقال النضر بن الحرث
لقريش قد كان محمد فيكم غلاما حدثا ارضاكم فيكم واصدقكم حديثا
واعظمكم امانة حتى اذا رأيتم في صدغيه الشيب وجاءكم بما جاءكم به قلتم
ساحر لا والله ما هو بساحر وفي الحديث عنه ما مست يده امرأة قط
لا يملك رقها وفي حديث علي رضي الله عنه في وصفه عليه الصلوة والسلام اصدق
الناس لهجة وقال في الصحيح ويحك من يعدل ان لم اعدل خبت وخسرت
ان لم اعدل قالت عائشة رضي الله عنها ما خير رسول الله صلى الله عليه وسلم
في امرين الا اختار ايسرهما ما لم يكن اثما فان كان اثما كان ابعد الناس منه
قال ابو العباس المبرد قسم كسرى اياما فقال يصلح يوم الريح للنوم ويوم
الغيم للصيد ويوم المطر للشرب واللهو ويوم الشمس للحوائج قال ابن خالويه
ما كان اعرفهم بسياسة دنياهم يعلمون ظاهرا من الحيوة الدنيا وهم عن
الآخرة هم غافلون ولكن نبينا صلى الله عليه وسلم جزأ نهاره ثلثة اجزاء
جزأ لله تعالى وجزأ لاهله وجزأ لنفسه ثم جزأ جزأه بينه وبين الناس وكان
صلى الله عليه وسلم يستعين بالخاصة على العامة ويقول ابلغوا حاجة من لا يستطيع

ابلاغي

الداعي فانه من ابلغ حاجة من لا يستطيع ابلاغها امنه الله يوم الفزع الاكبر وعن الحسن
رضي الله عنه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا ياخذ احدا بقرف احد ولا يصدق
احدا على احد • ذكر ابو جعفر الطبري عن علي رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم
ما هممت بشيء مما كان اهل الجاهلية يعملون به غير مرتين كل ذلك يحول الله بيني
وبين ما اريد من ذلك ثم ما هممت بسوء حتى اكرمني الله برسالته • قلت ليلة
لغلام كان يرعى معي لو ابصرت لي غنمي حتى ادخل مكة فاسمر بها كما يسمر الشباب
فخرجت لذلك حتى جئت اول دار من مكة سمعت عزفا بالدفوف والمزامير
لعرس بعضهم فجلست انظر فضرب على اذني فنمت فما ايقظني الا مس الشمس فرجعت
ولم اقض شيئا • ثم عراني مرة اخرى مثل ذلك ثم لم اهم بعد ذلك بسوء • فصل
وامّا وقاره صلى الله عليه وسلم وصمته وتؤدته ومروته وحسن هديه فحدثنا
ابو علي الجياني الحافظ اجازة وعارضت بكتابه • قال حدثنا ابو العباس الدلائي
حدثنا ابو ذر الهروي اخبرنا ابو عبد الله الوراق اخبرنا اللؤلؤي حدثنا ابو داود •
حدثنا عبد الرحمن بن سلام حدثنا حجاج بن محمد عن عبد الرحمن بن ابي الزناد عن
عمر بن عبد العزيز بن وهب قال سمعت خارجة بن زيد يقول كان النبي صلى الله
عليه وسلم اوقر الناس في مجلسه لا يكاد يخرج شيئا من اطرافه • وروى ابو سعيد
الخدري رضي الله عنه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا جلس في المجلس
احتبى بيديه • وكذلك كان اكثر جلوسه صلى الله عليه وسلم محتبيا • وعن جابر بن
سمرة رضي الله عنه انه تربع وربما جلس القرفصاء وهو في حديث قيلة • وكان
صلى الله عليه وسلم كثير السكوت لا يتكلم في غير حاجة يعرض عمن تكلم بغير جميل
وكان صلى الله عليه وسلم ضحكه تبسما وكلامه فصلا لا فضول ولا تقصير • وكان
ضحك اصحابه عنده التبسم توقيرا له واقتداء به • مجلسه مجلس حلم وحياء وخير

وأمانةٍ لا ترفع فيه الأصوات ولا تؤبن فيه الحرم إذا تكلم أطرق جلساؤه
كأنما على رؤوسهم الطير. وفي صفته صلى الله عليه وسلم يخطو تكفؤًا ويمشي هونًا
كأنما ينحط من صبب. وفي الحديث الآخر إذا مشى مشى مجتمعًا يعرف في مشيه
أنه غير غرض ولا وكل أي غير ضجر ولا كسلان. وقال عبد الله بن مسعود
رضي الله عنه إن أحسن الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم. وعن جابر بن
عبد الله رضي الله عنهما كان في كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم ترتيل أو
ترسيل. قال ابن أبي هالة كان سكوته صلى الله عليه وسلم على أربع على
الحلم والحذر والتقدير والتفكر. قالت عائشة رضي الله عنها كان رسول الله
صلى الله عليه وسلم يحدث حديثًا لو عده العاد أحصاه. وكان صلى الله عليه
وسلم يحب الطيب والرائحة الحسنة ويستعملهما كثيرًا ويحض عليهما ويقول
صلى الله عليه وسلم حبب إلي من دنياكم النساء والطيب وجعلت قرة عيني في
الصلاة. ومن مروءته صلى الله عليه وسلم نهيه عن النفخ في الطعام والشراب
والأمر بالأكل مما يلي والأمر بالسواك وإنقاء البراجم والرواجب واستعمال
خصال الفطرة. فصل وأما زهده في الدنيا فقد تقدم من الأخبار
أثناء هذه السيرة ما يكفي. وحسبك من تقلله منها وإعراضه عن زهرتها
وقد سيقت إليه صلى الله عليه وسلم بحذافيرها وترادفت عليه فتوحها أن
توفي صلى الله عليه وسلم ودرعه مرهونة عند يهودي في نفقة عياله وهو
يدعو ويقول اللهم اجعل رزق آل محمد قوتًا. حدثنا سفيان بن العاصي والحسين بن محمد
قالا حدثنا القاضي أبو عبد الله التميمي قال حدثنا أحمد بن عمر قال حدثنا أبو العباس
الرازي قال حدثنا أبو أحمد الجلودي حدثنا ابن سفيان حدثنا أبو الحسين بن الحجاج
حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة حدثنا أبو معاوية عن الأعمش عن إبراهيم عن الأسود

عن عائشة

عن عائشة رضي الله عنها قالت ما شبع رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة أيام
تباعا من خبز حتى مضى لسبيله وفي رواية أخرى ما شبع آل رسول الله صلى الله
عليه وسلم من خبز بر حتى لقي الله تعالى وفي رواية أخرى من خبز شعير يومين
متواليين ولو شاء لأعطاه الله ما لا يخطر ببال وقالت عائشة رضي الله عنها
ما ترك رسول الله صلى الله عليه وسلم دينارا ولا درهما ولا شاة ولا بعيرا
وفي حديث عمرو بن الحارث ما ترك إلا سلاحه وبغلته وأرضا جعلها صدقة
قالت عائشة رضي الله عنها ولقد مات وما في بيتي شيء يأكله ذو كبد إلا
شطر شعير في رف لي وقال النبي صلى الله عليه وسلم إني عرض علي أن يجعل لي
بطحاء مكة ذهبا فقلت لا يا رب أجوع يوما وأشبع يوما فأما اليوم الذي
أجوع فيه فأتضرع إليك وأدعوك وأما اليوم الذي أشبع فيه فأحمدك
وأثني عليك وفي حديث آخر أن جبريل عليه السلام نزل عليه فقال له إن
الله تعالى يقرئك السلام ويقول لك أتحب أن أجعل هذه الجبال ذهبا وتكون
معك حيث ما كنت فأطرق صلى الله عليه وسلم ساعة ثم قال يا جبريل إن الدنيا
دار من لا دار له ومال من لا مال له يجمعها من لا عقل له فقال له جبريل
عليه السلام ثبتك الله يا محمد بالقول الثابت وعن عائشة رضي الله عنها
قالت إن كنا آل محمد لنمكث شهرا ما نستوقد بنارا إن هو إلا التمر والماء
وعن عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه … رسول الله صلى الله عليه وسلم
ولم يشبع هو وأهل بيته من خبز الشعير وعن عائشة رضي الله عنها وأبي أمامة
وابن عباس رضي الله عنهم نحوه قال ابن عباس رضي الله عنهما كان رسول الله
صلى الله عليه وسلم يبيت هو وأهله الليالي المتتابعة طاويا لا يجدون عشاء
وعن أنس رضي الله عنه قال ما أكل رسول الله صلى الله عليه وسلم على خوان

ولا في شكوى حجة ولا خُبزَ له موقوف ولا رأى شاةً سميطًا قط وعن عائشة رضي الله عنها
إنما كان فراشه الذي ينام عليه أدَمًا حشوه ليف وعن حفصة رضي الله عنها
قالت كان فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم في بيتي مِسْحًا نثنيه ثنيتين فينام
عليه فثنيناه له ليلة بأربع فلما أصبح قال ما فرشتموني الليلة فذكرنا ذلك له
فقال ردّوه بحاله فإن وطأته منعتني الليلة صلاتي وكان صلى الله عليه وسلم
ينام أحيانًا على سرير مرمول بشريط حتى يؤثر في جنبه وعن عائشة رضي الله
عنها قالت لم يمتلئ جوف النبي صلى الله عليه وسلم شبعًا قط ولم يبث شكوى إلى
أحد وكانت الفاقة أحب إليه من الغنى وإن كان ليظل جائعًا يلتوي طول
ليلته من الجوع فلا يمنعه صيام يومه ولو شاء سأل ربه جميع كنوز الأرض
وثمارها ورغد عيشها ولقد كنت أبكي له رحمة مما أرى به وأمسح بيدي على بطنه
مما به من الجوع وأقول نفسي لك الفداء لو تبلغت من الدنيا بما يقوتك فيقول يا عائشة
ما لي وللدنيا إخواني من أولي العزم من الرسل صبروا على ما هو أشد من هذا
فمضوا على حالهم فقدموا على ربهم فأكرم مآبهم وأجزل ثوابهم فأجدني
أستحيي إن ترفهت في معيشتي أن يقصر بي غدًا دونهم وما من شيء هو أحب
إليّ من اللحوق بإخواني وأخلائي قالت فما أقام بعد إلا أشهرًا حتى توفي صلى الله
عليه وسلم فصل وأما خوفه ربه عز وجل وطاعته له وشدة عبادته فعلى
قدر علمه بربه ولذلك ما حدثنا أبو محمد بن عتاب قراءة مني عليه
قال حدثنا أبو القاسم الطرابلسي حدثنا أبو الحسن القابسي حدثنا أبو زيد
المروزي حدثنا أبو عبد الله الفربري حدثنا محمد بن إسماعيل حدثنا يحيى بن
بكير عن الليث عن عقيل عن ابن شهاب عن سعيد بن المسيب أن أبا هريرة رضي الله عنه
كان يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا

ولبكيتم كثيرا وزاد في رواية عن أبي عيسى الترمذي يرفعه إلى أبي ذر إني
أرى ما لا ترون وأسمع ما لا تسمعون أطت السماء وحق لها أن تئط ما فيها موضع
أربع أصابع إلا وملك واضع جبهته ساجدا لله والله لو تعلمون ما أعلم
لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا وما تلذذتم بالنساء على الفرش ولخرجتم إلى الصعدات
تجأرون إلى الله لوددت أني شجرة تعضد روي هذا الكلام وددت أني شجرة
تعضد من قول أبي ذر نفسه وهو أصح وفي حديث المغيرة صلى رسول الله صلى الله
عليه وسلم حتى انتفخت قدماه وفي رواية كان يصلي حتى ترم قدماه فقيل له
أتكلف هذا وقد غفر لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر فقال أفلا أكون عبدا
شكورا ونحوه عن أبي سلمة وأبي هريرة وقالت عائشة رضي الله عنها كان عمل
رسول الله صلى الله عليه وسلم ديمة وأيكم يطيق ما كان يطيق وقالت كان
يصوم حتى نقول لا يفطر ويفطر حتى نقول لا يصوم ونحوه عن ابن عباس وأم سلمة
وأنس رضي الله عنهم وقال كنت لا تشاء أن تراه من الليل مصليا إلا رأيته
مصليا ولا نائما إلا رأيته نائما وقال عوف بن مالك كنت مع رسول الله صلى الله
عليه وسلم ليلة فاستاك ثم توضأ ثم قام يصلي فقمت معه فبدأ فاستفتح
البقرة فلا يمر بآية رحمة إلا وقف فسأل ولا يمر بآية عذاب إلا وقف فتعوذ
ثم ركع فمكث بقدر قيامه يقول سبحان ذي الجبروت والملكوت والعظمة
ثم سجد وقال مثل ذلك ثم قرأ آل عمران ثم سورة سورة يفعل مثل ذلك
وعن حذيفة مثله وقال سجد نحوا من قيامه وجلس بين السجدتين نحوا منه
وقال حتى قرأ البقرة وآل عمران والنساء والمائدة وعن عائشة رضي الله عنها
قام رسول الله صلى الله عليه وسلم بآية من القرآن ليلة وعن عبد الله بن الشخير
أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يصلي ولجوفه أزيز كأزيز المرجل

قال ابن أبي هالة كان صلى الله عليه وسلم متواصل الأحزان دائم الفكرة ليست له
راحة وقال عليه الصلوة والسلام إني لأستغفر الله في اليوم مائة مرة وروي
سبعين مرة وعن علي رضي الله عنه قال سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن
سنته فقال المعرفة رأس مالي والعقل أصل ديني والحب أساسي والشوق مركبي
وذكر الله أنيسي والثقة كنزي والحزن رفيقي والعلم سلاحي والصبر ردائي
والرضى غنيمتي والعجز فخري والزهد حرفتي واليقين قوتي والصدق شفيعي
والطاعة حسبي والجهاد خلقي وقرة عيني في الصلاة وفي حديث آخر وثمرة
فؤادي في ذكره وغمي لأجل أمتي وشوقي إلى ربي فصل اعلم وفقنا الله
وإياك أن صفات جميع الأنبياء والرسل صلوات الله عليهم أجمعين من كمال
الخلق وحسن الصورة وشرف النسب وحسن الخلق وجميع المحاسن هي هذه
الصفة لأنها صفات الكمال والكمال والتمام البشري والفضل الجميع لهم
صلوات الله وسلامه عليهم إذ رتبتهم أشرف الرتب ودرجاتهم أرفع الدرجات
ولكن فضل الله بعضهم على بعض قال الله تعالى تلك الرسل فضلنا بعضهم
على بعض وقال تعالى ولقد اخترناهم على علم على العالمين وقد قال عليه
الصلوة والسلام إن أول زمرة يدخلون الجنة على صورة القمر ليلة البدر
ثم قال آخر الحديث على خلق رجل واحد على صورة أبيهم آدم عليه السلام طوله
ستون ذراعا في السماء وفي حديث أبي هريرة رضي الله عنه رأيت موسى فإذا
ضرب رجل كأنه من رجال شنوءة ورأيت عيسى فإذا هو رجل ربعة كثير
خيلان الوجه أحمر كأنما خرج من ديماس وفي حديث آخر مبطن من الشعف
قال صلى الله عليه وسلم وأنا أشبه ولد إبراهيم به وقال في حديث آخر
في صفة موسى كأحسن ما أنت راء من أدم الرجال وفي حديث أبي هريرة عنه

صلى الله عليه وسلم ما بعث الله من بعد لوط نبيا الا في ذروة من قومه ويروي في
ثروة اي كثرة ومنعة وحكى الترمذي عن قتادة ورواه الدارقطني من حديث
قتادة عن انس ما بعث الله نبيا الا حسن الوجه حسن الصوت وكان نبيكم
صلى الله عليه وسلم احسنهم وجها واحسنهم صوتا وفي حديث هرقل وسالتك
عن نسبه فذكرت انه فيكم ذو نسب وكذلك الرسل تبعث في انساب قومها
وقال تعالى في ايوب عليه السلام انا وجدناه صابرا نعم العبد انه اواب
وقال تعالى يا يحيى خذ الكتاب بقوة الى قوله ويوم يبعث حيا وقال تعالى ان الله
يبشرك بيحيى الى الصالحين وقال تعالى ان الله اصطفى ادم ونوحا الايتين
وقال في نوح انه كان عبدا شكورا وقال تعالى ان الله يبشرك بكلمة منه اسمه
المسيح الايتين وقال اني عبد الله اتاني الكتاب الايتين وقال تعالى يا ايها الذين
امنوا لا تكونوا كالذين اذوا موسى الاية وقال النبي صلى الله عليه وسلم كان
موسى رجلا حييا ستيرا ما يرى من جلده شيء استحيا الحديث وقال تعالى
عنه فوهب لي ربي حكما وجعلني من المرسلين وقال في وصف جماعة منهم
اني لكم رسول امين وقال ان خير من استاجرت القوي الامين وقال فاصبر
كما صبر اولوا العزم من الرسل وقال تعالى ووهبنا له اسحق ويعقوب كلا
هدينا الى قوله فبهداهم اقتده فوصفهم باوصاف جمة من الصلاح والهدى
والاجتباء والحكم والنبوة وقال تعالى فبشرناه بغلام عليم وحليم وقال تعالى
ولقد فتنا قبلهم قوم فرعون وجاءهم رسول كريم الى قوله امين وقال
ستجدني ان شاء الله من الصابرين وقال في اسمعيل انه كان صادق الوعد
الايتين وفي موسى انه كان مخلصا وفي سليمن نعم العبد انه اواب وقال
واذكر عبادنا ابرهيم واسحق ويعقوب الى الاخيار وفي داود انه اواب

ثم قال وشددنا ملكه الآية. وقال عن يوسف اجعلني على خزائن الأرض الآية
وفي موسى ستجدني إن شاء الله صابرا. وقال عن شعيب عليه السلام ستجدني
إن شاء الله من الصالحين. وقال وما أريد أن أخالفكم إلى ما أنهاكم عنه
إن أريد إلا الإصلاح ما استطعت الآية. وقال ولوطا آتيناه حكما وعلما
وقال إنهم كانوا يسارعون في الخيرات الآية. وقال سفيان هو الحزن الدائم في آي
كثيرة. ذكر منها من خصالهم ومحاسن أخلاقهم الدالة على كمالهم. وجاء من ذلك
في الأحاديث كثير كقوله إنما الكريم ابن الكريم ابن الكريم ابن الكريم يوسف بن يعقوب
بن إسحق بن إبرهيم نبي ابن نبي ابن نبي ابن نبي. وفي حديث أنس رضي الله عنه
وكذلك الأنبياء تنام أعينهم ولا تنام قلوبهم. وروي أن سليمان عليه السلام
كان مع ما أعطي من الملك لا يرفع بصره إلى السماء تخشعا وتواضعا لله تعالى
وكان يطعم الناس لذائذ الأطعمة ويأكل خبز الشعير. وأوحي إليه يا رأس العابدين
وابن محجة الزاهدين. وكانت العجوز تعترضه وهو على الريح في جنوده فيأمر الريح
فتقف فينظر في حاجتها ويمضي. وقيل ليوسف عليه السلام ما لك تجوع وأنت
على خزائن الأرض فقال أخاف إن شبعت أن أنسى الجائع. وروى أبو هريرة عنه
عليه الصلوة والسلام خفف على داود عليه السلام القرآن فكان يأمر بدوابه
تسرج فيقرأ القرآن قبل أن تسرج ولا يأكل إلا من عمل يده. قال الله تعالى وألنا
له الحديد أن اعمل سابغات وقدر في السرد. وكان سأل ربه أن يرزقه عملا
بيده يغنيه عن بيت مال الله. وقال عليه السلام أحب الصلوة إلى الله صلوة
داود وأحب الصيام إلى الله صيام داود وكان ينام نصف الليل ويقوم ثلثه
وينام سدسه ويصوم يوما ويفطر يوما وكان يلبس الصوف ويفترش الشعر
ويأكل خبز الشعير بالملح والرماد ويمزج شرابه بالدموع ولم ير ضاحكا بعد

الخطيئة

الخطيئة ولا انتا جحضا ببصره الى السما حيا من ربه • ولم يرو انا ما كان عاينه كلها •
وقد بكى يحيى حتى نبت العشب من دموعه • وحتى اتخذت الدموع في خده اخدودا •
وقيل كان يخرج متنكرا ليتعرف سيرته فيسمع الثنا عليه فيزداد تواضعا •
وقيل لعيسى عليه السلام لو اتخذت حمارا قال انا اكرم على الله من ان يشغلني
بحمار • وكان يلبس الشعر وياكل الشجر ولم يكن له بيت اينما ادركه النوم نام • وكان
احب الاسامي اليه ان يقال له مسكين • وقيل ان موسى عليه السلام لما ورد ما
مدين كانت ترى خضرة البقل في بطنه من الهزال • وقال عليه السلام لقد كان
الانبيا قبلي يبتلى احدهم بالفقر والقمل • وكان ذلك احب اليهم من العطا اليكم •
وقال عيسى عليه السلام لخنزير اذهب بسلام • فقيل له في ذلك فقال اكره
ان اعود لساني النطق بسو • وقال مجاهد كان طعام يحيى العشب وكان يبكي
من خشية الله تعالى حتى اتخذ الدمع في خده مجرى • وكان ياكل مع الوحش
لئلا يخالط الناس • وحكى الطبري عن وهب ان موسى كان يستظل بعريش
وياكل في نقرة من حجر ويكرع فيها اذا اراد ان يشرب كما تكرع الدابة تواضعا
لله تعالى لما اكرمه به من كلامه • واخبارهم في هذا كله مسطورة • وصفاتهم
في الكمال وجميل الاخلاق وحسن الصور والشمائل معروفة مشهورة • فلا نطول
بها ولا تلتفت الى ما تجده في كتب بعض جهلة المورخين والمفسرين مما يخالف هذا

فصل قد اتيناك اكرمك الله من ذكر الاخلاق الحميدة • والفضائل المجيدة •
وخصال الكمال العديدة • واريناك صحتها له صلى الله عليه وسلم وجلبنا من الاثار
ما فيه مقنع • والامر اوسع فمجال هذا الباب في حقه صلى الله عليه وسلم ممتد تنقطع
دون نفاده الادلا • وبحر علم خصائصه زاخر لا تكدره الدلا • ولكنا اتينا فيه
بالمعروف مما اكثره في الصحيح والمشهور من المصنفات • واقتصرنا في ذلك بقل من كثر

وغيضٌ من فيض. ورأينا أن نختم هذه الفصول بحديث الحسن عن ابن أبي هالة
لجمعه من شمائله وأوصافه كثيرًا وإدماجه جملة كافية من سيره وفضائله
ونصله بتنبيه لطيف على غريبه ومشكله. حدثنا القاضي أبو علي الحسين بن محمد
الحافظ رحمه الله بقراءتي عليه سنة ثمان وخمسمائة قال حدثنا الإمام أبو القاسم
عبد الله بن طاهر التميمي قرأت عليه أخبركم الفقيه أبو عبد الله محمد بن أحمد بن
حسن الحذاء ثنا القاضي أبو يعلى الحسن بن علي بن جعفر الوخشي قالا حدثنا أبو
القاسم علي بن أحمد بن محمد بن الحسن الخزاعي قال أخبرنا أبو سعيد الهيثم بن كليب
الشاشي قال أخبرنا أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة الحافظ قال حدثنا سفين بن
وكيع حدثنا جميع بن عمر بن عبد الرحمن العجلي إملاء من كتابه قال حدثني رجل من
بني تميم من ولد أبي هالة زوج خديجة أم المؤمنين رضي الله عنها يكنى أبا عبد الله
عن ابن لأبي هالة عن الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم قال سألت خالي هند
ابن أبي هالة. قال القاضي أبو علي رحمه الله وقرأت على الشيخ أبي طاهر أحمد بن الحسن
ابن أحمد بن خداداد الكرجي الباقلاني قال ولجاز لنا الشيخ الأجل أبو الفضل
أحمد بن الحسن بن خيرون قالا أخبرنا أبو علي الحسن بن أحمد بن إبرهيم بن الحسن بن محمد
ابن شاذان بن حرب بن مهران الفارسي قراءة عليه فأقر به قال أخبرنا أبو محمد
الحسن بن محمد بن يحيى بن الحسن بن جعفر بن عبيد الله بن الحسين بن علي بن أبي طالب
رضي الله عنهم المعروف بابن أخي طاهر العلوي حدثنا إسمعيل بن محمد بن إسحق بن جعفر
ابن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم قال حدثني علي بن جعفر
ابن محمد بن علي بن الحسين عن أخيه موسى بن جعفر عن جعفر بن محمد عن أبيه محمد بن علي
عن علي بن الحسين قال قال الحسن بن علي واللفظ لهذا السند سألت خالي هند بن أبي
هالة عن حلية رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان وصافًا وأنا أرجو أن يصف

لي منها شيئا أتعلق به قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم فخما مفخما يتلألأ
وجهه تلألؤ القمر ليلة البدر أطول من المربوع وأقصر من المشذب عظيم الهامة
رجل الشعر إن انفرقت عقيقته فرق وإلا فلا يجاوز شعره شحمة أذنيه إذا هو وفره
أزهر اللون واسع الجبين أزج الحواجب سوابغ من غير قرن بينهما عرق يدره
الغضب أقنى العرنين له نور يعلوه يحسبه من لم يتأمله أشم كث اللحية أدعج
سهل الخدين ضليع الفم أشنب مفلج الأسنان دقيق المسربة كأن عنقه جيد
دمية في صفاء الفضة معتدل الخلق بادنا متماسكا سواء البطن والصدر
فسيح الصدر بعيد ما بين المنكبين ضخم الكراديس موصول ما بين اللبة والسرة
بشعر يجري كالخط عاري الثديين مما سوى ذلك أنور المتجرد أشعر الذراعين
والمنكبين وأعالي الصدر طويل الزندين رحب الراحة شثن الكفين والقدمين
سائل الأطراف أو قال شائل الأطراف وسائر الأطراف سبط القصب خمصان
الأخمصين مسيح القدمين ينبو عنهما الماء إذا زال زال تقلعا ويخطو تكفؤا
ويمشي هونا ذريع المشية إذا مشى كأنما ينحط من صبب وإذا التفت التفت
جميعا خافض الطرف نظره إلى الأرض أطول من نظره إلى السماء جل نظره الملاحظة
يسوق أصحابه ويبدأ من لقيه بالسلام صلى الله عليه وسلم قلت صف لي
منطقه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم متواصل الأحزان دائم الفكرة
ليست له راحة ولا يتكلم في غير حاجة طويل السكوت يفتتح الكلام ويختمه
بأشداقه ويتكلم بجوامع الكلم فصلا لا فضول فيه ولا تقصير دمثا ليس
بالجافي ولا المهين يعظم النعمة وإن دقت لا يذم منها شيئا لم يكن يذم ذواقا
ولا يمدحه ولا يقام لغضبه إذا تعرض للحق بشيء حتى ينتصر له ولا يغضب
لنفسه ولا ينتصر لها إذا أشار أشار بكفه كلها وإذا تعجب قلبها وإذا تحدث

اتصل بها فضرب بإبهامه اليمنى راحته اليسرى وإذا غضب أعرض وأشاح
وإذا فرح غض طرفه جل ضحكه التبسم ويفتر عن مثل حب الغمام قال الحسن
رضي الله عنه فكتمتها الحسين بن علي رضي الله عنهما زمانا ثم حدثته فوجدته
قد سبقني إليه فسأل أباه عن مدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم ومخرجه ومجلسه
وشكله فلم يدع منه شيئا قال الحسين رضي الله عنه سألت أبي عن دخول
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال كان دخوله لنفسه مأذونا له في ذلك
فكان إذا أوى إلى منزله صلى الله عليه وسلم جزأ دخوله ثلاثة أجزاء جزءا لله تعالى
وجزءا لأهله وجزءا لنفسه ثم جزأ جزأه بينه وبين الناس فيرد ذلك على العامة
بالخاصة ولا يدخر عنهم شيئا فكان من سيرته صلى الله عليه وسلم في جزء الأمة
إيثار أهل الفضل بإذنه وقسمه على قدر فضلهم في الدين فمنهم ذو الحاجة
ومنهم ذو الحاجتين ومنهم ذو الحوائج فيتشاغل بهم ويشغلهم فيما أصلحهم
والأمة من مسألته عنهم وإخبارهم بالذي ينبغي لهم ويقول ليبلغ الشاهد منكم
الغائب وأبلغوني حاجة من لا يستطيع إبلاغي حاجته فإنه من أبلغ سلطانا حاجة
من لا يستطيع إبلاغها ثبت الله قدميه يوم القيامة لا يذكر عنده إلا ذلك
ولا يقبل من أحد غيره قال في حديث سفين بن وكيع يدخلون روادا ولا يتفرقون
إلا عن ذواق ويخرجون أدلة يعني فقهاء قال فسألته عن مخرجه كيف كان
يصنع فيه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخزن لسانه إلا مما يعنيهم
ويؤلفهم ولا ينفرهم ويكرم كريم كل قوم ويوليه عليهم ويحذر الناس ويحترس
منهم من غير أن يطوي عن أحد بشره وخلقه ويتفقد أصحابه ويسأل الناس عما
في الناس ويحسن الحسن ويصوبه ويقبح القبيح ويوهنه معتدل الأمر غير
مختلف لا يغفل مخافة أن يغفلوا أو يملوا لكل حال عنده عتاد لا يقصر عن الحق

ذا لا يجاوزه إلى غيره. الذين يلونه من الناس خيارهم. أفضلهم عنده أعمهم
نصيحة. وأعظمهم عنده منزلة أحسنهم مواساة ومؤازرة. فسألته عن مجلسه
عما كان يصنع فيه. فقال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يجلس ولا يقوم
إلا على ذكر. ولا يوطن الأماكن وينهى عن إيطانها. وإذا انتهى إلى القوم جلس
حيث ينتهي به المجلس. ويأمر بذلك. ويعطي كل جلسائه نصيبه حتى لا يحسب
جليسه أن أحدا أكرم عليه منه. من جالسه أو قاومه لحاجة صابره حتى
يكون هو المنصرف عنه. من سأله حاجة لم يرده إلا بها أو بميسور من القول.
قد وسع الناس بسطه وخلقه فصار لهم أبا. وصاروا عنده في الحق متقاربين
متفاضلين فيه بالتقوى. وفي الرواية الأخرى صاروا في الحق عنده سواء. مجلسه
مجلس حلم وحياء وصبر وأمانة. لا ترفع فيه الأصوات. ولا تؤبن فيه الحرم.
ولا تنثى فلتاته. وهذه الكلمة من غير الروايتين. يتعاطفون بالتقوى فيه.
يوقرون فيه الكبير. ويرحمون الصغير. ويرفدون ذا الحاجة. ويرحمون
الغريب. فسألته عن سيرته صلى الله عليه وسلم في جلسائه. فقال كان رسول الله
صلى الله عليه وسلم دائم البشر سهل الخلق لين الجانب ليس بفظ ولا غليظ.
ولا سخاب ولا فحاش ولا عياب ولا مداح. يتغافل عما لا يشتهي. ولا يؤيس منه.
قد ترك نفسه من ثلاث الرياء والإكثار وما لا يعنيه. وترك الناس من ثلاث
كان لا يذم أحدا ولا يعيره. ولا يطلب عورته. ولا يتكلم إلا فيما يرجو ثوابه.
إذا تكلم أطرق جلساؤه كأنما على رؤوسهم الطير. وإذا سكت تكلموا لا يتنازعون
عنده الحديث. من تكلم عنده أنصتوا له حتى يفرغ. حديثهم حديث أولهم.
يضحك مما يضحكون منه. ويتعجب مما يتعجبون منه. ويصبر للغريب على الجفوة
في المنطق. ويقول صلى الله عليه وسلم إذا رأيتم صاحب حاجة يطلبها فأرفدوه.

ولا يطلب الثناء إلا من مكافئ ولا يقطع على أحد حديثه حتى يجوزه فيقطعه
بنهي أو قيام. هنا انتهى حديث سفيان بن وكيع وزاد الآخر قلت كيف كان
سكوته صلى الله عليه وسلم قال كان سكوته صلى الله عليه وسلم على أربع على
الحلم والحذر والتقدير والتفكر فأما تقديره ففي تسوية النظر والاستماع
بين الناس وأما تفكره ففيما يبقى ويفنى. وجمع له الحلم صلى الله عليه وسلم في الصبر
فكان لا يغضبه شيء يستفزه. وجمع له في الحذر أربع أخذه بالحسن ليقتدى
به وتركه القبيح لينتهى عنه واجتهاده الرأي بما أصلح أمته والقيام لهم بما
جمع لهم أمر الدنيا والآخرة. انتهى الوصف بحمد الله وعونه. فصل في تفسير
غريب هذا الحديث ومشكله. قوله المشذب أي البائن الطول في نحافة.
وهو مثل قوله في الحديث الآخر ليس بالطويل الممغط. والشعر الرجل الذي كأنه
مشط فتكسر قليلا ليس بسبط ولا جعد. والعقيقة شعر الرأس أراد إن انفرقت
من ذات نفسها فرقها وإلا تركها معقوصة. ويروى عقيصته. وأزهر اللون
نيره. وقيل أزهر حسن. ومنه قوله تعالى زهرة الحياة الدنيا أي زينتها.
وهذا كما قال في الحديث الآخر ليس بالأبيض الأمهق ولا بالآدم. والأمهق
هو الناصع البياض. والآدم الأسمر اللون. ومثله في الحديث الآخر أبيض
مشرب أي فيه حمرة. والحاجب الأزج المقوس الطويل الوافر الشعر.
والأقنى السائل الأنف المرتفع وسطه. والأشم الطويل قصبة الأنف.
والقرن اتصال شعر الحاجبين وضده البلج. ووقع في حديث أم معبد وصفه
صلى الله عليه وسلم بالقرن. والأدعج الشديد سواد الحدقة. وفي الحديث الآخر
أشكل العين وأسجر العين وهو الذي في بياضها حمرة. والضليع الواسع. والشنب
رونق الأسنان وماؤها. وقيل رقتها وتحزيز فيها كما يوجد في أسنان الشباب.

مطلب سكوت النبي صلى الله عليه وسلم على أربع

مطلب في تفسير غريب هذا الحديث

والفلج فرق بين الثنايا • ودقيق المسربة خط الشعر الذي بين الصدر والسرة •
بادن • ذو لحم • متماسك معتدل الخلق يمسك بعضه بعضا • مثل قوله في الحديث
الآخر لم يكن بالمطهم ولا بالمكلثم • اي ليس بمسترخي اللحم • والمكلثم القصير
الذقن • سواء البطن والصدر • اي مستويهما • ومشيح الصدر • ان صحت هذه اللفظة
فيكون من الاشاحة وهو احد معاني اشاح • اي انه كان بادي الصدر • ولم
يكن في صدره قعس • وهو تطامن فيه • وبه يتضح قوله سواء البطن والصدر •
اي ليس بمتقاعس الصدر • ولا مفاض البطن • ولعل اللفظ مسيح بالسين وفتح الميم
بمعنى عريض كما وقع في الرواية الاخرى • وحكاه ابن دريد • والكراديس
رؤوس العظام • وهو مثل قوله في الحديث الآخر جليل المشاش والكتد • والمشاش
رؤوس المناكب • والكتد مجتمع الكتفين • وشثن الكفين والقدمين لحيمهما •
والزندان عظما الذراعين • وسائل الاطراف اي طويل الاصابع • وذكر ابن
الانباري انه روي سائل الاطراف او قال سائن بالنون • قال وهما بمعنى تبدل
اللام من النون ان صحت الرواية • واما على الرواية الاخرى • وسائر الاطراف
فاشارة الى فخامة جوارحه صلى الله عليه وسلم كما وقعت مفصلة في الحديث
ورحب الراحة اي واسعها • وقيل كناية عن سعة العطاء والجود • خمصان
الاخمصين • اي متجافي اخمص القدم • وهو الموضع الذي لا تناله الارض من وسط
القدم • ومسيح القدمين • اي املسهما • ولهذا قال ينبو عنهما الماء • وفي حديث
ابي هريرة خلاف هذا قال فيه اذا وطئ بقدمه وطئ بكلها ليس له اخمص • وهذا
يوافق معنى قوله مسيح القدمين • وبه قالوا سمي عيسى بن مريم المسيح اي لم يكن له
اخمص • وقيل مسيح لا لحم عليهما • وهذا ايضا يخالف قوله شثن القدمين • والقلع
رفع الرجل بقوة • والتكفؤ الميل الى سنن المشي او قصده • والهون الرفق والوقار •

والتربع الواسع خطوه اي ان مشيته كان يرفع فيه رجليه بسرعة ويمد خطوه خلاف مشية المختال ويقصد سمته وكل ذلك برفق وتثبت دون عجلة كما قال كأنما ينحط من صبب . وقوله يفتتح الكلام ويختمه بأشداقه اي لسعة فيه والعرب تمادح بهذا وتذم بصغر الفم . واشاح مال وانقبض . وحب الغمام البرد . وقوله فيرد ذلك بالخاصة على العامة . اي جعل من جزء نفسه ما يوصل الخاصة اليه فتوصل عنه للعامة . وقيل يجعل منه للخاصة ثم يبدلها في جزء آخر بالعامة . ويدخلون روادا . اي محتاجين اليه وطالبين لما عنده . ولا ينصرفون الا عن ذواق . قيل عن علم يتعلمونه . ويشبه ان يكون على ظاهره اي في الغالب والاكثر . والعتاد العدة والشيء الحاضر المعد . والموازرة المعاونة . وقوله لا يوطن الاماكن . اي لا يتخذ لمصلاه موضعا معلوما . وقد ورد نهيه عن هذا مفسرا في غير هذا الحديث . وصابره . اي حبس نفسه على ما يريد صاحبه . ولا تؤبن فيه الحرم . اي لا يذكرن بسوء . ولا تنثى فلتاته . اي لا يتحدث بها . اي لم تكن فيه فلتة وان كانت من احد سترت . ويرفدون يعينون . والسخاب الكثير الصياح . وقوله ولا يقبل الثناء الا من مكافئ قيل مقتصد في ثنائه ومدحه وقيل الا من مسلم . وقيل الا من مكافئ على يد سبقت من النبي صلى الله عليه وسلم له يشكره نعمته . وفي حديث آخر في وصفه صلى الله عليه وسلم منهوس العقب اي قليل لحمها . واهدب الاشفار . اي طويل شعرها والله اعلم .

الباب الثالث

فيما ورد من صحيح الاخبار ومشهورها بعظيم قدره عند ربه ومنزلته وما خصه به في الدارين من كرامته صلى الله عليه وسلم . لا خلاف انه اكرم البشر وسيد ولد آدم وافضل الناس منزلة عند الله واعلاهم درجة واقربهم زلفى واعلم ان الاحاديث الواردة في ذلك كثيرة جدا وقد اقتصرنا منها على صحيحها

ومنتشرها

ومشهورها وخص بالمعاني ما ورد منها في اثني عشر فصلًا الفصل الأول
فيما ورد من ذكر مكانته عند ربه والاصطفاء ورفعة الذكر والتفضيل
وسيادة ولد آدم وما خصه به في الدنيا من مزايا الرتب وبركة اسمه الطيب
أخبرنا الشيخ أبو محمد عبد الله بن أحمد العدل إذنًا بلفظه قال حدثنا أبو
الحسن الفرغاني حدثتنا أم القاسم بنت أبي بكر بن يعقوب عن أبيها حدثنا حاتم
هو ابن عقيل عن يحيى هو ابن إسماعيل عن يحيى الحماني حدثنا قيس عن الأعمش عن
عباية بن ربعي عن ابن عباس رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
إن الله تعالى قسم الخلق قسمين فجعلني من خيرهم قسمًا وذلك قوله تعالى أصحاب
اليمين وأصحاب الشمال فأنا من اليمين وأنا خير أصحاب اليمين ثم جعل القسمين
أثلاثًا فجعلني في خيرها ثلثًا وذلك قوله تعالى أصحاب الميمنة وأصحاب المشأمة
والسابقون السابقون فأنا من السابقين وأنا خير السابقين ثم جعل الأثلاث
قبائل فجعلني من خيرها قبيلة وذلك قوله تعالى وجعلناكم شعوبًا وقبائل
لتعارفوا الآية فأنا أتقى ولد آدم وأكرمهم على الله ولا فخر ثم جعل القبائل
بيوتًا فجعلني في خيرها بيتًا فذلك قوله تعالى إنما يريد الله ليذهب عنكم
الرجس أهل البيت الآية وعن أبي سلمة عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قالوا
يا رسول الله متى وجبت لك النبوة قال وآدم بين الروح والجسد وعن واثلة
ابن الأسقع قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الله اصطفى من ولد إبراهيم
إسماعيل واصطفى من بني إسماعيل بني كنانة واصطفى من بني كنانة قريشًا واصطفى
من قريش بني هاشم واصطفاني من بني هاشم ومن حديث أنس أنا أكرم ولد
آدم على ربي ولا فخر وفي حديث ابن عباس رضي الله عنهما أنا أكرم الأولين
والآخرين ولا فخر وعن عائشة رضي الله عنها عنه عليه السلام أتاني جبريل

عليه السلام فقال قلبت مشارق الأرض ومغاربها فلم أر رجلا أفضل من محمد
ولم أر بني أب أفضل من بني هاشم وعن أنس رضي الله عنه أن النبي صلى الله
عليه وسلم أتي بالبراق ليلة أسري به فاستصعب عليه فقال له جبريل أبمحمد
تفعل هذا فما ركبك أحد أكرم على الله منه فارفض عرقا وعن ابن عباس عنه
عليه السلام لما خلق الله آدم أهبطني في صلبه إلى الأرض وجعلني في صلب
نوح في السفينة وقذف بي في النار في صلب إبراهيم ثم لم يزل ينقلني من الأصلاب
الكريمة إلى الأرحام الطاهرة حتى أخرجني بين أبوي لم يلتقيا على سفاح قط
وإلى هذا أشار العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه بقوله

من قبلها طبت في الظلال وفي ... مستودع حيث يخصف الورق
ثم هبطت البلاد لا بشر ... أنت ولا مضغة ولا علق
بل نطفة تركب السفين وقد ... ألجم نسرا وأهله الغرق
وردت نار الخليل مكتتما ... تجول فيها وليس تحترق
تنقل من صالب إلى رحم ... إذا مضى عالم بدا طبق

وروي عنه صلى الله عليه وسلم أبو ذر وابن عمر وابن عباس وأبو هريرة وجابر بن
عبد الله رضي الله عنهم أنه قال أعطيت خمسا وفي بعضها ستا لم يعطهن نبي قبلي
نصرت بالرعب مسيرة شهر وجعلت لي الأرض مسجدا وطهورا فأيما رجل من أمتي
أدركته الصلاة فليصل وأحلت لي الغنائم ولم تحل لنبي قبلي وبعثت إلى الناس كافة
وأعطيت الشفاعة وفي رواية أخرى بدل هذه الكلمة وقيل لي سل تعطه وفي رواية
أخرى وعرض علي أمتي فلم يخف علي التابع من المتبوع وفي رواية بعثت إلى الأحمر
والأسود قيل السود العرب لأن الغالب على ألوانهم الأدمة فهم من السود والحمر العجم
وقيل البيض والسود من الأمم وفي حديث عن أبي هريرة رضي الله عنه نصرت

بالرعب وأوتيت جوامع الكلم وبينا أنا نائم إذ جيء بمفاتيح خزائن الأرض
فوضعت في يدي وفي رواية عنه عليه السلام وختم بي النبيون وعن عقبة
ابن عامر رضي الله عنه أنه قال عليه الصلاة والسلام إني فرط لكم وأنا شهيد
عليكم وإني والله لأنظر إلى حوضي الآن وإني قد أعطيت مفاتيح خزائن الأرض
وإني والله ما أخاف عليكم أن تشركوا بعدي ولكني أخاف أن تنافسوا فيها
وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أنا
محمد النبي الأمي لا نبي بعدي أوتيت جوامع الكلم وخواتمه وعلمت خزنة النار
وحملة العرش وعن ابن عمر رضي الله عنهما بعثت بين يدي الساعة ومن رواية
ابن وهب أنه صلى الله عليه وسلم قال قال الله تعالى سل يا محمد فقلت ما أسأل
يا رب اتخذت إبراهيم خليلا وكلمت موسى تكليما واصطفيت نوحا وأعطيت
سليمان ملكا لا ينبغي لأحد من بعده فقال الله تعالى ما أعطيتك خير من ذلك
أعطيتك الكوثر وجعلت اسمك مع اسمي ينادى به في جوف السماء وجعلت
الأرض طهورا لك ولأمتك وغفرت لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر فأنت
تمشي في الناس مغفورا لك ولم أصنع ذلك لأحد قبلك وجعلت قلوب أمتك
مصاحفها وخبأت لك شفاعتك ولم أخبأها لنبي غيرك وفي حديث آخر
رواه حذيفة رضي الله عنه بشرني يعني ربه أول من يدخل الجنة معي من أمتي
سبعون ألفا مع كل ألف سبعون ألفا ليس عليهم حساب وأعطاني أن لا
تجوع أمتي ولا تغلب وأعطاني النصرة والعزة والرعب يسعى بين يدي أمتي
شهرا وطيب لي ولأمتي المغانم وأحل لنا كثيرا مما شدد على من قبلنا ولم يجعل
علينا في الدين من حرج وعن أبي هريرة رضي الله عنه عنه صلى الله عليه وسلم
ما من نبي من الأنبياء إلا وقد أعطي من الآيات ما مثله آمن عليه البشر وإنما

كان الذي أوتيت وحيا أوحى الله إلي فأرجو أن أكون أكثرهم تابعا يوم القيامة
معنى هذا عند المحققين بقاء معجزته ما بقيت الدنيا وسائر معجزات الأنبياء
عليهم السلام ذهبت للحين ولم يشاهدها إلا الحاضر لها ومعجزة القرآن يقف
عليها قرن بعد قرن عيانا لا خبرا إلى يوم القيامة وفيه كلام يطول هذا نخبته
وقد بسطنا القول فيه وفيما ذكر فيه سوى هذا آخر باب المعجزات وعن علي
رضي الله عنه كل نبي أعطي سبعة نجباء من أمته وأعطي نبيكم صلى الله عليه وسلم
أربعة عشر نجيبا منهم أبو بكر وعمر وابن مسعود وعمار رضي الله عنهم وقال
صلى الله عليه وسلم إن الله قد حبس عن مكة الفيل وسلط عليها رسوله والمؤمنين
وإنها لم تحل لأحد بعدي وإنما أحلت لي ساعة من نهار وعن العرباض بن
سارية رضي الله عنه سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول إني عند الله
وخاتم النبيين وإن آدم لمنجدل في طينته وعدة أبي إبراهيم وبشارة عيسى
ابن مريم وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال إن الله تعالى فضل محمدا صلى الله
عليه وسلم على أهل السماء وعلى الأنبياء صلوات الله عليهم قالوا فما فضله على أهل
السماء قال إن الله تعالى قال لأهل السماء ومن يقل منهم إني إله من دونه الآية
وقال تعالى لمحمد صلى الله عليه وسلم إنا فتحنا لك فتحا مبينا الآية قالوا فما فضله
على الأنبياء قال إن الله تعالى قال وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه الآية
وقال لمحمد صلى الله عليه وسلم وما أرسلناك إلا كافة للناس الآية وعن خالد بن
معدان رضي الله عنه أن نفرا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا يا رسول الله
أخبرنا عن نفسك وقد روي نحوه عن أبي ذر وشداد بن أوس وأنس بن مالك
رضي الله عنهم فقال نعم أنا دعوة أبي إبراهيم يعني قوله ربنا وابعث فيهم
رسولا منهم وبشرى عيسى ورأت أمي حين حملت بي أنه خرج منها نور

أضاءت له قصور بصرى من أرض الشام. واسترضعت في بني سعد بن بكر فبينا أنا
مع أخ لي خلف بيوتنا نرعى بهماً لنا إذ جاءني رجلان عليهما ثياب بيض
وفي حديث آخر ثلاثة رجال بطست من ذهب مملوءة ثلجاً فأخذاني فشقا بطني
قال في غير هذا الحديث من نحري إلى مراق بطني ثم استخرجا منه قلبي فشقاه
فاستخرجا منه علقة سوداء فطرحاها ثم غسلا قلبي وبطني بذلك الثلج حتى
أنقياه. قال في حديث آخر ثم ناول أحدهما شيئاً فإذا بخاتم في يده من نور
يحار الناظر دونه فختم به قلبي فامتلأ إيماناً وحكمة ثم أعاده مكانه وأمر
الآخر يده على مفرق صدري فالتأم وفي رواية أن جبريل عليه السلام قال
قلب وكيع أي شديد فيه عينان تبصران وأذنان سميعتان ثم قال
أحدهما لصاحبه زنه بعشرة من أمته فوزنني فرجحتهم ثم قال زنه بمائة من
أمته فوزنني فوزنتهم ثم قال زنه بألف من أمته فوزنني بهم فوزنتهم ثم قال
دعه عنك فلو وزنته بأمته لوزنها قال في الحديث الآخر ثم ضموني
إلى صدورهم وقبلوا رأسي وما بين عيني ثم قالوا يا حبيب لم ترع إنك لو
تدري ما يراد بك من الخير لقرت عيناك وفي بقية هذا الحديث من قولهم
ما أكرمك على الله إن الله معك وملائكته قال في حديث أبي ذر فما هو
إلا أن وليا عني فكأنما أرى الأمر معاينة وحكى أبو محمد مكي وأبو الليث السمرقندي مطلب
وغيرهما أن آدم عليه السلام عند معصيته قال اللهم بحق محمد اغفر لي خطيئتي
ويروى تقبل توبتي فقال له الله عز وجل من أين عرفت محمداً قال رأيت في كل
موضع من الجنة مكتوباً لا إله إلا الله محمد رسول الله ويروى محمد عبدي
ورسولي فعلمت أنه أكرم خلقك عليك فتاب الله عليه وغفر له وهذا عند
قائله تأويل قوله تعالى فتلقى آدم من ربه كلمات وفي رواية الأخرى فقال

آدم لما خلقني رفعت رأسي إلى عرشك فإذا فيه مكتوب لا إله إلا الله محمد رسول الله
فعلمت أنه ليس أحد أعظم قدراً عندك ممن جعلت اسمه مع اسمك فأوحى الله إليه
وعزتي وجلالي إنه لآخر النبيين من ذريتك ولولاه ما خلقتك قال وكان
آدم يكنى بأبي محمد وقيل بأبي البشر وروي عن سريج بن يونس أنه قال إن لله
ملائكة سياحين عبادتها كل دار فيها أحمد أو محمد إكراماً منهم لمحمد صلى الله
عليه وسلم وروى ابن قانع القاضي عن أبي الحمراء قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
لما أسري بي إلى السماء إذا على العرش مكتوب لا إله إلا الله محمد رسول الله أيدته
بعلي وفي التفسير عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى وكان تحته كنز لهما
قال لوح من ذهب فيه مكتوب عجباً لمن أيقن بالقدر كيف ينصب عجباً لمن
أيقن بالنار كيف يضحك عجباً لمن يرى الدنيا وتقلبها بأهلها كيف يطمئن إليها
أنا الله لا إله إلا أنا محمد عبدي ورسولي وعن ابن عباس رضي الله عنهما على باب
الجنة مكتوب إني أنا الله لا إله إلا أنا محمد رسول الله لا أعذب من قالها وذكر
أنه وجد على الحجارة القديمة مكتوب محمد تقي مصلح وسيد أمين وذكر السمنطاري
أنه شاهد في بلاد خراسان مولوداً ولد على أحد جنبيه مكتوب لا إله إلا الله
وعلى الآخر محمد رسول الله وذكر الأخباريون أن ببلاد الهند ورداً أحمر
مكتوباً عليه بالأبيض لا إله إلا الله محمد رسول الله وروي عن جعفر بن محمد
عن أبيه رضي الله عنهم إذا كان يوم القيامة نادى مناد ألا ليقم من اسمه محمد
فليدخل الجنة لكرامة اسمه صلى الله عليه وسلم وروى ابن القاسم في سماعه
وابن وهب في جامعه عن مالك سمعت أهل مكة يقولون ما من بيت فيه اسم
محمد إلا نما ورزقوا ورزق جيرانهم وقال صلى الله عليه وسلم ما ضر أحدكم أن يكون في بيته
محمد ومحمدان وثلاثة وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أن الله نظر إلى

قلوب العباد فاختار منها قلب محمد عليه الصلوة والسلام فاصطفاه لنفسه
فبعثه برسالته وحكى النقاش ان النبي صلى الله عليه وسلم لما نزلت وما كان
لكم ان تؤذوا رسول الله الاية قام خطيبا فقال يا معشر اهل الايمان
ان الله فضلني عليكم تفضيلا وفضل نسائي على نسائكم تفضيلا الحديث

فصل في تفضيله بما تضمنته كرامة الاسراء من المناجاة والرؤية وامامة
الانبياء والعروج به الى سدرة المنتهى وما رأى من آيات ربه الكبرى ومن
خصائصه عليه السلام قصة الاسراء وما انطوت عليه من درجات الرفعة
مما نبه عليه الكتاب العزيز وشرحته صحاح الاخبار قال الله تعالى سبحان
الذي اسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الاية وقال تعالى والنجم اذا هوى
الى قوله من ايات ربه الكبرى فلا خلاف بين المسلمين في صحة الاسراء به عليه
السلام اذ هو نص القرآن وجاءت بتفصيله وشرح عجائبه وخواص محمد
نبينا عليه السلام فيه احاديث كثيرة منتشرة رأينا ان نقدم اكملها ونشير
الى زيادة من غيره يجب ذكرها حدثنا القاضي الشهيد ابو علي والفقيه ابو
بحر سماعا عليهما والقاضي ابو عبد الله التميمي وغير واحد من شيوخنا قالوا
حدثنا ابو العباس العذري حدثنا ابو العباس الرازي حدثنا ابو احمد الجلودي
حدثنا ابن سفين حدثنا مسلم بن الحجاج حدثنا شيبان بن فروخ حدثنا حماد
بن سلمة حدثنا ثابت البناني عن انس بن مالك رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال اتيت بالبراق وهو دابة ابيض طويل فوق الحمار ودون البغل
يضع حافره عند منتهى طرفه قال فركبته حتى اتيت بيت المقدس فربطته بالحلقة
التي يربط بها الانبياء ثم دخلت المسجد فصليت فيه ركعتين ثم خرجت
فجاءني جبريل باناء من خمر واناء من لبن فاخترت اللبن فقال جبريل اخترت

الفطرة ثم عرج بنا الى السماء فاستفتح جبريل فقيل من انت قال جبريل قيل ومن معك
قال محمد قيل وقد بعث اليه قال قد بعث اليه ففتح لنا فاذا بادم فرحب بي
ودعا لي بخير ثم عرج بنا الى السماء الثانية فاستفتح جبريل فقيل من انت قال
جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد بعث اليه قال قد بعث اليه ففتح لنا فاذا
انا بابني الخالة عيسى بن مريم ويحيى بن زكريا صلى الله عليهما فرحبا بي ودعوا لي بخير
ثم عرج بنا الى السماء الثالثة فذكر مثل الاول ففتح لنا فاذا انا بيوسف صلى الله
عليه وسلم واذا هو قد اعطي شطر الحسن فرحب بي ودعا لي بخير ثم عرج بنا
الى السماء الرابعة وذكر مثله فاذا انا بادريس عليه السلام فرحب بي ودعا لي
بخير قال الله تعالى ورفعناه مكانا عليا ثم عرج بنا الى السماء الخامسة فذكر
مثله فاذا انا بهرون فرحب بي ودعا لي بخير ثم عرج بنا الى السماء السادسة
فذكر مثله فاذا انا بموسى فرحب بي ودعا لي بخير ثم عرج بنا الى السماء السابعة
فذكر مثله فاذا انا بابرهيم مسندا ظهره الى البيت المعمور واذا هو يدخله كل
يوم سبعون الف ملك لا يعودون اليه ثم ذهب بي الى سدرة المنتهى واذا
ورقها كاذان الفيلة واذا ثمرها كالقلال قال فلما غشيها من امر الله ما غشي
تغيرت فما احد من خلق الله يستطيع ان ينعتها من حسنها فاوحى الله الي ما اوحى
ففرض علي خمسين صلاة في كل يوم وليلة فنزلت الى موسى فقال ما فرض ربك
على امتك قلت خمسين صلاة قال ارجع الى ربك فسله التخفيف فان امتك لا
يطيقون ذلك فاني قد بلوت بني اسرائيل وخبرتهم قال فرجعت الى ربي فقلت يا رب
خفف عن امتي فحط عني خمسا فرجعت الى موسى فقلت حط عني خمسا قال ان امتك
لا يطيقون ذلك فارجع الى ربك فسله التخفيف قال فلم ازل ارجع بين ربي وبين
موسى حتى قال يا محمد انهن خمس صلوات كل يوم وليلة لكل صلاة عشر فذلك

خمسون

خمسون صلاة ومن هم بحسنة فلم يعملها كتبت له حسنة فإن عملها كتبت له
عشرا ومن هم بسيئة فلم يعملها لم تكتب شيئا فإن عملها كتبت سيئة واحدة
قال فنزلت حتى انتهيت إلى موسى فأخبرته فقال ارجع إلى ربك فاسأله التخفيف
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت قد رجعت إلى ربي حتى استحييت منه
قال القاضي رحمه الله جود ثابت رضي الله عنه هذا الحديث عن أنس ما شاء
ولم يأت أحد عنه بأصوب من هذا وقد خلط فيه غيره عن أنس تخليطا كثيرا لا
سيما من رواية شريك بن أبي نمر فقد ذكر في أوله مجيء الملك له وشق بطنه وغسله
بماء زمزم وهذا إنما كان وهو صبي وقبل الوحي وقد قال شريك في حديثه
وذلك قبل أن يوحى إليه وذكر قصة الإسراء ولا خلاف أنها كانت بعد الوحي
وقد قال غير واحد إنها كانت قبل الهجرة بسنة وقيل قبل هذا وقد روى ثابت
عن أنس من رواية حماد بن سلمة مجيء جبريل إلى النبي صلى الله عليه وسلم وهو
يلعب مع الغلمان عند ظئره وشقه قلبه تلك القصة مفردة من حديث
الإسراء كما رواه الناس فجود في القصتين وفي أن الإسراء إلى بيت المقدس وإلى
سدرة المنتهى كان قصة واحدة وأنه وصل إلى بيت المقدس ثم عرج من هناك
فأزاح كل إشكال أوهمه غيره وقد روى يونس عن ابن شهاب عن أنس رضي الله عنه
قال كان أبو ذر يحدث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فرج سقف بيتي
فنزل جبريل ففرج صدري ثم غسله من ماء زمزم ثم جاء بطست من ذهب ممتلئ
حكمة وإيمانا فأفرغها في صدري ثم أطبقه ثم أخذ بيدي فعرج بي إلى السماء
فذكر القصة وروى قتادة الحديث بمثله عن أنس عن مالك بن صعصعة وفيها
تقديم وتأخير وزيادة ونقص وخلاف في ترتيب الأنبياء في السموات وحديث
ثابت عن أنس أتقن وأجود وقد وقعت في حديث الإسراء زيادات نذكرها

لكنا مفتك في عرصتنا منه الى حديث ابن شهاب وفيه قول كل نبي له مرحبا بالنبي
الصالح والاخ الصالح الا آدم وابرهيم فقالا له والابن الصالح وفيه من طريق
ابن عباس رضي الله عنهما ثم عرج بي حتى ظهرت بمستوى اسمع فيه صريف الاقلام
وعن انس ثم انطلق بي حتى اتيت سدرة المنتهى تغشيها الوان لا ادري ما هي قال
ثم ادخلت الجنة وفي حديث مالك بن صعصعة فلما جاوزته يعني موسى بكى
نودي ما يبكيك قال رب هذا غلام بعثته بعدي يدخل من امته الجنة اكثر
مما يدخل من امتي وفي حديث ابي هريرة رضي الله عنه وقد رايتني في جماعة
من الانبيا فحانت الصلوة فاممتهم فقال قائل منهم يا محمد هذا مالك خازن
النار فسلم عليه فالتفت فبدأني بالسلام وفي حديث ابي هريرة رضي الله عنه
ثم سار حتى اتى بيت المقدس ثم ربط فرسه الى صخرة فصلى مع الملايكة فلما
قضيت الصلوة قالوا يا جبريل من هذا معك قال هذا محمد رسول الله خاتم النبيين
قالوا وقد ارسل اليه قال نعم قالوا حياه الله من اخ وخليفة فنعم الاخ ونعم
الخليفة ثم لقوا ارواح الانبيا فاثنوا على ربهم وذكر كلام كل واحد منهم وهم
ابرهيم وموسى وعيسى وداود وسليمن ثم ذكر كلام النبي صلى الله عليه وسلم فقال
وان محمدا صلى الله عليه وسلم اثنى على ربه فقال كلكم اثنى على ربه وانا اثني على
ربي الحمد لله الذي ارسلني رحمة للعالمين وكافة للناس بشيرا ونذيرا وانزل
علي الفرقان فيه تبيان كل شي وجعل امتي خير امة وجعل امتي امة وسطا
وجعل امتي هم الاولون وهم الاخرون وشرح لي صدري ووضع عني وزري
ورفع لي ذكري وجعلني فاتحا وخاتما فقال ابرهيم بهذا فضلكم محمد ثم ذكر انه
عرج به الى السما الدنيا ومن سما الى سما نحو ما تقدم وفي حديث ابن مسعود
رضي الله عنه وانتهي بي الى سدرة المنتهى وهي في السما السادسة اليها ينتهي ما

يعرج به من الارض فيقبض منها واليها ينتهي ما يهبط من فوقها فيقبض منها
قال اذ يغشى السدرة ما يغشى قال فراش من ذهب وفي رواية ابي هريرة من
طريق الربيع بن انس فقيل له هذه سدرة المنتهى ينتهي اليها كل احد من امتك
خلا على سبيلك وهي سدرة المنتهى يخرج من اصلها انهار من ماء غير آسن وانهار
من لبن لم يتغير طعمه وانهار من خمر لذة للشاربين وانهار من عسل مصفى وهي
شجرة يسير الراكب في ظلها سبعين عاما وان ورقة منها مظلة الخلق فغشيها
نور وغشيتها الملائكة قال وهو قوله تعالى اذ يغشى السدرة ما يغشى فقال
تبارك وتعالى له سل فقال انك اتخذت ابرهيم خليلا واعطيته ملكا عظيما
وكلمت موسى تكليما واعطيت داود ملكا عظيما والنت له الحديد وسخرت له
الجبال واعطيت سليمن ملكا عظيما سخرت له الجن والانس والشياطين والرياح
واعطيته ملكا لا ينبغي لاحد من بعده وعلمت عيسى التورية والانجيل وجعلته
يبرئ الاكمه والابرص واعذته وامه من الشيطان الرجيم فلم يكن له عليهما سبيل
فقال له ربه تعالى قد اتخذتك حبيبا فهو مكتوب في التورية محمد حبيب الرحمن
وارسلتك الى الناس كافة وجعلت امتك هم الاولون وهم الآخرون وجعلت
امتك لا تجوز لهم خطبة حتى يشهدوا انك عبدي ورسولي وجعلتك اول
النبيين خلقا وآخرهم بعثا واعطيتك سبعا من المثاني ولم اعطها نبيا قبلك
واعطيتك خواتيم سورة البقرة من كنز تحت عرشي لم اعطها نبيا قبلك وجعلتك
فاتحا وخاتما وفي الرواية الاخرى قال فاعطي رسول الله صلى الله عليه وسلم
ثلاثا اعطي الصلوات الخمس واعطي خواتيم سورة البقرة وغفر لمن لا يشرك بالله شيئا
من امته المقحمات وقال تعالى ما كذب الفؤاد ما رأى الآيتين رأى جبريل في
صورته له ستمائة جناح وفي حديث شريك انه رأى موسى عليه السلام في

وسدرة المنتهى شجرة في الجنة ينتهي اليها اعمال العباد او ينتهي اليها علم الخلائق من الملائكة والرسل وارباب [illegible] باعتبار الكرامات [illegible] السادس

السابعة قال يتفضل كلام الله تعالى قال نعم علانية فوق ذلك ما لا يعلمه إلا
الله تعالى يوسى لم أطق أن توقع على الحد وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم
صلى بالأنبياء ببيت المقدس وذكر البزار عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه لما
أراد الله تعالى أن يعلم رسوله الأذان جاءه جبريل عليه السلام بدابة يقال لها
البراق فذهب يركبها فاستصعبت عليه فقال لها جبريل عليه السلام اسكني فوالله
ما ركبك عبد أكرم على الله من محمد صلى الله عليه وسلم فركبها حتى أتى بها إلى الحجاب
الذي يلي الرحمن تعالى فبينا هو كذلك إذ خرج ملك من الحجاب فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم يا جبريل من هذا قال والذي بعثك بالحق إني لأقرب الخلق
مكانا وإن هذا الملك ما رأيته منذ خلقت قبل ساعتي هذه فقال الملك الله أكبر
الله أكبر فقيل له من وراء الحجاب صدق عبدي أنا أكبر أنا أكبر ثم قال الملك
أشهد أن لا إله إلا الله فقيل من وراء الحجاب صدق عبدي أنا الله لا إله إلا أنا
وذكر مثل هذا في بقية الأذان إلا أنه لم يذكر جوابا عن قوله حي على الصلاة
حي على الفلاح وقال ثم أخذ الملك بيد محمد فقدمه فأم أهل السماء فيهم آدم
ونوح قال أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين رضي الله عنهم راويه أكمل الله لمحمد
صلى الله عليه وسلم الشرف على أهل السموات والأرض قال القاضي رضي الله
عنه ما في هذا الحديث من ذكر الحجاب فهو في حق المخلوق لا في حق الخالق فهم
المحجوبون والباري جل اسمه منزه عما يحجبه إذ الحجب إنما تحيط بمقدر محسوس
ولكن حجبه على أبصار خلقه وبصائرهم وإدراكاتهم بما شاء كيف شاء ومتى
شاء كقوله تعالى كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون • فقوله في هذا الحديث
الحجاب وإذ خرج ملك من الحجاب يجب أن يقال إنه حجاب حجب به من وراءه
من ملائكته عن الاطلاع على ما دونه من سلطانه وعظمته وعجائب ملكوته •

زجروني. ويدل عليه من الحديث قول جبريل عليه السلام عن الملك الذي خرج من ورائه إن هذا الملك ما رأيته منذ خلقت قبل ساعتي هذه فدل أن هذا الحجاب لم يختص بالذات. ويدل عليه قول كعب في تفسير سدرة المنتهى قال إليها ينتهي علم الملائكة وعندها يجدون أمر الله لا يجاوزها علمهم. وأما قوله الذي يلي الرحمن فيحمل على حذف المضاف أي يلي عرش الرحمن أو أمرًا ما من عظيم آياته أو مبادي حقائق معارفه مما هو أعلم به كما قال تعالى واسأل القرية أي أهلها. وقوله فقيل من وراء الحجاب صدق عبدي أنا أكبر فظاهره أنه سمع في هذا الموطن كلام الله تعالى ولكن من وراء حجاب كما قال تعالى وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحيًا أو من وراء حجاب أي وهو لا يراه حجب بصره عن رؤيته فإن صح القول بأن محمدًا صلى الله عليه وسلم رأى ربه فيحتمل أنه في غير هذا الموطن بعد هذا أو قبله ورفع الحجاب عن بصره حتى رآه والله أعلم. فصل ثم اختلف السلف والعلماء هل كان إسراء بروحه أو جسده على ثلاث مقالات فذهبت طائفة إلى أنه إسراء بالروح وأنه رؤيا منام مع اتفاقهم أن رؤيا الأنبياء حق ووحي وإلى هذا ذهب معاوية وحكي عن الحسن والمشهور عنه خلافه وإليه أشار محمد بن إسحق وحجتهم قوله تعالى وما جعلنا الرؤيا التي أريناك إلا فتنة للناس وما حكوا عن عائشة رضي الله عنها ما فقدت جسد رسول الله صلى الله عليه وسلم وقوله بينا أنا نائم وقول أنس وهو نائم في المسجد الحرام وذكر القصة ثم قال في آخرها فاستيقظت وأنا بالمسجد الحرام وذهب معظم السلف والمسلمين إلى أنه إسراء بالجسد وفي اليقظة وهذا هو الحق وهذا قول ابن عباس رضي الله عنهما وجابر وأنس وحذيفة وعمر وأبي هريرة ومالك بن صعصعة وأبي حبة البدري وابن مسعود والضحاك وسعيد بن جبير وقتادة وابن المسيب وابن شهاب

وابن زيد والحسن وابرهيم ومسروق ومجاهد وعكرمة وابن جريج وهو دليل
قول عايشة رضي الله عنها وهو قول الطبري وابن حنبل وجماعة عظيمة من
المسلمين وهو قول اكثر المتاخرين من الفقها والمحدثين والمتكلمين والمفسرين
وقالت طايفة كان الاسرا بالجسد يقظة الى بيت المقدس والى السما بالروح
واحتجوا بقوله تعالى سبحان الذي اسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد
الاقصى فجعل الى المسجد الاقصى غاية الاسرا الذي وقع التعجب فيه بعظيم
القدرة والتمدح بتشريف النبي محمد صلى الله عليه وسلم به واظهار الكرامة له
بالاسرا اليه . قال هولا ولو كان الاسرا بجسده الى زايد على المسجد الاقصى
لذكره فيكون ابلغ في المدح . ثم اختلفت هذه الفرقتان هل صلى ببيت المقدس
ام لا ففي حديث انس وغيره ما تقدم من صلوته فيه . وانكر ذلك حذيفة بن
اليمان وقال والله ما زالا عن ظهر البراق حتى رجعا قال القاضي رحمه الله
والحق من هذا والصحيح ان شا الله انه اسرا بالروح والجسد في القصة كلها .
وعليه تدل الاية وصحيح الاخبار والاعتبار ولا يعدل عن الظاهر والحقيقة
الى التاويل الا عند الاستحالة وليس في الاسرا بجسده وحال يقظته استحالة
اذ لو كان مناما لقال بروح عبده ولم يقل بعبده . وقوله تعالى ما زاغ البصر
وما طغى . ولو كان مناما لما كانت فيه اية ولا معجزة ولما استبعده الكفار
ولا كذبوه فيه ولا ارتد به ضعفا من اسلم وافتتنوا به اذ مثل هذا من المنامات
لا ينكر بل لم يكن ذلك منهم الا وقد علموا ان خبره انما كان عن جسمه وحال
يقظته الى ما ذكر في الحديث من ذكر صلوته بالانبيا ببيت المقدس في رواية انس
او في السما على ما روى غيره . وذكر مجي جبريل له بالبراق وخبر المعراج
واستفتاح السما فيقال ومن معك فيقول محمد صلى الله عليه وسلم ولقايه الانبيا

فيها

بها وخبرهم معه وترحيبهم به وشأنه في فرض الصلوة ومراجعته مع
موسى في ذلك وفي بعض هذه الأخبار فأخذ يعني جبريل بيدي فعرج بي
إلى السماء إلى قوله ثم عرج بي حتى ظهرت لمستوى أسمع فيه صريف الأقلام
وأنه وصل إلى سدرة المنتهى وأنه دخل الجنة ورأى فيها ما ذكره قال ابن
عباس رضي الله عنهما هي رؤيا عين أريها النبي صلى الله عليه وسلم لا رؤيا منام
وعن الحسن رضي الله عنه فيه بينا أنا نائم في الحجر جاءني جبريل فهمزني
بعقبه فجلست فلم أر شيئا فعدت لمضجعي ذكر ذلك ثلاثا فقال في
الثالثة فأخذ بعضدي فجرني إلى باب المسجد فإذا أنا بدابة وذكر خبر البراق
وعن أم هانئ رضي الله عنها ما أسري برسول الله صلى الله عليه وسلم إلا وهو في بيتي
تلك الليلة صلى العشاء الآخرة ونام بيننا فلما كان قبيل الفجر أهبنا رسول الله صلى الله
عليه وسلم فلما صلى الصبح وصلينا قال يا أم هانئ لقد صليت معكم العشاء الآخرة
كما رأيت بهذا الوادي ثم جئت بيت المقدس فصليت فيه ثم صليت الغداة معكم
الآن كما ترون وهذا بين أنه بجسمه وعن أبي بكر رضي الله عنه من رواية شداد
ابن أوس عنه أنه قال للنبي صلى الله عليه وسلم ليلة أسري به طلبتك يا رسول الله
البارحة في مكانك فلم أجدك فأجابه أن جبريل عليه السلام حملني إلى المسجد
الأقصى وعن عمر رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم صليت ليلة
أسري بي في مقدم المسجد ثم دخلت الصخرة فإذا بملك قائم معه آنية ثلاث
وذكر الحديث وهذه التصريحات ظاهرة غير مستحيلة فتحمل على ظاهرها وعن
أبي ذر رضي الله عنه عنه صلى الله عليه وسلم فرج سقف بيتي وأنا بمكة فنزل
جبريل فشرح صدري ثم غسله بماء زمزم إلى آخر القصة ثم أخذ بيدي فعرج بي
وعن أنس رضي الله عنه أتيت فانطلقوا بي إلى زمزم فشرح عن صدري

أبي هريرة رضي الله عنه لقد رأيتني في الحجر وقريش تسألني عن مسراي فسألتني عن
أشياء لم أثبتها فكربت كربا ما كربت مثله قط فرفعه الله لي أنظر إليه. ونحوه
عن جابر. وقد روى عمر بن الخطاب رضي الله عنه في حديث الإسراء عنه
عليه السلام أنه قال ثم رجعت إلى خديجة وما تحولت عن جانبها. فصل
في إبطال حجج من قال إنها نوم. احتجوا بقوله تعالى وما جعلنا الرؤيا التي أريناك
إلا فتنة للناس فسماها رؤيا. قلنا قوله تعالى سبحان الذي أسرى بعبده يرده لأنه قلنا
لا يقال في النوم أسرى. وقوله فتنة للناس يؤيد أنها رؤيا عين وإسراء بشخص
إذ ليس في الحلم فتنة به ولا يكذب به أحد لأن كل أحد يرى مثل ذلك في منامه
من الكون في ساعة في أقطار متباينة على أن المفسرين قد اختلفوا
في هذه الآية فذهب بعضهم إلى أنها نزلت في قضية الحديبية وما وقع في نفوس
الناس في ذلك وقيل غير هذا. وأما قولهم إنه قد سماها في الحديث مناما من
وقوله في حديث آخر بين النائم واليقظان وقوله أيضا وهو نائم وقوله ثم
استيقظت فلا حجة فيه إذ قد يحتمل أن أول وصول الملك إليه كان وهو نائم
أو أول حمله والإسراء به وهو نائم صلى الله عليه وسلم وليس في الحديث أنه كان
نائما في القصة كلها إلا ما يدل عليه ثم استيقظت وأنا في المسجد الحرام.
فلعل قوله استيقظت بمعنى أصبحت أو استيقظ من نوم آخر بعد وصوله بيته
ويدل عليه أن مسراه لم يكن طول ليله وإنما كان في بعضه وقد يكون استيقظت
وأنا في المسجد الحرام لما كان غمره من عجائب ما طالع من ملكوت السموات
والأرض وخامر باطنه من مشاهدة الملأ الأعلى وما رأى من آيات ربه الكبرى
فلم يستفق ويرجع إلى حال البشرية إلا وهو بالمسجد الحرام. ووجه ثالث
أن يكون نومه واستيقاظه حقيقة على مقتضى لفظه ولكنه أسري بجسده

وقلبه حاضر ورؤيا الأنبياء حق تنام أعينهم ولا تنام قلوبهم وقد مال بعض
أصحاب الإشارات إلى نحو من هذا قال تغميض عينيه لئلا يشغله شيء من المحسوسات
عن الله تعالى ولا يصح هذا أن يكون في وقت صلاته بالأنبياء ولعله كانت له
في هذا الإسراء حالات وجه رابع وهو أن يعبر بالنوم هاهنا عن هيئة النائم
من الاضطجاع ويقويه قوله في رواية عبد بن حميد عن همام بينا أنا نائم
وربما قال مضطجع وقوله في الرواية الأخرى بين النائم واليقظان فيكون سمى
هيئته بالنوم لما كانت هيئة النائم غالبا وفي رواية هدبة عنه صلى الله
عليه وسلم بينا أنا في الحطيم وربما قال في الحجر مضطجع وذهب بعضهم إلى أن هذه
الزيادات من النوم وذكر شق البطن ودنو الرب الواقعة في هذا الحديث
إنما هي من رواية شريك عن أنس فهي منكرة من روايته إذ شق البطن في الأحاديث
الصحيحة إنما كان في صغره صلى الله عليه وسلم وقبل النبوة ولأنه قال في الحديث
قبل أن يبعث والإسراء بالإجماع كان بعد المبعث فهذا كله يوهن ما وقع
في رواية أنس مع أن أنسا قد بين من غير طريق أنه إنما رواه عن غيره وأنه لم يسمعه
من النبي صلى الله عليه وسلم فقال مرة عن مالك بن صعصعة وفي كتاب مسلم
لعله عن مالك بن صعصعة على الشك وقال مرة كان أبو ذر يحدث • وأما
قول عائشة رضي الله عنها ما فقدت جسده فعائشة لم تحدث به عن مشاهدة
لأنها لم تكن حينئذ زوجة ولا في سن من يضبط ولعلها لم تكن ولدت بعد
على الخلاف في الإسراء متى كان فإن الإسراء كان في أول الإسلام على قول الزهري
ومن وافقه بعد المبعث بعام ونصف وكانت عائشة رضي الله عنها في الهجرة
بنت نحو ثمانية أعوام وقد قيل كان الإسراء لخمس قبل الهجرة وقيل قبل الهجرة بعام •
والأشبه أنه لخمس والحجة لذلك تطول ليست من غرضنا فإذا لم تشاهد ذلك

عايشة رضي الله عنها دل أنها حدثت بذلك عن غيرها فلم يرجح خبرها على
خبر غيرها وغيرها يقول بخلافه مما وقع نصا في حديث أم هانئ وغيره ثم
ليس حديث عايشة بالثابت والأحاديث الأخر أثبت لسنا نعني حديث أم
هانئ وما ذكرت فيه خديجة وأيضا فقد روي في حديث عايشة رضي الله عنها
ما فقدت ولم يدخل بها النبي صلى الله عليه وسلم إلا بالمدينة وكل هذا يوهنه
بل الذي يدل عليه صحيح قولها أنه بجسده لإنكارها أن يكون رؤياه لربه رؤيا
عين ولو كانت عندها مناما لم تنكره فإن قيل فقد قال الله تعالى ما كذب
الفؤاد ما رأى فقد جعل ما رآه للقلب وهذا يدل على أنه رؤيا نوم ووحي لا
مشاهدة عين وحس قلنا يقابله قوله تعالى ما زاغ البصر وما طغى فقد
أضاف الأمر للبصر وقد قال أهل التفسير في قوله تعالى ما كذب الفؤاد ما رأى
أي لم يوهم القلب العين غير الحقيقة بل صدق رؤيتها وقيل ما أنكر قلبه ما
رأته عينه فصل وأما رؤيته صلى الله عليه وسلم لربه عز وجل فاختلف
السلف فيها فأنكرته عايشة رضي الله عنها حدثنا أبو الحسين سراج بن عبد
الملك الحافظ بقراءتي عليه قال حدثني أبي وأبو عبد الله بن عتاب الفقيه قالا
حدثنا القاضي يونس بن مغيث حدثنا أبو الفضل الصقلي حدثنا ثابت بن قاسم
ابن ثابت عن أبيه عن جده قالا حدثنا عبد الله بن علي حدثنا محمود بن آدم حدثنا
وكيع عن ابن أبي خالد عن عامر عن مسروق أنه قال لعايشة رضي الله عنها يا أم
المؤمنين هل رأى محمد ربه فقالت لقد قف شعري مما قلت ثلث من حدثك
بهن فقد كذب من حدثك أن محمدا رأى ربه فقد كذب ثم قرأت لا تدركه الأبصار
الآية وذكر الحديث وقال جماعة بقول عايشة رضي الله عنها وهو المشهور
عن ابن مسعود ومثله عن أبي هريرة أنه صلى الله عليه وسلم إنما رأى جبريل واختلف

عنه

عنه وقال بإنكار هذا وامتناع رؤيته في الدنيا جماعة من المحدثين والفقهاء
والمتكلمين وعن ابن عباس رضي الله عنهما أنه رآه بعينه وروى عطاء عنه رآه
بقلبه وعن أبي العالية عنه رآه بفؤاده مرتين وذكر ابن إسحق أن ابن عمر
أرسل إلى ابن عباس رضي الله عنهم يسأله هل رأى محمد ربه فقال نعم والأشهر
عنه أنه صلى الله عليه وسلم رأى ربه بعينيه روى ذلك عنه من طرق وقال إن
الله اختص موسى بالكلام وإبرهيم بالخلة ومحمدا بالرؤية وحجته قوله تعالى
ما كذب الفؤاد ما رأى أفتمارونه على ما يرى ولقد رآه نزلة أخرى قال الماوردي
قيل إن الله تعالى قسم كلامه ورؤيته بين موسى ومحمد صلى الله عليهما وسلم فرآه محمد
مرتين وكلمه موسى مرتين وحكى أبو الفتح الرازي وأبو الليث السمرقندي
الحكاية عن كعب وروى عبد الله بن الحرث قال اجتمع ابن عباس وكعب
فقال ابن عباس أما نحن بنو هاشم فنقول إن محمدا رأى ربه مرتين فكبر كعب
حتى جاوبته الجبال وقال إن الله تعالى قسم رؤيته وكلامه بين محمد وموسى
فكلمه موسى ورآه محمد بقلبه عليهما السلام وروى شريك عن أبي ذر في تفسير
الآية قال رأى النبي صلى الله عليه وسلم ربه وحكى السمرقندي عن محمد بن
كعب القرظي وربيع بن أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم سئل هل رأيت ربك
فقال رأيته بفؤادي ولم أره بعيني وروى مالك بن يخامر عن معاذ عن النبي
صلى الله عليه وسلم قال رأيت ربي وذكر كلمة فقال يا محمد فيم يختصم الملأ الأعلى
وذكر الحديث وحكى عبد الرزاق أن الحسن كان يحلف بالله لقد رأى محمد ربه
وحكاه أبو عمر الطلمنكي عن عكرمة وحكى بعض المتكلمين هذا المذهب عن ابن
مسعود وحكى ابن إسحق أن مروان سأل أبا هريرة هل رأى محمد ربه فقال
نعم وحكى النقاش عن أحمد بن حنبل أنه قال أنا أقول بحديث ابن عباس بعينه رآه

والصحيح أن الله تعالى [illegible]

رآه حتى انقطع نفسه يعني نفس أحمد قال أبو عمر قال أحمد بن حنبل رآه
بقلبه وجبن عن القول برؤيته في الدنيا بالأبصار وقال سعيد بن جبير
لا أقول رآه ولا لم يره وقد اختلف في تأويل الآية عن ابن عباس وعكرمة
والحسن وابن مسعود فحكي عن ابن عباس وعكرمة رآه بقلبه وعن الحسن
وابن مسعود رأى جبريل وحكى عبد الله بن أحمد بن حنبل عن أبيه أنه قال رآه
وعن ابن عطاء في قوله تعالى ألم نشرح لك صدرك قال شرح صدره للرؤية
وشرح صدر موسى للكلام وقال أبو الحسن علي بن إسماعيل الأشعري وجماعة
من أصحابه إنه رأى الله عز وجل ببصره وعيني رأسه وقال كل آية أوتيها
نبي من الأنبياء عليهم السلام فقد أوتي نبينا مثلها وخص من بينهم بتفضيل
الرؤية ووقف بعض مشايخنا في هذا وقال ليس عليه دليل واضح ولكنه
جائز أن يكون قال القاضي أبو الفضل رحمه الله والحق الذي لا امتراء
فيه أن رؤيته تعالى في الدنيا جائزة عقلا وليس في العقل ما يحيلها
ومن الدليل على جوازها في الدنيا سؤال موسى عليه السلام لها ومحال أن يجهل
نبي ما يجوز على الله تعالى وما لا يجوز عليه بل لم يسأل إلا جائزا
غير مستحيل ولكن وقوعه ومشاهدته من الغيب الذي لا يعلمه إلا من
علمه الله فقال له الله تعالى لن تراني أي لن تطيق ولا تحتمل رؤيتي
ثم ضرب له مثلا مما هو أقوى من بنية موسى وأثبت وهو الجبل وكل
هذا ليس فيه ما يحيل رؤيته في الدنيا بل فيه جوازها على الجملة وليس
في الشرع دليل قاطع على استحالتها ولا امتناعها إذ كل موجود فرؤيته جائزة
غير مستحيلة ولا حجة لمن استدل على منعها بقوله لا تدركه الأبصار لاختلاف
التأويلات في الآية إذ ليس يقتضي قول من قال في الدنيا الاستحالة وقد

استدل

استند أي بعضهم بهذه الآية نفسها على جواز الرؤية وعدم استحالتها
على الجملة. وقد قيل لا تدركه أبصار الكفار. وقيل لا تدركه الأبصار
لا تحيط به وهو قول ابن عباس رضي الله عنهما وقد قيل لا تدركه الأبصار
وإنما يدركه المبصرون. وكل هذه التأويلات لا تقتضي منع الرؤية
ولا استحالتها وكذلك لا حجة لهم بقوله تعالى لن تراني الآية وقوله تبت
إليك لما قدمناه ولأنها ليست على العموم ولأن من قال معناها لن تراني
في الدنيا إنما هو تأويل. وأيضا فليس فيه نص الامتناع وإنما جاءت في حق
موسى عليه السلام وحيث تتطرق التأويلات وتتسلط الاحتمالات فليس
للقطع إليه سبيل. وقوله تبت إليك أي من سؤالي ما لم تقدره لي. وقد قال
أبو بكر الهذلي في قوله تعالى لن تراني أي ليس لبشر أن يطيق أن ينظر إلي في
الدنيا وأنه من نظر إلي مات. وقد رأيت لبعض السلف والمتأخرين ما معناه
أن رؤيته تعالى في الدنيا ممتنعة لضعف تركيب أهل الدنيا وقواهم وكونها
متغيرة غرضا للآفات والفناء فلم تكن لهم قوة على الرؤية فإذا كان في الآخرة
ركبوا تركيبا آخر ورزقوا قوى ثابتة باقية وأتم أنوار أبصارهم وقلوبهم — ثابتة
قووا بها على الرؤية. وقد رأيت مثل هذا لمالك بن أنس رحمه الله قال لم ير في
الدنيا لأنه باق ولا يرى الباقي بالفاني فإذا كان في الآخرة رزقوا أبصارا
باقية فرئي الباقي بالباقي. وهذا كلام حسن مليح وليس فيه دليل على
الاستحالة إلا من حيث ضعف القدرة فإذا قوى الله تعالى من شاء من عباده
وأقدره على حمل أعباء الرؤية لم تمتنع في حقه. وقد تقدم ما ذكر في قوة بصر
موسى ومحمد عليهما السلام ونفوذ إدراكهما بقوة إلهية منحاها لإدراك
ما أدركاه ورؤية ما رأياه والله أعلم. وقد ذكر القاضي أبو بكر في أثناء أجوبته عن

الأئمة بما معناه أن موسى عليه السلام رأى الله فلذلك خر صعقا وأن الجبل رأى
ربه فصار دكا بإدراك خلقه الله له واستنبط ذلك والله أعلم من قوله تعالى
ولكن انظر إلى الجبل فإن استقر مكانه فسوف تراني ثم قال فلما تجلى ربه للجبل
جعله دكا وخر موسى صعقا وتجليه للجبل هو ظهوره له حتى رآه على هذا
القول وقال جعفر بن محمد شغله بالجبل حتى تجلى ولولا ذلك لمات صعقا
بلا إفاقة وقوله هذا يدل على أن موسى رآه وقد وقع لبعض المفسرين في الجبل
أنه رآه وبرؤية الجبل له استدل من قال برؤية محمد نبينا صلى الله عليه وسلم
له إذ جعله دليلا على الجواز ولا مرية في الجواز إذ ليس في الآيات نص بالمنع
وأما وجوبه لنبينا عليه الصلاة والسلام والقول بأنه رآه بعينه فليس فيه
قاطع أيضا ولا نص إذ المعول فيه على آيتي النجم والتنازع فيهما مأثور والاحتمال
لهما ممكن ولا أثر قاطع متواتر عن النبي صلى الله عليه وسلم بذلك وحديث
ابن عباس رضي الله عنهما خبر عن اعتقاده لم يسنده إلى النبي صلى الله عليه وسلم
فيجب العمل باعتقاد مضمنه ومثله حديث أبي ذر في تفسير الآية وحديث
معاذ محتمل للتأويل وهو مضطرب الإسناد والمتن وحديث أبي ذر الآخر
مختلف محتمل مشكل فروي نور أنى أراه وحكى بعض شيوخنا أنه روي نوراني
أراه وفي حديثه الآخر سألته فقال رأيت نورا وليس يمكن الاحتجاج بواحد
منهما على صحة الرؤية فإن كان الصحيح رأيت نورا فهو قد أخبر أنه لم ير الله وإنما
رأى نورا منعه وحجبه عن رؤية الله تعالى وإلى هذا يرجع قوله نور أنى أراه
أي كيف أراه مع حجاب النور المغشي للبصر وهذا مثل ما في الحديث
الآخر حجابه النور وفي الحديث الآخر لم أره بعيني ولكن رأيته بقلبي مرتين
وتلا ثم دنا فتدلى والله تعالى قادر على خلق الإدراك الذي في البصر في القلب

أو كيف شاء لا إله غيره فإن ورد حديث نص بين في الباب اعتمد ووجب
المصير إليه إذ لا استحالة فيه ولا مانع قطعي يرده والله الموفق فصل وأما
ما ورد في هذه القصة من مناجاته لله تعالى وكلامه معه بقوله فأوحى إلى عبده
ما أوحى إلى ما تضمنته الأحاديث فأكثر المفسرين على أن الموحي الله إلى جبريل وجبريل
إلى محمد صلى الله عليه وسلم إلا الشذوذ منهم فذكر عن جعفر بن محمد الصادق رضي
الله عنهم قال أوحى الله إليه بلا واسطة ونحوه عن الواسطي وإلى هذا ذهب بعض
المتكلمين أن محمدا صلى الله عليه وسلم كلم ربه في الإسراء وحكي عن الأشعري وحكوه
عن ابن مسعود وابن عباس وأنكره آخرون وذكر النقاش عن ابن عباس رضي الله
عنهما في قصة الإسراء عنه عليه الصلاة والسلام في قوله تعالى ثم دنا فتدلى
قال فارقني جبريل فانقطعت الأصوات عني فسمعت كلام ربي عز وجل وهو يقول
ليهدأ روعك يا محمد ادن ادن وفي حديث أنس في الإسراء نحو منه وقد احتجوا
في هذا بقوله تعالى وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحيا أو من وراء حجاب أو يرسل
رسولا فيوحي بإذنه ما يشاء فقالوا هي ثلاثة أقسام من وراء حجاب كتكليم موسى
عليه السلام وبإرسال الملائكة كحال جميع الأنبياء عليهم السلام وأكثر أحوال
نبينا صلى الله عليه وسلم الثالث قوله تعالى وحيا ولم يبق من تقسيم صور الكلام
إلا المشافهة مع المشاهدة وقد قيل الوحي هنا هو ما يلقيه في قلب النبي صلى الله
عليه وسلم دون واسطة وقد ذكر أبو بكر البزار عن علي رضي الله عنه في حديث
الإسراء ما هو أوضح في سماع النبي صلى الله عليه وسلم لكلام الله تعالى من الآية فذكر
فيه فقال الملك الله أكبر الله أكبر فقيل لي من وراء الحجاب صدق عبدي أنا أكبر
أنا أكبر وقال في سائر كلمات الأذان مثل ذلك ويجيء الكلام في مشكل هذا
الحديث في الفصل بعد هذا مع ما يتشبه به وفي أول فصل من الباب منه

وكلام الله تعالى لمحمد صلى الله عليه وسلم ومن أخصه من أنبيائه عليهم السلام جائز
غير ممتنع عقلا ولا ورد في الشرع بالقطع منعه فإن صح في ذلك خبر حمل عليه
وكلامه تعالى لموسى عليه السلام كائن حق مقطوع به نص ذلك في الكتاب وأكده
بالمصدر دلالة على الحقيقة ورفع مكانه على ما ورد في الحديث في السماء السابعة
بسبب كلامه ورفع محمدا صلى الله عليه وسلم فوق هذا كله حتى بلغ مستوى
وسمع صريف الأقلام فكيف يستحيل في حق هذا أو يبعد سماع الكلام فسبحان
من خص من شاء بما شاء وجعل بعضهم فوق بعض درجات فصل ورفع
وأما ما ورد في حديث الإسراء وظاهر الآية من الدنو والقرب من قوله تعالى
دنا فتدلى فكان قاب قوسين أو أدنى فأكثر المفسرين أن الدنو والتدلي
منقسم ما بين محمد وجبريل عليهما الصلاة والسلام أو مختص بأحدهما من
الآخر أو من السدرة المنتهى قال الرازي وقال ابن عباس رضي الله عنهما هو
محمد عليه السلام دنا فتدلى من ربه وقيل معنى دنا قرب وتدلى زاد في
القرب وقيل هما بمعنى واحد أي قرب وحكى مكي والماوردي عن ابن عباس
رضي الله عنهما هو الرب دنا من محمد صلى الله عليه وسلم فتدلى إليه أي أمره
وحكمه وحكى النقاش عن الحسن قال دنا من عبده محمد صلى الله عليه وسلم
فتدلى فقرب منه فأراه ما شاء أن يريه من قدرته وعظمته قال وقال
ابن عباس رضي الله عنهما هو مقدم ومؤخر تدلى الرفرف لمحمد صلى الله عليه
وسلم ليلة المعراج فجلس عليه ثم رفع فدنا من ربه قال فارقني جبريل عليه
السلام وانقطعت عني الأصوات وسمعت كلام ربي وعن أنس رضي الله عنه
في الصحيح عرج بي جبريل إلى سدرة المنتهى ودنا الجبار رب العزة فتدلى حتى
كان منه قاب قوسين أو أدنى فأوحى إليه بما شاء وأوحى إليه خمسين صلاة

وذكر حديث الإسراء وعن محمد بن كعب هو محمد صلى الله عليه وسلم دنا من ربه
فكان قاب قوسين قال وقال جعفر بن محمد أدناه ربه منه حتى كان منه
كقاب قوسين وقال جعفر بن محمد والدنو من الله لا حد له ومن العباد
بالحدود وقال أيضا انقطعت الكيفية عن الدنو ألا ترى كيف حجب
جبريل عن دنوه ودنا محمد صلى الله عليه وسلم إلى ما أودع قلبه من المعرفة
والإيمان فتدلى بسكون قلبه إلى ما أدناه وزال عن قلبه الشك والارتياب

قال القاضي أبو الفضل رحمه الله ورضي عنه اعلم أن ما وقع من إضافة
الدنو والقرب هنا من الله أو إلى الله تعالى فليس بدنو مكان ولا قرب
مدى بل كما ذكرنا عن جعفر الصادق ليس بدنو حد وإنما دنو النبي صلى الله
عليه وسلم من ربه تعالى وقربه منه إبانة عظيم منزلته وتشريف رتبته
وإشراق أنوار معرفته ومشاهدة أسرار غيبه وقدرته ومن الله تعالى له
مبرة وتأنيس وبسط وإكرام ويتأول فيه ما يتأول في قوله ينزل ربنا تبارك وتعالى
إلى سماء الدنيا على أحد الوجوه نزول إفضال وإجمال وقبول وإحسان
قال الواسطي من توهم أنه بنفسه دنا جعل ثم مسافة بل كلما دنا بنفسه
من الحق تدلى بعدا يعني عن درك حقيقته إذ لا دنو للحق ولا بعد وقوله تعالى
قاب قوسين أو أدنى فمن جعل الضمير عائدا إلى الله تعالى لا إلى جبريل على هذا
كان عبارة عن نهاية القرب ولطف المحل وإيضاح المعرفة والإشراف
على الحقيقة من محمد صلى الله عليه وسلم وعبارة عن إجابة الرغبة وقضاء المطالب
وإظهار التحفي وإنافة المنزلة والمرتبة من الله تعالى له ويتأول فيه ما يتأول
في قوله من تقرب مني شبرا تقربت منه ذراعا ومن أتاني يمشي أتيته هرولة
قرب بالإجابة والقبول وإتيان بالإحسان وتعجيل المأمول فصل

أي التقرب [illegible] ... إلى السماء الدنيا ... الداعين باللطف والإجابة ... الاستعارة فمعناه الإقبال على ... [illegible]

في ذكر تفضيله في القيامة بخصوص الكرامة حدثنا القاضي أبو علي حدثنا أبو
الفضل وأبو الحسين قالا حدثنا أبو يعلى حدثنا السنجي حدثنا ابن محبوب حدثنا
الترمذي حدثنا الحسين بن يزيد الكوفي حدثنا عبد السلام بن حرب عن ليث عن
الربيع بن أنس عن أنس رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
أنا أول الناس خروجا إذا بعثوا وأنا خطيبهم إذا وفدوا وأنا مبشرهم
إذا أيسوا لواء الحمد بيدي وأنا أكرم ولد آدم على ربي ولا فخر وفي رواية
ابن زحر عن الربيع بن أنس عن أنس في غير هذا الحديث فأنا أول الناس
خروجا إذا بعثوا وأنا قائدهم إذا وفدوا وأنا خطيبهم إذا أنصتوا وأنا
شفيعهم إذا حبسوا وأنا مبشرهم إذا أبلسوا لواء الكرم بيدي وأنا أكرم
ولد آدم على ربي ولا فخر ويطوف علي ألف خادم كأنهم لؤلؤ مكنون وعن
أبي هريرة رضي الله عنه وأكسى حلة من حلل الجنة ثم أقوم عن يمين العرش
ليس أحد من الخلائق يقوم ذلك المقام غيري وعن أبي سعيد رضي الله عنه
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا سيد ولد آدم يوم القيامة وبيدي
لواء الحمد ولا فخر وما من نبي آدم فمن سواه إلا تحت لوائي وأنا أول
من تنشق عنه الأرض ولا فخر وعن أبي هريرة رضي الله عنه عنه صلى الله
عليه وسلم أنا سيد ولد آدم يوم القيامة وأول من تنشق عنه القبر وأول
شافع وأول مشفع وعن ابن عباس رضي الله عنهما أنا حامل لواء الحمد
يوم القيامة ولا فخر وأول شافع وأول مشفع ولا فخر وأنا أول من
يحرك حلق الجنة فيفتح لي فأدخلها فيدخلها معي فقراء المؤمنين ولا فخر
وأنا أكرم الأولين والآخرين ولا فخر وعن أنس رضي الله عنه أنا أول
الناس يشفع في الجنة وأنا أكثر الناس تبعا وعن أنس قال النبي صلى الله عليه وسلم

يلبسوا

أنا سيد الناس يوم القيامة وتدرون لم ذلك يجمع الله الأولين
والآخرين وذكر حديث الشفاعة وعن أبي هريرة رضي الله عنه أنه
عليه السلام قال أطمع أن أكون أعظم الأنبياء أجرا يوم القيامة وفي
حديث آخر أما ترضون أن يكون إبراهيم وعيسى فيكم يوم القيامة
ثم قال إنهما في أمتي يوم القيامة أما إبراهيم فيقول أنت دعوتي وذريتي
فاجعلني من أمتك وأما عيسى فالأنبياء إخوة بنو علات أمهاتهم شتى
وإن عيسى أخي ليس بيني وبينه نبي وأنا أولى الناس به وقوله عليه
السلام أنا سيد الناس يوم القيامة هو سيدهم في الدنيا ويوم القيامة
ولكن أشار عليه السلام لانفراده فيه بالسؤدد والشفاعة دون
غيره إذ لجأ إليه الناس في ذلك فلم يجدوا سواه والسيد هو الذي يلجأ
الناس إليه في حوائجهم فكان حينئذ سيدا منفردا من بين البشر لم يزاحمه
أحد في ذلك ولا ادعاه كما قال الله تعالى لمن الملك اليوم لله الواحد
القهار والملك لله تعالى في الدنيا والآخرة لكن في الآخرة انقطع دعوى
المدعين لذلك في الدنيا وكذلك لجأ إلى محمد صلى الله عليه وسلم جميع
الناس في الشفاعة فكان سيدهم في الأخرى دون دعوى وعن
أنس رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم آتي باب الجنة يوم
القيامة فأستفتح فيقول الخازن من أنت فأقول محمد فيقول بك أمرت
لا أفتح لأحد قبلك وعن عبد الله بن عمرو قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم حوضي مسيرة شهر وزواياه سواء وماؤه أبيض من الورق وريحه اللبن
أطيب من المسك كيزانه كنجوم السماء من شرب منه لم يظمأ أبدا وعن
أبي ذر نحوه وقال طوله ما بين عمان إلى أيلة يشخب فيه ميزابان من الجنة

وعن ثوبان مثله قال أحدهما من ذهب والآخر من ورق وفي رواية
حارثة بن وهب كما بين المدينة وصنعاء وقال أنس أيلة وصنعاء وقال ابن
عمر كما بين الكوفة والحجر الأسود وروى حديث الحوض أيضا أنس وجابر
وسمرة وابن عمر وعقبة بن عامر وحارثة بن وهب الخزاعي والمستورد وأبو
برزة الأسلمي وحذيفة بن اليمان وأبو أمامة وزيد بن أرقم وابن مسعود
وعبد الله بن زيد وسهل بن سعد وسويد بن جبلة وأبو سعيد الخدري
وعبد الله الصنابحي وأبو هريرة والبراء وجندب وعائشة وأسماء ابنتا أبي بكر
وأبو بكرة وخولة بنت بشر وغيرهم فصل في تفضيله بالمحبة والخلة
جاءت بذلك الآثار الصحيحة واختص صلى الله عليه وسلم على ألسنة المسلمين
بحبيب الله أخبرنا أبو القاسم بن إبراهيم الخطيب وغيره عن كريمة بنت أحمد
حدثنا أبو الهيثم ح وحدثنا حسين بن محمد الحافظ سماعا عليه حدثنا القاضي أبو
الوليد حدثنا عبد بن أحمد حدثنا أبو الهيثم حدثنا أبو عبد الله محمد بن يوسف
حدثنا محمد بن إسماعيل حدثنا عبد الله بن محمد حدثنا أبو عامر حدثنا فليح حدثنا
أبو النضر عن بسر بن سعيد عن أبي سعيد رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم
أنه قال لو كنت متخذا خليلا غير ربي لاتخذت أبا بكر وفي حديث آخر وإن
صاحبكم خليل الله ومن طريق عبد الله بن مسعود وقد اتخذ الله صاحبكم
خليلا وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال جلس ناس من أصحاب النبي صلى الله
عليه وسلم ينتظرونه قال فخرج حتى إذا دنا منهم سمعهم يتذاكرون فسمع
حديثهم فقال بعضهم عجبا إن الله اتخذ من خلقه خليلا وقال آخر ماذا
بأعجب من كلام موسى كلمه الله تكليما وقال آخر فعيسى كلمة الله وروحه
وقال آخر آدم اصطفاه الله فخرج عليهم فسلم وقال صلى الله عليه وسلم قد سمعت

كلامكم وعجبكم ان الله اتخذ ابرهيم خليلا وهو كذلك وعيسى روح
الله وهو كذلك وموسى نجي الله وهو كذلك وآدم اصطفاه الله وهو
كذلك الا وانا حبيب الله ولا فخر وانا حامل لواء الحمد يوم القيمة ولا فخر
وانا اول شافع واول مشفع ولا فخر وانا اول من يحرك حلق الجنة فيفتح
الله لي فيدخلنيها ومعي فقراء المؤمنين ولا فخر وانا اكرم الاولين والآخرين
ولا فخر وفي حديث ابو هريرة رضي الله عنه من قول الله تعالى لنبيه
صلى الله عليه وسلم اني اتخذتك خليلا فهو مكتوب في التورية انت حبيب
الرحمن قال القاضي ابو الفضل رحمه الله ورضي عنه اختلف في تفسير
الخلة واصل اشتقاقها فقيل الخليل المنقطع الى الله تعالى الذي ليس في
انقطاعه اليه ومحبته له اختلال وقيل الخليل المختص واختار هذا
القول غير واحد وقال بعضهم اصل الخلة الاستصفاء وسمي ابرهيم
خليل الله لانه يوالي فيه ويعادي فيه وخلة الله له نصره وجعله اماما
لمن بعده وقيل الخليل اصله الفقير المحتاج المنقطع مأخوذ من الخلة وهي
الحاجة فسمي بها ابرهيم لانه قصر حاجته على ربه وانقطع اليه بهمته ولم
يجعله بغيره اذ جاءه جبريل عليه السلام وهو في المنجنيق ليرمى في النار
فقال ألك حاجة قال اما اليك فلا وقال ابو بكر بن فورك الخلة صفاء
المودة التي توجب الاختصاص بتخلل الاسرار وقال بعضهم اصل الخلة
المحبة ومعناها الاسعاف والالطاف والترفيع والتشفيع وقد بين ذلك
تعالى في كتابه بقوله وقالت اليهود والنصارى نحن ابناء الله واحباؤه قل
فلم يعذبكم بذنوبكم فاوجب للمحبوب ان لا يواخذ بذنوبه قال هذا
والخلة اقوى من البنوة لان البنوة قد تكون فيها العداوة كما قال الله تعالى

إن من أزواجكم وأولادكم عدواً لكم. ولا يصح أن يكون عدواً مع خلته.
فإذا اتسما إبراهيم ومحمد عليهما السلام بالخلة إما بانقطاعهما إلى الله ووقف
حوائجهما عليه والانقطاع عمن دونه والإضراب عن الوسائط والأسباب
أو لزيادة الاختصاص منه تعالى لهما وخفي ألطافه عندهما وما خالل
بواطنهما من أسرار إلهيته ومكنون غيوبه ومعرفته. أو لاستصفائه
لهما واستصفاء قلوبهما عمن سواه حتى لم يخاللهما حب لغيره. ولهذا قال
بعضهم الخليل من لا يتسع قلبه لسواه وهو عندهم معنى قوله عليه السلام
لو كنت متخذاً خليلاً لاتخذت أبا بكر خليلاً لكن أخوة الإسلام. واختلف
العلماء أرباب القلوب أيهما أرفع درجة الخلة أو درجة المحبة فجعلهما
بعضهم سواء فلا يكون الحبيب إلا خليلاً ولا الخليل إلا حبيباً لكنه خص إبراهيم
بالخلة ومحمداً بالمحبة عليهما السلام. وبعضهم قال درجة الخلة أرفع واحتج
بقوله صلى الله عليه وسلم لو كنت متخذاً خليلاً غير ربي فلم يتخذه. وقد أطلق
المحبة عليه السلام لفاطمة وابنيها رضي الله عنهم وأسامة وغيرهم. وأكثرهم
جعل المحبة أرفع من الخلة لأن درجة الحبيب نبينا عليه السلام أرفع
من درجة الخليل إبراهيم عليه السلام. وأصل المحبة الميل إلى ما يوافق المحب
ولكن هذا في حق من يصح الميل منه والانتفاع بالوفق وهي درجة المخلوق
فأما الخالق جل جلاله فمنزه عن الأغراض فمحبته لعبده تمكينه من سعادته
وعصمته وتوفيقه وتهيئة أسباب القرب وإفاضة رحمته عليه وقصواها
كشف الحجب عن قلبه حتى يراه بقلبه وينظر إليه ببصيرته فيكون كما
قال في الحديث فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر
به ولسانه الذي ينطق به. ولا ينبغي أن يفهم من هذا سوى التجرد لله

والانقطاع الى الله والاعراض عن غير الله وصفا القلب له واخلاص حركات له كما قالت عائشة رضي الله عنها كان صلى الله عليه وسلم خلقه القرآن يرضى برضاه ويسخط بسخطه ومن هذا عبر بعضهم عن الخلة بقوله

قد تخللت مسلك الروح مني ❊ وبذا سمي الخليل خليلا ❊
فاذا ما نطقت كنت حديثي ❊ واذا ما سكت كنت الغليلا ❊

فذا مزية الخلة وخصوصية المحبة حاصلة لنبينا صلى الله عليه وسلم بما دلت عليه الآثار الصحيحة المنتشرة المتلقاة بالقبول من الامة وكفى بقوله تعالى قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني الآية حكى اهل التفسير ان هذه الآية لما نزلت قال الكفار انما يريد محمد ان نتخذه حنانا كما اتخذت النصارى عيسى فانزل الله تعالى غيظا لهم ورغما على مقالتهم هذه الآية قل اطيعوا الله والرسول فزاده شرفا بامرهم بطاعته وقرنها بطاعته عز وجل ثم توعدهم على التولي عنه بقوله تعالى فان تولوا فان الله لا يحب الكافرين وقد نقل الامام ابو بكر بن فورك عن بعض المتكلمين كلاما في الفرق بين المحبة والخلة يطول جملة اشاراته الى تفضيل مقام المحبة على الخلة ونحن نذكر منه طرفا يهدي الى ما بعده فمن ذلك قولهم الخليل يصل بالواسطة من قوله تعالى وكذلك نري ابرهيم ملكوت السموات والارض والحبيب يصل لحبيبه به من قوله تعالى فكان قاب قوسين او ادنى وقيل الخليل الذي تكون مغفرته في حد الطمع من قوله تعالى والذي اطمع ان يغفر لي خطيئتي والحبيب الذي مغفرته في حد اليقين من قوله تعالى ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك الآية والخليل قال ولا تخزني والحبيب قيل له يوم لا يخزي الله النبي فابتدئ بالبشارة قبل السؤال والخليل قال في المحنة حسبي الله

والحبيب قيل له يا أيها النبي حسبك الله. والخليل قال واجعل لي لسان صدق
والحبيب قيل له ورفعنا لك ذكرك. أعطي بلا سؤال. والخليل قال واجنبني
وبني أن نعبد الأصنام. والحبيب قيل له إنما يريد الله ليذهب عنكم
الرجس أهل البيت. وفيما ذكرناه تنبيه على مقصد أصحاب هذه المقال من
تفضيل المقامات والأحوال وكل يعمل على شاكلته فربكم أعلم بمن هو أهدى
سبيلا. فصل في تفضيله عليه السلام بالشفاعة والمقام المحمود قال الله
تعالى عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا أخبرنا الشيخ أبو علي الغساني الحافظ
فيما كتب إلي بخطه حدثنا سراج بن عبد الله القاضي حدثنا أبو محمد الأصيلي
حدثنا أبو زيد المروزي وأبو أحمد قالا حدثنا محمد بن يوسف قال حدثنا محمد
بن إسماعيل قال حدثنا إسماعيل بن أبان حدثنا أبو الأحوص عن آدم بن علي سمعت
ابن عمر رضي الله عنهما يقول إن الناس يصيرون يوم القيامة جثا كل أمة
تتبع نبيها يقولون يا فلان اشفع لنا يا فلان اشفع لنا حتى تنتهي الشفاعة
إلى النبي صلى الله عليه وسلم فذلك يوم يبعثه الله المقام المحمود. وعن أبي هريرة
رضي الله عنه سئل عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم يعني قوله تعالى عسى
أن يبعثك ربك مقاما محمودا فقال صلى الله عليه وسلم هي الشفاعة. وروى
كعب بن مالك عنه عليه السلام يحشر الناس يوم القيامة فأكون أنا وأمتي
على تل ويكسوني ربي حلة خضراء ثم يؤذن لي فأقول ما شاء الله أن أقول
فذلك المقام المحمود الذي وعده. وعن ابن عمر رضي الله عنهما وذكر حديث
الشفاعة قال فيمشي حتى يأخذ بحلقة الجنة فيومئذ يبعثه الله المقام
المحمود الذي وعده. وعن ابن مسعود رضي الله عنه عنه عليه السلام أنه
قيامه عن يمين العرش مقاما لا يقومه غيره يغبطه فيه الأولون والآخرون.

ونحوه

ونحوه عن كعب والحسن وفي رواية هو المقام المحمود الذي أشفع لأمتي فيه وعن
ابن مسعود رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إني لقائم
المقام المحمود قيل وما هو قال ذلك يوم ينزل الله تبارك وتعالى الحديث
وعن أبي موسى رضي الله عنه عنه عليه السلام خيرت بين أن يدخل
نصف أمتي الجنة وبين الشفاعة فاخترت الشفاعة لأنها أعم أترونها للمتقين
ولكنها للمذنبين الخطائين وعن أبي هريرة رضي الله عنه قلت يا رسول الله ما
ذا ورد عليك في الشفاعة فقال شفاعتي لمن شهد أن لا إله إلا الله مخلصا
يصدق لسانه قلبه وعن أم حبيبة رضي الله عنها قالت قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم أريت ما تلقى أمتي من بعدي وسفك بعضهم دماء بعض
وسبق لهم من الله ما سبق للأمم قبلهم فسألت الله أن يوليني شفاعة يوم القيامة
فيهم ففعل وقال حذيفة رضي الله عنه يجمع الله الناس في صعيد
واحد حيث يسمعهم الداعي وينفذهم البصر حفاة عراة كما خلقوا سكوتا
لا تكلم نفس إلا بإذنه فينادى محمد فيقول لبيك وسعديك والخير في
يديك والشر ليس إليك والمهتدي من هديت وعبدك بين يديك ولك
وإليك لا ملجأ ولا منجا منك إلا إليك تباركت وتعاليت سبحانك رب
البيت قال فذلك المقام المحمود الذي ذكر الله تعالى وقال ابن عباس رضي الله
عنهما إذا دخل أهل النار النار وأهل الجنة الجنة تبقى آخر زمرة من الجنة وآخر
زمرة من النار فتقول زمرة النار لزمرة الجنة ما نفعكم إيمانكم فيدعون
ربهم ويضجون فيسمعهم أهل الجنة فيسألون آدم وغيره بعده في الشفاعة
لهم فكل يعتذر حتى يأتوا محمدا صلى الله عليه وسلم فيشفع لهم فذلك المقام المحمود
ونحوه عن ابن مسعود رضي الله عنه أيضا ومجاهد وعن علي بن الحسين رضي الله

عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم وقال يزيد الفقير سمعت جابر بن عبد الله يقول
بمقام محمد صلى الله عليه وسلم يعني الذي يبعثه الله فيه قال نعم قال فإنه مقام
محمد صلى الله عليه وسلم المحمود الذي يخرج الله به من يخرج يعني من النار وذكر
حديث الشفاعة في إخراج الجهنميين وعن أنس رضي الله عنه نحوه وقال
فهذا المقام المحمود الذي وعده وفي رواية أنس وأبي هريرة وغيرهما دخل حديث
بعضهم في حديث بعض يجمع الله الأولين والآخرين يوم القيامة فيهتمون
وقال فيلهمون فيقولون لو استشفعنا إلى ربنا وفي طريق فيموج الناس
بعضهم في بعض وفي رواية أبي هريرة رضي الله عنه وتدنو الشمس فيبلغ الناس
من الغم ما لا يطيقون ولا يحتملون فيقولون ألا تنظرون من يشفع لكم
فيأتون آدم فيقولون زاد بعضهم أنت آدم أبو البشر خلقك الله بيده ونفخ
فيك من روحه وأسكنك جنته وأسجد لك ملائكته وعلمك أسماء كل
شيء اشفع لنا عند ربك حتى يريحنا من مكاننا ألا ترى ما نحن فيه فيقول إن
ربي غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله ولا يغضب بعده مثله ونهاني
عن الشجرة فعصيت نفسي نفسي اذهبوا إلى غيري اذهبوا إلى نوح فيأتون نوحا
فيقولون أنت أول الرسل إلى أهل الأرض وسماك الله عبدا شكورا ألا ترى ما نحن
فيه ألا ترى ما بلغنا ألا تشفع لنا إلى ربك فيقول إن ربي غضب اليوم غضبا
لم يغضب قبله مثله ولا يغضب بعده مثله نفسي نفسي وفي رواية
أنس ويذكر خطيئته التي أصاب سؤاله ربه بغير علم وفي رواية أبي هريرة وقد
كانت لي دعوة دعوتها على قومي اذهبوا إلى غيري اذهبوا إلى إبراهيم فإنه خليل
الله فيأتون إبراهيم فيقولون أنت نبي الله وخليله من أهل الأرض اشفع لنا إلى
ربك ألا ترى ما نحن فيه فيقول إن ربي قد غضب اليوم غضبا فذكر مثله

ويذكر

ويذكر ثلاث كذبات كذبهن نفسي نفسي لست لها ولكن عليكم بموسى فانه
كليم الله وفي رواية فانه عبد آتاه الله التوراة وكلمه وقربه نجيا قال فيأتون
موسى فيقول لست لها ويذكر خطيئته التي اصاب وقتله النفس نفسي نفسي
ولكن عليكم بعيسى فانه روح الله وكلمته فيأتون عيسى فيقول لست لها
ولكن عليكم بمحمد صلى الله عليه وسلم عبد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما
تأخر فيأتوني فأقول أنا لها فانطلق فاستأذن على ربي فيؤذن لي فاذا رأيته
وقعت ساجدا وفي رواية فآتي تحت العرش فأخر ساجدا وفي رواية فأقوم بين
يلهمنيها — يديه فأحمده بمحامد لا أقدر عليها الا أن يلهمنيها الله وفي رواية ثم يفتح الله
علي من محامده وحسن الثناء عليه شيئا لم يفتحه على احد قبلي قال في رواية
ابي هريرة رضي الله عنه فيقال يا محمد ارفع رأسك سل تعطه واشفع تشفع
فأرفع رأسي فأقول رب امتي رب امتي فيقول ادخل من امتك من لا حساب
عليهم من الباب الايمن من ابواب الجنة وهم شركاء الناس فيما سوى ذلك من
الابواب ولم يذكر في رواية انس هذا الفصل وقال مكانه ثم اخر ساجدا
فيقال لي يا محمد ارفع رأسك وقل تسمع لك واشفع تشفع وسل تعطه فأقول
رب امتي امتي فيقال انطلق فمن كان في قلبه مثقال حبة من برة او شعيرة
من ايمان فأخرجه فانطلق فأفعل ثم ارجع الى ربي فأحمده بتلك المحامد وذكر
مثل الاول وقال من كان فيه مثقال حبة من خردل قال فأفعل ثم ارجع
ادنى — وذكر مثل ما تقدم وقال فيه من كان في قلبه ادنى ادنى من مثقال حبة من خردل
فأفعل وذكر في المرة الرابعة فيقال لي ارفع رأسك وقل تسمع واشفع تشفع
وسل تعطه فأقول رب ائذن لي فيمن قال لا اله الا الله قال ليس ذلك
اليك ولكن وعزتي وكبريائي وعظمتي وجبريائي لأخرجن من النار من قال

لا إله إلا الله [illegible] قتادة رضي الله عنه [illegible] قال فلا أدري في الثالثة
أو الرابعة فأقول يا رب ما بقي في النار إلا من حبسه القرآن أي وجب عليه
الخلود [illegible] أبي بكر وعقبة بن عامر وأبي سعيد وحذيفة رضي الله عنهم مثله
قال فيأتون محمدا صلى الله عليه وسلم فيؤذن له وتأتي الأمانة والرحم فتقومان
جنبتي الصراط [illegible] في رواية أبي مالك عن حذيفة فيأتون محمدا صلى الله
عليه وسلم فيشفع فيضرب الصراط فيمرون أولهم كالبرق ثم كالريح والطير
وشد الرجال ونبيكم صلى الله عليه وسلم على الصراط يقول اللهم سلم سلم
حتى يجتاز الناس وذكر آخرهم جوازا الحديث [illegible] أبي هريرة رضي الله عنه
فأكون أول من يجيز [illegible] ابن عباس رضي الله عنهما [illegible] عليه السلام ثم
يوضع للأنبياء عليهم السلام منابر يجلسون عليها ويبقى منبري لا أجلس عليه
قائما بين يدي ربي منتصبا فيقول الله تبارك وتعالى ما تريد أن أصنع بأمتك
فأقول يا رب عجل حسابهم فيدعى بهم فيحاسبون فمنهم من يدخل الجنة برحمته
ومنهم من يدخل الجنة بشفاعتي ولا أزال أشفع حتى أعطى صكاكا برجال
قد أمر بهم إلى النار حتى إن خازن النار ليقول يا محمد ما تركت لغضب ربك
في أمتك من نقمة. ومن طريق زياد النميري [illegible] أنس رضي الله عنه أن رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال أنا أول من تنشق الأرض عن جمجمته ولا فخر وأنا سيد
الناس يوم القيامة ولا فخر ومعي لواء الحمد يوم القيامة وأنا أول من تفتح له الجنة
ولا فخر فآتي فآخذ بحلقة الجنة فيقال من هذا فأقول محمد فيفتح لي فيستقبلني
الجبار تعالى فأخر له ساجدا وذكر نحو ما تقدم [illegible] أنس رضي الله عنه
سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لأشفعن يوم القيامة لأكثر مما في
الأرض من حجر وشجر. فقد اجتمع من اختلاف ألفاظ هذه الآثار شفاعته عليه السلام

ومعاينه

ومقامه المحمود من أول الشفاعات إلى آخرها من حين يجتمع الناس للحشر وتضيق
بهم الحناجر ويبلغ منهم العرق والشمس والوقوف مبلغه وذلك قبل الحساب
فيشفع حينئذ لإراحة الناس من الموقف ثم يوضع الصراط ويحاسب الناس
كما جاء في الحديث عن أبي هريرة وحذيفة وهذا الحديث أتقن فيشفع في تعجيل
من لا حساب عليه من أمته إلى الجنة كما تقدم في الحديث ثم يشفع فيمن وجب
عليه العذاب ودخل النار منهم حسب ما تقتضيه الأحاديث الصحيحة
ثم فيمن قال لا إله إلا الله. وليس هذا لسواه صلى الله عليه وسلم وفي الحديث المنتشر
الصحيح لكل نبي دعوة يدعو بها واختبأت دعوتي شفاعة لأمتي يوم القيامة — يدعو بها ثابت
قال أهل العلم معناه دعوة أعلم أنها تستجاب لهم ويبلغ فيها مرغوبهم
وإلا فكم لكل نبي منهم من دعوة مستجابة ولنبينا صلى الله عليه وسلم منها
ما لا يعد لكن حالهم عند الدعاء بها بين الرجاء والخوف وضمنت لهم إجابة دعوة
فيما شاؤوه يدعون بها على يقين من الإجابة وقد قال محمد بن زياد وأبو صالح
عن أبي هريرة رضي الله عنه في هذا الحديث لكل نبي دعوة دعا بها في أمته فاستجيب
له وأنا أريد أن أؤخر دعوتي شفاعة لأمتي يوم القيامة وفي رواية أبي صالح لكل
نبي دعوة مستجابة فتعجل كل نبي دعوته. ونحوه في رواية أبي زرعة عن أبي هريرة
وعن أنس مثل رواية ابن زياد عن أبي هريرة فتكون هذه الدعوة المذكورة مخصوصة
بالأمة مضمونة الإجابة وإلا فقد أخبر النبي صلى الله عليه وسلم أنه سأل
لأمته أشياء من أمور الدين والدنيا أعطي بعضها ومنع بعضها وادخر لهم هذه
الدعوة ليوم الفاقة وخاتمة المحن وعظيم السؤل والرغبة. جزاه الله أحسن
ما جزى نبيا عن أمته. وصلى الله عليه وسلم كثيرا. فصل في تفضيله صلى الله
عليه وسلم في الجنة بالوسيلة والدرجة الرفيعة والكوثر والفضيلة حدثنا

القاضي أبو عبد الله محمد بن عيسى التميمي والفقيه أبو الوليد هشام بن أحمد بقراءتي
عليه قالا حدثنا أبو علي الغساني حدثنا النمري حدثنا ابن عبد المؤمن حدثنا
أبو بكر التمار حدثنا أبو داود حدثنا محمد بن سلمة حدثنا ابن وهب عن ابن لهيعة
وحيوة وسعيد بن أبي أيوب عن كعب بن علقمة عن عبد الرحمن بن جبير عن عبد الله
ابن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول
إذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول ثم صلوا علي فإنه من صلى علي صلى الله عليه مرة
عشرا ثم سلوا الله تعالى لي الوسيلة فإنها منزلة في الجنة لا تنبغي إلا لعبد من
عباد الله وأرجو أن أكون أنا هو فمن سأل الله لي الوسيلة حلت عليه الشفاعة
وفي حديث آخر عن أبي هريرة رضي الله عنه الوسيلة أعلى درجة في الجنة
وعن أنس رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بينا أنا أسير في
الجنة إذ عرض لي نهر حافتاه قباب اللؤلؤ قلت لجبريل ما هذا قال هذا الكوثر
الذي أعطاكه الله قال ثم ضرب بيده إلى طينته فاستخرج مسكا وعن
عائشة وعبد الله بن عمرو رضي الله عنهما مثله قال ومجراه على الدر والياقوت
وماؤه أحلى من العسل وأبيض من الثلج وفي رواية عنه فإذا هو يجري ولم يشق
شقا عليه حوض ترد عليه أمتي وذكر حديث الحوض ونحوه عن ابن عباس
وعن ابن عباس أيضا رضي الله عنهما قال الكوثر الخير الذي أعطاه الله إياه
وقال سعيد بن جبير والنهر الذي في الجنة من الخير الذي أعطاه وعن حذيفة
رضي الله عنه فيما ذكر عليه السلام عن ربه تبارك وتعالى وأعطاني الكوثر نهرا
في الجنة يسيل في حوضي وعن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى ولسوف
يعطيك ربك فترضى قال ألف قصر من لؤلؤ ترابهن المسك وفيه ما يصلحهن
وفي رواية أخرى وفيه ما ينبغي له من الأزواج والخدم فصل فإن قلت

الأحاديث الواردة

إذا تقرر من دليل القرآن وصحيح الأثر وإجماع الأمة كونه أكرم البشر وأفضل
الأنبياء فما معنى الحديث الوارد بنهيه عن التفضيل كقوله عليه السلام فيما
حدثناه الأسدي قال حدثنا السمرقندي حدثنا الفارسي أخبرنا الجلودي
أخبرنا ابن سفيان حدثنا مسلم حدثنا ابن مثنى حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة
عن قتادة قال سمعت أبا العالية يقول حدثني ابن عم نبيكم صلى الله عليه
وسلم يعني ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ما ينبغي لعبد
أن يقول أنا خير من يونس بن متى وفي غير هذا الطريق عن أبي هريرة رضي
الله عنه قال يعني نفسه ما ينبغي لعبد الحديث وفي حديث أبي هريرة رضي
الله عنه في اليهودي الذي قال والذي اصطفى موسى على البشر فلطمه
رجل من الأنصار وقال تقول ذلك ورسول الله صلى الله عليه وسلم بين
أظهرنا فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فقال لا تفضلوا بين الأنبياء وفي
رواية لا تخيروني على موسى فذكر الحديث. وفيه ولا أقول إن أحدا أفضل
من يونس بن متى وعن أبي هريرة رضي الله عنه ومن قال أنا خير من يونس
بن متى فقد كذب وعن ابن مسعود رضي الله عنه لا يقولن أحدكم
أنا خير من يونس بن متى وفي حديثه الآخر فجاءه رجل فقال يا خير البرية
فقال ذاك إبراهيم فاعلم أن للعلماء في هذه الأحاديث تأويلات أحدها
أن نهيه عن التفضيل كان قبل أن يعلم أنه سيد ولد آدم فنهى عن التفضيل
إذ يحتاج إلى توقيف وأن من فضل بلا علم فقد كذب. وكذلك قوله
لا أقول إن أحدا أفضل منه لا يقتضي تفضيله هو وإنما هو في الظاهر
كف عن التفضيل الوجه الثاني أنه صلى الله عليه وسلم قاله على طريق التواضع
ونفي التكبر والعجب وهذا لا يسلم من الاعتراض الوجه الثالث أن لا

تنقيص

بعضا بينهم تفضيلا يؤدي إلى بغض بعضهم أو الغض منه لا سيما في جهة يونس
عليه السلام إذ أخبر الله عنه بما أخبر لئلا يقع في نفس من لا يعلم منه بذلك
غضاضة وانحطاط من رتبته الرفيعة إذ قال الله تعالى عنه إذ أبق إلى الفلك
المشحون فظن أن لن نقدر عليه فربما يخيل لمن لا علم عنده حطيطته
بذلك وقيل منع التفضيل في حق النبوة والرسالة فإن الأنبياء
فيها على حد واحد إذ هي شيء واحد لا تتفاضل وإنما التفاضل في زيادة
الأحوال والخصوص والكرامات والرتب والألطاف وأما النبوة في
نفسها فلا تتفاضل وإنما التفاضل بأمور أخر زائدة عليها ولذلك منهم
رسل ومنهم أولو عزم من الرسل ومنهم من رفع مكانا عليا ومنهم من أوتي
الحكم صبيا وأوتي بعضهم الزبر وبعضهم البينات ومنهم من كلم الله ورفع
بعضهم درجات قال الله تعالى ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض الآية
وقال تعالى تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض الآية قال بعض أهل العلم
والتفضيل المراد لهم هنا في الدنيا وذلك بثلاثة أحوال أن تكون آياته
ومعجزاته أبهر وأشهر أو تكون أمته أزكى وأكثر أو يكون في ذاته أفضل
وأظهر وفضله في ذاته راجع إلى ما خصه الله تعالى به من كراماته واختصاصه
من كلام أو خلة أو رؤية أو ما شاء الله من ألطافه وتحف ولايته واختصاصه
وقد روي أن النبي صلى الله عليه وسلم قال إن للنبوة أثقالا وإن يونس
تفسخ منها تفسخ الربع فحفظ صلى الله عليه وسلم موضع الفتنة من أوهام من يسبق
إليه بسببها جرح في نبوته أو قدح في اصطفائه وحط من رتبته ووهن
في عصمته شفقة منه صلى الله عليه وسلم على أمته وقد يتوجه على هذا
الترتيب وجه خامس وهو أن يكون أنا راجعا إلى القائل نفسه أي لا يظن

أو انحطاط
إذ ذهب مغاضبا

أحد

أحد وأن بلغ من الزكاء والعصمة والطهارة ما بلغ أنه خير من يونس لأجل
ما حكى الله عنه فإن درجة النبوة أفضل وأعلى وإن تلك الأقدار لم تحطه
عنها حبة خردل ولا أدنى وسنزيد في القسم الثالث في هذا بيانا إن شاء
الله تعالى. فقد بان لك الغرض وسقط بما حررناه شبهة المعترض فصل
في أسمائه عليه السلام وما تضمنته من فضيلته حدثنا أبو عمران موسى بن
أبي تليد الفقيه قال حدثنا أبو عمر الحافظ حدثنا سعيد بن نصر حدثنا القاسم
ابن أصبغ حدثنا محمد بن وضاح حدثنا يحيى حدثنا مالك عن ابن شهاب عن
محمد بن جبير بن مطعم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لي خمسة أسماء
أنا محمد وأنا أحمد وأنا الماحي الذي يمحو الله بي الكفر وأنا الحاشر الذي
يحشر الناس على قدمي وأنا العاقب. وقد سماه الله في كتابه محمدا وأحمد
فمن خصائصه تعالى له صلى الله عليه وسلم أن ضمن أسماءه ثناءه وطوى أثناء
ذكره عظيم شكره فأما اسمه أحمد فأفعل مبالغة من صفة الحمد ومحمد مفعل
مبالغة من كثرة الحمد فهو صلى الله عليه وسلم أجل من حمد وأفضل من حمد
وأكثر الناس حمدا فهو أحمد المحمودين وأحمد الحامدين ومعه لواء الحمد يوم
القيامة ليتم له كمال الحمد ويتشهر في تلك العرصات بصفة الحمد ويبعثه ربه
هناك مقاما محمودا كما وعده يحمده فيه الأولون والآخرون بشفاعته لهم
ويفتح عليه فيه من المحامد كما قال عليه السلام ما لم يعط غيره وسمى أمته
في كتب أنبيائه بالحمادين فحقيق أن يسمى محمدا وأحمد ثم في هذين الاسمين
من عجائب خصائصه وبدائع آياته فن آخر وهو أن الله جل اسمه حمى أن
يسمى بهما أحد قبل زمانه. أما أحمد الذي أتى في الكتب وبشرت به الأنبياء
فمنع الله تعالى بحكمته أن يسمى به أحد غيره ولا يدعى به مدعو قبله

حتى لا يدخل لبس على ضعيف القلب أو شك وكذلك محمد أيضا لم يسم به أحد
من العرب ولا غيرهم إلى أن شاع قبيل وجوده عليه السلام وميلاده أن نبيا
يبعث اسمه محمد فسمى قوم قليل من العرب أبناءهم بذلك رجاء أن يكون أحدهم
هو والله أعلم حيث يجعل رسالاته وهم محمد بن أحيحة بن الجلاح الأوسي
ومحمد بن مسلمة الأنصاري ومحمد بن براء البكري ومحمد بن سفيان بن مجاشع ومحمد بن
حمران الجعفي ومحمد بن خزاعي السلمي لا سابع لهم ويقال أول من سمي محمد بن
سفيان واليمن تقول بل محمد بن اليحمد من الأزد ثم حمى الله تعالى كل من تسمى به
أن يدعي النبوة أو يدعيها أحد له أو يظهر عليه سبب يشكك أحدا في
أمره حتى تحققت السمتان له صلى الله عليه وسلم ولم ينازع فيهما وأما قوله
عليه السلام وأنا الماحي الذي يمحو الله بي الكفر ففسر في الحديث ويكون محو
الكفر إما من مكة وبلاد العرب وما زوي له من الأرض ووعد أنه يبلغه
ملك أمته أو يكون المحو عاما بمعنى الظهور والغلبة كما قال تعالى ليظهره
على الدين كله وقد ورد تفسيره في الحديث أنه الذي محيت به سيئات من
اتبعه وقوله عليه السلام وأنا الحاشر الذي يحشر الناس على قدمي أي
على زماني وعهدي أي ليس بعدي نبي كما قال تعالى وخاتم النبيين
وسمي عاقبا لأنه عقب غيره من الأنبياء وقيل معنى على قدمي أي يحشر الناس
بمشاهدتي كما قال الله تعالى لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول
عليكم شهيدا ومعنى قوله عليه السلام لي خمسة أسماء قيل إنها موجودة
في الكتب المتقدمة وعند أولي العلم من الأمم السالفة والله أعلم وقد روي
عنه عليه السلام لي عشرة أسماء وذكر منها طه ويس حكاه مكي وقد قيل
في بعض تفاسير طه إنه يا طاهر يا هادي وفي يس يا سيد حكاه

لسابع

عن

بن الواسطي وجعفر بن محمد. وذكر غيره إلى عشرة اسما وذكر الخمسة التي في
الحديث الأول. قال: وانا رسول الرحمة. ورسول الراحة. ورسول الملاحم.
وانا المقفي قفيت النبيين وانا قيم. والقيم الجامع الكامل كذا وجدته ولم
أروه وأرى ان صوابه قثم بالثاء كما ذكرناه بعد عن الحربي وهو اشبه بالتفسير.
وقد وقع ايضا في كتب الانبياء قال داود عليه السلام اللهم ابعث لنا محمدا
مقيم السنة بعد الفترة فقد يكون القيم بمعناه. وروى النقاش عنه
عليه السلام لي في القرآن سبعة اسما محمد واحمد ويس وطه. والمدثر.
والمزمل وعبد الله. وفي حديث ابي موسى الاشعري رضي الله عنه انه كان
عليه السلام يسمي لنا نفسه اسما فيقول انا محمد واحمد والمقفي والحاشر.
ونبي التوبة. ونبي الملحمة. ويروى المرحمة والرحمة. وكل صحيح ان شاء الله
تعالى ومعنى المقفي معنى العاقب. واما نبي الرحمة والتوبة والمرحمة
والراحة فقد قال الله تعالى وما ارسلناك الا رحمة للعالمين وكما
وصفه بانه يزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة. ويهديهم الى صراط
مستقيم. وبالمؤمنين رؤوف رحيم وقال عليه السلام في صفة امته
انها امة مرحومة. وقال تعالى فيهم وتواصوا بالصبر وتواصوا بالمرحمة.
اي يرحم بعضهم بعضا. فبعثه عليه السلام ربه تعالى رحمة لامته.
ورحمة للعالمين ورحيما بهم ومترحما مستغفرا لهم. وجعل امته امة مرحومة
ووصفها بالرحمة وامرها بالتراحم واثنى عليه فقال ان الله يحب من عباده
الرحما. وقال الراحمون يرحمهم الرحمن ارحموا من في الارض يرحمكم من
في السماء. واما رواية نبي الملحمة فاشارة الى ما بعث به من القتال والسيف
صلى الله عليه وسلم وهي صحيحة. وروى حذيفة رضي الله عنه مثل حديث

الى موسى. وفيه ونبي الرحمة. ونبي التوبة. ونبي الملاحم. وروى الحربي
في حديثه عليه السلام انه قال اتاني ملك فقال لي انت قثم اي مجمّع
قال والقثوم الجامع للخير. وهذا اسم هو في اهل بيته عليه السلام معلوم
وقد جاءت من القابه عليه السلام وسماته في القران عدة كثيرة
سوى ما ذكرناه. كالنور. والسراج المنير. والمنذر. والنذير. والمبشر. والبشير
والشاهد. والشهيد. والحق المبين. وخاتم النبيين. والرءوف الرحيم. والامين
وقدم الصدق. ورحمة للعالمين. ونعمة الله. والعروة الوثقى. والصراط
المستقيم. والنجم الثاقب. والكريم. والنبي الامي. وداعي الله. في اوصاف
كثيرة وسمات جليلة وجرى منها في كتب الله المتقدمة وكتب انبيائه
واحاديث رسوله واطلاق الامة جملة شافية كتسميته. بالمصطفى.
والمجتبى. وابي القاسم. والحبيب. ورسول رب العالمين. والشفيع المشفع.
والمتقي. والمصلح. والطاهر. والمهيمن. والصادق. والمصدوق. والهادي.
وسيد ولد ادم. وسيد المرسلين. وامام المتقين. وقائد الغر المحجلين. وحبيب الله
وخليل الرحمن. وصاحب الحوض المورود. والشفاعة. والمقام المحمود.
وصاحب الوسيلة. والفضيلة. والدرجة الرفيعة. وصاحب التاج.
والمعراج. واللواء. والقضيب. وراكب البراق. والناقة. والنجيب. وصاحب
الحجة. والسلطان. والخاتم. والعلامة. والبرهان. وصاحب الهراوة.
والنعلين. ومن اسمائه صلى الله عليه وسلم في الكتب. المتوكل. والمختار. ومقيم
السنة. والمقدس. وروح الحق. وهو معنى البارقليط في الانجيل.
وقال ثعلب البارقليط الذي يفرق بين الحق والباطل. ومن اسمائه
صلى الله عليه وسلم في الكتب السالفة ماذ ماذ. ومعناه طيب طيب.

وحمطايا. والخاتم والحاتم حكاه كعب الأحبار. قال ثعلب فالخاتم الذي
ختم الأنبياء والحاتم أحسن الأنبياء خلقًا وخُلقًا. ويسمى بالسريانية مشفح
والمنحمنا. واسمه صلى الله عليه وسلم أيضًا في التوراة أحيد. روي ذلك
عن ابن سيرين. ومعنى صاحب القضيب أي السيف وقع ذلك مفسرًا في
الإنجيل. قال معه قضيب من حديد يقاتل به وأمته كذلك. وقد يحمل على
أنه القضيب الممشوق الذي كان يمسكه عليه السلام وهو الآن عند الخلفاء.
وأما الهراوة التي وُصف بها فهي في اللغة العصا. وأراها والله أعلم العصا
المذكورة في حديث الحوض أذود الناس عنه بعصاي لأهل اليمن. وأما
التاج فالمراد به العمامة ولم تكن حينئذ إلا للعرب. والعمائم تيجان العرب. وألقابه
وأوصافه وألقابه وسماته صلى الله عليه وسلم في الكتب كثيرة. وفيما ذكرناه
منها مقنع إن شاء الله تعالى. فصل. في تشريف الله تعالى له بما سماه به من
أسمائه الحسنى ووصفه به من صفاته العلى. قال القاضي أبو الفضل
رحمه الله ورضي عنه ما أحرى هذا الفصل بفصول الباب الأول لانخراطه
في سلك مضمونها وامتزاجه بعذب معينها لكن لم يشرح الله الصدر
للهداية إلى استنباطه ولا أنار الفكر لاستخراج جوهره والتقاطه إلا عند
الخوض في الفصل الذي قبله فرأينا أن نضيفه إليه ونجمع به شمله. فاعلم
أن الله تعالى خص كثيرًا من أنبيائه بكرامة خلعها عليهم من أسمائه كتسميته
إسحق وإسماعيل بعليم وحليم. وإبراهيم بحليم. ونوحًا بشكور. وعيسى ويحيى
ببر. وموسى بكريم وقوي. ويوسف بحفيظ عليم. وأيوب بصابر. وإسماعيل
بصادق الوعد كما نطق بذلك الكتاب العزيز من مواضع ذكرهم. وفضل
محمدًا نبينا صلى الله عليه وسلم بأن حلاه منها في الكتاب العزيز وعلى ألسنة

أسمائه بعدة كثيرة اجتمع لنا منها جملة بعد إعمال الفكر واختصار الذكر
إذ لم نجد من جمع نوع أسمائه ولا من تعرض فيها لنا لنقف تفصيلها وحررنا
منها في هذا الفصل نحو ثلاثين اسمًا. ولعل الله تعالى كما ألهم إلى ما علم منها
وحققه يتم النعمة بإبانة ما لم يظهره لنا الآن ويفتح غلقه. فمن أسمائه
تعالى الحميد، ومعناه المحمود لأنه حمد نفسه وحمده عباده، ويكون أيضًا
بمعنى الحامد لنفسه ولأعمال الطاعات. وسمى النبي صلى الله عليه وسلم محمدًا
وأحمد فمحمد بمعنى محمود، وكذا وقع اسمه في زبور داود، وأحمد بمعنى أكبر
من حمد وأجل من حمد، وقد أشار إلى نحو هذا حسان بقوله.
وشق له من اسمه ليجله، فذو العرش محمود وهذا محمد. ومن أسمائه تعالى
الرؤوف الرحيم وهما بمعنى متقارب. وسماه في كتابه بذلك فقال تعالى
بالمؤمنين رؤوف رحيم. ومن أسمائه تعالى الحق المبين، ومعنى الحق الموجود المحقق
أمره، وكذلك المبين، أي المبين أمره وإلهيته بان وأبان بمعنى، ويكون بمعنى
المبين لعباده أمر دينهم ومعادهم. وسمى النبي صلى الله عليه وسلم بذلك في
كتابه فقال تعالى حتى جاءهم الحق ورسول مبين، وقال تعالى وقل إني أنا النذير
المبين، وقال تعالى قد جاءكم الحق من ربكم، وقال تعالى فقد كذبوا بالحق
لما جاءهم، قيل محمد عليه السلام، وقيل القرآن، ومعناه هنا ضد الباطل
والمتحقق صدقه وأمره وهو بالمعنى الأول، والمبين البين أمره ورسالته أو
المبين عن الله تعالى ما بعثه به كما قال عز وعلا لتبين للناس ما نزل إليهم
ومن أسمائه تعالى النور، ومعناه ذو النور أي خالقه أو منور السموات والأرض
بالأنوار ومنور قلوب المؤمنين بالهداية. وسماه صلى الله عليه وسلم نورًا.
فقال تعالى قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين، قيل محمد وقيل القرآن.

وقال تعالى فيه وسراجا منيرا سمي بذلك لوضوح أمره وبيان نبوته
وتنوير قلوب المؤمنين والعارفين بما جاء به صلى الله عليه وسلم ومن أسمائه
تعالى الشهيد ومعناه العالم وقيل الشاهد على عباده يوم القيمة وسماه
صلى الله عليه وسلم شهيدا وشاهدا فقال تعالى إنا أرسلناك شاهدا وقال
تعالى ويكون الرسول عليكم شهيدا وهو بمعنى الأول ومن أسمائه تعالى الكريم
ومعناه الكثير الخير وقيل المفضل وقيل العفو وقيل العلي وفي حديث
المروي في أسمائه تعالى الأكرم وسماه كريما صلى الله عليه وسلم بقوله تعالى إنه
لقول رسول كريم قيل محمد وقيل جبريل وقال عليه السلام أنا أكرم ولد آدم
ومعاني الاسم صحيحة في حقه عليه السلام ومن أسمائه تعالى العظيم ومعناه
الجليل الشأن الذي كل شيء دونه وقال في النبي صلى الله عليه وسلم وإنك
لعلى خلق عظيم ووقع في أول سفر من التورية عن إسمعيل وسيلد عظيما
لأمة عظيمة فهو عظيم وعلى خلق عظيم ومن أسمائه تعالى الجبار ومعناه
المصلح وقيل القاهر وقيل العلي العظيم الشأن وقيل المتكبر وسمي النبي
صلى الله عليه وسلم في كتاب داود عليه السلام بجبار فقال تقلد أيها الجبار
سيفك فإن ناموسك وشرائعك مقرونة بهيبة يمينك ومعناه في حق
النبي صلى الله عليه وسلم إما لإصلاحه الأمة بالهداية والتعليم أو لقهره
أعداءه أو لعلو منزلته على البشر وعظيم خطره ونفى عنه في القرآن جبرية
التكبر التي لا تليق به فقال تعالى وما أنت عليهم بجبار ومن أسمائه تعالى الخبير
ومعناه المطلع بكنه الشيء العالم بحقيقته وقيل معناه المخبر وقال الله تعالى
الرحمن فاسأل به خبيرا قال القاضي بكر بن العلاء المأمور بالسؤال غير النبي
صلى الله عليه وسلم والمسؤول الخبير هو النبي صلى الله عليه وسلم وقال غيره

بل لأن النبي صلى الله عليه وسلم والمسؤول أشعر وحاشاه فالنبي صلى الله عليه وسلم
خبير بالخبير المذكور من قبل لأنه عالم على غاية من العلم بما أعلمه الله
تعالى من مكنون علمه وعظيم معرفته مخبر لأمته بما أذن له في إعلامهم به
ومن أسمائه تعالى الفتاح ومعناه الحاكم بين عباده أو فاتح أبواب الرزق
والرحمة والمنغلق من أمورهم عليهم أو يفتح قلوبهم وبصائرهم لمعرفة الحق
ويكون أيضا بمعنى الناصر كقوله تعالى إن تستفتحوا فقد جاءكم الفتح
أي إن تستنصروا فقد جاءكم النصر وقيل معناه مبتدئ الفتح والنصر وسمى
الله تعالى نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم بالفاتح في حديث الإسراء الطويل من
رواية الربيع بن أنس عن أبي العالية وغيره عن أبي هريرة رضي الله عنه وفيه
من قول الله تعالى وجعلتك فاتحا وخاتما وفيه من قول النبي صلى الله عليه
وسلم في ثنائه على ربه وتعديد مراتبه ورفع لي ذكري وجعلني فاتحا وخاتما
فيكون الفاتح هنا بمعنى الحاكم أو الفاتح لأبواب الرحمة على أمته والفاتح
لبصائرهم لمعرفة الحق والإيمان بالله أو الناصر للحق أو المبتدئ بهداية
الأمة أو المبتدأ المقدم في الأنبياء والخاتم لهم كما قال عليه السلام كنت أول
الأنبياء في الخلق وآخرهم في البعث ومن أسمائه تعالى في الحديث الشكور
ومعناه المثيب على العمل القليل وقيل المثني على المطيعين ووصف بذلك
نبيه نوحا عليه السلام فقال إنه كان عبدا شكورا وقد وصف النبي صلى الله
عليه وسلم بذلك نفسه فقال أفلا أكون عبدا شكورا أي معترفا بنعم ربي عارفا
بقدر ذلك مثنيا عليه مجهدا نفسي في الزيادة من ذلك لقوله تعالى لئن
شكرتم لأزيدنكم ومن أسمائه تعالى العليم العلام وعالم الغيب والشهادة
ووصف نبيه صلى الله عليه وسلم بالعلم وخصه بمزية منه فقال تعالى وعلمك

ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيما • وقال تعالى ويعلمكم الكتاب
والحكمة ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون ومن أسمائه تعالى الأول والآخر
ومعناهما السابق للأشياء قبل وجودها والباقي بعد فنائها وتحقيقه أنه
ليس له أول ولا آخر وقال عليه السلام كنت أول الأنبياء في الخلق وآخرهم
في البعث • وفسر بهذا قوله تعالى وإذ أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك
ومن نوح فقدم محمدا صلى الله عليه وسلم • وقد أشار إلى نحو منه عمر بن
الخطاب رضي الله عنه • ومنه قوله عليه السلام نحن الآخرون السابقون •
وقوله عليه السلام أنا أول من تنشق الأرض عنه • وأول من يدخل الجنة
وأول شافع وأول مشفع وهو خاتم النبيين وآخر الرسل صلى الله عليه وسلم
ومن أسمائه تعالى القوي وذو القوة المتين • ومعناه القادر وقد وصفه
الله تعالى بذلك فقال تعالى ذي قوة عند ذي العرش مكين قيل محمد وقيل جبريل
ومن أسمائه تعالى الصادق في الحديث المأثور وورد في الحديث أيضا اسمه
عليه السلام بالصادق المصدوق • ومن أسمائه تعالى الولي والمولى ومعناهما
الناصر وقد قال الله تعالى إنما وليكم الله ورسوله وقال عليه السلام
أنا ولي كل مؤمن وقال الله تعالى النبي أولى بالمؤمنين وقال عليه السلام
من كنت مولاه فعلي مولاه • ومن أسمائه تعالى العفو ومعناه الصفوح وقد
وصف الله تعالى بهذا نبيه صلى الله عليه وسلم في القرآن والتوراة • وأمره
بالعفو فقال خذ العفو • وقال فاعف عنهم واصفح • وقال له جبريل وقد سأله
عن قوله تعالى خذ العفو فقال أن تعفو عمن ظلمك • وقال في التوراة والإنجيل
في الحديث المشهور في صفته صلى الله عليه وسلم ليس بفظ ولا غليظ ولكن
يعفو ويصفح • ومن أسمائه تعالى الهادي • وهو بمعنى توفيق الله لمن أراد من عباده •

ومعنى الدلالة والدعاء قال الله تعالى والله يدعو الى دار السلام ويهدي
من يشاء الى صراط مستقيم. واصل الهدي من الميل وقيل من التقديم. وقيل في
تفسيره انه باطاهر يا هادي يعني النبي صلى الله عليه وسلم. وقال تعالى
وانك لتهدي الى صراط مستقيم. وقال تعالى فيه وداعيا الى الله باذنه وسراجا
منيرا. فالله تعالى مختص بالمعنى الاول قال تعالى انك لا تهدي من احببت
ولكن الله يهدي من يشاء. ومعنى الدلالة يطلق على غيره تعالى. ومن اسمائه
تعالى المومن المهيمن وقيل هما بمعنى واحد فمعنى المومن في حقه تعالى المصدق
وعده عباده والمصدق قوله الحق والمصدق لعباده المؤمنين ورسله
وقيل الموحد نفسه. وقيل المؤمن عباده في الدنيا من ظلمه والمؤمنين في
الاخرة من عذابه. وقيل المهيمن بمعنى الامين مصغر منه فقلبت الهمزة هاء
وقد قيل ان قولهم في الدعاء امين انه اسم من اسماء الله تعالى ومعناه معنى
المؤمن وقيل المهيمن بمعنى الشاهد والحافظ. والنبي صلى الله عليه وسلم
امين ومهيمن ومؤمن. وقد سماه الله تعالى امينا فقال تعالى مطاع ثم
امين وكان عليه السلام يعرف بالامين وشهر به قبل النبوة وبعدها
وسماه العباس رضي الله عنه في شعره مهيمنا في قوله
ثم احتوى بيتك المهيمن من خندف علياء تحتها النطق. قيل المراد يا ايها
المهيمن قاله القتيبي والامام ابو القاسم القشيري وقال تعالى يؤمن بالله
ويؤمن للمؤمنين اي يصدق وقال عليه السلام انا امنة لاصحابي
فهذا بمعنى المؤمن. ومن اسمائه تعالى القدوس ومعناه المنزه عن النقائص
المطهر من سمات الحدث. وسمي بيت المقدس لانه يتطهر فيه من الذنوب
ومنه الوادي المقدس وروح القدس. ووقع في كتب الانبياء عليهم السلام

في أسمائه عليه السلام المقدس أي المطهر من الذنوب كما قال الله تعالى ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر أو الذي يتطهر به من الذنوب ويتنزه باتباعه عنها كما قال تعالى ويزكيهم. وقال تعالى ويخرجهم من الظلمات إلى النور أو يكون مقدسا بمعنى مطهر من الأخلاق الذميمة والأوصاف الدنية ومن أسمائه تعالى العزيز ومعناه الممتنع الغالب أو الذي لا نظير له أو المعز لغيره وقال تعالى ولله العزة ولرسوله أي الامتناع وجلالة القدر. وقد وصف الله تعالى نفسه بالبشارة والنذارة فقال تعالى يبشرهم ربهم برحمة منه ورضوان. وقال تعالى إن الله يبشرك بيحيى وبكلمة منه ومن أسمائه تعالى مبشرا ونذيرا وبشيرا أي مبشرا لأهل طاعته ونذيرا لأهل معصيته ومن أسمائه تعالى طه بما ذكره بعض المفسرين طه ويس وقد ذكر بعضهم أيضا أنهما من أسماء محمد صلى الله عليه وسلم وشرف وكرم فصل قال القاضي أبو الفضل رحمه الله ورضي عنه وها أنا أذكر نكتة أذيل بها هذا الفصل وأختم بها هذا القسم وأزيح الإشكال بها فيما تقدم عن كل ضعيف الوهم سقيم الفهم تخلصه من مهاوي التشبيه وتزحزحه عن شبه التمويه وهو أن يعتقد أن الله جل اسمه في عظمته وكبريائه وملكوته وحسنى أسمائه وعلي صفاته لا يشبه شيئا من مخلوقاته ولا يشبه به وأن ما جاء مما أطلقه الشرع على الخالق وعلى المخلوق فلا تشابه بينهما في المعنى الحقيقي إذ صفات القديم بخلاف صفات المخلوق وكما أن ذاته تعالى لا تشبه الذوات كذلك صفاته لا تشبه صفات المخلوقين إذ صفاتهم لا تنفك عن الأغراض والأعراض وهو تعالى منزه عن ذلك بل لم يزل بصفاته وأسمائه وكفى في هذا قوله تعالى ليس كمثله شيء ولله در من

قال من العلماء العارفين المحققين التوحيد إثبات ذات غير مشبهة بالذوات
ولا معطلة من الصفات وزاد هذه المسألة الواسطي رحمه الله بيانا وفي
مقصودنا فقال ليس كذاته ذات ولا كاسمه اسم ولا كفعله فعل ولا كصفته
صفة إلا من جهة موافقة اللفظ اللفظ وجلت الذات القديمة أن يكون لها
صفة حديثة كما استحال أن يكون للذات المحدثة صفة قديمة وهذا
كله مذهب أهل الحق والسنة والجماعة رضي الله عنهم وقد فسر الإمام أبو
القاسم القشيري رحمه الله قوله هذا بزيادة بيان فقال هذه الحكاية تشتمل
على جوامع مسائل التوحيد وكيف تشبه ذاته ذات المحدثات وهي بوجودها
مستغنية وكيف يشبه فعله فعل الخلق وهو لغير جلب أنس أو دفع نقص
حصل ولا بخواطر وأغراض وجد ولا بمباشرة ومعالجة ظهر وفعل الخلق لا
يخرج عن هذه الوجوه وقال آخر من مشايخنا ما توهمتموه بأوهامكم
أو أدركتموه بعقولكم فهو محدث مثلكم وقال الإمام أبو المعالي الجويني
من اطمأن إلى موجود انتهى إليه فكره فهو مشبه ومن اطمأن إلى النفي المحض
فهو معطل وإن قطع بموجود اعترف بالعجز عن درك حقيقته فهو موحد
وما أحسن قول ذي النون المصري رحمه الله حقيقة التوحيد أن تعلم
أن قدرته تعالى في الأشياء بلا علاج وصنعه لها بلا مزاج وعلة كل شيء صنعه
ولا علة لصنعه وما تصور في وهمك فالله بخلافه وهذا كلام عجيب
نفيس محقق وفيه الأخير تفسير لقوله تعالى ليس كمثله شيء والثاني تفسير
لقوله تعالى لا يسأل عما يفعل وهم يسألون والثالث تفسير لقوله تعالى إنما
قولنا لشيء إذا أردناه أن نقول له كن فيكون ثبتنا الله وإياكم على التوحيد
والإثبات والتنزيه وجنبنا طرق الضلالة والعماية من التعطيل

والتنبيه عليه ورحمته • الباب الرابع فيما أظهره الله تعالى على يديه
من المعجزات • وشرفه به من الخصائص والكرامات • قال القاضي
أبو الفضل رحمه الله حسب المتأمل أن يتحقق أن كتابنا هذا لم نجمعه لمنكر
نبوة نبينا صلى الله عليه وسلم ولا لطاعن في معجزاته فنحتاج إلى نصب البراهين
عليها وتحصين حوزتها حتى لا يتوصل المطاعن إليها • ونذكر شروط المعجز والتحدي
وحده وفساد قول من أبطل نسخ الشرائع ورده • بل ألفناه لأهل ملته • الملبين
لدعوته • المصدقين لنبوته • ليكون تأكيدا في محبتهم له ومنماة لأعمالهم •
وليزدادوا إيمانا مع إيمانهم • ونيتنا أن نثبت في هذا الباب أمهات معجزاته •
ومشاهير آياته • لتدل على عظيم قدره عند ربه • وأتينا منها بالمحقق والصحيح
الإسناد • وأكثره مما بلغ القطع أو كاد • وأضفنا إليها بعض ما وقع في مشاهير
كتب الأئمة • وإذا تأمل المتأمل المنصف ما قدمناه من جميل أثره • وحميد
سيره • وبراعة علمه • ورجاحة عقله وحلمه • وجملة كماله • وجميع خصاله •
وشاهد حاله • وصواب مقاله • لم يمتر في صحة نبوته • وصدق دعوته •
صلى الله عليه وسلم • وقد كفى هذا غير واحد في إسلامه والإيمان به • روينا
عن الترمذي وابن قانع وغيرهما بأسانيدهم أن عبد الله بن سلام رضي الله عنه
قال لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة جئته لأنظر إليه فلما
استبنت وجهه عرفت أن وجهه ليس بوجه كذاب • حدثنا أبو القاضي
الشهيد أبو علي رحمه الله قال حدثنا أبو الحسين الصيرفي وأبو الفضل بن خيرون
عن أبي يعلى البغدادي عن أبي علي السنجي عن ابن محبوب عن الترمذي حدثنا
محمد بن بشار حدثنا عبد الوهاب الثقفي ومحمد بن جعفر وابن أبي عدي ويحيى بن
سعيد عن عوف بن أبي جميلة الأعرابي عن زرارة بن أوفى عن عبد الله بن سلام

الحديث ... إلى ميمونة النبي بنت النبي صلى الله عليه وسلم وهي ابن فارسه
فلما رأيته قلت هذا نبي الله صلى الله عليه وسلم ... مسلم وغيره أن ضماد
لما وفد عليه فقال له النبي صلى الله عليه وسلم إن الحمد لله نحمده ونستعينه
من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله
وحده لا شريك له وأن محمدا عبده ورسوله قال له أعد كلماتك هؤلاء فلقد
بلغن قاموس البحر هات يدك أبايعك ... جامع بن شداد كان رجل منا
يقال له طارق فأخبر أنه رأى النبي صلى الله عليه وسلم بالمدينة فقال هل معكم
شيء تبيعونه قلنا هذا البعير قال بكم قلنا بكذا وكذا وسقا من تمر
فأخذ بخطامه وسار إلى المدينة فقلنا بعنا من رجل لا ندري من هو
ومعنا ظعينة فقالت أنا ضامنة لثمن البعير رأيت وجه رجل مثل القمر
ليلة البدر لا يخيس بكم فأصبحنا فجاء رجل بتمر فقال أنا رسول رسول الله
صلى الله عليه وسلم إليكم يأمركم أن تأكلوا من هذا التمر وتكتالوا حتى
تستوفوا ففعلنا ... الجلندي ملك عمان لما بلغه أن رسول الله
صلى الله عليه وسلم يدعوه إلى الإسلام قال الجلندي والله لقد دلني على
هذا النبي الأمي أنه لا يأمر بخير إلا كان أول آخذ به ولا ينهى عن شيء إلا
كان أول تارك له وأنه يغلب فلا يبطر ويغلب فلا يضجر ويفي بالعهد
وينجز الموعود وأشهد أنه نبي صلى الله عليه وسلم ... نفطويه في قوله تعالى
يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار هذا مثل ضربه الله تعالى لنبيه صلى الله
عليه وسلم يقول يكاد منظره يدل على نبوته وإن لم يتل قرآنا كما قال
ابن رواحة لو لم تكن فيه آيات مبينة لكان منظره ينبيك بالخبر ...
آن أن نأخذ في ذكر النبوة والوحي والرسالة وبعده في معجز القرآن

وما فيه من برهان ودلالة ... اعلم أن الله تعالى جل اسمه قادر على
خلق المعرفة في قلوب عباده والعلم بذاته وأسمائه وصفاته وجميع
تكليفاته ابتداءً دون واسطة لو شاء كما حكي عن سنته في بعض
الأنبياء وذكره بعض أهل التفسير في قوله تعالى وما كان لبشر أن يكلمه الله
إلا وحيًا وجائز أن يوصل إليهم جميع ذلك بواسطة تبلغهم كلامه ويكون
تلك الواسطة إما من غير البشر كالملائكة مع الأنبياء أو من جنسهم كالأنبياء
مع الأمم ولا مانع لهذا من دليل العقل وإذا جاز هذا ولم يستحل وجاءت
الرسل بما دل على صدقهم من معجزاتهم وجب تصديقهم في جميع ما أتوا
به لأن المعجز مع التحدي من النبي صلى الله عليه وسلم قائم مقام قول الله عز
وجل صدق عبدي فأطيعوه واتبعوه وشاهد على صدقه فيما يقوله وهذا
كاف والتطويل فيه خارج عن الغرض فمن أراد تتبعه وجده مستوفى
في مصنفات أئمتنا رحمهم الله والنبوة في لغة من همز مأخوذة من النبإ وهو
الخبر وقد لا يهمز على هذا التأويل تسهيلًا والمعنى أن الله تعالى أطلعه
على غيبه وأعلمه أنه عليه السلام نبيه فيكون نبي منبأ فعيل بمعنى مفعول
أو يكون مخبرًا عما بعثه الله تعالى به ومنبئًا بما أطلعه الله عليه فعيل
بمعنى فاعل ويكون عند من لم يهمز من النبوة وهو ما ارتفع من الأرض معناه
أن له رتبة شريفة ومكانة نبيهة عند مولاه منيفة فالوصفان في
حقه مؤتلفان صلى الله عليه وسلم وأما الرسول فهو المرسل ولم يأت فعول
بمعنى مفعل في اللغة إلا نادرًا وإرساله أمر الله تعالى له بالإبلاغ إلى من
أرسله إليه واشتقاقه من التتابع ومنه قولهم جاء الناس أرسالًا إذا
تبع بعضهم بعضًا فكأنه ألزم تكرير التبليغ أو ألزم الأمة اتباعه.

[illegible]

العلماء هل النبي والرسول بمعنى او بمعنيين. فقيل هما سواء واصله من الإنباء
وهو الإعلام. واستدلوا بقوله تعالى وما ارسلنا من قبلك من رسول ولا
نبي فقد اثبت لهما معا الإرسال. قال ولا يكون النبي إلا رسولا ولا الرسول
إلا نبيا. وقيل هما مفترقان من وجه إذ قد اجتمعا في النبوة التي هي الاطلاع
على الغيب. والإعلام بخواص النبوة او الرفعة لمعرفة ذلك وحوز درجتها
وافترقا في زيادة الرسالة للرسول وهو الأمر بالإنذار والإعلام كما قلنا
وحجتهم من الآية نفسها التفريق بين الاسمين ولو كانا شيئا واحدا لما حسن
تكرارهما في الكلام البليغ. قالوا والمعنى وما ارسلنا من نبي إلى امة ولا نبي ليس
بمرسل إلى احد [illegible] بعضهم إلى ان الرسول من جاء بشرع مبتدإ ومن
لم يات به نبي غير رسول وان امر بالإبلاغ والإنذار والصحيح والذي عليه
الجما الغفير ان كل رسول نبي وليس كل نبي رسولا واول الرسل آدم وآخرهم
محمد صلى الله عليهم وسلم وفي [illegible] ابي ذر رضي الله عنه عنه صلى الله عليه وسلم
ان الانبياء مائة الف واربعة وعشرون الف نبي. وذكر ان الرسل منهم ثلاثمائة
وثلاثة عشر. أولهم آدم. فقد بان لك معنى النبوة والرسالة وليستا عند
المحققين ذاتا للنبي ولا وصف ذات خلافا للكرامية في تطويل لهم وتهويل
ليس عليه تعويل. واما الوحي فأصله الإسراع فلما كان النبي صلى الله عليه وسلم
يتلقى ما يأتيه من ربه تعالى بعجل سمي وحيا وسميت انواع الإلهامات وحيا
تشبيها بالوحي إلى النبي صلى الله عليه وسلم وسمي الخط وحيا لسرعة حركة يد
كاتبه ووحي الحاجب واللحظ سرعة إشارتهما ومنه قوله تعالى فأوحى إليهم
ان سبحوا بكرة وعشيا اي أومأ ورمز وقيل كتب ومنه قولهم الوحا الوحا
اي السرعة وقيل أصل الوحي السر والإخفاء ومنه سمي الإلهام وحيا ومنه

قوله

قوله تعالى وإن الشياطين ليوحون إلى أوليائهم أي يوسوسون في صدورهم
ومنه قوله تعالى وأوحينا إلى أم موسى أي ألقي في قلبها. وقد يرد ذلك في
قوله تعالى وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحيا أي ما يلقيه في قلبه دون
واسطة فصل اعلم أن معنى تسميتنا ما جاءت به الأنبياء معجزة هو أن
الخلق عجزوا عن الإتيان بمثلها وهي على ضربين ضرب هو من نوع قدرة
البشر فعجزوا عنه فتعجيزهم عنه فعل الله تعالى دل على صدق نبيه عليه
السلام كصرفهم عن تمني الموت وتعجيزهم عن الإتيان بمثل القرآن على رأي بعضهم
ونحوه وضرب هو خارج عن قدرتهم فلم يقدروا على الإتيان بمثله كإحياء
الموتى وقلب العصا حية وإخراج ناقة من صخرة وكلام شجرة ونبع الماء من
الأصابع وانشقاق القمر مما لا يمكن أن يفعله أحد إلا الله فيكون ذلك على
يد النبي صلى الله عليه وسلم من فعل الله تعالى وتحديه من يكذبه أن يأتي بمثله
تعجيز له واعلم أن المعجزات التي ظهرت على يد نبينا صلى الله عليه وسلم ودلائل
نبوته وبراهين صدقه من هذين النوعين معا وهو صلى الله عليه وسلم أكثر
الرسل معجزة وأبهرهم آية وأظهرهم برهانا كما سنبينه وهي في كثرتها
لا يحيط بها ضبط فإن واحدا منها وهو القرآن لا يحصى عدد معجزاته بألف
ولا ألفين ولا أكثر لأن النبي صلى الله عليه وسلم قد تحدى بسورة منه فعجز
عنها قال أهل العلم وأقصر السور إنا أعطيناك الكوثر فكل آية أو آيات منه
بعددها وقدرها معجزة ثم فيها نفسها معجزات على ما سنفصله فيما انطوى
عليه من المعجزات. ثم معجزاته صلى الله عليه وسلم على قسمين قسم منها
علم قطعا ونقل إلينا متواترا كالقرآن فلا مرية ولا خلاف بمجيء النبي صلى الله
عليه وسلم به وظهوره من قبله واستدلاله بحجته وإن أنكر هذا معاند

جاحد فهو كالمكابر، ووجود محمد صلى الله عليه وسلم في الدنيا، ومجيئه بما اعترض
للجاحد في التحدي به نبوة نفسه، وجميع ما تضمنه من تحدٍّ معلوم ضرورة
ووجه إعجازه معلوم ضرورة ونظرًا كما سنشرحه. قال بعض أئمتنا: ويقرر
هذا المجرى على الجملة أنه قد جرى على يديه صلى الله عليه وسلم آيات وخوارق
عادات إن لم يبلغ واحد منها معينًا القطع فيبلغه جميعها، فلا مرية في
جريان معانيها على يديه، ولا يختلف مؤمن ولا كافر أنه جرت على يديه
صلى الله عليه وسلم عجائب، وإنما خلاف المعاند في كونها من قبل الله تعالى
وقد قدمنا كونها من قبل الله تعالى وأن ذلك بمثابة قوله صدقت. فقد
علم وقوع مثل هذا أيضًا من نبينا صلى الله عليه وسلم ضرورة لاتفاق معانيها
كما يعلم ضرورة جود حاتم وشجاعة عنترة وحلم أحنف لاتفاق الأخبار
الواردة عن كل واحد منهم على كرم هذا وشجاعة هذا وحلم هذا، وإن
كان كل خبر بنفسه لا يوجب العلم ولا يقطع بصحته. والقسم الثاني ما لم
يبلغ مبلغ الضرورة والقطع وهو على نوعين: نوع مشتهر منتشر رواه العدد
الكثير وشاع الخبر به عند المحدثين والرواة ونقلة السير والأخبار كنبع الماء
من بين الأصابع وتكثير الطعام. ونوع منه اختص به الواحد والاثنان
ورواه العدد اليسير ولم يشتهر اشتهار غيره، لكنه إذا جمع إلى مثله اتفقا
في المعنى واجتمعا على الإتيان بالمعجز كما قدمنا. قال القاضي أبو الفضل
رحمه الله ورضي عنه: وأنا أقول صدعًا بالحق إن كثيرًا من هذه الآيات
المأثورة عنه عليه السلام معلومة بالقطع. أما انشقاق القمر فالقرآن
نص بوقوعه وأخبر عن وجوده، ولا يعدل عن ظاهر إلا بدليل، وجاء برفع
احتماله صحيح الأخبار من طرق كثيرة، فلا يوهن عزمنا خلاف أخرق منحل

عُرى الدين ولا يلتفت إلى مخالفة مبتدع يلقي الشك على قلوب ضعفاء المؤمنين
بل نرغم بهذا أنفه وننبذ بالعراء سخفه. وكذلك قصة نبع الماء وتكثير الطعام
رواها الثقات والعدد الكثير عن الجماء الغفير عن العدد الكثير من الصحابة
رضي الله عنهم ومنها ما رواه الكافة عن الكافة متصلا عمن حدث بها
من جملة الصحابة وإخبارهم أن ذلك كان في مواطن اجتماع الكثير منهم
في يوم الخندق وفي غزوة بواط وعمرة الحديبية وغزوة تبوك وأمثالها
من محافل المسلمين ومجمع العساكر ولم يؤثر عن أحد من الصحابة رضي الله عنهم
مخالفة للراوي فيما حكاه ولا إنكار عما ذكر عنهم أنهم رأوه كما رآه فسكوت
الساكت منهم كنطق الناطق إذ هم المنزهون عن السكوت على باطل والمداهنة
في كذب وليس هناك رغبة ولا رهبة تمنعهم ولو كان ما سمعوه منكرا
عندهم وهو غير معروف لديهم لأنكروه كما أنكر بعضهم على بعض أشياء رواها
من السنن والسير وحروف القرآن وخطّأ بعضهم بعضا ووهّمه في ذلك مما هو
معلوم فهذا النوع كله يلحق بالقطعي من معجزاته صلى الله عليه وسلم لما بيناه
وأيضا فإن أمثال الأخبار التي لا أصل لها وبنيت على باطل لا بد مع مرور
الأزمان وتداول الناس وأهل البحث من انكشاف ضعفها وخمول ذكرها
كما يشاهد في كثير من الأخبار الكاذبة والأراجيف الطارئة وأعلام
نبينا صلى الله عليه وسلم هذه الواردة من طريق الآحاد لا تزداد مع مرور
الأزمان إلا ظهورا ومع تداول الفرق وكثرة طعن العدو وحرصه على
توهينها وتضعيف أصلها واجتهاد الملحد على إطفاء نورها إلا قوة وقبولا
ولا للطاعن عليها إلا حسرة وغليلا وكذلك إخباره عن الغيوب وإنباؤه
بما يكون وكان معلوما من آياته صلى الله عليه وسلم على الجملة بالضرورة وهذا

حتى لا يعطا عليه وقد قال بهذا من أئمتنا القاضي والأستاذ أبو بكر وغيرهما
رحمهما الله. وما عندي أوجب قول القائل إن هذه القصص المشهورة
من باب خبر الواحد إلا قلة مطالعته للأخبار وروايتها وشغله بغير
ذلك من المعارف وإلا فمن اعتنى بطرق النقل وطالع الأحاديث والسير
لم يرتب في صحة هذه القصص المشهورة على الوجه الذي ذكرناه. ولا يبعد
أن يحصل العلم بالتواتر عند واحد ولا يحصل عند آخر فإن أكثر الناس
يعلمون بالخبر كون بغداد موجودة وأنها مدينة عظيمة ودار الإمامة
والخلافة. وآحاد من الناس لا يعلمون اسمها فضلا عن وصفها. وهكذا يعلم
الفقهاء من أصحاب مالك رحمه الله بالضرورة وتواتر النقل عنه أن مذهبه
إيجاب قراءة أم القرآن في الصلاة للمنفرد والإمام وإجزاء النية في أول
ليلة من رمضان عما سواه وأن الشافعي رضي الله عنه يرى تجديد النية
كل ليلة والاقتصار في المسح على بعض الرأس. وأن مذهبهما القصاص في
القتل بالمحدد وغيره وإيجاب النية في الوضوء واشتراط الولي في النكاح
وأن أبا حنيفة رضي الله عنه يخالفهما في هذه المسائل. وغيرهم ممن لم
يشتغل بمذاهبهم ولا روى أقوالهم لا يعرف هذا من مذاهبهم فضلا عن سواهم
وعند ذكرنا آحاد هذه المعجزات نزيد الكلام فيها بيانا إن شاء الله تعالى.

فصل في إعجاز القرآن. اعلم وفقنا الله وإياك أن كتاب الله العزيز
منطو على وجوه من الإعجاز كثيرة وتحصيلها من جهة ضبط أنواعها في أربعة
وجوه. أولها حسن تأليفه والتئام كلمه وفصاحته ووجوه إيجازه وبلاغته
الخارقة عادة العرب وذلك أنهم كانوا أرباب هذا الشأن وفرسان الكلام
قد خصوا من البلاغة والحكم ما لم يخص به غيرهم من الأمم وأوتوا من ذرابة

صح عن سواه

اللسان

للّسان ما لم يؤت إنسان، ومن فصل الخطاب ما يبهر الألباب، جعل
الله لهم ذلك طبعًا وخلقة، وفيهم غريزة وقوة يأتون منه على البديهة
بالعجب، ويدلون به إلى كل سبب، فيخطبون بديهًا في المقامات وشديد
الخطب، ويرتجزون به بين الطعن والضرب، ويمدحون ويقدحون،
ويتوصلون ويتوسلون، ويرفعون ويضعون، فيصوغون من أوصافهم
أجمل من سمط اللآلي، يخدعون الألباب، فيأتون من ذلك بالسحر الحلال،
ويذللون الصعاب، ويذهبون الإحن، ويهيجون الدمن، ويجرّئون الجبان،
ويبسطون يد الجعد البنان، ويصيّرون الناقص كاملًا، ويتركون النبيه خاملًا،
منهم البدوي ذو اللفظ الجزل والقول الفصل والكلام الفخم والطبع
الجوهري والمنزع القوي، ومنهم الحضري ذو البلاغة البارعة والألفاظ
الناصعة والكلمات الجامعة والطبع السهل والتصرف في القول القليل
الكلفة الكثير الرونق الرقيق الحاشية، وكلا البابين فلهما في البلاغة الحجة
البالغة والقوة الدامغة والقدح الفالج والمهيع الناهج، لا يشكون أن الكلام
طوع مرادهم، والبلاغة ملك قيادهم، قد حووا فنونها، واستنبطوا عيونها،
ودخلوا من كل باب من أبوابها، وعلوا صرحًا لبلوغ أسبابها، فقالوا في الخطير
والمهين، وتفننوا في الغث والسمين، وتقاولوا في القل والكثر، وتساجلوا
في النظم والنثر، فما راعهم إلا رسول كريم بكتاب عزيز لا يأتيه الباطل من
بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد، أحكمت آياته، وفصلت كلماته،
وبهرت بلاغته العقول، وظهرت فصاحته على كل مقول، وتظافر إيجازه وإعجازه،
وتظاهرت حقيقته ومجازه، وتبارت في الحسن مطالعه ومقاطعه، وحوت
كل البيان جوامعه وبدائعه، واعتدل مع إيجازه حسن نظمه، وانطبق

على كثرة ذوي البيان مختار لفظه، وهم أشحّ ما كانوا في هذا الباب مجالاً، وأكثر في السجع والشعر رجالاً، وأوسع في الغريب واللغة مقالاً، بلغتهم التي بها يتحاورون، ومنازعهم التي منها يتناضلون، صارخًا بهم في كل حين، ومقرّعًا لهم بضعًا وعشرين عامًا على رؤوس الملأ أجمعين: أم يقولون افتراه قل فأتوا بسورة مثله وادعوا من استطعتم من دون الله إن كنتم صادقين. وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله إلى قوله ولن تفعلوا. وقل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله الآية. وقال فأتوا بعشر سور مثله مفتريات. وذلك أن المفترى أسهل، ووضع الباطل والمختلق على الاختيار أقرب، واللفظ إذا تبع المعنى الصحيح كان أصعب. ولهذا قيل فلان يكتب كما يقال له، وفلان يكتب كما يريد، وللأول على الثاني فضل، وبينهما شأو بعيد. فلم يزل يقرّعهم صلى الله عليه وسلم أشد التقريع، ويوبخهم غاية التوبيخ، ويسفّه أحلامهم، ويحطّ أعلامهم، ويشتت نظامهم، ويذم آلهتهم وآباءهم، ويستبيح أرضهم وديارهم وأموالهم، وهم في كل هذا ناكصون عن معارضته، محجمون عن مماثلته، يخادعون أنفسهم بالتشغيب بالتكذيب، والإغراء بالافتراء، وقولهم إن هذا إلا سحر يؤثر، وسحر مستمر، وإفك افتراه، وأساطير الأولين، والمباهتة، والرضا بالدنية كقولهم قلوبنا غلف، وفي أكنة مما تدعونا إليه وفي آذاننا وقر ومن بيننا وبينك حجاب، ولا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغلبون، والادعاء مع العجز بقولهم لو نشاء لقلنا مثل هذا. وقد قال لهم الله تعالى ولن تفعلوا فما فعلوا ولا قدروا. ومن تعاطى ذلك من سخفائهم كمسيلمة كشف عواره لجميعهم، وسلبهم الله ما ألفوه من فصيح كلامهم، وإلا فلم يخف على أهل الميز

وأشعر في الخطابة رجالاً

منهم أنه ليس من نمط فصاحتهم ولا جنس بلاغتهم بل ولوا عنه مذعنين
وأتوا مذعنين من بين مهتدٍ ومن بين مفتون ولهذا لما سمع الوليد بن المغيرة
من النبي صلى الله عليه وسلم إن الله يأمر بالعدل والإحسان الآية قال والله
إن له لحلاوة وإن عليه لطلاوة وإن أسفله لمغدق وإن أعلاه لمثمر
ما يقول هذا بشر. ذكر أبو عبيد أن أعرابيًا سمع رجلًا يقرأ فاصدع بما تؤمر
فسجد وقال سجدت لفصاحته. وسمع آخر رجلًا يقرأ فلما استيأسوا
منه خلصوا نجيًا فقال أشهد أن مخلوقًا لا يقدر على مثل هذا الكلام. وحكي
أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان يومًا نائمًا في المسجد فإذا هو بقائم
على رأسه يتشهد شهادة الحق فاستخبره فأعلمه أنه من بطارقة الروم ممن
يحسن كلام العرب وغيرها وأنه سمع رجلًا من أسرى المسلمين يقرأ آية من
كتابكم فتأملتها فإذا قد جمع فيها ما أنزل على عيسى بن مريم من أحوال
الدنيا والآخرة. وهي قوله تعالى ومن يطع الله ورسوله ويخش الله ويتقه الآية.
وحكى الأصمعي أنه سمع كلام جارية فقال لها قاتلك الله ما أفصحك فقالت
أو يعد هذا فصاحة بعد قول الله تعالى وأوحينا إلى أم موسى أن أرضعيه
الآية فجمع في آية واحدة بين أمرين ونهيين وخبرين وبشارتين.
فهذا نوع من إعجازه منفرد بذاته غير مضاف إلى غيره على التحقيق
من القولين. وكون القرآن من قبل النبي صلى الله عليه وسلم وأنه أتى به معلوم
ضرورة. وكونه عليه السلام متحديًا به معلوم ضرورة. وعجز العرب عن
الإتيان به معلوم ضرورة. وكونه في فصاحته خارقًا للعادة معلوم
ضرورة للعالمين بالفصاحة ووجوه البلاغة وسبيل من ليس من أهلها
علم ذلك بعجز المنكرين من أهلها عن معارضته. واعتراف المقرين بإعجاز

بلاغته. وأنت إذا تأملت قوله تعالى ولكم في القصاص حياة. وقوله
تعالى ولو ترى إذ فزعوا فلا فوت وأخذوا من مكان قريب. وقوله تعالى
ادفع بالتي هي أحسن فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم.
وقوله تعالى وقيل يا أرض ابلعي ماءك ويا سماء أقلعي الآية. وقوله تعالى
فكلا أخذنا بذنبه فمنهم من أرسلنا عليه حاصبا الآية. وأشباهها
من الآي بل أكثر القرآن حققت ما بيّنته من إيجاز ألفاظها وكثرة
معانيها وديباجة عبارتها وحسن تأليف حروفها وتلاؤم كلمها
وأن تحت كل لفظة منها جملا كثيرة وفصولا جمة وعلوما زواخر ملئت
الدواوين من بعض ما استفيد منها وكثرت المقالات في المستنبطات
عنها. ثم هو في سرد القصص الطوال وأخبار القرون السوالف التي يضعف
في عادة الفصحاء عندها الكلام ويذهب ماء البيان آية لمتأمله من ربط
الكلام بعضه ببعض والتئام سرده وتناصف وجوهه كقصة يوسف
عليه السلام على طولها. ثم إذا ترددت قصصه اختلفت العبارات عنها
على كثرة ترددها حتى تكاد كل واحدة تنسي في البيان صاحبتها وتناصف
في الحسن وجه مقابلتها ولا نفور للنفوس من ترديدها ولا معاداة لمعادها.
الوجه الثاني من إعجازه صورة نظمه العجيب والأسلوب
الغريب المخالف لأساليب كلام العرب ومناهج نظمها ونثرها الذي جاء
عليه ووقفت مقاطع آيه وانتهت فواصل كلماته إليه ولم يوجد قبله
ولا بعده نظير له ولا استطاع أحد مماثلة شيء منه بل حارت فيه عقولهم
وتدلهت دونه أحلامهم ولم يهتدوا إلى مثله في جنس كلامهم من نثر
أو نظم أو سجع أو رجز أو شعر ولما سمع كلامه صلى الله عليه وسلم الوليد

ابن المغيرة وقرأ عليه القرآن رقّ وجاءه أبو جهل منكرًا عليه قال والله ما
منكم أحد أعلم بالأشعار مني والله ما يشبه الذي يقول شيئًا من هذا
وفي خبره الآخر حين جمع قريشًا عند حضور الموسم وقال إن وفود
العرب ترد فأجمعوا فيه رأيًا لا يكذب بعضكم بعضًا فقالوا نقول
كاهن قال والله ما هو بكاهن ما هو بزمزمته ولا سجعه قالوا مجنون
قال ما هو بمجنون ولا بخنقه ولا وسوسته قالوا فنقول شاعر قال ما هو
بشاعر قد عرفنا الشعر كله رجزه وهزجه وقريضه ومبسوطه ومقبوضه
ما هو بشاعر قالوا فنقول ساحر قال ما هو بساحر ولا نفثه ولا عقده
قالوا فما نقول قال ما أنتم بقائلين من هذا شيئًا إلا وأنا أعرف أنه باطل
وإن أقرب القول أنه ساحر فإنه سحر يفرق بين المرء وابنه والمرء
وأخيه والمرء وزوجه والمرء وعشيرته فتفرقوا وجلسوا على السبل
يحذرون الناس فأنزل الله تعالى في الوليد ذرني ومن خلقت وحيدًا
الآيات. وقال عتبة بن ربيعة حين سمع القرآن يا قوم قد علمتم أني لم
أترك شيئًا إلا وقد علمته وقرأته وقلته والله لقد سمعت قولًا والله ما
سمعت مثله قط ما هو بالشعر ولا بالسحر ولا بالكهانة. وقال النضر بن
الحرث نحوه وفي حديث إسلام أبي ذر رضي الله عنه ووصف أخاه أنيسًا
فقال والله ما سمعت بأشعر من أخي أنيس لقد ناقض اثني عشر شاعرًا في
الجاهلية أنا أحدهم وإنه انطلق إلى مكة وجاء إلى أبي ذر بخبر النبي صلى الله
عليه وسلم قلت فما يقول الناس قال يقولون شاعر كاهن ساحر لقد
سمعت قول الكهنة فما هو بقولهم ولقد وضعته على أقراء الشعر فلم
يلتئم وما يلتئم على لسان أحد بعدي أنه شعر وإنه لصادق وإنهم

لكاد يؤمن • والأخبار في هذا كثيرة • والإعجاز بكل واحد من النوعين الإيجاز
والبلاغة بذاتها أو الأسلوب الغريب بذاته كل واحد منهما نوع إعجاز
على التحقيق لم تقدر العرب على الإتيان بواحد منهما إذ كل واحد خارج
عن قدرتها مباين لفصاحتها وكلامها • وإلى هذا ذهب غير واحد من
أئمة المحققين • وذهب بعض المقتدى بهم إلى أن الإعجاز في مجموع
البلاغة والأسلوب وأتى ذلك بقول تمجه الأسماع وتنفر منه القلوب
والصحيح ما قدمناه • والعلم بهذا كله ضرورة وقطعًا • ومن تفنن في
علوم البلاغة وأرهف خاطره ولسانه أدب هذه الصناعة لم يخف
عليه ما قلناه • وقد اختلف أئمة أهل السنة في وجه عجزهم عنه
فأكثرهم يقول إنه مما جمع في قوة جزالته ونصاعة ألفاظه وحسن
نظمه وإيجازه وبديع تأليفه وأسلوبه لا يصح أن يكون في مقدور البشر
وأنه من باب الخوارق الممتنعة عن إقدار الخلق عليها كإحياء الموتى وقلب
العصا وتسبيح الحصى • وذهب الشيخ أبو الحسن إلى أنه مما يمكن أن يدخل
مثله تحت مقدور البشر ويقدرهم الله عليه ولكنه لم يكن هذا
ولا يكون فيعجزهم الله عن هذا وعجزهم عنه • وقال به جماعة من أصحابه
وعلى الطريقين عجز العرب عنه ثابت وإقامة الحجة عليهم بما يصح أن
يكون في مقدور البشر وتحديهم بأن يأتوا بمثله قاطع وهو أبلغ في التعجيز
وأحرى بالتقريع والاحتجاج بمجيء بشر مثلهم بشيء ليس من قدرة البشر
لازم وهو أبهر آية وأقمع دلالة • وعلى كل حال فما أتوا في ذلك بمقال بل
صبروا على الجلاء والفناء وتجرعوا كأسات الصغار والذل وكانوا من شموخ
الأنف وإباءة الضيم بحيث لا يؤثرون ذلك اختيارًا ولا يرضونه إلا اضطرارًا

وإلا فالمعارضة لو كانت من قدرهم والشغل بها أهون عليهم وأسرع
بالنجح وقطع العذر وإفحام الخصم لديهم وهم من هم قدرة على الكلام
وقدوة في المعرفة به لجميع الأنام، وما منهم إلا من جهد جهده واستنفد
ما عنده في إخفاء ظهوره وإطفاء نوره، فما جلوا في ذلك خبيئة من بنات
شفاههم ولا أتوا بنطفة من معين مياههم، مع طول الأمد وكثرة العدد ° بنطفة
وتظاهر الوالد وما ولد، بل أبلسوا فما نبسوا ومنعوا فانقطعوا، فهذان
نوعان من إعجازه. الوجه الثالث من الإعجاز ما انطوى عليه من
الإخبار بالمغيبات وما لم يكن ولم يقع فوجد كما ورد على الوجه الذي أخبر
كقوله تعالى لتدخلن المسجد الحرام إن شاء الله آمنين، وقوله تعالى وهم من
بعد غلبهم سيغلبون، وقوله تعالى ليظهره على الدين كله، وقوله تعالى
وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم الآية. وقوله
تعالى إذا جاء نصر الله إلى آخرها، فكان جميع هذا كما قال، فغلبت الروم فارس
في بضع سنين ودخل الناس في الإسلام أفواجا، فما مات عليه السلام
وفي بلاد العرب كلها موضع لم يدخله الإسلام، واستخلف المؤمنين في
الأرض ومكن فيها دينهم وملكهم إياها من أقصى المشارق إلى أقصى
المغارب كما قال عليه السلام زويت لي الأرض فأريت مشارقها ومغاربها
وسيبلغ ملك أمتي ما زوي لي منها، وقوله تعالى إنا نحن نزلنا الذكر وإنا
له لحافظون، فكان كذلك لا يكاد يعد من سعى في تغييره وتبديل محكمه
من الملحدة والمعطلة لا سيما القرامطة فأجمعوا كيدهم وحولهم وقوتهم
اليوم نيفا على خمسمائة عام فما قدروا على إطفاء شيء من نوره ولا تغيير
كلمة من كلامه ولا تشكيك المسلمين في حرف من حروفه، والحمد لله تعالى

ومنه قوله تعالى سيهزم الجمع ويولون الدبر. وقوله تعالى قاتلوهم يعذبهم
الله بأيديكم الآية. وقوله تعالى هو الذي أرسل رسوله بالهدى الآية.
وقوله تعالى لن يضروكم إلا أذى وإن يقاتلوكم يولوكم الأدبار الآية.
فكان كل ذلك وما فيه من كشف أسرار المنافقين واليهود ومقالهم
وكذبهم في حلفهم وتقريعهم بذلك كقوله تعالى ويقولون في أنفسهم
لولا يعذبنا الله بما نقول. وقوله تعالى يخفون في أنفسهم ما لا يبدون لك
الآية. وقوله تعالى ومن الذين هادوا سماعون للكذب سماعون لقوم
آخرين الآية. وقوله تعالى من الذين هادوا يحرفون الكلم عن مواضعه
إلى قوله وطعنا في الدين. وقد قال مبينا لما قدره الله تعالى في غنيمة
المؤمنين يوم بدر. وإذ يعدكم الله إحدى الطائفتين أنها لكم وتودون
أن غير ذات الشوكة تكون لكم. ومنه قوله تعالى إنا كفيناك المستهزئين.
ولما نزلت بشر النبي صلى الله عليه وسلم بذلك أصحابه رضي الله عنهم
بأن الله كفاه إياهم. وكان المستهزئون نفرا بمكة ينفرون الناس عنه
ويؤذونه فهلكوا. وقوله تعالى والله يعصمك من الناس. فكان كذلك
على كثرة من رام ضره وقصد قتله. والأخبار في ذلك معروفة صحيحة.
ومنها الوجه الرابع ما أنبأ به من أخبار القرون السالفة والأمم
البائدة والشرائع الداثرة مما كان لا يعلم منه القصة الواحدة إلا الفذ
من أحبار أهل الكتاب الذي قطع عمره في تعلم ذلك فيورده النبي صلى الله
عليه وسلم على وجهه ويأتي به على نصه فيعترف العالم بذلك بصحته
وصدقه وأن مثله لم ينله بتعلم. وقد علم أنه صلى الله عليه وسلم
أمي لا يقرأ ولا يكتب ولا اشتغل بمدارسة ولا مثافنة لم يغب عنهم

مثافنة

ولا اختلاف حالة احد منهم وقد كان اهل الكتاب كثيرا ما يسألونه عن هذا
فينزل عليه من القرآن ما يتلو عليهم منه ذكرا كقصص الانبياء مع قومهم
وخبر موسى والخضر ويوسف واخوته واصحاب الكهف وذي القرنين
ولقمان وابنه واشباه ذلك من الانبا وبدء الخلق وما في التوراة والانجيل
والزبور وصحف ابرهيم وموسى مما صدقه فيه العلماء بها ولم يقدروا على
تكذيب ما ذكر منها بل اذعنوا لذلك فمن موفق آمن بما سبق له من خير ومن
شقي معاند حاسد ومع هذا فلم يحك عن واحد من النصارى واليهود على
شدة عداوتهم له وحرصهم على تكذيبه وطول احتجاجه عليهم بما في كتبهم
وتقريعهم بما انطوت عليه مصاحفهم وكثرة سؤالهم له عليه السلام وتعنيتهم
اياه عن اخبار انبيائهم واسرار علومهم ومستودعات سيرهم واعلامه
لهم بمكتوم شرائعهم ومضمنات كتبهم مثل سؤالهم عن الروح وذي القرنين
واصحاب الكهف وعيسى وحكم الرجم وما حرم اسرائيل على نفسه وما
حرم عليهم من الانعام ومن طيبات كانت احلت لهم فحرمت عليهم ببغيهم
وقوله تعالى ذلك مثلهم في التوراة ومثلهم في الانجيل وغير ذلك من امورهم
التي نزل فيها القرآن فاجابهم وعرفهم بما اوحي اليه من ذلك انه انكر
ذلك او كذبه بل اكثرهم صرح بصحة نبوته صلى الله عليه وسلم وصدق مقالته
واعترف بعناده وحسده اياه كاهل نجران وابن صوريا وابني اخطب
وغيرهم ومن باهت في ذلك بعض المباهتة وادعى ان فيما عندهم من ذلك
لما حكاه مخالفة دعي الى اقامة حجته وكشف دعوته فقيل له فأتوا بالتوراة
فاتلوها ان كنتم صادقين الى قوله الظالمون فقرع ووبخ ودعا الى احضار
ممكن غير ممتنع فمن معترف بما جحده ومتواقح يلقي على فضيحته من كتابه يده

ولم يرو أن واحدا منهم أظهر خلاف قوله من كتبه ولا أبدى صحيحا إلا بيّنها
من صحفه. قال الله تعالى يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم كثيرا
مما كنتم تخفون من الكتاب ويعفوا عن كثير الآية. فصل هذه الوجوه
الأربعة من إعجازه بينة لا نزاع فيها ولا مرية. ومن الوجوه البينة في إعجازه
من غير هذه الوجوه آي وردت بتعجيز قوم في قضايا وإعلامهم أنهم لا يفعلونها
فما فعلوا ولا قدروا على ذلك كقوله تعالى لليهود قل إن كانت لكم الدار عند الله
الآخرة خالصة الآية. قال أبو إسحق الزجاج في هذه الآية أعظم حجة
وأظهر دلالة على صحة الرسالة لأنه قال لهم فتمنوا الموت وأعلمهم أنهم لن
يتمنوه أبدا فلم يتمنه واحد منهم. وعن النبي صلى الله عليه وسلم والذي نفسي
بيده لا يقولها رجل منهم إلا غص بريقه يعني يموت مكانه فصرفهم الله
عن تمنيه وجزعهم ليظهر صدق رسوله صلى الله عليه وسلم وصحة ما أوحي
إليه إذ لم يتمنه أحد منهم وكانوا على تكذيبه أحرص لو قدروا ولكن الله يفعل
ما يريد فظهرت بذلك معجزته وبانت حجته. قال أبو محمد الأصيلي من أعجب
أمرهم أنه لا يوجد منهم جماعة ولا واحد من يوم أمر الله تعالى بذلك نبيه
صلى الله عليه وسلم يقدم عليه ولا يجيب إليه. وهذا موجود مشاهد لمن أراد
أن يمتحنه منهم. وكذلك آية المباهلة من هذا المعنى حيث وفد عليه أساقفة
نجران وأبوا الإسلام فأنزل الله تعالى آية المباهلة بقوله فمن حاجك فيه
من بعد ما جاءك من العلم الآية فامتنعوا منها ورضوا بأداء الجزية وذلك
أن العاقب عظيمهم قال لهم قد علمتم أنه نبي وأنه ما لاعن قوما نبي قط
فبقي كبيرهم ولا صغيرهم. ومثله قوله تعالى وإن كنتم في ريب مما نزلنا
إلى قوله فإن لم تفعلوا ولن تفعلوا فأخبرهم أنهم لا يفعلون كما كان

فهو

وهذه الآية أدخل في باب الإخبار عن الغيب ولكن فيها من التعجيز ما في التي قبلها فصل ومنها الروعة التي تلحق قلوب سامعيه وأسماعهم عند سماعه والهيبة التي تعتريهم عند تلاوته لقوة حاله وإبانة خطره وهي على المكذبين به أعظم حتى كانوا يستثقلون سماعه ويزيدهم نفورا كما قال تعالى ويودون انقطاعه لكراهتهم له. ولهذا قال عليه السلام إن القرآن صعب مستصعب على من كرهه وهو الحكم. وأما المؤمن فلا تزال روعته به وهيبته إياه مع تلاوته توليه انجذابا وتكسبه هشاشة لميل قلبه إليه وتصديقه به. قال الله تعالى تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله. وقال تعالى لو أنزلنا هذا القرآن على جبل الآية. ويدل على أن هذا شيء خص به أنه يعتري من لا يفهم معانيه ولا يعلم تفاسيره كما روي عن نصراني أنه مر بقارئ فوقف يبكي فقيل له مم بكيت قال للشجاء والنظم وهذه الروعة قد اعترت جماعة قبل الإسلام وبعده فمنهم من أسلم لها لأول وهلة وآمن به ومنهم من كفر فحكي في الصحيح عن جبير بن مطعم رضي الله عنه قال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقرأ في المغرب بالطور فلما بلغ هذه الآية أم خلقوا من غير شيء أم هم الخالقون إلى قوله المسيطرون كاد قلبي أن يطير للإسلام وفي رواية وذلك أول ما وقر الإيمان في قلبي وعن عتبة بن ربيعة أنه كلم النبي صلى الله عليه وسلم فيما جاء به من خلاف قومه فتلا عليهم حم فصلت إلى قوله تعالى صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود فأمسك عتبة بيده على في النبي صلى الله عليه وسلم وناشده الرحم أن يكف وفي رواية فجعل النبي صلى الله عليه وسلم يقرأ وعتبة مصغ ملق يديه خلف ظهره

متعمدًا عليهما حتى انتهى إلى السجدة فسجد النبي صلى الله عليه وسلم
وقام عتبة لا يدري بما يراجعه ورجع إلى أهله ولم يخرج إلى قومه
حتى أتوه فاعتذر لهم وقال والله لقد كلمني بكلام والله ما سمعت
أذناي بمثله قط فما دريت ما أقول له • وقد حكي عن غير واحد ممن
رام معارضته أنه اعترته روعة وهيبة كف بها عن ذلك فحكي
أن ابن المقفع طلب ذلك ورامه وشرع فيه فمر بصبي يقرأ وقيل
يا أرض ابلعي ماءك ويا سماء أقلعي فرجع فمحا ما عمل • وقال أشهد أن
هذا لا يعارض • وما هو من كلام البشر وكان من أفصح أهل وقته
وكان يحيى بن حكم الغزال بليغ الأندلس في زمنه فحكي أنه
رام شيئًا من هذا فنظر في سورة الإخلاص ليحذو على مثالها • وينسج
بزعمه على منوالها • قال فاعترتني خشية ورقة حملتني على التوبة والإنابة
• فصل ومن وجوه إعجازه المعدودة كونه آية باقية
لا تعدم ما بقيت الدنيا مع تكفل الله تعالى بحفظه فقال تعالى
إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون وقال تعالى لا يأتيه الباطل
من بين يديه ولا من خلفه • وسائر معجزات الأنبياء عليهم السلام انقضت
بانقضاء أوقاتها فلم يبق إلا خبرها • والقرآن العزيز الباهرة
آياته الظاهرة معجزاته على ما كان عليه اليوم مدة خمس مائة وخمس (عام)
وثلثين سنة لأول نزوله إلى وقتنا هذا حجته قاهرة •
ومعارضته ممتنعة • والأعصار كلها طافحة بأهل البيان وحملة
علم اللسان • وأئمة البلاغة • وفرسان الكلام • وجهابذة البراعة •
والملحد فيهم كثير والمعادي للشرع عتيد • فما منهم من أتى بشيء

يؤثر في معارضته ولا ألف كلمتين في مناقضته ولا قدر فيه على مطعن
صحيح ولا قدح المتكلف من ذهنه في ذلك إلا بزند شحيح بل المأثور عن كل
من رام ذلك إلقاؤه في العجز يديه والنكوص على عقبيه ٠ فصل
وقد عد جماعة من الأئمة ومقلدي الأمة في إعجازه وجوها كثيرة منها
أن قارئه لا يمله وسامعه لا يمجه بل الإكباب على تلاوته يزيده حلاوة
وترديده يوجب له محبة لا يزال غضا طريا وغيره من الكلام ولو بلغ في
الحسن والبلاغة مبلغه يمل مع الترديد ويعادى إذا أعيد وكتابنا
يستلذ به في الخلوات ويؤنس بتلاوته في الأزمات وسواه من الكتب لا
يوجد فيها ذلك حتى أحدث أصحابها لها لحونا وطرقا يستجلبون بتلك
اللحون تنشيطهم على قراءتها ولهذا وصف رسول الله صلى الله عليه وسلم
القرآن بأنه لا يخلق على كثرة الرد ولا تنقضي عبره ولا تفنى عجائبه هو
الفصل ليس بالهزل لا يشبع منه العلماء ولا تزيغ به الأهواء ولا تلتبس
به الألسنة هو الذي لم تنته الجن حين سمعته أن قالوا إنا سمعنا
قرآنا عجبا يهدي إلى الرشد ومنها جمعه لعلوم ومعارف لم تعهد العرب
عامة ولا محمد صلى الله عليه وسلم قبل نبوته خاصة بمعرفتها ولا القيام
بها ولا يحيط بها أحد من علماء الأمم ولا يشتمل عليها كتاب من كتبهم فجمع
فيه من بيان علم الشرائع والتنبيه على طرق الحجج العقليات والرد على فرق الأمم
ببراهين قوية وأدلة بينة سهلة الألفاظ موجزة المقاصد رام المتحذلقون
بعد أن ينصبوا أدلة مثلها فلم يقدروا عليها كقوله تعالى أوليس الذي خلق
السماوات والأرض بقادر على أن يخلق مثلهم وقوله تعالى قل يحييها الذي
أنشأها أول مرة وقوله تعالى لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا إلى ما حواه

من علوم السير وأنباء الأمم والمواعظ والحكم وأخبار الدار الآخرة
ومحاسن الآداب والشيم قال الله جل اسمه ما فرطنا في الكتاب من شيء
ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شيء ولقد ضربنا للناس في هذا القرآن
من كل مثل وقال صلى الله عليه وسلم إن الله أنزل هذا القرآن آمرا
وزاجرا وسنة خالية ومثلا مضروبا فيه نبؤكم وخبر ما كان قبلكم
ونبأ ما بعدكم وحكم ما بينكم لا يخلقه طول الرد ولا تنقضي عجائبه
هو الحق ليس بالهزل من قال به صدق ومن حكم به عدل ومن خاصم
به فلج ومن قسم به أقسط ومن عمل به أجر ومن تمسك به هدي إلى
صراط مستقيم ومن طلب الهدى من غيره أضله الله ومن حكم بغيره
قصمه الله هو الذكر الحكيم والنور المبين والصراط المستقيم وحبل الله
المتين والشفاء النافع عصمة لمن تمسك به ونجاة لمن اتبعه لا يعوج
فيقوم ولا يزيغ فيستعتب ولا تنقضي عجائبه ولا يخلق على كثرة الرد
ونحوه عن ابن مسعود رضي الله عنه وقال فيه ولا يختلف ولا يتشان ولا يتشانا
فيه نبأ الأولين والآخرين وفي الحديث قال الله تعالى لمحمد صلى الله عليه
وسلم إني منزل عليك توراة حديثة تفتح بها أعينا عميا وآذانا صما
وقلوبا غلفا فيها ينابيع العلم وفهم الحكمة وربيع القلوب وعن كعب
رضي الله عنه عليكم بالقرآن فإنه فهم العقول ونور الحكمة وقال تعالى
إن هذا القرآن يقص على بني إسرائيل أكثر الذي هم فيه يختلفون وقال تعالى
هذا بيان للناس وهدى لامة فجمع فيه مع وجازة ألفاظه وجوامع
كلمه أضعاف ما في الكتب فنطقه إلى ألفاظها على الضعف منه مرات ومنها
جمعه فيه بين الدليل والمدلول وذلك أنه احتج بنظم القرآن وحسن

وصفه
رصفه وعجائبه وبلاغته · وأنها في البلاغة أمره ونهيه · ووعده ووعيده ·
فالتالي له يفهم موضع الحجة والتكليف معا من كلام واحد وسورة
منفردة · ومنها أن جعله في حيز المنظوم الذي لم يعهد ولم يكن في حيز
المنثور · لأن المنظوم أسهل على النفوس وأوعى للقلوب وأسمع في الآذان
وأحلى على الأفهام · فالناس إليه أميل · والأهواء إليه أسرع · ومنها تيسيره
تعالى حفظه لمتعلميه وتقريبه على متحفظيه · قال الله تعالى ولقد يسرنا
القرآن للذكر · وسائر الأمم لا يحفظ كتبها الواحد منهم فكيف جما على مرور
السنين عليهم · والقرآن متيسر حفظه للغلمان في أقرب مدة · ومنها
مشاكلة بعض أجزائه بعضا · وحسن ائتلاف أنواعها · والتئام أقسامها · وحسن
التخلص من قصة إلى أخرى · والخروج من باب إلى غيره على اختلاف معانيه
وانقسام السورة الواحدة على أمر ونهي وخبر واستخبار ووعد ووعيد
وإثبات نبوة وتوحيد وتفريد وترغيب وترهيب إلى غير ذلك من فوائد
دون خلل يتخلل فصوله · والكلام الفصيح إذا اعتوره مثل هذا ضعفت قوته
ولانت جزالته وقل رونقه · وتقلقلت ألفاظه فتأمل سورة ص وما جمع
فيها من أخبار الكفار وشقاقهم وتقريعهم بإهلاك القرون من قبلهم
وما ذكر من تكذيبهم لمحمد صلى الله عليه وسلم وتعجبهم مما أتى به · والخبر عن اجتماع
ملائهم على الكفر وما ظهر من الحسد في كلامهم · وتعجيزهم وتوهينهم ووعيدهم
بخزي الدنيا والآخرة · وتكذيب الأمم قبلهم · وإهلاك الله لهم ووعيد هؤلاء
مثل مصابهم · وتصبير النبي صلى الله عليه وسلم على أذاهم وتسليته بكل ما
تقدم ذكره · ثم أخذ في ذكر داود وقصص الأنبياء كل هذا في أوجز كلام ·
وأحسن نظام · ومنه الجملة الكثيرة التي تضمنت عليها الكلمات القليلة ·

وهذا كله وكثير مما ذكرنا أنه ذكر في إعجاز القرآن وجوه كثيرة ذكرها
الأئمة لم نذكرها أكثرها داخل في باب بلاغته فلا يجب أن يعد فنا منفردا
في إعجازه إلا في باب تفصيل فنون البلاغة. وكذلك كثير مما قدمنا ذكره
عنهم يعد في خواصه وفضائله لا إعجازه. وحقيقة الإعجاز الوجوه الأربعة
التي ذكرناها. فليعتمد عليها وما بعدها من خواص القرآن وعجائبه التي
لا تنقضي. وبالله التوفيق. فصل في انشقاق القمر وحبس الشمس. قال الله
تعالى اقتربت الساعة وانشق القمر وإن يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر
أخبر تعالى بوقوع انشقاقه بلفظ الماضي وإعراض الكفرة عن آياته. وأجمع
المفسرون وأهل السنة على وقوعه. أخبرنا الحسين بن محمد الحافظ من كتابه
حدثنا القاضي سراج بن عبد الله حدثنا الأصيلي حدثنا المروزي حدثنا الفربري
حدثنا البخاري حدثنا مسدد حدثنا يحيى عن شعبة وسفيان عن الأعمش عن
إبراهيم عن أبي معمر عن ابن مسعود رضي الله عنه قال انشق القمر على عهد رسول الله
صلى الله عليه وسلم فرقتين فرقة فوق الجبل وفرقة دونه فقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم اشهدوا. وفي رواية مجاهد ونحن مع النبي صلى الله عليه وسلم. وفي بعض
طرق الأعمش بمنى. ورواه أيضا عن ابن مسعود الأسود وقال حتى رأيت الجبل
بين فرجتي القمر. ورواه عنه مسروق أنه كان بمكة. وزاد فقال كفار قريش
سحركم ابن أبي كبشة فقال رجل منهم إن محمدا إن كان سحر القمر فإنه لا
يبلغ من سحره أن يسحر الأرض كلها فاسألوا من يأتيكم من بلد آخر هل رأوا
هذا فأتوا فسألوا فأخبروهم أنهم رأوا مثل ذلك. وحكى السمرقندي عن
الضحاك نحوه وقال فقال أبو جهل هذا سحر فابعثوا إلى أهل الآفاق حتى تنظروا
أرأوا ذلك أم لا فأخبر أهل الآفاق أنهم رأوه منشقا فقالوا يعني الكفار

هذا خبر مشهور رواه أيضاً عن ابن مسعود علقمة فهؤلاء الأربعة عن عبد الله
وقد رواه غير ابن مسعود كما رواه ابن مسعود منهم أنس وابن عباس
وابن عمر وحذيفة وعلي وجبير بن مطعم رضي الله عنهم أجمعين فقال
علي من رواية أبي حذيفة الأرحبي انشق القمر ونحن مع النبي صلى الله عليه
وسلم وعن أنس رضي الله عنه سأل أهل مكة النبي صلى الله عليه وسلم أن
يريهم آية فأراهم انشقاق القمر فرقتين حتى رأوا حراء بينهما رواه عن
أنس قتادة وفي رواية معمر وغيره عن قتادة عنه أراهم القمر مرتين انشقاقه
فنزلت اقتربت الساعة وانشق القمر ورواه عن جبير بن مطعم ابنه محمد
وابن ابنه جبير بن محمد ورواه عن ابن عباس رضي الله عنهما عبيد الله بن عبد الله
بن عتبة ورواه عن ابن عمر رضي الله عنهما مجاهد ورواه عن حذيفة أبو
عبد الرحمن السلمي ومسلم بن أبي عمران الأزدي وأكثر طرق هذه الأحاديث
صحيحة والآية مصرحة ولا يلتفت إلى اعتراض مخذول بأنه لو كان هذا لم
يخف على أهل الأرض إذ هو شيء ظاهر لجميعهم إذ لم ينقل لنا عن أهل الأرض
أنهم رصدوه تلك الليلة فلم يروه انشق ولو نقل إلينا عمن لا يجوز تمالؤهم
لكثرتهم على الكذب لما كانت علينا به حجة إذ ليس القمر في حد واحد لجميع أهل
الأرض فقد يطلع على قوم قبل أن يطلع على آخرين وقد يكون من قوم بضد ما
هو من مقابليهم من أقطار الأرض أو يحول بين قوم وبينه سحاب أو جبال
ولهذا نجد الكسوفات في بعض البلاد دون بعض وفي بعضها جزئية وفي بعضها
كلية وفي بعضها لا يعرفها إلا المدعون لعلمها ذلك تقدير العزيز العليم
وآية القمر كانت ليلاً والعادة من الناس هدو والسكون وإيجاف الأبواب وقطع
التصرف ولا يكاد يعرف من أمور السماء شيئاً إلا من رصد ذلك واهتبل به

بالليل

وكذلك ما يكون الكسوف القمري كثيرا في البلاد وأكثرهم لا يعلم به حتى يخبر
وكثيرا ما يحدث الثقات بعجائب يشاهدونها من أنوار ونجوم طوالع عظام
تظهر في الأحيان بالليل في السماء ولا علم عند أحد منها وخرج الطحاوي
في مشكل الحديث عن أسماء بنت عميس من طريقين أن النبي صلى الله عليه وسلم
كان يوحى إليه ورأسه في حجر علي رضي الله عنه فلم يصل العصر حتى غربت الشمس
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أصليت يا علي قال لا فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم اللهم كان في طاعتك وطاعة رسولك فاردد عليه إنه
الشمس قالت أسماء فرأيتها غربت ثم رأيتها طلعت بعد ما غربت ووقعت ووقفت
على الجبال والأرض وذلك بالصهباء في خيبر قال وهذان الحديثان
ثابتان ورواتهما ثقات وحكى الطحاوي أن أحمد بن صالح كان يقول لا ينبغي
من سبيله العلم التخلف عن حفظ حديث أسما لأنه من علامات النبوة وروى
يونس بن بكير في زيادة المغازي روايته عن ابن إسحاق لما أسري برسول الله
صلى الله عليه وسلم وأخبر قومه بالرفقة والعلامة التي في العير قالوا متى تجيء
قال يوم الأربعاء فلما كان ذلك اليوم أشرفت قريش ينظرون وقد ولى
النهار ولم تجئ فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم فزيد له في النهار ساعة
وحبست عليه الشمس فصل في نبع الماء من بين أصابعه وتكثيره ببركته
صلى الله عليه وسلم أما الأحاديث في هذا فكثيرة جدا روى حديث
نبع الماء من بين أصابعه صلى الله عليه وسلم جماعة من الصحابة رضي الله عنهم
منهم أنس وجابر وابن مسعود حدثنا أبو إسحاق إبراهيم بن جعفر الفقيه
رحمه الله بقراءتي عليه حدثنا القاضي عيسى بن سهل حدثنا أبو القاسم حاتم
بن محمد حدثنا أبو عمر بن الفخار حدثنا أبو عيسى حدثنا عبيد الله حدثنا يحيى

حدثنا مالك عن إسحق بن عبد الله بن أبي طلحة عن أنس بن مالك رضي الله عنه
رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وحانت صلوة العصر فالتمس الناس الوضوء
فلم يجدوه فأتي رسول الله صلى الله عليه وسلم بوضوء فوضع رسول الله صلى الله
عليه وسلم في ذلك الإناء يده وأمر الناس أن يتوضؤوا منه قال فرأيت الماء
ينبع من بين أصابعه فتوضأ الناس حتى توضؤوا من عند آخرهم ورواه أيضا
عن أنس قتادة وقال بإناء فيه ماء يغمر أصابعه أو لا يكاد يغمر قال كم كنتم
قال زهاء ثلثمائة وفي رواية عنه وهم بالزوراء عند السوق ورواه أيضا
حميد وثابت والحسن عن أنس وفي رواية حميد قلت كم كانوا قال ثمانين
ونحوه عن ثابت وعنه أيضا وهم نحو من سبعين رجلا وعن ابن مسعود
في الصحيح عنه من رواية علقمة بينما نحن مع رسول الله صلى الله عليه وسلم
وليس معنا ماء فقال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم اطلبوا من معه فضل ماء
فأتي بماء فصبه في إناء ثم وضع كفه فيه فجعل الماء ينبع من بين أصابع رسول الله
صلى الله عليه وسلم وفي الصحيح عن سالم بن أبي الجعد عن جابر رضي الله عنه
عطش الناس يوم الحديبية ورسول الله صلى الله عليه وسلم بين يديه ركوة
فتوضأ منها وأقبل الناس نحوه وقالوا ليس عندنا ماء إلا ما في ركوتك فوضع النبي
صلى الله عليه وسلم يده في الركوة فجعل الماء يفور من بين أصابعه كأمثال العيون
وفيه فقلت كم كنتم قال لو كنا مائة ألف لكفانا كنا خمس عشرة مائة.
وروي مثله عن أنس عن جابر وفيه أنه كان بالحديبية وفي رواية الوليد
ابن عبادة بن الصامت عنه في حديث مسلم الطويل في ذكر غزوة بواط
قال قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم يا جابر ناد الوضوء وذكر الحديث
بطوله وأنه لم يجد إلا قطرة في عزلاء شجب فأتي به النبي صلى الله عليه وسلم

فغمره ونكم بشيء لا أدري ما هو وقال صلى الله عليه وسلم ناد بحفنة الركب
فأتيت بها فوضعتها بين يديه وذكر أن النبي صلى الله عليه وسلم بسط يده
في الحفنة وفرق أصابعه وصب جابر عليه وقال بسم الله كما أمره قال
فرأيت الماء يفور من بين أصابعه ثم فارت الحفنة واستدارت حتى امتلأت
وأمر الناس بالاستقاء فاستقوا حتى رووا فقلت هل بقي أحد له حاجة
فرفع رسول الله صلى الله عليه وسلم يده من الحفنة وهي ملأى وعن الشعبي
رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم أتي في بعض أسفاره بإداوة ماء وقيل ما
معنا يا رسول الله ماء غيرها فسكبها في ركوة ووضع إصبعه وسطها
وغمسها في الماء وجعل الناس يجيئون ويتوضؤون ثم يقومون قال الترمذي
وفي الباب عن عمران بن حصين ومثل هذا في هذه المواطن الحفيلة والجموع الكثيرة
لا تتطرق التهمة إلى المحدث به لأنهم كانوا أسرع شيء إلى تكذيبه لما
جبلت عليه النفوس من ذلك ولأنهم كانوا ممن لا يسكت على باطل فهؤلاء
قد رووا هذا وأشاعوه ونسبوا حضور الجم الغفير له ولم ينكر أحد من
الناس عليهم ما حدثوا به عنهم أنهم فعلوه وشاهدوه فصار كتصديق
جميعهم له ومما يشبه هذا من معجزاته صلى الله عليه وسلم
تفجير الماء ببركته وانبعاثه بمسه ودعوته ما روى مالك رضي الله عنه في
الموطأ عن معاذ بن جبل رضي الله عنه في قصة غزوة تبوك وأنهم قد وردوا
العين وهي تبض بشيء من ماء مثل الشراك فغرفوا من العين بأيديهم حتى
اجتمع في شيء ثم غسل رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه وجهه ويديه
وأعاده فيها فجرت بماء كثير فاستقى الناس قال في حديث ابن إسحاق فانخرق
من الماء ما له حس كحس الصواعق ثم قال يوشك يا معاذ إن طالت بك حياة

ن

أن نروي منها ها هنا ما في حديث البراء وسلمة بن الأكوع وحديث
أنهم في قصة الحديبية وهم أربع عشرة مائة والبئر لا تروي خمسين
شاة نزحناها فلم نترك فيها قطرة فقعد رسول الله صلى الله عليه وسلم
على جباها قال البراء وأتي بدلو منها فبصق ودعا وقال سلمة فإما دعا وإما
بصق فيها فجاشت فأرووا أنفسهم وركابهم وفي غير هذه الروايتين
في هذه القصة من طريق ابن شهاب في الحديبية فأخرج صلى الله عليه وسلم
سهما من كنانته فوضع في قعر قليب ليس فيه ماء فروي الناس حتى ضربوا
بعطن وعن أبي قتادة رضي الله عنه وذكر أن الناس شكوا إلى رسول الله
صلى الله عليه وسلم العطش في بعض أسفاره فدعا بالميضأة فجعلها في ضبنه
ثم التقم فمها فالله أعلم نفث فيها أم لا فشرب الناس حتى رووا وملأوا
كل إناء معهم فخيل إلي أنها كما أخذها مني وكانوا اثنين وسبعين رجلا
وذكر مثله عمران بن حصين وذكر الطبري حديث أبي قتادة على غير ما
ذكره أهل الصحيح وأن النبي صلى الله عليه وسلم خرج بهم ممدا لأهل مؤتة عند
ما بلغه قتل الأمراء وذكر حديثا طويلا فيه آيات ومعجزات للنبي صلى الله
عليه وسلم وفيه إعلامهم أنهم يفقدون الماء في غد وذكر حديث الميضأة
قال والقوم زهاء ثلثمائة وفي كتاب مسلم أنه قال لأبي قتادة احفظ علينا
ميضأتك فإنه سيكون لها نبأ وذكر نحوه ومن ذلك حديث عمران بن حصين
حين أصاب النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه عطش في بعض أسفارهم
فوجه رجلين من أصحابه وأعلمهما أنهما يجدان امرأة بمكان كذا معها بعير
عليه مزادتان الحديث فوجداها وأتيا بها إلى النبي صلى الله عليه وسلم
فجعل في إناء من مزادتيها وقال فيه ما شاء الله أن يقول ثم أعاد الماء في

لمزادتين ثم فتحت عن أفواههما وأمر الناس فملؤوا أسقيتهم حتى لم يدعوا
شيئًا إلا ملؤوه قال عمران ويخيل إلي أنهما لم يزدادا إلا امتلاءً ثم أمر
فجمع للمرأة من الأزواد حتى ملأ ثوبها وقال صلى الله عليه وسلم اذهبي فإنا
لم نأخذ من مائك شيئًا ولكن الله سقانا الحديث بطوله وعن سلمة بن
الأكوع رضي الله عنه قال نبي الله صلى الله عليه وسلم هل من وضوء فجاء رجل
بإداوة فيها نطفة فأفرغها في قدح فتوضأنا كلنا ندغفقه دغفقة
أربع عشرة مائة وفي حديث عمر رضي الله عنه في جيش العسرة وذكر
ما أصابهم من العطش حتى إن الرجل لينحر بعيره فيعصر فرثه فيشربه
فرغب أبو بكر رضي الله عنه إلى النبي صلى الله عليه وسلم في الدعاء فرفع يديه
فلم يرجعهما حتى قالت السماء فانسكبت فملؤوا ما معهم من آنية ولم تجاوز العسكر
وعن عمرو بن شعيب رضي الله عنه أن أبا طالب قال للنبي صلى الله عليه وسلم
وهو رديفه بذي المجاز عطشت وليس عندي ماء فنزل النبي صلى الله عليه
وسلم وضرب بقدمه الأرض فخرج الماء فقال اشرب. والحديث في هذا
الباب كثير ومنه الإجابة بدعاء الاستسقاء وما جانسه فصل
ومن معجزاته صلى الله عليه وسلم تكثير الطعام ببركته ودعائه حدثنا القاضي
الشهيد أبو علي رحمه الله حدثنا العذري حدثنا الرازي حدثنا الجلودي
حدثنا ابن سفيان حدثنا مسلم بن الحجاج حدثنا سلمة بن شبيب حدثنا الحسن
ابن أعين حدثنا معقل عن أبي الزبير عن جابر رضي الله عنه أن رجلاً أتى
النبي صلى الله عليه وسلم يستطعمه فأطعمه شطر وسق شعير فما زال يأكل
منه وامرأته وضيفهما حتى كاله فأتى النبي صلى الله عليه وسلم فأخبره فقال
صلى الله عليه وسلم لو لم تكله لأكلتم منه ولقام بكم ومن ذلك حديث

في صَحْفَةِ الْمَشْهُورِ وَأَطْعَمَهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثَمَانِينَ أَوْ سَبْعِينَ رَجُلًا مِنْ
أَقْرَاصٍ مِنْ شَعِيرٍ جَاءَ بِهَا أَنَسٌ تَحْتَ يَدِهِ أَيْ إِبْطِهِ فَأَمَرَ بِهَا فَفُتَّتْ وَقَالَ فِيهَا
مَا شَاءَ اللهُ أَنْ يَقُولَ وَأَطْعَمَ جَابِرٌ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ فِي إِطْعَامِهِ يَوْمَ الْخَنْدَقِ
أَلْفَ رَجُلٍ مِنْ صَاعِ شَعِيرٍ وَعَنَاقٍ وَقَالَ جَابِرٌ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ فَأُقْسِمُ بِاللهِ
لَأَكَلُوا حَتَّى تَرَكُوهُ وَانْحَرَفُوا وَإِنَّ بُرْمَتَنَا لَتَغِطُّ كَمَا هِيَ وَإِنَّ عَجِينَنَا لَيُخْبَزُ
وَكَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَصَقَ فِي الْعَجِينِ وَالْبُرْمَةِ وَبَارَكَ رَوَاهُ
عَنْ جَابِرٍ سَعِيدُ بْنُ مِينَاءَ وَأَيْمَنُ وَعَنْ ثَابِتٍ مِثْلُهُ عَنْ رَجُلٍ مِنَ الْأَنْصَارِ
وَامْرَأَتِهِ وَلَمْ يُسَمِّهِمَا قَالَ وَجِيءَ بِمِثْلِ الْكَفِّ فَجَعَلَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
يَبْسُطُهَا فِي الْإِنَاءِ وَيَقُولُ مَا شَاءَ اللهُ فَأَكَلَ مِنْهُ مَنْ فِي الْبَيْتِ وَالْحُجْرَةِ وَالدَّارِ وَكَانَ
ذَلِكَ قَدِ امْتَلَأَ مِمَّنْ قَدِمَ مَعَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ لِذَلِكَ وَبَقِيَ بَعْدَمَا شَبِعُوا مِثْلُ
مَا كَانَ فِي الْإِنَاءِ وَعَنْ أَبِي أَيُّوبَ أَنَّهُ صَنَعَ لِرَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
وَلِأَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ مِنَ الطَّعَامِ زُهَاءَ مَا يَكْفِيهِمَا فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ ادْعُ ثَلَاثِينَ مِنْ أَشْرَافِ الْأَنْصَارِ فَدَعَاهُمْ فَأَكَلُوا حَتَّى تَرَكُوا ثُمَّ قَالَ
ادْعُ سِتِّينَ فَكَانَ مِثْلَ ذَلِكَ ثُمَّ قَالَ ادْعُ سَبْعِينَ فَأَكَلُوا حَتَّى تَرَكُوا وَمَا
خَرَجَ مِنْهُمْ أَحَدٌ حَتَّى أَسْلَمَ وَبَايَعَ. قَالَ أَبُو أَيُّوبَ فَأَكَلَ مِنْ طَعَامِي مِائَةٌ
وَثَمَانُونَ رَجُلًا وَعَنْ سَمُرَةَ بْنِ جُنْدُبٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أُتِيَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ بِقَصْعَةٍ فِيهَا لَحْمٌ فَتَعَاقَبُوهَا مِنْ غُدْوَةٍ حَتَّى اللَّيْلِ يَقُومُ قَوْمٌ وَيَقْعُدُ
آخَرُونَ وَمِنْ ذَلِكَ حَدِيثُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا كُنَّا مَعَ
النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثَلَاثِينَ وَمِائَةً وَذَكَرَ فِي الْحَدِيثِ أَنَّهُ عُجِنَ صَاعٌ مِنْ
طَعَامٍ وَصُنِعَتْ شَاةٌ فَشُوِيَ سَوَادُ بَطْنِهَا قَالَ وَايْمُ اللهِ مَا مِنَ الثَّلَاثِينَ وَمِائَةٍ
إِلَّا وَقَدْ حَزَّ لَهُ حُزَّةً مِنْ سَوَادِ بَطْنِهَا ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا قَصْعَتَيْنِ فَأَكَلْنَا أَجْمَعُونَ

ونضا في القصعتين حملناه على البعير ومن ذلك حديث عبد الرحمن بن
أبي عمرة الأنصاري عن أبيه ومثله لسلمة بن الأكوع وأبي هريرة وعمر بن
الخطاب رضي الله عنهم فذكروا مخمصة أصابت الناس مع النبي صلى الله
عليه وسلم في بعض مغازيه فدعا ببقية الأزواد فجاء الرجل بالحثية من
الطعام وفوق ذلك وأعلاهم الذي أتى بالصاع من التمر فجمعه على
نطع قال سلمة فحزرته كربضة العنز ثم دعا الناس بأوعيتهم فما بقي في
الجيش وعاء إلا ملؤوه وبقي منه وعن أبي هريرة رضي الله عنه أمرني النبي
صلى الله عليه وسلم أن أدعو له أهل الصفة فتتبعتهم حتى جمعتهم فوضعت
بين أيدينا صحفة فأكلنا ما شئنا وفرغنا وهي مثلها حين وضعت إلا أن
فيها أثر الأصابع وعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه جمع رسول الله صلى الله
عليه وسلم بني عبد المطلب وكانوا أربعين منهم قوم يأكلون الجذعة
ويشربون الفرق فصنع لهم مدا من طعام فأكلوا حتى شبعوا وبقي كما هو
ثم دعا بعس فشربوا حتى رووا وبقي كأنه لم يشرب وقال أنس إن النبي
صلى الله عليه وسلم حين ابتنى بزينب أمره أن يدعو له قوما سماهم
وكل من لقيت حتى امتلأ البيت والحجرة وقدم إليهم تورا فيه قدر مد
من تمر جعل حيسا فوضعه قدامه وغمس ثلاث أصابعه وجعل القوم يتغدون
ويخرجون وبقي التور نحوا مما كان وكان القوم أحدا وسبعين وفي
رواية أخرى في هذه القصة أو مثلها أن القوم كانوا زهاء ثلاثمائة وأنهم أكلوا
حتى شبعوا وقال لي ارفع فلا أدري حين وضعت كان أكثر أم حين رفعت
وفي حديث جعفر بن محمد عن أبيه عن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم أن فاطمة
رضي الله عنها طبخت قدرا لغدائها ووجهت عليا رضي الله عنه إلى النبي

صلى الله عليه وسلم ليتغدى معهما فأمرها فغرفت منها لجميع نسائه صحفة صحفة
ثم غرفت له عليه السلام ولعلي رضي الله عنه ثم لها ثم رفعت القدر وإنها
لتفيض قالت فأكلنا منها ما شاء الله ۰ وأمر عمر بن الخطاب رضي الله عنه
أن يزود أربعمائة راكب من أحمس فقال يا رسول الله ما هي إلا أصوع قال
اذهب فذهب فزودهم منه وكان قدر الفصيل الرابض من التمر وبقي
بحاله من رواية دكين الأحمسي ومن رواية جرير ومثله من رواية النعمان
ابن مقرن الخبر بعينه إلا أنه قال أربعمائة راكب من مزينة ومن ذلك
حديث جابر في دين أبيه بعد موته وقد كان بذل لغرمائه أصل
ماله فلم يقبلوه ولم يكن في ثمرها سنين كفاف دينهم فجاءه النبي صلى الله
عليه وسلم بعد أن أمره بجدها وجعلها بيادر في أصولها فمشى فيها
ودعا فأوفى منه جابر غرماء أبيه وفضل مثل ما كانوا يجدون كل
سنة وفي رواية مثل ما أعطاهم قال وكان الغرماء يهود فعجبوا من ذلك
وقال أبو هريرة رضي الله عنه أصاب الناس مخمصة فقال لي رسول الله
صلى الله عليه وسلم هل من شيء قلت شيء من التمر في المزود قال فأتني به
فأدخل يده فأخرج قبضة فبسطها ودعا بالبركة ثم قال ادع عشرة
فأكلوا حتى شبعوا ثم عشرة كذلك حتى أطعم الجيش كلهم وشبعوا قال
خذ ما جئت به وأدخل يدك واقبض منه ولا تكبه فقبضت على أكثر
مما جئت به فأكلت منه وأطعمت حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم
وأبي بكر وعمر رضي الله عنهما إلى أن قتل عثمان فانتهب مني فذهب
وفي رواية فقد حملت من ذلك التمر كذا وكذا من وسق في سبيل الله
وذكرت مثل هذه الحكاية في غزوة تبوك وأن التمر كان بضع عشرة تمرة

ومنه ايضا حديث ابي هريرة رضي الله عنه حين اصابه الجوع فاستتبعه
النبي صلى الله عليه وسلم فوجد لبنا في قدح قد اهدي اليه فامره ان
يدعو اهل الصفة قال فقلت ما هذا اللبن فيهم كنت احق ان اصيب منه
شربة اتقوى بها فدعوتهم وذكر امر النبي صلى الله عليه وسلم له ان يسقيهم
فجعلت اعطي الرجل فيشرب حتى يروى ثم ياخذه الآخر حتى روي جميعهم
قال فاخذ النبي صلى الله عليه وسلم القدح وقال بقيت انا وانت اقعد فاشرب
فشربت ثم قال اشرب وما زال يقولها واشرب حتى قلت لا والذي
بعثك بالحق ما اجد له مسلكا فاخذ القدح فحمد الله تعالى وسمى وشرب
الفضلة وفي حديث خالد بن عبد العزى انه اجزر النبي صلى الله عليه وسلم
شاة وكان عيال خالد كثيرا يذبح الشاة فلا يبدد عياله عظما وان النبي
صلى الله عليه وسلم اكل من هذه الشاة وجعل فضلها في دلو خالد ودعا
له بالبركة فنثر ذلك لعياله فاكلوا وافضلوا. ذكر خبره الدولابي
ومنها ايضا الاخرى في انكاح النبي صلى الله عليه وسلم لعلي فاطمة رضي
الله عنهما ان النبي صلى الله عليه وسلم امر بلالا بقصعة من اربعة امداد
او خمسة ويذبح جزورا لوليمتها قال فاتيته بذلك فطعن في راسها
ثم ادخل الناس رفقة رفقة ياكلون منها حتى فرغوا وبقيت منها فضلة
فبرك فيها وامر بحملها الى ازواجه رضي الله عنهن وقال كلن واطعمن
من غشيكن وفي حديث انس رضي الله عنه تزوج النبي صلى الله عليه وسلم
فصنعت امي ام سليم حيسا فجعلته في تور فذهبت به الى رسول الله صلى الله
عليه وسلم فقال ضعه وادع لي فلانا وفلانا ومن لقيت فدعوتهم ولم ادع
احدا لقيته الا دعوته وذكر انهم كانوا زهاء ثلاثمائة حتى ملئوا الصفة

عظما

والحجرة فقال لهم النبي صلى الله عليه وسلم تحلقوا عشرة عشرة ووضع
النبي صلى الله عليه وسلم يده على الطعام فدعا فيه وقال ما شاء الله أن
يقول فأكلوا حتى شبعوا كلهم فقال لي ارفع فما أدري حين وضعت
كان أكثر أم حين رفعت وأكثر أحاديث هذه الفصول الثلاثة في
الصحيح وقد اجتمع على معنى حديث هذا الفصل بضعة عشر من الصحابة
رضي الله عنهم رواه عنهم أضعافهم من التابعين ثم من لا ينعد بعدهم
وأكثرها في قصص مشهورة ومجامع مشهودة ولا يمكن التحدث عنها إلا بالحق
ولا يسكت الحاضر لها على ما أنكر فصل في كلام الشجرة وشهادتها له
بالنبوة وإجابتها دعوته صلى الله عليه وسلم حدثنا أحمد بن محمد بن غلبون
الشيخ الصالح فيما أجازنيه عن عمر الطلمنكي عن أبي بكر بن المهندس عن
أبي القاسم البغوي حدثنا أحمد بن عمران الأخنسي حدثنا أبو حيان
التيمي وكان صدوقا عن مجاهد عن ابن عمر رضي الله عنهما قال كنا مع
رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفر فدنا منه أعرابي فقال صلى الله عليه
وسلم يا أعرابي أين تريد قال إلى أهلي قال هل لك إلى خير قال وما هو قال
تشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمدا عبده ورسوله قال من
يشهد لك على ما تقول قال هذه الشجرة السمرة وهي بشاطئ الوادي فادعها
فإنها تجيبك فدعاها فأقبلت تخد الأرض حتى قامت بين يديه فاستشهدها
ثلاثا فشهدت أنه كما قال ثم رجعت إلى مكانها وعن بريدة رضي الله عنه
سأل أعرابي النبي صلى الله عليه وسلم آية فقال له قل لتلك الشجرة رسول الله
يدعوك قال فمالت الشجرة عن يمينها وشمالها وبين يديها وخلفها فتقطعت
عروقها ثم جاءت تخد الأرض تجر عروقها مغبرة حتى وقفت بين يدي

الشجر

رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت السلام عليك يا رسول الله قال الاعرابي مرها فلترجع الى منبتها فرجعت فدلت عروقها واستوت فقال الاعرابي ايذن لي اسجد لك قال لو امرت احدا ان يسجد لاحد لامرت المراة ان تسجد لزوجها قال فايذن لي ان اقبل يديك ورجليك فاذن له وفي الصحيح في حديث جابر بن عبد الله الطويل ذهب رسول الله صلى الله عليه وسلم يقضي حاجته فلم ير شيئا يستتر به فاذا بشجرتين بشاطئ الوادي فانطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم الى احديهما فاخذ بغصن من اغصانها فقال انقادي علي باذن الله تعالى فانقادت معه كالبعير المخشوش الذي يصانع قائده وذكر انه فعل بالاخرى مثل ذلك حتى اذا كان بالمنصف بينهما قال التئما علي باذن الله تعالى فالتأمتا وفي رواية اخرى فقال يا جابر قل لهذه الشجرة يقول لك رسول الله صلى الله عليه وسلم الحقي بصاحبتك حتى اجلس خلفكما ففعلت فرجعت حتى لحقت بصاحبتها فجلس خلفهما فخرجت احضر وجلست احدث نفسي فالتفت فاذا رسول الله صلى الله عليه وسلم مقبلا والشجرتان قد افترقتا فقامت كل واحدة منهما على ساق فوقف رسول الله صلى الله عليه وسلم وقفة فقال براسه هكذا يمينا وشمالا. وروى اسامة بن زيد نحوه قال قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض مغازيه هل تعني مكانا لحاجة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت ان الوادي ما فيه موضع بالناس فقال هل ترى من نخل او حجارة قلت ارى نخلات متقاربات قال انطلق وقل لهن ان رسول الله يامركن ان تاتين لمخرج رسول الله وقل للحجارة مثل ذلك فقلت ذلك لهن

والذي

نو الذي بعثه بالحق لقد أنت الكلاب بتعارين حتى أخمص والحجارة سعافد
حتى صرن ركاما خلفهن فلما قضى حاجته قال لي قل لهن تفرقن فو الذي
نفسي بيده لرأيتهن والحجارة تفرقن حتى عدن الى مواضعهن وقال
يعلى بن مرة كنت مع النبي صلى الله عليه وسلم في مسير وذكر نحوا من
هذين الحديثين وذكر فامر ودبتين فانضمتا وفي رواية اشاتين وعن
غيلان بن سلمة الثقفي مثله وذكر ابن فورك عن ابن مسعود رضي الله عنه عن
النبي صلى الله عليه وسلم مثله في غزوة حنين وعن يعلى بن مرة وهو ابن سيابة
ايضا وذكر اشياء راها من رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر ان طلحة او سمرة
جاءت فاطافت به ثم رجعت الى منبتها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
انها استاذنت ان تسلم علي وفي حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه
اذنت النبي صلى الله عليه وسلم بالجن ليلة استمعوا الشجرة وعن مجاهد
عن ابن مسعود رضي الله عنهما في هذا الحديث ان الجن قالوا من يشهد لك
قال هذه الشجرة تعالي يا شجرة فجاءت تجر عروقها لها قعاقع وذكر مثل
الحديث الاول او نحوه قال القاضي ابو الفضل رحمه الله ورضي عنه
فهذا ابن عمر وبريدة وجابر وابن مسعود ويعلى بن مرة واسامة بن زيد
وانس بن مالك وعلي بن ابي طالب وابن عباس وغيرهم رضي الله عنهم قد
اتفقوا على هذه القصة نفسها او معناها ورواها عنهم من التابعين
اضعافهم فصارت في انتشارها من القوة حيث هي وذكر ابن فورك انه
صلى الله عليه وسلم سار في غزوة الطائف ليلا وهو وسن فاعترضته سدرة
فانفرجت له نصفين حتى جاز بينهما وبقيت على ساقين الى وقتنا وهي هناك
معروفة معظمة ومن ذلك حديث انس رضي الله عنه ان جبريل عليه السلام

الاوديه المسعدة من السيل وجمعا وديه
عاصيل والعسيل سعار النخل

قال للنبي صلى الله عليه وسلم وراءه جبريل أتحب أن أريك آية قال نعم
فنظر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى شجرة من وراء الوادي فقال ادع
تلك الشجرة فجاءت تمشي حتى قامت بين يديه قال مرها فلترجع فعادت
إلى مكانها وعن علي رضي الله عنه نحو هذا ولم يذكر فيها جبريل قال
اللهم أرني آية لا أبالي من كذبني بعدها فدعا شجرة وذكر مثله وحزنه
لتكذيب قومه وطلبه الآية لهم لا له وذكر ابن إسحاق أن النبي صلى الله
عليه وسلم أري ركانة مثل هذه الآية في شجرة دعاها فأتت حتى وقفت
بين يديه ثم قال ارجعي فرجعت وعن الحسن رضي الله عنه أنه عليه
السلام شكا إلى ربه من قومه أنهم يخوفونه وسأله آية يعلم بها أن لا
مخافة عليه فأوحى الله تعالى إليه أن ائت وادي كذا فيه شجرة فادع
غصنا منها يأتك ففعل فجاء يخط الأرض خطا حتى انتصب بين يديه
فحبسه ما شاء الله ثم قال له ارجع كما جئت فرجع فقال يا رب علمت أن لا
مخافة علي ونحو منه عن عمر وقال فيه أرني آية لا أبالي من كذبني بعدها
وذكر نحوه وعن ابن عباس رضي الله عنهما أنه صلى الله عليه وسلم قال لأعرابي
أرأيت إن دعوت هذا العذق من هذه النخلة أتشهد أني رسول الله
قال نعم فدعاه فجعل ينقز حتى أتاه فقال ارجع فعاد إلى مكانه وخرجه
الترمذي وقال هذا حديث صحيح فصل في قصة حنين الجذع ويعضد
هذه الأخبار حديث أنين الجذع وهو في نفسه مشهور منتشر
والخبر به متواتر قد خرجه أهل الصحيح ورواه من الصحابة بضعة عشر
منهم أبي بن كعب وجابر بن عبد الله وأنس بن مالك وعبد الله بن عمر
وعبد الله بن عباس وسهل بن سعد وأبو سعيد الخدري وبريدة وأم سلمة

والمطلب

والمطلب بن أبي وداعة رضي الله عنهم كلهم يحدث بمعنى هذا الحديث
قال الترمذي وحديث أنس صحيح قال جابر بن عبد الله كان المسجد
مسقوفا على جذوع نخل فكان النبي صلى الله عليه وسلم إذا خطب يقوم
إلى جذع منها فلما صنع له المنبر سمعنا لذلك الجذع صوتا كصوت
العشار وفي رواية أنس رضي الله عنه حتى ارتج المسجد بخواره وفي
رواية سهل وكثر بكاء الناس لما رأوا به وفي رواية المطلب حتى تصدع
وانشق حتى جاء النبي صلى الله عليه وسلم فوضع يده عليه فسكت زاد
غيره فقال النبي صلى الله عليه وسلم إن هذا بكى لما فقد من الذكر وزاد
غيره والذي نفسي بيده لو لم ألتزمه لم يزل هكذا إلى يوم القيامة
تحزنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فأمر به رسول الله صلى الله عليه
وسلم فدفن تحت المنبر كذا في حديث المطلب وسهل بن سعد وإسحق
عن أنس وفي بعض الروايات عن سهل فدفن تحت منبره أو جعل
في السقف وفي حديث أبي فكان إذا صلى النبي صلى الله عليه وسلم
صلى إليه فلما هدم المسجد أخذه أبي فكان عنده إلى أن أكلته الأرض
وعاد رفاتا وذكر الإسفرايني أن النبي صلى الله عليه وسلم دعاه إلى
نفسه فجاءه يخرق الأرض فالتزمه ثم أمره فعاد إلى مكانه وفي حديث
بريدة رضي الله عنه فقال يعني النبي صلى الله عليه وسلم إن شئت أردك
إلى الحائط الذي كنت فيه تنبت لك عروقك ويكمل خلقك ويجدد
لك خوص وثمرة وإن شئت أغرسك في الجنة فيأكل أولياء الله من ثمرك
ثم أصغى له النبي صلى الله عليه وسلم يستمع ما يقول فقال بل تغرسني
في الجنة فيأكل مني أولياء الله وأكون في مكان لا أبلى فيه فسمعه

مَن تحته فقال النبي صلى الله عليه وسلم اختار دار البقاء على دار الفناء
وكان الحسن رضي الله عنه إذا حدث بهذا بكى وقال يا عباد الله الخشبة
تحن إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم شوقا إليه لمكانه فأنتم أحق
أن تشتاقوا إلى لقائه رواه عن جابر حفص بن عبيد الله ويقال عبد الله
ابن حفص وأيمن وأبو نضرة وابن المسيب وسعيد بن أبي كرب وكريب
وأبو صالح ورواه عن أنس بن مالك الحسن وثابت وإسحاق بن أبي طلحة
ورواه عن ابن عمر نافع وأبو حية ورواه أبو نضرة وأبو الوداك عن أبي
سعيد وعمار بن أبي عمار عن ابن عباس رضي الله عنهما وأبو حازم وعباس
ابن سهل بن سعد عن سهل بن سعد وكثير بن زيد عن المطلب وعبد الله
ابن بريدة عن أبيه والطفيل بن أبي عن أبيه قال القاضي أبو الفضل
رحمه الله ورضي عنه فهذا حديث كما تراه خرجه أهل الصحيح ورواه من
الصحابة من ذكرنا وغيرهم من التابعين ضعفهم إلى من لم نذكره ومن
دون هذا العدد يقع العلم لمن اعتنى بهذا الباب والله المثبت على الصواب
فصل ومثل هذا في سائر الجمادات حدثنا القاضي أبو عبد الله محمد بن
عيسى التميمي حدثنا القاضي أبو عبد الله محمد بن المرابط حدثنا المهلب
أبو القاسم حدثنا أبو الحسن القابسي حدثنا المروزي حدثنا الفربري
حدثنا البخاري حدثنا محمد بن المثنى حدثنا أبو أحمد الزبيري حدثنا
إسرائيل عن منصور عن إبراهيم عن علقمة عن عبد الله رضي الله عنه قال
لقد كنا نسمع تسبيح الطعام وهو يؤكل وفي غير هذه الرواية عن ابن مسعود
رضي الله عنه كنا نأكل مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الطعام ونحن
نسمع تسبيحه وقال أنس رضي الله عنه أخذ النبي صلى الله عليه وسلم كفا

من حصى فسبحن في يد رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى سمعنا التسبيح
ثم وضعهن في يد أبي بكر رضي الله عنه فسبحن ثم في أيدينا فما سبحن وروى
مثله أبو ذر وذكر أنهن سبحن في كف عمر وعثمان وقال علي رضي الله عنه
كنا بمكة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرج إلى بعض نواحيها فما
استقبله شجرة ولا جبل إلا قال له السلام عليك يا رسول الله وعن جابر
ابن سمرة عنه عليه السلام إني لأعرف حجرا بمكة كان يسلم علي قيل إنه
الحجر الأسود وعن عائشة رضي الله عنها لما استقبلني جبريل عليه السلام
بالرسالة جعلت لا أمر بحجر ولا شجر إلا قال السلام عليك يا رسول الله
وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما لم يكن النبي صلى الله عليه وسلم يمر
بحجر ولا شجر إلا سجد له وفي حديث العباس رضي الله عنه إذ اشتمل
عليه النبي صلى الله عليه وسلم وعلى بنيه بملاءة ودعا لهم بالستر من النار
كستره إياهم بملاءته فأمنت أسكفة الباب وحوائط البيت آمين آمين
وعن جعفر بن محمد عن أبيه رضي الله عنهم مرض النبي صلى الله عليه وسلم فأتاه
جبريل عليه السلام بطبق فيه رمان وعنب فأكل منه صلى الله عليه وسلم
فسبح وعن أنس رضي الله عنه صعد النبي صلى الله عليه وسلم وأبو بكر وعمر
وعثمان رضي الله عنهم أحدا فرجف بهم فقال اثبت أحد فإنما عليك نبي
وصديق وشهيدان ومثله عن أبي هريرة في حراء وزاد معه علي وطلحة
والزبير رضي الله عنهم وقال فإنما عليك نبي أو صديق أو شهيد والخبر
في حراء أيضا عن عثمان رضي الله عنه قال ومعه عشرة من أصحابه أنا فيهم
وزاد عبد الرحمن وسعدا قال ونسيت الاثنين وفي حديث سعيد بن زيد
أيضا مثله وذكر عشرة وزاد نفسه وقد روي أنه صلى الله عليه وسلم

حين طلبته قريش قال له ثبير اهبط يا رسول الله فإني أخاف أن يقتلوك
على ظهري فيعذبني الله فقال حراء إلي يا رسول الله وعن ابن عمر رضي الله
عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قرأ على المنبر وما قدروا الله حق قدره
ثم قال يمجد الجبار نفسه أنا الجبار أنا الجبار أنا الكبير المتعال فرجف المنبر
حتى قلنا ليخرن عنه وعن ابن عباس رضي الله عنهما كان حول البيت
ستون وثلاثمائة صنم مثبتة الأرجل بالرصاص في الحجارة فلما دخل رسول الله
صلى الله عليه وسلم المسجد عام الفتح جعل يشير بقضيب في يده إليها ولا يمسها
ويقول جاء الحق وزهق الباطل الآية فما أشار إلى وجه صنم إلا وقع لقفاه
ولا لقفاه إلا وقع لوجهه حتى ما بقي منها صنم ومثله في حديث ابن مسعود
رضي الله عنه وقال فجعل يطعنها ويقول جاء الحق وما يبدئ الباطل وما
يعيد ومن ذلك حديثه صلى الله عليه وسلم مع الراهب في ابتداء أمره إذ
خرج تاجرا مع عمه وكان الراهب لا يخرج إلى أحد فخرج وجعل يتخللهم
حتى أخذ بيد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال هذا سيد العالمين يبعثه
الله رحمة للعالمين فقال له أشياخ من قريش ما علمك فقال إنه لم يبق شجر
ولا حجر إلا خر ساجدا له ولا تسجد إلا لنبي وذكر القصة ثم قال وأقبل
صلى الله عليه وسلم وعليه غمامة تظله فلما دنا من القوم وجدهم سبقوه
إلى فيء الشجرة فلما جلس مال الفيء إليه فصل في الآيات في ضروب
الحيوانات حدثنا سراج بن عبد الملك أبو الحسين الحافظ حدثنا أبي حدثنا
القاضي يونس حدثنا أبو الفضل الصقلي حدثنا ثابت بن قاسم بن ثابت عن
أبيه وجده قالا حدثنا أبو العلاء أحمد بن عمران حدثنا محمد بن نصر حدثنا
يونس بن عمرو حدثنا مجاهد عن عائشة رضي الله عنها قالت كان عندنا

داجن

داجن فإذا كان عندنا رسول الله صلى الله عليه وسلم قر وثبت مكانه
فلم يجئ ولم يذهب وإذا خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم جاء وذهب
وروي عن عمر رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان في
محفل من أصحابه إذ جاء أعرابي قد صاد ضبا فقال من هذا قالوا نبي الله
قال واللات والعزى لا آمنت بك أو يؤمن هذا الضب وطرحه بين
يدي النبي صلى الله عليه وسلم فقال له النبي صلى الله عليه وسلم يا ضب فأجابه
بلسان مبين يسمعه القوم جميعا لبيك وسعديك يا زين من وافى القيامة

يا رسول الله

قال من تعبد قال الذي في السماء عرشه وفي الأرض سلطانه وفي البحر سبيله
وفي الجنة رحمته وفي النار عقابه قال فمن أنا قال رسول رب العالمين
وخاتم النبيين وقد أفلح من صدقك وخاب من كذبك فأسلم الأعرابي
ومن ذلك قصة كلام الذئب المشهورة عن أبي سعيد الخدري رضي الله
عنه بينا راع يرعى غنما له عرض الذئب لشاة منها فأخذها الراعي منه
فأقعى الذئب وقال للراعي ألا تتقي الله حلت بيني وبين رزقي قال الراعي
العجب من ذئب يتكلم بكلام الإنس فقال الذئب ألا أخبرك بأعجب من
ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم بين الحرتين يحدث الناس بأنباء ما قد
سبق فأتى الراعي النبي صلى الله عليه وسلم فأخبره فقال له النبي صلى الله
عليه وسلم قم فحدثهم ثم قال صدق والحديث فيه قصة وفي بعضه طول
وروي حديث الذئب عن أبي هريرة رضي الله عنه وفي بعض الطرق
عن أبي هريرة فقال الذئب أنت أعجب واقفا على غنمك وتركت نبيا لم يبعث
الله نبيا قط أعظم منه عنده قدرا قد فتحت له أبواب الجنة وأشرف
أهلها على أصحابه ينظرون قتالهم وما بينك وبينه إلا هذا الشعب

فتصير في جنود الله قال الراعي من لي بغنمي قال الذئب أنا أرعاها حتى ترجع
فأسلم الرجل إليه غنمه ومضى وذكر قصته وإسلامه ووجوده النبي
صلى الله عليه وسلم يقاتل فقال له النبي صلى الله عليه وسلم عد إلى غنمك تجدها
بوفرها فوجدها كذلك وذبح للذئب شاة منها وعن أهبان بن أوس
وأنه كان صاحب القصة والمحدث بها ومكلم الذئب وعن سلمة بن عمرو
ابن الأكوع وأنه كان صاحب هذه القصة أيضا وسبب إسلامه بمثل
حديث أبي سعيد وقد روى ابن وهب مثل هذا أنه جرى لأبي سفيان
ابن حرب وصفوان بن أمية مع ذئب وجداه أخذ ظبيا فدخل الظبي
الحرم فانصرف الذئب فعجبا من ذلك فقال الذئب أعجب من ذلك محمد بن
عبد الله بالمدينة يدعوكم إلى الجنة وتدعونه إلى النار فقال أبو سفيان
واللات والعزى لئن ذكرت هذا بمكة لتتركنها خلوفا وقد روي مثل
هذا الخبر وأنه جرى لأبي جهل وأصحابه وعن عباس بن مرداس لما تعجب
من كلام ضمار صنمه وإنشاده الشعر الذي ذكر فيه النبي صلى الله عليه وسلم
فإذا طائر سقط فقال يا عباس أتعجب من كلام ضمار ولا تعجب من نفسك
أن رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو إلى الإسلام وأنت جالس فكان سبب
إسلامه وعن جابر بن عبد الله أن رجلا أتى النبي صلى الله عليه وسلم وأسلم
وآمن به وهو على بعض حصون خيبر وكان في غنم يرعاها لهم فقال يا
رسول الله كيف بالغنم قال احصب وجوهها فإن الله سيؤدي عنك أمانتك
ويردها إلى أهلها ففعل فسارت كل شاة حتى دخلت إلى أهلها وعن أنس
رضي الله عنه دخل النبي صلى الله عليه وسلم حائطا أنصاريا وأبو بكر وعمر
ورجل من الأنصار وفي الحائط غنم فسجدت له فقال أبو بكر رضي الله عنه

نحن

نحن أحق بالسجود لك منهما الحديث وعن أبي هريرة رضي الله عنه دخل
النبي صلى الله عليه وسلم حائطا فجاء بعير فسجد له وذكر مثله ومثله في
الجمل عن ثعلبة بن مالك وجابر بن عبد الله ويعلى بن مرة وعبد الله بن جعفر
قال وكان لا يدخل أحد الحائط إلا شد عليه الجمل فلما دخل عليه النبي
صلى الله عليه وسلم دعاه فوضع مشفره في الأرض وبرك بين يديه فخطمه
وقال ما بين السماء والأرض شيء إلا يعلم أني رسول الله إلا عاصي الجن
والإنس ومثله عن عبد الله بن أبي أوفى وفي حديث آخر في حديث الجمل أن
النبي صلى الله عليه وسلم سألهم عن شأنه فأخبروه أنهم أرادوا ذبحه وفي
رواية أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لهم إنه شكا كثرة العمل وقلة العلف
وفي رواية أنه شكا إلي أنكم أردتم ذبحه بعد أن استعملتموه في شاق العمل
من صغره فقالوا نعم وقد روي في قصة العضباء وكلامها النبي صلى الله عليه
وسلم وتعريفها له بنفسها ومبادرة العشب إليها في الرعي وتجنب الوحوش
عنها ونداءهم لها إنك محمد وأنها لم تأكل ولم تشرب بعد موته حتى ماتت
ذكره الإسفرايني وروى ابن وهب أن حمام مكة أظلت النبي صلى الله عليه
وسلم يوم فتحها فدعا لها بالبركة وروي عن أنس وزيد بن أرقم والمغيرة
بن شعبة رضي الله عنهم أن النبي صلى الله عليه وسلم ليلة الغار أمر شجرة الله
فنبتت تجاه النبي صلى الله عليه وسلم فسترته وأمر حمامتين فوقفتا بفم
الغار وفي حديث آخر أن العنكبوت نسجت على بابه فلما أتى الطالبون له
ورأوا ذلك قالوا لو كان فيه أحد لم تكن الحمامتان ببابه والنبي صلى الله
عليه وسلم يسمع كلامهم فانصرفوا وعن عبد الله بن قرط قرب إلى رسول الله
صلى الله عليه وسلم بدنات خمس أو ست أو سبع لينحرها يوم عيد فازدلفن

اليه بأيهن شئت وعن أم سلمة رضي الله عنها قالت كان النبي صلى الله عليه
وسلم في صحراء فنادته ظبية يا رسول الله قال ما حاجتك قالت صادني
هذا الأعرابي ولي خشفان في ذلك الجبل فأطلقني حتى أذهب فأرضعهما
وأرجع قال وتفعلين قالت نعم فأطلقها فذهبت ورجعت فأوثقها فانتبه
الأعرابي وقال يا رسول الله ألك حاجة قال تطلق هذه الظبية فأطلقها
فخرجت تعدو في الصحراء وتقول أشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله
ومن هذا الباب ما روي من تسخير الأسد لسفينة مولى رسول الله
صلى الله عليه وسلم إذ وجهه إلى معاذ باليمن فلقي الأسد فعرفه أنه
مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه كتابه فهمهم وتنحى عن الطريق
وذكر في منصرفه مثل ذلك وفي رواية أخرى عنه أن سفينة تكسرت
به فخرج إلى جزيرة فإذا الأسد فقلت أنا مولى رسول الله صلى الله عليه
وسلم فجعل يغمزني بمنكبه حتى أقامني على الطريق وأخذه صلى الله عليه وسلم
بأذن شاة لقوم من بني عبد القيس بين إصبعيه ثم خلاها فصار لها
ميسما وبقي ذلك الأثر فيها وفي نسلها بعد وما روي عن إبراهيم بن حماد بسنده
من كلام الحمار الذي أصابه بخيبر وقال له اسمي يزيد بن شهاب فسماه النبي
صلى الله عليه وسلم يعفورا وأنه كان يوجهه إلى دور أصحابه فيضرب
عليهم الباب برأسه ويستدعيهم وأن النبي صلى الله عليه وسلم لما مات
تردى في بئر جزعا وحزنا فمات وحديث الناقة التي شهدت عند
النبي صلى الله عليه وسلم لصاحبها أنه ما سرقها وأنها ملكه وفي العنز
التي أتت رسول الله صلى الله عليه وسلم في عسكره وقد أصابهم عطش ونزلوا
على غير ماء وهم زهاء ثلثمائة فحلبها رسول الله صلى الله عليه وسلم فأروى

الجند

بالخندق ثم قال للرابع أمسكها وما أراك قد نصها فوجدها قد انطلقت
رواه ابن قانع وغيره وفيه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الذي
جاء بها هو الذي ذهب بها وقال لعنزه عليه السلام وقد قام إلى الصلاة
في بعض أسفاره لا تبرح بارك الله فيك حتى نفرغ من صلاتنا وجعلها
قبلته فما حركت عضوا حتى صلى عليه السلام والحديث في هذا الباب كثير
وقد جئنا منه بالمشهور من ذلك وما وقع منه في كتب الأئمة ويلحق
بهذا ما رواه الواقدي أن النبي صلى الله عليه وسلم لما وجه رسله للملوك
خرج ستة نفر منهم في يوم واحد فأصبح كل رجل منهم يتكلم بلسان القوم
الذي بعثه إليهم والله الموفق **فصل** في إحياء الموتى وكلامهم وكلام
الصبيان والمراضع وشهادتهم له بالنبوة حدثنا أبو الوليد هشام بن
أحمد الفقيه بقراءتي عليه والقاضي أبو الوليد محمد بن رشد والقاضي أبو
عبد الله محمد بن عيسى التميمي وغير واحد سماعا وإذنا قالوا حدثنا أبو علي
الحافظ حدثنا أبو عمر الحافظ حدثنا أبو زيد عبد الرحمن بن يحيى حدثنا
أحمد بن سعيد حدثنا ابن الأعرابي حدثنا أبو داود حدثنا وهب بن بقية
عن خالد هو الطحان عن محمد بن عمرو عن أبي سلمة عن أبي هريرة رضي الله عنه
أن يهودية أهدت للنبي صلى الله عليه وسلم شاة مصلية سمتها فأكل رسول الله
صلى الله عليه وسلم منها وأكل القوم فقال ارفعوا أيديكم فإنها أخبرتني أنها
مسمومة فمات بشر بن البراء وقال لليهودية ما حملك على ما صنعت قالت
إن كنت نبيا لم يضرك الذي صنعت وإن كنت ملكا أرحت الناس منك
قال فأمر بها فقتلت وقد روى هذا الحديث أنس وفيه قالت أردت
قتلك فقال ما كان الله ليسلطك على ذلك فقالوا أنقتلها قال لا وكذلك

روى عن أبي هريرة من رواية غير وهب قال فما عرض لها ورواه أيضا جابر
ابن عبد الله وفيه أخبرتني به هذه الذراع قال ولم يعاقبها وفي رواية
الحسن إن فخذها تكلمني أنها مسمومة وفي رواية أبي سلمة بن عبد الرحمن قالت
إني مسمومة قال ولم يعاقبها. وكذلك ذكر الخبر ابن إسحاق وقال فيه فتجاوز
عنها وفي الحديث الآخر عن أنس رضي الله عنه أنه قال فما زلت أعرفها
في لهوات رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال في وجعه الذي مات فيه ما زالت أكلة
خيبر تعادني فالآن أوان قطعت أبهري وحكى ابن سحنون عن ابن عباس رضي الله عنهما
أنه دفعها لأولياء بشر بن البراء فقتلوها. وكذلك قد اختلف في قتله
الذي سحره. وقال الواقدي وعفوه عنه أثبت عندنا وروي أنه قتله
وحكى ابن إسحاق إن كان المسلمون ليرون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم
مات شهيدا مع ما أكرمه الله به من النبوة وقال ابن سحنون أجمع أهل
الحديث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قتل اليهودية التي سمته وقد
ذكرنا اختلاف الروايات في ذلك عن أبي هريرة وأنس وجابر رضي الله عنهم
وروى الحديث البزار عن أبي سعيد فذكر مثله إلا أنه قال في آخره
فبسط يده وقال كلوا بسم الله فأكلنا وذكرنا اسم الله فلم يضر منا أحدا
قال القاضي أبو الفضل رحمه الله وقد خرج حديث الشاة المسمومة
أهل الصحيح وخرجه الأئمة وهو حديث مشهور. واختلف أئمة أهل
النظر في هذا الباب فمن قائل يقول هو كلام يخلقه الله تعالى في الشاة
الميتة أو الحجر أو الشجرة وحروف وأصوات يحدثها الله فيها ويسمعها
منها دون تغيير أشكالها ونقلها عن هيئتها. وهو مذهب الشيخ أبي الحسن

والقاضي

والقاضي أبو بكر رحمهما الله وآخرون ذهبوا إلى إيجاد الحياة بها أولاً ثم
الكلام بعده وحكي هذا أيضاً عن شيخنا أبي الحسن وكلٌّ محتمل والله أعلم إذ لم
نجعل الحياة شرطاً لوجود الحروف والأصوات إذ لا يستحيل وجودها مع
عدم الحياة بمجردها فأما إذا كانت عبارة عن الكلام النفسي فلا بد من شرط
الحياة لها إذ لا يوجد كلام النفس إلا من حي خلافاً للجبائي من بين سائر
متكلمي الفرق في إحالته وجود الكلام اللفظي والحروف والأصوات إلا من
حي مركب على تركيب من يصح منه النطق بالحروف والأصوات والتزم ذلك
في الحصى والجذع والذراع وقال إن الله تعالى خلق فيها حياة وخرق لها فماً ولساناً
وآلة أمكنها بها من الكلام وهذا لو كان لكان نقله والتهمم به آكد من التهمم
بنقل تسبيحه أو حنينه ولم ينقل أحد من أهل السير والرواية شيئاً من ذلك
فدل على سقوط دعواه مع أنه لا ضرورة إليه في النظر والموفق الله وروى وكيع
رفعه عن فهد بن عطية أن النبي صلى الله عليه وسلم أتي بصبي قد شبّ لم يتكلم
قط فقال من أنا فقال رسول الله وروي عن معرض بن معيقيب رأيت من النبي
صلى الله عليه وسلم عجباً جيء بصبي يوم ولد فذكر مثله وهو حديث مبارك
اليمامة ويعرف بحديث شاصونة اسم راويه وفيه فقال له النبي صلى الله
عليه وسلم صدقت بارك الله فيك ثم إن الغلام لم يتكلم بعدها حتى شبّ
فكان يسمى مبارك اليمامة وكانت هذه القصة بمكة في حجة الوداع وعن
الحسن رضي الله عنه أتى رجل النبي صلى الله عليه وسلم فذكر له أنه طرح بنية
له في وادي كذا فانطلق معه إلى الوادي وناداها باسمها يا فلانة أجيبي
بإذن الله فخرجت وهي تقول لبيك وسعديك فقال لها إن أبويك قد
أسلما فإن أحببت أن أردك عليهما قالت لا حاجة لي فيهما وجدت الله

أوكد

خيرا لي منهما. وعن أنس رضي الله عنه أن شابا من الأنصار توفي وله أم عجوز
عمياء فسجيناه وعزيناها فقالت مات ابني قلنا نعم قالت اللهم إن كنت تعلم
أني هاجرت إليك وإلى نبيك رجاء أن تعينني على كل شدة فلا تحمل علي هذه المصيبة
فما برحنا أن كشف الثوب عن وجهه فطعم وطعمنا. وروي عن عبد الله بن
عبيد الله الأنصاري كنت فيمن دفن ثابت بن قيس بن شماس وكان قتل باليمامة
فسمعناه حين أدخلناه القبر يقول محمد رسول الله أبو بكر الصديق عمر الشهيد
عثمان البر الرحيم فنظرنا فإذا هو ميت. وذكر عن النعمان بن بشير رضي الله عنه
أن زيد بن خارجة خر ميتا في بعض أزقة المدينة فرفع وسجي إذ سمعوه
بين العشاءين والنساء يصرخن حوله يقول أنصتوا أنصتوا فحسر عن وجهه
فقال محمد رسول الله النبي الأمي وخاتم النبيين كان ذلك في الكتاب الأول
ثم قال صدق صدق وذكر أبا بكر وعمر وعثمان. ثم قال السلام عليك
يا رسول الله ورحمة الله وبركاته ثم عاد ميتا كما كان. فصل
في إبراء المرضى وذوي العاهات. أخبرنا أبو الحسن علي بن مشرف فيما أجازنيه
وقرأته على غيره قال حدثنا أبو إسحاق الحبال قال حدثنا أبو محمد بن النحاس
حدثنا ابن الورد عن البرقي عن ابن هشام عن زياد البكائي عن محمد بن إسحاق
حدثنا ابن شهاب وعاصم بن عمر بن قتادة وجماعة ذكرهم بقصة أحد
بطولها قال وقالوا قال سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه إن رسول الله
صلى الله عليه وسلم ليناولني السهم لا نصل له فيقول ارم به وقد رمى
رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ عن قوسه حتى اندقت وأصيبت
يومئذ عين قتادة يعني ابن النعمان حتى وقعت على وجنته فردها
رسول الله صلى الله عليه وسلم فكانت أحسن عينيه. وروي قصة

قتادة

قتادة عاصم بن عمر بن قتادة ويزيد بن عياض بن عمر بن قتادة ورواها
أبو سعيد الخدري عن قتادة وبصق على أثر سهم في وجه أبي قتادة في يوم
ذي قرد قال فما ضرب علي ولا قاح وروى النسائي عن عثمان بن حنيف
أن أعمى قال يا رسول الله أدع الله أن يكشف لي عن بصري قال فانطلق
فتوضأ ثم صل ركعتين ثم قل اللهم إني أسألك وأتوجه إليك بنبي محمد نبي
الرحمة يا محمد إني أتوجه بك إلى ربك أن يكشف عن بصري اللهم شفعه في
قال فرجع وقد كشف الله عن بصره وروي أن ابن ملاعب الأسنة أصابه
استسقا فبعث إلى النبي صلى الله عليه وسلم فأخذ بيده حثوة من الأرض
فتفل عليها ثم أعطاها رسوله فأخذها متعجبا يرى أن قد هزئ به فأتاه
بها وهو على شفا فشربها فشفاه الله وذكر العقيلي عن حبيب بن فديك ويقال
فريك أن أباه ابيضت عيناه فكان لا يبصر بهما شيئا فنفث رسول الله
صلى الله عليه وسلم في عينيه فأبصر فرأيته يدخل الخيط في الإبرة وهو ابن ثمانين
ورمي كلثوم بن الحصين يوم أحد في نحره فبصق رسول الله صلى الله عليه
وسلم فيه فبرأ وتفل على شجة عبد الله بن أنيس فلم تمد وتفل في عيني
علي رضي الله عنه يوم خيبر وكان رمدا فأصبح بارئا ونفث على ضربة
بساق سلمة بن الأكوع يوم خيبر فبرئت وفي رجل زيد بن معاذ حين أصابها
السيف إلى الكعب حين قتل ابن الأشرف فبرئت وعلى ساق علي بن الحكم
يوم الخندق إذ انكسرت فبرئ مكانه وما نزل عن فرسه واشتكى علي بن أبي طالب
فجعل يدعو فقال النبي صلى الله عليه وسلم اللهم اشفه أو عافه ثم ضربه برجله
فما اشتكى ذلك الوجع بعد وقطع أبو جهل يوم بدر يد معوذ بن عفرا فجاء يحمل
يده فبصق عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم وألصقها فلصقت رواه ابن وهب

ومن روايتها ايضا ان خبيب بن يساف اصيب يوم بدر مع رسول الله صلى الله
عليه وسلم بضربة على عاتقه حتى مال شقه فرده رسول الله صلى الله عليه
وسلم ونفث عليه حتى صح واتته امراة من خثعم معها صبي به بلاء لا يتكلم
فاتي بماء فمضمض فاه وغسل يديه ثم اعطاها اياه وامرها ان تسقيه وتمسه
به فبرا الغلام وعقل عقلا يفضل عقول الناس وعن ابن عباس رضي الله عنهما
جاءت امراة بابن لها به جنون فمسح صدره فثع ثعة فخرج من جوفه مثل
الجرو الاسود يسعى وانكفات القدر على ذراع محمد بن حاطب وهو طفل
فمسح عليه ودعا له وتفل فيه فبرا لحينه وكانت في كف شرحبيل الجعفي سلعة
تمنعه القبض على السيف وعنان الدابة فشكاها للنبي صلى الله عليه وسلم
فما زال يطحنها بكفه حتى رفعها ولم يبق لها اثر وسالته جارية طعاما
وهو ياكل فناولها من بين يديه وكانت قليلة الحياء فقالت انما اريد
من الذي في فيك فناولها ما في فيه ولم يكن يسال شيئا فيمنعه
فلما استقر في جوفها القي عليها من الحياء ما لم تكن امراة بالمدينة اشد
حياء منها فصل في اجابة دعائه صلى الله عليه وسلم وهذا باب
واسع جدا واجابة دعوة النبي صلى الله عليه وسلم لجماعة بما دعا لهم
وعليهم متواتر على الجملة معلوم ضرورة وقد جاء في حديث حذيفة
رضي الله عنه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا دعا لرجل ادركت
الدعوة ولده وولد ولده حدثنا ابو محمد العتابي بقراءتي عليه حدثنا
ابو القاسم حاتم بن محمد حدثنا ابو الحسن القابسي حدثنا ابو زيد المروزي
حدثنا محمد بن يوسف حدثنا محمد بن اسماعيل حدثنا عبد الله بن ابي الاسود حدثنا
حرمي حدثنا شعبة عن قتادة عن انس رضي الله عنه قال قالت امي ام سليم

ثع ثعة

شرحبيل

برسول الله خادمه أنس رضي الله عنه قال اللهم أكثر ماله وولده وبارك
له فيما أعطيته ومن رواية عكرمة قال أنس والله إن مالي لكثير وإن ولدي
وولد ولدي ليتعادون اليوم على نحو المائة وفي رواية وما أعلم أحدا
أصاب من رخاء العيش ما أصبت ولقد دفنت بيدي هاتين مائة من ولدي
لا أقول سقطا ولا ولد ولد ومنه دعاؤه صلى الله عليه وسلم لعبد الرحمن
ابن عوف بالبركة قال عبد الرحمن فلو رفعت حجرا لرجوت أن أصيب تحته
ذهبا وفتح الله عليه ومات فحفر الذهب من تركته بالفؤوس حتى مجلت
فيه الأيدي وأخذت كل زوجة ثمانين ألفا وكن أربعا وقيل مائة ألف
وقيل بل صولحت إحداهن لأنه طلقها في مرضه على نيف وثمانين ألفا
وأوصى بخمسين ألفا بعد صدقاته الفاشية في حياته وعوارفه العظيمة
أعتق يوما ثلاثين عبدا وتصدق مرة بعير فيها سبعمائة بعير وردت
عليه تحمل من كل شيء فتصدق بها وبما عليها وبأقتابها وبأحلاسها ودعا
صلى الله عليه وسلم لمعوية بالتمكين في البلاد فنال الخلافة ولسعد بن
أبي وقاص أن يجيب الله دعوته فما دعا على أحد إلا استجيب له ودعا
صلى الله عليه وسلم بعز الإسلام بعمر رضي الله عنه أو بأبي جهل فاستجيب
له في عمر رضي الله عنه قال ابن مسعود رضي الله عنه ما زلنا أعزة
منذ أسلم عمر رضي الله عنه وأصاب الناس في بعض مغازيه عطش
فسأله عمر الدعاء فدعا صلى الله عليه وسلم فجاءت سحابة فسقتهم حاجتهم
ثم أقلعت ودعا في الاستسقاء فسقوا ثم شكوا إليه المطر فدعا فصحوا
وقال للنابغة لا يفضض الله فاك فما سقطت له سن وفي رواية فكان
أحسن الناس ثغرا إذا سقطت له سن نبتت له أخرى وعاش عشرين

[illegible]

ومائة سنة، وقيل أكثر من هذا. ودعا صلى الله عليه وسلم لابن عباس رضي
الله عنهما: اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل، فسمي بعد الحبر وترجمان
القرآن. ودعا صلى الله عليه وسلم لعبد الله بن جعفر بالبركة في صفقة يمينه
فما اشترى شيئا إلا ربح فيه. ودعا صلى الله عليه وسلم للمقداد رضي الله عنه
بالبركة فكانت عنده غرائر من المال. ودعا صلى الله عليه وسلم بمثله
لعروة بن أبي الجعد فقال: فلقد كنت أقوم بالكناسة فما أرجع حتى أربح
أربعين ألفا. وقال البخاري في حديثه: فكان لو اشترى التراب ربح
فيه. وقال صلى الله عليه وسلم لأبي قتادة: أفلح وجهك، اللهم بارك
له في شعره وبشره، فمات وهو ابن سبعين سنة وكأنه ابن خمس عشرة.
وروي مثل هذا لعروة أيضا، وندت له ناقة من عالج فجاء بها إعصار
ريح حتى ردها عليه. ودعا صلى الله عليه وسلم لأم أبي هريرة فأسلمت.
ودعا صلى الله عليه وسلم لعلي رضي الله عنه أن يكفى الحر والقر
فكان يلبس في الشتاء ثياب الصيف وفي الصيف ثياب الشتاء ولا يصيبه
حر ولا برد. ودعا صلى الله عليه وسلم لفاطمة ابنته رضي الله عنها أنه
أن لا يجيعها، قالت: فما جعت بعد. وسأله صلى الله عليه وسلم الطفيل
ابن عمرو آية لقومه فقال: اللهم نور له، فسطع له نور بين عينيه فقال:
يا رب أخاف أن يقولوا مثلة، فتحول إلى طرف سوطه فكان يضيء في
الليلة المظلمة فسمي ذا النور. ودعا صلى الله عليه وسلم على مضر فأقحطوا
حتى استعطفته قريش، فدعا لهم فسقوا. ودعا صلى الله عليه وسلم
على كسرى حين مزق كتابه أن يمزق الله ملكه فلم تبق له باقية ولا
بقيت لفارس رياسة في أقطار الدنيا. ودعا صلى الله عليه وسلم على صبي

وقطع عليه الصلوة ان يقطع الله أثره فأقعد وقال صلى الله عليه وسلم لامرأة
أكلك الأسد فأكلها وقال صلى الله عليه وسلم لرجل يأكل بشماله كل
بيمينك فقال لا أستطيع فقال لا استطعت فلم يرفعها إلى فيه وقال
صلى الله عليه وسلم لعتبة بن أبي لهب اللهم سلط عليه كلبا من كلابك
فأكله الأسد وحديثه المشهور من رواية عبد الله بن مسعود في
دعائه صلى الله عليه وسلم على قريش حين وضعوا السلا على رقبته وهو
ساجد مع الفرث والدم وسماهم قال فلقد رأيتهم قتلوا يوم بدر
ودعا على الحكم بن أبي العاص وكان يختلج بوجهه ويغمز عند النبي صلى الله
عليه وسلم اى لا تراه فقال كذلك كن فلم يزل يختلج الى ان مات ودعا
صلى الله عليه وسلم على محلم بن جثامة فمات فلفظته الأرض ثم ووري
فلفظته مرات فالقوه بين صدين ورضموا عليه بالحجارة. والصدان جانبا
الوادي وحديث رجل باع فرسا وهي التي شهد فيها خزيمة للنبي صلى الله
عليه وسلم فرد الفرس بعد النبي صلى الله عليه وسلم على الرجل وقال اللهم
ان كان كاذبا فلا تبارك له فيها فأصبحت شاصبة برجلها اى رافعة
وهذا الباب اكثر من ان يحاط به فصل في كراماته وبركاته وانقلاب
الأعيان له فيما باشره او لمسه صلى الله عليه وسلم حدثنا احمد بن محمد
حدثنا ابو ذر الهروي اجازة. وحدثنا القاضي ابو علي سماعا والقاضي ابو
عبد الله محمد بن عبد الرحمن وغيرهما قالوا حدثنا ابو الوليد القاضي حدثنا ابو
ذر حدثنا ابو محمد وابو اسحق وابو الهيثم حدثنا الفربري حدثنا البخاري
حدثنا يزيد بن زريع حدثنا سعيد عن قتادة عن انس بن مالك رضي الله عنه
ان اهل المدينة فزعوا مرة فركب رسول الله صلى الله عليه وسلم فرسا لأبي

سقط من أصل شيخنا عبد الأعلى بن حماد شيخ البخاري وعوائد في أصل البخاري بحسبه ليتصل الاسناد

طلحة كان يقطف أو به قطاف وقال غيره بطيئًا فقال وجدنا فرسكم
بحرًا فكان بعد لا يجارى ونخس جمل جابر وكان قد أعيا فنشط حتى كان
ما يملك زمامه وصنع صلى الله عليه وسلم مثل ذلك بفرس لجعيل الأشجعي خفقها
بمخفقة معه وبرك عليها فلم يملك رأسها نشاطًا وباع من بطنها باثني عشر
ألفًا وركب حمارًا قطوفًا لسعد بن عبادة فرده هملاجًا لا يساير وكانت
شعرات من شعره صلى الله عليه وسلم في قلنسوة خالد بن الوليد فلم يشهد بها
قتالًا إلا رزق النصر وفي الصحيح عن أسماء بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنهما
أنها أخرجت جبة طيالسة وقالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يلبسها
نحن نغسلها للمرضى نستشفي بها وحدث القاضي أبو علي عن شيخه أبي القاسم
ابن المأمون قال كانت عندنا قصعة من قصاع النبي صلى الله عليه وسلم
فكنا نجعل فيها الماء للمرضى فيستشفون بها وأخذ جهجاه الغفاري القضيب
من يد عثمان رضي الله عنه ليكسره على ركبته فصاح الناس به فأخذته
بها الأكلة فقطعها ومات قبل الحول وصب من فضل وضوئه في بئر قباء
فما نزفت بعد وبزق صلى الله عليه وسلم في بئر كانت في دار أنس فلم يكن
بالمدينة أعذب منها ومر على ماء فسأل عنه فقيل له اسمه بيسان وماؤه ملح
فقال صلى الله عليه وسلم بل هو نعمان وماؤه طيب فطاب وأتي صلى الله عليه وسلم
بدلو من ماء زمزم فمج فيه فصار أطيب من المسك وأعطى الحسن والحسين رضي الله عنهما
لسانه صلى الله عليه وسلم فمصاه وكانا يبكيان عطشًا فسكتا وكان لأم
مالك عكة تهدي فيها للنبي صلى الله عليه وسلم سمنًا فأمرها النبي صلى الله
عليه وسلم أن لا تعصرها ثم دفعها إليها فإذا هي مملوءة سمنًا فيأتيها بنوها
يسألونها الأدم وليس عندهم شيء فتعمد إليها فتجد فيها سمنًا فكانت تقيم

أدمها

أذنيها حتى عصرتها وكان صلى الله عليه وسلم يتفل في أفواه الصبيان المراضيع
فيجزيهم ريقه إلى الليل ومن ذلك بركة يده صلى الله عليه وسلم فيما لمسه
وغرسه لسلمان رضي الله عنه حين كاتبه مواليه على ثلثمائة ودية يغرسها
لهم كلها تعلق وتطعم وعلى أربعين أوقية من ذهب فقام عليه السلام وغرسها
له بيده إلا واحدة غرسها غيره فأخذت كلها إلا تلك الواحدة فقلعها النبي غيره
صلى الله عليه وسلم وردها فأخذت وفي كتاب البزار فأطعم النخل من عامه
إلا الواحدة فقلعها رسول الله صلى الله عليه وسلم وغرسها فأطعمت من عامها
وأعطاه مثل بيضة الدجاجة من الذهب بعد أن أدارها على لسانه فوزن
منها لمواليه أربعين أوقية وبقي عنده مثل ما أعطاهم وفي حديث حنش بن
عقيل سقاني رسول الله صلى الله عليه وسلم شربة من سويق شرب أولها وشربت
آخرها فما برحت أجد شبعها إذا جعت وريها إذا عطشت وبردها إذا
ظمئت وأعطى صلى الله عليه وسلم قتادة بن النعمان وصلى معه العشاء في ليلة
مظلمة مطيرة عرجونا وقال عليه السلام انطلق به فإنه سيضيء لك من
بين يديك عشرا ومن خلفك عشرا فإذا دخلت بيتك فسترى سوادا
فاضربه حتى يخرج فإنه الشيطان فانطلق فأضاء له العرجون حتى دخل
بيته ووجد السواد فضربه حتى خرج ومنها دفعه لعكاشة جذل حطب
وقال صلى الله عليه وسلم اضرب به حين انكسر سيفه يوم بدر فعاد في يده
سيفا صارما طويل القامة أبيض شديد المتن فقاتل به ثم لم يزل عنده
يشهد به المواقف إلى أن استشهد في قتال أهل الردة وكان هذا السيف
يسمى العون ودفعه لعبد الله بن جحش يوم أحد وقد ذهب سيفه عسيب نخل
النخل فرجع في يده سيفا ومنه بركته صلى الله عليه وسلم في درور الشياه

الحوامل

الحوائل بالدر الكثير كقصة شاة أم معبد وأعنز معوية بن ثور وشاة أنس
وغنم حليمة مرضعته وشارفها وشاة عبد الله بن مسعود وكانت لم ينز عليها
فحل وشاة المقداد ومن ذلك تزويده صلى الله عليه وسلم أصحابه رضي الله عنهم
سقاء ماء بعد أن أوكاه ودعا فيه فلما حضرتهم الصلوة نزلوا فحلوه فإذا
هو لبن طيب وزبدة في فمه من رواية حماد بن سلمة ومسح صلى الله عليه وسلم
على رأس عمير بن سعد وبارك فمات وهو ابن ثمانين فما شاب وروي مثل
هذه القصص عن غير واحد منهم السائب بن يزيد ومدلوك وكان يوجد
لعتبة بن فرقد طيب يغلب طيب نسائه لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم
مسح بيده على بطنه وظهره وسلت الدم عن وجه عائذ بن عمرو وكان
جرح يوم حنين ودعا له فكانت له غرة كغرة الفرس ومسح على رأس قيس
بن زيد الجذامي ودعا له فهلك وهو ابن مائة سنة ورأسه أبيض وموضع كف
النبي صلى الله عليه وسلم وما مرت يده عليه من شعره أسود فكان يدعى الأغر
وروي مثل هذه الحكاية لعمرو بن ثعلبة الجهني ومسح وجه آخر فما زال
على وجهه نور ومسح وجه قتادة بن ملحان فكان لوجهه بريق حتى كان
ينظر في وجهه كما ينظر في المرآة ووضع يده صلى الله عليه وسلم على رأس حنظلة
بن حذيم وبرك عليه فكان حنظلة يؤتى بالرجل قد ورم وجهه والشاة
قد ورم ضرعها فيوضع على موضع كف النبي صلى الله عليه وسلم فيذهب الورم
ونضح في وجه زينب بنت أم سلمة نضحة من ماء فما يعرف كان وجه امرأة
من الجمال ما بها ومسح على رأس صبي به عاهة فبرئ واستوى شعره وعلى غير
واحد من الصبيان والمرضى والمجانين فبرئوا وأتاه صلى الله عليه وسلم رجل به
أدرة فأمره أن ينضحها بماء من عين مج فيها ريقه ففعل فبرأ وعن طاوس لم يؤت

وبرّك

في

النبي

النبي صلى الله عليه وسلم يأخذ بيده من نصك في صدره لأذهبت الشر
الجنون ومج صلى الله عليه وسلم في دلو من بئر ثم صب فيها ففاح منها رائحة
المسك وأخذ قبضة من تراب يوم حنين ورمى بها في وجوه الكفار
وقال شاهت الوجوه فانصرفوا يمسحون القذى عن أعينهم وشكى إليه
أبو هريرة النسيان فأمره ببسط ثوبه وغرف بيده فيه ثم أمره بضمه ففعل
فما نسي شيئا بعد وما يروى عنه في هذا كثير وضرب صدر جرير بن
عبد الله ودعا له وكان ذكر له أنه لا يثبت على الخيل فصار من أفرس العرب
وأثبتهم ومسح صلى الله عليه وسلم رأس عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب وهو
صغير وكان دميما ودعا له بالبركة ففرع الرجال طولا وتماما فصل
ومن ذلك ما أطلع عليه من الغيوب وما يكون والأحاديث في هذا
الباب بحر لا يدرك قعره ولا ينزف غمره وهذه المعجزة من جملة معجزاته
المعلومة صلى الله عليه وسلم على القطع الواصل إلينا خبرها على التواتر لكثرة
رواتها واتفاق معانيها على الاطلاع على الغيب حدثنا الإمام أبو بكر محمد
ابن الوليد الفهري إجازة وقرأته على غيره قال أبو بكر حدثنا أبو علي التستري
حدثنا أبو عمر الهاشمي حدثنا اللؤلؤي حدثنا أبو داود حدثنا عثمان
ابن أبي شيبة حدثنا جرير عن الأعمش عن أبي وائل عن حذيفة رضي الله عنه
قال قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم مقاما فما ترك شيئا يكون في
مقامه ذلك إلى قيام الساعة إلا حدثه حفظه من حفظه ونسيه من
نسيه قد علمه أصحابي هؤلاء وإنه ليكون منه الشيء فأعرفه فأذكره
كما يذكر الرجل وجه الرجل إذا غاب عنه ثم إذا رآه عرفه ثم قال
حذيفة ما أدري أنسي أصحابي أم تناسوه والله ما ترك رسول الله

صلى الله عليه وسلم من قائد فتنة الى ان تنقضي الدنيا يبلغ من معه ثلثمائة
فصاعدا الا قد سماه لنا باسمه واسم ابيه وقبيلته وقال ابو ذر
لقد تركنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وما يحرك طائر جناحيه في السماء
الا ذكرنا منه علما وقد خرج اهل الصحيح والائمة ما اعلم به اصحابه
مما وعدهم به من الظهور على اعدائه وفتح مكة وبيت المقدس واليمن
والشام والعراق وظهور الامن حتى تظعن المراة من الحيرة الى مكة لا
تخاف الا الله وان المدينة ستغزى وتفتح خيبر على يدي علي في غد
يومه وما يفتح الله على امته من الدنيا ويؤتون من زهرتها وقسمتهم
كنوز كسرى وقيصر وما يحدث بينهم من الفتن والاختلاف والاهواء
وسلوك سبيل من قبلهم وافتراقهم على ثلث وسبعين فرقة الناجية
منها واحدة وانها ستكون لهم انماط ويغدو احدهم في حلة ويروح
في اخرى ويوضع بين يديه صحفة وترفع اخرى ويسترون بيوتهم
كما تستر الكعبة ثم قال اخر الحديث وانتم اليوم خير منكم يومئذ
وانهم اذا مشوا المطيطا وخدمتهم بنات فارس والروم رد الله باسهم
بينهم وسلط شرارهم على خيارهم وقتالهم الترك والخزر والروم
وذهاب كسرى وفارس حتى لا كسرى ولا فارس بعده وذهاب قيصر حتى
لا قيصر بعده وذكر ان الروم ذات قرون الى اخر الدهر وبذهاب الامثل
فالامثل من الناس وتقارب الزمان وقبض العلم وظهور الفتن والهرج
وقال صلى الله عليه وسلم ويل للعرب من شر قد اقترب وانه زويت له الارض
فاري مشارقها ومغاربها وسيبلغ ملك امته ما زوي له منها فكذلك كانت
امتدت في المشارق والمغارب ما بين ارض الهند اقصى المشرق الى بحر طنجة

حيث

حتى لا عمارة وراءه وذلك ما لم يملكه أمة من الأمم ولم يمتد في جنوب
ولا في الشمال مثل ذلك وقوله صلى الله عليه وسلم لا يزال أهل الغرب
ظاهرين على الحق حتى تقوم الساعة ذهب ابن المديني إلى أنهم العرب
لأنهم المختصون بالسقي بالغرب وهي الدلو وغيره يذهب إلى أنهم أهل المغرب
وقد ورد المغرب كذا في الحديث بمعناه وفي حديث آخر من رواية أبي أمامة
لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق قاهرين لعدوهم حتى يأتيهم أمر الله
وهم كذلك قيل يا رسول الله وأين هم قال ببيت المقدس وأخبر صلى الله
عليه وسلم بملك بني أمية وولاية معوية ووصاه وإعادة بني أمية ما زال الله دولة
وخروج ولد العباس بالرايات السود وملكهم أضعاف ما ملكوا وخروج
المهدي وما ينال أهل بيته وتقتيلهم وتشريدهم وقتل علي رضي الله عنه
وأن أشقاها الذي يخضب هذه من هذه أي لحيته من رأسه وأنه قسيم
النار يدخل أولياؤه الجنة وأعداؤه النار فكان فيمن عاداه الخوارج والناصبة
وطائفة ممن ينسب إليه من الروافض كفروه وقال صلى الله عليه وسلم
يقتل عثمان وهو يقرأ المصحف وأن الله عسى أن يلبسه قميصا وأنهم
يريدون خلعه وأنه سيقطر دمه على قوله فسيكفيكهم الله وأن الفتن
لا تظهر ما دام عمر حيا وبمحاربة الزبير لعلي وبنباح كلاب الحوأب على
بعض أزواجه وأنه يقتل حولها قتلى كثير وتنجو بعد ما كادت نبحت
على عائشة عند خروجها إلى البصرة وأن عمارا تقتله الفئة الباغية
فقتله أصحاب معوية وقال صلى الله عليه وسلم لعبد الله بن الزبير ويل للناس
منك وويل لك من الناس وقال صلى الله عليه وسلم في قزمان وقد أبلى مع
المسلمين إنه من أهل النار فقتل نفسه وقال صلى الله عليه وسلم في جماعة فيهم

منهم

أبو هريرة وسمرة بن جندب وحذيفة آخركم موتاً في النار فكان بعضهم
يسأل عن بعض فكان سمرة آخرهم موتاً هرم وخرف فاصطلى بالنار فاحترق
فيها وقال صلى الله عليه وسلم الخلافة في قريش ولن يزال هذا الأمر في قريش
ما أقاموا الدين وقال صلى الله عليه وسلم يكون في ثقيف كذاب ومبير
فرأوهما الحجاج والمختار وأن مسيلمة يعقره الله وأن فاطمة أول أهله لحوقاً
به وأنذر بالردة وبأن الخلافة بعده ثلاثون ثم تكون ملكاً فكانت كذلك بمدة
الحسن بن علي رضي الله عنهما وقال صلى الله عليه وسلم إن هذا الأمر بدأ نبوة
ورحمة ثم يكون رحمة وخلافة ثم يكون ملكاً عضوضاً ثم يكون عتواً وجبروتاً
وفساداً في الأمة وأخبر صلى الله عليه وسلم بشأن أويس القرني وبأمراء يؤخرون
الصلاة عن وقتها وسيكون في أمته ثلاثون كذاباً فيهم أربع نسوة وفي
حديث آخر ثلاثون دجالاً كذاباً أحدهم الدجال الكذاب كلهم يكذب
على الله ورسوله وقال صلى الله عليه وسلم يوشك أن يكثر فيكم العجم
يأكلون فيئكم ويضربون رقابكم ولا تقوم الساعة حتى يسوق الناس
بعصاه رجل من قحطان وقال صلى الله عليه وسلم خيركم قرني ثم الذين يلونهم
ثم الذين يلونهم ثم يأتي بعد ذلك قوم يشهدون ولا يستشهدون ويخونون
ولا يؤتمنون وينذرون ولا يوفون وقال صلى الله عليه وسلم لا يأتي زمان
إلا والذي بعده شر منه وقال هلاك أمتي على يدي أغيلمة من قريش قال
أبو هريرة رضي الله عنه راويه لو شئت سميتهم لكم بنو فلان وبنو فلان
وأخبر صلى الله عليه وسلم بظهور القدرية والرافضة وسب آخر هذه الأمة
أولها وقلة الأنصار حتى يكونوا كالملح في الطعام فلم يزل أمرهم يتبدد حتى
لم تبق لهم جماعة وأنهم سيلقون بعده أثرة وأخبر صلى الله عليه وسلم بشأن

وقال في حنظلة
الغسيل سلوا زوجه
عنه فإني رأيت الملائكة
تغسله فسألوها فقالت
إنه خرج جنبا وأعجله الحال
عن الغسل قال أبو سعيد
ووجدنا رأسه يقطر ماء
صح

وجبروتاً

أثرة

ويظهر فيهم
السمن

خوارج

الخوارج وصفتهم والمخدج الذي فيهم وأن سيماهم التحليق ويرى رعاء
الغنم رؤس الناس والعراة الحفاة يتبارون في البنيان وأن تلد الأمة
ربتها وأن قريشا والأحزاب لا يغزونه أبدا وأنه هو يغزوهم وأخبر
صلى الله عليه وسلم بالموتان الذي يكون بعد فتح بيت المقدس وما وعد من
سكنى البصرة وأنهم يغزون في البحر كالملوك على الأسرة وأن الدين لو كان
منوطا بالثريا لناله رجال من أبناء فارس وهاجت ريح في غزاته فقال
هاجت لموت منافق فلما رجعوا إلى المدينة وجدوا ذلك وقال صلى الله
عليه وسلم لقوم من جلسائه ضرس أحدكم في النار أعظم من أحد قال
أبو هريرة فذهب القوم يعني ماتوا وبقيت أنا ورجل فقتل مرتدا يوم اليمامة
وأعلم بالذي غل خرزا من خرز يهود فوجدت في رحله وبالذي غل الشملة
وحيث هي وناقته حين ضلت وكيف تعلقت بالشجرة بخطامها وبشأن كتاب
حاطب إلى أهل مكة وبقضية عمير مع صفوان حين ساره وشارطه على قتل
النبي صلى الله عليه وسلم فلما جاء عمير النبي صلى الله عليه وسلم قاصدا لقتله وأطلعه
رسول الله صلى الله عليه وسلم على الأمر والسر أسلم وأخبر صلى الله عليه وسلم
بالمال الذي ترك عمه العباس عند أم الفضل بعد أن كتمه فقال ما علمه غيري
وغيرها فأسلم وأعلم صلى الله عليه وسلم بأنه سيقتل أبي بن خلف وفي عتبة
ابن أبي لهب أنه يأكله كلب الله وعن مصارع أهل بدر فكان كما قال وقال
صلى الله عليه وسلم في الحسن رضي الله عنه إن ابني هذا سيد وسيصلح الله به بين
فئتين ولسعد لعلك تخلف حتى ينتفع بك أقوام ويستضر بك آخرون
وأخبر صلى الله عليه وسلم بقتل أهل مؤتة يوم قتلوا وبينهم مسيرة شهر أو أزيد
وبموت النجاشي يوم مات وهو بأرضه وأخبر صلى الله عليه وسلم فيروز إذ

صوابه عتيبة بالتصغير

وَرَدَ عليه رسول الأمير كسرى بموت كسرى ذلك اليوم فلما حقق فيروز القصة
أسلم وأخبر صلى الله عليه وسلم أبا ذر بتطريده كما كان ووجده في المسجد
نائمًا فقال له كيف بك إذا أُخرجت منه قال أسكن المسجد الحرام قال فإذا أخرجت
منه الحديث وبعيشه وحده وموته وحده وأخبر صلى الله عليه وسلم أن
أسرع أزواجه لحوقًا به أطولهن يدًا فكانت زينب لطول يدها بالصدقة وأخبر
صلى الله عليه وسلم بقتل الحسين رضي الله عنه بالطف وأخرج بيده تربة وقال
فيها مضجعه وقال صلى الله عليه وسلم في زيد بن صوحان يسبقه منه عضو
إلى الجنة فقطعت يده في الجهاد وقال صلى الله عليه وسلم في الذين كانوا معه
على حراء اثبت فإنما عليك نبي وصديق وشهيد فقتل علي وعمر وعثمان وطلحة
والزبير وطعن سعد وقال صلى الله عليه وسلم لسراقة كيف بك إذا لبست سواري
كسرى فلما أُتي بهما إلى عمر رضي الله عنه ألبسهما إياه وقال الحمد لله الذي
سلبهما كسرى وألبسهما سراقة وقال صلى الله عليه وسلم تبنى مدينة بين دجلة
ودجيل وقطربل والصراة تجبى إليها خزائن الأرض يخسف بها يعني بغداد
وقال صلى الله عليه وسلم سيكون في هذه الأمة رجل يقال له الوليد هو شر
لهذه الأمة من فرعون لقومه وقال صلى الله عليه وسلم لا تقوم الساعة حتى تقتتل
فئتان دعواهما واحدة وقال صلى الله عليه وسلم لعمر رضي الله عنه في سهيل بن عمرو
عسى أن يقوم مقامًا يسرك يا عمر فكان كذلك قام بمكة مقام أبي بكر رضي الله عنه
يوم بلغهم موت النبي صلى الله عليه وسلم وخطب بنحو خطبته وثبتهم وقوى
بصائرهم وقال صلى الله عليه وسلم لخالد حين وجهه لأكيدر إنك تجده يصيد
البقر فتحدث هذه الأمور كلها في حياته وبعد موته صلى الله عليه وسلم
كما قال إلى ما أخبر به جلساءه من أسرارهم وبواطنهم واطلع عليه صلى الله عليه وسلم

من اسرار المنافقين وكفرهم وتوطئهم به وفي المؤمنين حتى ان كان بعضهم
ليقول لصاحبه اسكت فوالله لو لم يكن عنده من يخبره لأخبرته حجارة البطحاء
واعلامه بصفة السحر الذي سحر به لبيد بن الأعصم وكونه في مشط ومشاقة
في جف طلع نخلة ذكر وانه ألقي في بئر ذروان فكان كما قال ووجد على تلك
الصفة واعلامه صلى الله عليه وسلم قريشا بأكل الأرضة ما في صحيفتهم التي
تظاهروا بها على بني هاشم وقطعوا بها رحمهم وانها أبقت فيها كل اسم لله
فوجدوها كما قال ووصفه صلى الله عليه وسلم لكفار قريش بيت المقدس
حين كذبوه في خبر الإسراء ونعته إياه نعت من عرفه واعلامهم بعيرهم التي
مر عليها في طريقه وانذارهم بوقت وصولها فكان كله كما قال صلى الله عليه وسلم
الى ما اخبر به من الحوادث التي تكون ولم تأت بعد منها ما ظهرت مقدماتها
كقوله صلى الله عليه وسلم عمران بيت المقدس خراب يثرب وخراب يثرب
خروج الملحمة وخروج الملحمة فتح القسطنطينية ومن اشراط الساعة وآيات
حلولها وذكر الحشر والنشر واخبار الأبرار والفجار والجنة والنار وعرصات
القيامة وبحسب هذا الفصل ان يكون ديوانا مفردا يشتمل على اجزاء وحده
وفيما اشرنا اليه من نكت الاحاديث التي ذكرناها كفاية واكثرها في الصحيح وعند
الأئمة فصل في عصمة الله تعالى له من الناس وكفايته من آذاه
قال الله تعالى والله يعصمك من الناس وقال تعالى واصبر لحكم ربك فانك بأعيننا
وقال تعالى أليس الله بكاف عبده قيل بكاف محمدا اعداءه المشركين وقيل غير
هذا وقال تعالى انا كفيناك المستهزئين وقال تعالى واذ يمكر بك الذين كفروا
الآية أخبرنا القاضي الشهيد ابو علي الصدفي بقراءتي عليه ثنا الفقيه الحافظ
ابو بكر محمد بن عبد الله المعافري قال حدثنا ابو الحسن الصيرفي قال حدثنا

أبو علي البغدادي حدثنا أبو علي السنجي حدثنا أبو العباس المروزي حدثنا
أبو عيسى الحافظ حدثنا عبد بن حميد حدثنا مسلم بن إبراهيم حدثنا
الحارث بن عبيد عن سعيد الجريري عن عبد الله بن شقيق عن عائشة قالت
كان النبي صلى الله عليه وسلم يحرس حتى نزلت هذه الآية والله يعصمك من
الناس فأخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم رأسه من القبة فقال لهم يا أيها
الناس انصرفوا فقد عصمني ربي عز وجل وروي أن النبي صلى الله عليه وسلم
كان إذا نزل منزلا اختار له أصحابه شجرة يقيل تحتها فأتاه أعرابي فاخترط
سيفه ثم قال من يمنعك مني فقال الله فأرعدت يد الأعرابي وسقط سيفه
وضرب برأسه الشجرة حتى سال دماغه فنزلت الآية وقد رويت هذه
القصة في الصحيح وأن غورث بن الحارث صاحب هذه القصة وأن النبي
صلى الله عليه وسلم عفا عنه فرجع إلى قومه وقال جئتكم من عند خير الناس
وقد حكيت مثل هذه الحكاية أنها جرت له يوم بدر وقد انفرد من أصحابه
لقضاء حاجته فتبعه رجل من المنافقين وذكر مثله وقد روي أنه وقع له غورث
مثلها في غزوة غطفان بذي أمر مع رجل اسمه دعثور بن الحارث وأن الرجل
أسلم فلما رجع إلى قومه الذين أغروه وكان سيدهم وأشجعهم قالوا له أين
ما كنت تقول وقد أمكنك فقال إني نظرت إلى رجل أبيض طويل دفع في صدري
فوقعت لظهري وسقط السيف فعرفت أنه ملك وأسلمت وقيل فيه نزلت
يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم إذ هم قوم أن يبسطوا إليكم
أيديهم الآية وفي رواية الخطابي أن غورث بن الحارث المحاربي أراد أن يفتك
بالنبي صلى الله عليه وسلم فلم يشعر به إلا وهو قائم على رأسه منتضيا سيفه
فقال اللهم اكفنيه بما شئت فانكب من وجهه من زلخة زلخها بين كتفيه زلخة

وقد رشقه من يده الرحلة ونبح الظهر وبقي في يضيعه عن هذا وذكر أن
فيه نزلت يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم إذ هم قوم الآية
وقيل كان النبي صلى الله عليه وسلم يخاف قريشاً فلما نزلت هذه الآية استلقى
ثم قال من شاء فليخذلني وذكر عبد بن حميد قال كانت حمالة الحطب تضع
العضاه وهي جمر على طريق رسول الله صلى الله عليه وسلم فكأنما يطأها
كثيباً أهيل وذكر ابن إسحاق عنها أنها لما بلغها نزول تبت يدا أبي لهب
وذكرها بما ذكرها الله مع زوجها من الذم أتت رسول الله صلى الله عليه وسلم
وهو جالس في المسجد ومعه أبو بكر رضي الله عنه وفي يدها فهر من حجارة
فلما وقفت عليهما لم تر إلا أبا بكر وأخذ الله ببصرها عن نبيه صلى الله عليه وسلم
فقالت يا أبا بكر إن صاحبك قد بلغني أنه يهجوني والله لو وجدته لضربت
بهذا الفهر فاه وعن الحكم بن أبي العاص تواعدنا على النبي صلى الله عليه وسلم
حتى إذا رأيناه في الصلاة سمعنا صوتاً خلفنا ما ظننا أنه بقي من تهامة أحد
فوقعنا مغشياً علينا فما أفقنا حتى قضى صلاته ورجع إلى أهله ثم تواعدنا
ليلة أخرى فجئنا حتى إذا رأيناه جاءت الصفا والمروة فحالت بيننا وبينه
وعن عمر رضي الله عنه تواعدت أنا وأبو جهم بن حذيفة ليلة قتل رسول الله
صلى الله عليه وسلم فجئنا منزله نستمع له فافتتح وقرأ الحاقة الحاقة إلى فهل
ترى لهم من باقية فضرب أبو جهم على عضد عمر فقال انج وفرا هاربين فكانت
من مقدمات إسلام عمر رضي الله عنه ومنها الغار المأثورة والحكاية الثابتة
عندما أحاطت به قريش وأجمعت على قتله وتشوره فخرج عليهم من بيته يعلو على
رؤوسهم وقد ضرب الله على أبصارهم وذرّى التراب على رؤوسهم وخلص منهم
وحمايته عن رؤيتهم في الغار بما هيأ الله له من الآيات ومن العنكبوت الذي نسج

فتسمعنا

عليه حتى قال أمية بن خلف حين قالوا ندخل الغار ما أربكم فيه وعليه من
نسج العنكبوت ما أرى أنه قبل أن يولد محمد صلى الله عليه وسلم ووقفت حمامتان
على فم الغار فقالت قريش لو كان فيه أحد لما كانت هناك الحمام وقصته
صلى الله عليه وسلم مع سراقة بن مالك بن جعشم حين الهجرة وقد جعلت قريش
فيه وفي أبي بكر رضي الله عنه الجعائل فأنذر به فركب فرسه واتبعه حتى إذا
قرب منه دعا عليه النبي صلى الله عليه وسلم فساخت قوائم فرسه فخر عنها
واستقسم بالأزلام فخرج له ما يكره ثم ركب ودنا حتى سمع قراءة النبي صلى الله
عليه وسلم وهو لا يلتفت وأبو بكر يلتفت وقال للنبي صلى الله عليه وسلم أتينا فقال
لا تحزن إن الله معنا فساخت ثانية إلى ركبتيها وخر عنها فزجرها فنهضت
ولقوائمها مثل الدخان فناداهم بالأمان فكتب له النبي صلى الله عليه وسلم
أمانا كتبه ابن فهيرة وقيل أبو بكر وأخبرهم بالأخبار وأمره النبي صلى الله
عليه وسلم أن لا يترك أحدا يلحق بهم فانصرف يقول للناس كفيتم ما ههنا
وقيل بل قال لهما أراكما دعوتما علي فادعوا لي فنجا ووقع في نفسه ظهور النبي
صلى الله عليه وسلم وفي خبر آخر أن راعيا عرف خبرهما فخرج يشتد يعلم
قريشا فلما ورد مكة ضرب على قلبه فما يدري ما يصنع وأنسي ما خرج له
حتى رجع إلى موضعه وجاءه فيما ذكر ابن إسحاق وغيره أبو جهل بصخرة وهو
ساجد وقريش ينظرون ليطرحها عليه فلزقت بيده ويبست يداه إلى عنقه
وأقبل يرجع القهقرى إلى خلفه ثم سأله أن يدعو له ففعل فانطلقت يداه وكان
قد تواعد مع قريش بذلك وحلف لئن رآه ليدمغنه فسألوه عن شأنه فذكر أنه
عرض لي دونه فحل ما رأيت مثله قط هم بي أن يأكلني فقال النبي صلى الله عليه وسلم
ذاك جبريل لو دنا لأخذه وذكر السمرقندي أن رجلا من بني المغيرة أتى النبي

صلى الله عليه وسلم ليقتله فضرب الله على بصره فلم ير النبي صلى الله عليه وسلم
وسمع قوله فرجع إلى أصحابه ولم يرهم حتى ناداه وذكر أن في هاتين
القصتين نزلت إنا جعلنا في أعناقهم أغلالا الآيتين ومن ذلك ما ذكره
ابن إسحاق في قصته إذ خرج إلى بني قريظة في أصحابه فجلس إلى جدار بعض
آطامهم فانبعث عمرو بن جحاش أحدهم ليطرح عليه رحى فقام النبي صلى الله
عليه وسلم فانصرف إلى المدينة وأعلمهم بقصته وقيل فيه نزلت قوله تعالى يا أيها
الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم إذ هم قوم الآية وفي هذه القصة نزلت وحكى
السمرقندي أنه خرج إلى بني النضير يستعين في عقل الكلابيين الذين قتلهما عمرو بن
أمية فقال له حيي بن أخطب اجلس يا أبا القاسم حتى نطعمك ونعطيك ما
سألت فجلس النبي صلى الله عليه وسلم مع أبي بكر وعمر وتوامر حيي معهم على قتله
فأعلم جبريل النبي صلى الله عليه وسلم بذلك فقام كأنه يريد حاجته حتى دخل
المدينة وذكر أهل التفسير معنى الحديث عن أبي هريرة أن أبا جهل وعد
قريشا لئن رأى محمدا يصلي ليطأن رقبته فلما صلى النبي صلى الله عليه وسلم أعلموه فأقبل
فلما قرب منه ولى هاربا ناكصا على عقبيه متقيا بيديه فسئل فقال لما دنوت منه
أشرفت على خندق مملوء نارا كدت أهوي فيه وأبصرت هولا عظيما وخفق
أجنحة قد ملأت الأرض فقال صلى الله عليه وسلم تلك الملائكة لو دنا لاختطفته
عضوا عضوا ثم أنزل الله على النبي صلى الله عليه وسلم كلا إن الإنسان ليطغى إلى آخر
السورة ويروى أن شيبة بن عثمان الحجبي أدركه يوم حنين وكان حمزة قد قتل
أباه وعمه فقال اليوم أدرك ثأري من محمد فلما اختلط الناس أتاه من خلفه ورفع
سيفه ليصبه عليه قال فلما دنوت منه ارتفع إلي شواظ من نار أسرع من البرق
فوليت هاربا وأحس بي النبي صلى الله عليه وسلم فدعاني فوضع يده على صدري وهو

أبغض الخلق إلي فما رفعها إلا وهو أحب الخلق إلي وقال لي ادن فقاتل فتقدمت
أمامه أضرب بسيفي وأقيه بنفسي ولو لقيت أبي تلك الساعة لأوقعت به
دونه ومن ذلك فضالة بن عمير أراد قتل النبي صلى الله عليه وسلم عام الفتح وهو
يطوف بالبيت فلما دنا منه قال أفضالة قلت نعم قال ماذا كنت تحدث
به نفسك قلت لا شيء فضحك واستغفر لي ووضع يده على صدري فسكن
قلبي فوالله ما رفعها حتى ما خلق الله شيئا أحب إلي منه ومن مشهور ذلك
خبر عامر بن الطفيل وأربد بن قيس حين وفدا على النبي صلى الله عليه وسلم وكان
عامر قال له أنا أشغل عنك وجه محمد صلى الله عليه وسلم فاضربه أنت فلم
يره فعل شيئا فلما كلمه في ذلك قال له والله ما هممت أن أضربه إلا وجدتك
بيني وبينه أفأضربك ومن عصمته له أن كثيرا من اليهود والكهنة أنذروا
به وعينوه لقريش وأخبروهم بسطوته بهم وحضوهم على قتله فعصمه الله
حتى بلغ فيه أمره ومن ذلك نصره بالرعب أمامه مسيرة شهر كما قال عليه
السلام فصل ومن معجزاته الباهرة ما جمعه الله تعالى له صلى الله عليه
وسلم من المعارف والعلوم وخصه به من الاطلاع على جميع مصالح الدنيا
والدين ومعرفته من أمور شرائعه وقوانين دينه وسياسة عباده ومصالح
أمته وما كان في الأمم قبله وقصص الأنبياء والرسل والجبابرة والقرون
الماضية من لدن آدم إلى زمنه وحفظ شرائعهم وكتبهم ووعي سيرهم وسرد
أنبائهم وأيام الله فيهم وصفات أعيانهم واختلاف آرائهم والمعرفة بمدد
أعمارهم وحكم حكمائهم ومحاجة كل أمة من الكفرة ومعارضة كل فرقة
من الكتابيين بما في كتبهم وإعلامهم بأسرارها ومخبآت علومها وإخبارهم
بما كتموه من ذلك وغيروه إلى الاحتواء على لغات العرب وغريب ألفاظ فرقها

والاحاطة

والإحاطة بضروب فصاحتها [فصاحاتها] والحفظ لأيامها وأمثالها وحكمها ومعاني
أشعارها والتخصيص بجوامع كلمها إلى المعرفة بضرب الأمثال الصحيحة والحكم
البينة لتقريب التفهيم للغامض والتبيين للمشكل إلى تمهيد قواعد الشرع الذي
لا تناقض فيه ولا تخاذل مع اشتمال شريعته على محاسن الأخلاق ومحامد الآداب
وكل شيء مستحسن مفضل لم ينكر منه ملحد ذو عقل سليم شيئا إلا من جهة الخذلان
بل كل جاحد له وكافر من الجاهلية به إذا سمع ما يدعو إليه صوبه واستحسنه
دون طلب إقامة برهان عليه ثم ما أحل لهم من الطيبات وحرم عليهم من
الخبائث وصان به أنفسهم وأعراضهم وأموالهم من المعاقبات والحدود
عاجلا والتخويف بالنار آجلا إلى الاحتواء على ضروب العلوم وفنون المعارف
كالطب والعبارة والفرائض والحساب والنسب وغير ذلك من العلوم مما اتخذ أهل هذه
المعارف كلامه فيها قدوة وأصولا في علمهم كقوله عليه السلام الرؤيا لأول عابر
وهي على رجل طائر وقوله صلى الله عليه وسلم الرؤيا ثلاث رؤيا حق ورؤيا يحدث
بها الرجل نفسه ورؤيا تحزين من الشيطان وقوله صلى الله عليه وسلم إذا تقارب
الزمان لم تكد رؤيا المؤمن تكذب وقوله صلى الله عليه وسلم أصل كل داء البردة
وما روي عنه صلى الله عليه وسلم في حديث أبي هريرة رضي الله عنه من قوله عليه السلام
المعدة حوض البدن والعروق إليها واردة وإن كان هذا حديثا لا نصححه لضعفه
وكونه موضوعا تكلم عليه الدارقطني وقوله صلى الله عليه وسلم خير ما تداويتم به السعوط
واللدود والحجامة والمشي وخير الحجامة يوم سبع عشرة وتسع عشرة وإحدى
وعشرين وفي العود الهندي سبعة أشفية وقوله صلى الله عليه وسلم ما ملأ ابن
آدم وعاء شرا من بطن إلى قوله فإن كان لا بد فثلث للطعام وثلث للشراب وثلث
للنفس وقوله صلى الله عليه وسلم وقد سئل عن سبأ أرجل هو أم امرأة أو أرض فقال

رجل ولد عشرة بنين تيامن منهم ستة وتشاءم أربعة الحديث بطوله وكذلك
جوابه صلى الله عليه وسلم في نسب قضاعة وغير ذلك مما اضطرت العرب على شغلها
بالنسب إلى سؤاله عما اختلفوا فيه من ذلك وقوله صلى الله عليه وسلم حمير رأس
العرب ونابها ومذحج هامتها وغلصمتها والأزد كاهلها وجمجمتها وهمدان
غاربها وذروتها وقوله صلى الله عليه وسلم إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق
الله السموات والأرض وقوله صلى الله عليه وسلم في الحوض زواياه سواء وقوله
صلى الله عليه وسلم في حديث الذكر وإن الحسنة بعشر فتلك مائة وخمسون
على اللسان وألف وخمسمائة في الميزان وقوله صلى الله عليه وسلم وهو بموضع
نعم موضع الحمام هذا وقوله صلى الله عليه وسلم ما بين المشرق والمغرب قبلة وقوله
صلى الله عليه وسلم لعيينة أو الأقرع أنا أفرس بالخيل منك وقوله صلى الله عليه
وسلم لكاتبه ضع القلم على أذنك فإنه أذكر للممل هذا مع أنه صلى الله عليه وسلم
كان لا يكتب ولكنه أوتي علم كل شيء حتى قد وردت آثار بمعرفته حروف الخط
وحسن تصويرها كقوله صلى الله عليه وسلم لا تمدوا بسم الله الرحمن الرحيم رواه
ابن شعبان من طريق ابن عباس رضي الله عنهما وقوله صلى الله عليه وسلم في الحديث
الآخر الذي يروى عن معوية أنه كان يكتب بين يديه فقال له ألق الدواة وحرف
القلم وأقم الباء وفرق السين ولا تعور الميم وحسن الله ومد الرحمن وجود الرحيم
وهذا وإن لم تصح الرواية أنه عليه السلام كتب فلا يبعد أن يرزق علم هذا ويمنع
الكتابة والقراءة وأما علمه عليه السلام بلغات العرب وحفظه معاني أشعارها
فأمر مشهور قد نبهنا على بعضه أول الكتاب وكذلك حفظه لكثير من لغات
الأمم كقوله صلى الله عليه وسلم في الحديث سنه سنه وهي حسنة بالحبشية ۞
وقوله صلى الله عليه وسلم ويكثر الهرج وهو القتل بها وقوله صلى الله عليه وسلم في حديث

أبي هريرة رضي الله عنه استكتبته ثم أي جمع النطق بالممارسة الى غير ذلك مما لا
تعلم بعض هذا ولا يقوم به ولا ببعضه الا من مارس الدرس والعكوف على الكتب ومثافنة
أهلها عمره وهو رجل كما قال الله عز وجل أمي لم يكتب ولم يقرأ ولا عرف بصحبة
من هذه صفته ولا نشأ بين قوم لهم علم ولا قراءة لشيء من هذه الأمور ولا عرف
هو قبل بشيء منها قال الله تعالى وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه
بيمينك الآية. إنما كانت غاية معارف العرب النسب وأخبار أوائلها والشعر
والبيان وإنما حصل ذلك لهم بعد التفرغ لعلم ذلك والاشتغال بطلبه
ومباحثة أهله عنه. وهذا الفن نقطة من بحر علمه صلى الله عليه وسلم ولا سبيل
الى جحد الملحد لشيء مما ذكرناه ولا وجد الكفرة حيلة في دفع ما نصصناه الا
قولهم أساطير الأولين وإنما يعلمه بشر فرد الله تعالى قولهم بقوله عز وجل
لسان الذي يلحدون اليه أعجمي وهذا لسان عربي مبين. ثم ما قالوه مكابرة العيان
فإن الذي نسبوا تعليمه اليه إما سلمان أو العبد الرومي وسلمان إنما عرفه بعد
الهجرة ونزول الكثير من القرآن وظهور ما لا ينعد من الآيات. وأما الرومي
فكان أسلم وكان يقرأ على النبي صلى الله عليه وسلم واختلف في اسمه وقيل بل كان النبي
صلى الله عليه وسلم يجلس عنده عند المروة وكلاهما أعجمي اللسان وهم الفصحاء
اللد والخطباء اللسن قد عجزوا عن معارضة ما أتى به والإتيان بمثله بل عن
فهم وصفه وصورة تأليفه ونظمه فكيف بأعجمي ألكن. نعم وقد كان سلمان
أو بلعام الرومي أو يعيش أو جبر أو يسار على اختلافهم في اسمه بين أظهرهم
يكلمونهم مدى أعمارهم فهل حكي عن واحد منهم شيء من مثل ما كان يجيء به محمد
صلى الله عليه وسلم وهل عرف واحد منهم بمعرفة شيء من ذلك وما منع العدو
حينئذ على كثرة عدده ودؤوب طلبه وقوة حسده أن يجلس الى هذا فيأخذ

عنه أيضا ما يعارضونه به ويتعلمون منه ما يحتجون به على شيعته كفعل النضر بن
الحارث بما كان يمخرق به من أخبار كتبه ولا غاب النبي صلى الله عليه وسلم عن قومه
ولا كثرت اختلافاته إلى بلاد أهل الكتاب فيقال إنه استمد منهم بل لم يزل الكتب
بين أظهرهم يرعى في صغره وشبابه على عادة أبنائهم ثم لم يخرج عن بلادهم
إلا في سفرة أو سفرتين لم يطل فيهما مكثه مدة يحتمل فيها تعليم القليل فكيف الكثير
بل كان في سفره في صحبة قومه ورفاقة عشيرته لم يغب عنهم ولا خالف حاله مدة
مقامه بمكة من تعليم واختلاف إلى حبر أو قس أو منجم أو كاهن بل لو كان هذا
بعد كله لكان مجيء ما أتى به في معجز القرآن قاطعا لكل عذر ومدحضا لكل حجة [illegible]
ومجليا لكل أمر فصل ومن خصائصه صلى الله عليه وسلم وكراماته وباهر [illegible]
آياته أنباؤه مع الملائكة والجن وإمداد الله تعالى له بالملائكة وطاعة الجن له
ورؤية كثير من أصحابه لهم قال الله تعالى وإن تظاهرا عليه فإن الله هو مولاه
وجبريل الآية وقال تعالى إذ يوحي ربك إلى الملائكة أني معكم فثبتوا الذين
آمنوا وقال تعالى إذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم أني ممدكم بألف من الملائكة
الآية وقال تعالى وإذ صرفنا إليك نفرا من الجن يستمعون القرآن الآية حدثنا
سفيان بن العاصي الفقيه سماعا عليه حدثنا أبو الليث السمرقندي حدثنا عبد
الغافر الفارسي حدثنا أبو أحمد الجلودي حدثنا ابن سفيان حدثنا مسلم
حدثنا عبيد الله بن معاذ حدثنا أبي حدثنا شعبة عن سليمان الشيباني سمع زر
بن حبيش عن عبد الله قال لقد رأى من آيات ربه الكبرى قال رأى جبريل
في صورته له ستمائة جناح والخبر في محادثته مع جبريل وإسرافيل وغيرهم من
الملائكة وما شاهده من كثرتهم وعظم صور بعضهم ليلة الإسراء مشهور وقد
رآهم بحضرته جماعة من أصحابه في مواطن مختلفة فرأى أصحابه جبريل عليه السلام

في صورة رجل يسأله عن الإسلام والإيمان ورأى ابن عباس وأسامة وغيرهما عنده
جبريل في صورة دحية ورأى سعد على يمينه ويساره جبريل وميكائيل في صورة
رجلين عليهما ثياب بيض ومثله عن غير واحد وسمع بعضهم زجر الملائكة خيلها
يوم بدر وبعضهم رأى تطاير الرؤوس من الكفار ولا يرون الضارب ورأى أبو
سفيان بن الحارث يومئذ رجالا بيضا على خيل بلق بين السماء والأرض ما يقوم لها
شيء وقد كانت الملائكة تصافح عمران بن الحصين وأرى النبي صلى الله عليه وسلم
حمزة جبريل في الكعبة فخر مغشيا عليه ورأى عبد الله بن مسعود الجن ليلة الجن
وسمع كلامهم وشبههم برجال الزط وذكر ابن سعد أن مصعب بن عمير لما قتل
يوم أحد أخذ الراية ملك على صورته فكان النبي صلى الله عليه وسلم يقول له تقدم يا مصعب
فقال له الملك لست بمصعب فعلم أنه ملك وقد ذكر غير واحد من المصنفين
عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال بينا نحن جلوس مع النبي صلى الله عليه وسلم
إذ أقبل شيخ بيده عصا فسلم على النبي صلى الله عليه وسلم فرد عليه وقال نغمة الجن
من أنت قال أنا هامة بن الهيم بن لاقيس بن إبليس فذكر أنه لقي نوحا ومن بعده في
حديث طويل وأن النبي صلى الله عليه وسلم علمه سورا من القرآن وذكر الواقدي
قتل خالد عند هدمه العزى للسوداء التي خرجت له ناشرة شعرها عريانة فجزلها
بسيفه وأعلم النبي صلى الله عليه وسلم فقال تلك العزى وقال عليه السلام إن
شيطانا تفلت البارحة ليقطع علي صلاتي فأمكنني الله منه فأخذته فأردت
أن أربطه إلى سارية من سواري المسجد حتى تنظروا إليه كلكم فذكرت دعوة
أخي سليمان رب اغفر لي وهب لي ملكا لا ينبغي لأحد من بعدي فرده الله خاسئا وهذا
باب واسع جدا فصل ومن دلائل نبوته وعلامات رسالته ما ترادفت
به الأخبار عن الرهبان والأحبار وعلماء أهل الكتب من صفته وصفة أمته واسمه

وعلاماته وذكر الخاتم الذي بين كتفيه صلى الله عليه وسلم وما وجد في ذلك من
أشعار الموحدين المتقدمين من تبع والأوس بن حارثة وكعب بن لؤي وسفيان
بن مجاشع وقس بن ساعدة وما ذكر عن سيف بن ذي يزن وغيرهم وما عرف به
من أمره زيد بن عمرو بن نفيل وورقة بن نوفل وعثكلان الحميري وعلماء يهود
وشامول عالمهم صاحب تبع من صفته وخبره وما ألفي من ذلك في التوراة
والإنجيل مما قد جمعه العلماء وبينوه ونقله عنهما ثقات من أسلم منهم مثل ابن
سلام وابني سعية وابن يامين ومخيريق وكعب وأشباههم ممن أسلم من علماء يهود
وبحيرا ونسطور الحبشة وصاحب بصرى وضغاطر وأسقف الشام والجارود
وسلمان والنجاشي ونصارى الحبشة وأساقف نجران وغيرهم ممن أسلم من
علماء النصارى وقد اعترف بذلك هرقل وصاحب رومة عالما النصارى
ورئيساهم ومقوقس صاحب مصر والشيخ صاحبه وابن صوريا وابن أخطب
وأخوه وكعب بن أسد والزبير بن باطيا وغيرهم من علماء اليهود ممن حمله الحسد
والنفاسة على البقاء على الشقاء والأخبار في هذا كثيرة لا تنحصر وقد قرع أسماع
يهود والنصارى بما ذكر أنه في كتبهم من صفته وصفة أصحابه صلى الله عليه وسلم
واحتج عليهم بما انطوت عليه من ذلك صحفهم وذمهم بتحريف ذلك وكتمانه
وليهم ألسنتهم ببيان أمره ودعوتهم إلى المباهلة على الكاذب فما منهم إلا من نفر
عن معارضته وإبداء ما ألزمهم من كتبهم إظهاره ولو وجدوا خلاف قوله صلى الله
عليه وسلم لكان إظهاره أهون عليهم من بذل النفوس والأموال وتخريب الديار
ونبذ القتال وقد قال لهم قل فأتوا بالتوراة فاتلوها إن كنتم صادقين إلى ما
أنذر به الكهان مثل شافع بن كليب وشق وسطيح وسواد بن قارب وخنافر وأفعى
نجران وجذل بن جذل الكندي وابن خلصة الدوسي وسعد بن بنت كريز وفاطمة

حتى الغاية ومن لا يعد كثرة إلى ما ظهر على ألسنة الأصنام من نبوته صلى الله عليه
وسلم وحلول وقت رسالته وسمع من هواتف الجان ومن ذبائح النصب
وأجواف الصور وما وجد من اسم النبي صلى الله عليه وسلم والشهادة له بالرسالة
مكتوبا في الحجارة والقبور بالخط القديم ما أكثره مشهور وإسلام من أسلم بسبب
ذلك معلوم مذكور. فصل ومن ذلك ما ظهر من الآيات عند مولده وما
حكته أمه ومن حضره من العجائب وكونه رافعا رأسه عندما وضعته شاخصا
ببصره إلى السماء وما رأته من النور الذي خرج معه عند ولادته وما رأته
إذ ذاك أم عثمان بن أبي العاص من تدلي النجوم وظهور النور عند ولادته
حتى ما تنظر إلا النور وقول الشفاء أم عبد الرحمن بن عوف لما سقط عليه
السلام على يدي واستهل سمعت قائلا يقول رحمك الله وأضاء لي ما بين المشرق
والمغرب حتى نظرت إلى قصور الروم وما تعرفت حليمة وزوجها ظئراه من بركته
ودرور لبنها له ولبن شارفها وخصب غنمها وسرعة شبابه وحسن نشأته
وما جرى من العجائب ليلة مولده من ارتجاج إيوان كسرى وسقوط شرفاته
وغيض بحيرة طبرية وخمود نار فارس وكان لها ألف عام لم تخمد وأنه كان
إذا أكل مع عمه أبي طالب وآله وهو صغير شبعوا ورووا وإذا غاب فأكلوا
في غيبته لم يشبعوا وكان سائر ولد أبي طالب يصبحون شعثا ويصبح صلى الله
عليه وسلم صقيلا دهينا كحيلا قالت أم أيمن حاضنته ما رأيته عليه السلام
شكى جوعا ولا عطشا صغيرا ولا كبيرا ومن ذلك حراسة السماء بالشهب وقطع
رصد الشياطين ومنعهم استراق السمع وما نشأ عليه من بغض الأصنام والعفة
عن أمور الجاهلية وما خصه الله تعالى به من ذلك وحماه حتى في ستره في
الخبر المشهور عند بناء الكعبة إذ أخذ إزاره ليجعله على عاتقه ليحمل عليه

٥

[illegible]

الحجارة وتعرى فسقط الى الارض حتى رد ازاره عليه فقال له عمه ما بالك
قال اني نهيت عن التعري ومن ذلك اظلال الله له بالغمام في سفره وفي رواية
ان خديجة ونساءها رأينه لما قدم وملكان يظلانه فذكرت ذلك
لميسرة فاخبرها انه رأى ذلك منذ خرج معه في سفره وقد روي ان حليمة
رأت غمامة تظله وهو عندها وروي ذلك عن اخيه من الرضاعة ومن
ذلك انه صلى الله عليه وسلم نزل في بعض اسفاره قبل مبعثه تحت شجرة
يابسة فاعشوشب ما حولها واينعت هي فاشرقت وتدلت عليه اغصانها
بمحضر من رآه وميل فيء الشجرة اليه في الخبر الآخر حتى اظلته وما ذكر من
انه كان لا ظل لشخصه في شمس ولا قمر لانه كان نورا وان الذباب كان مطلب
لا يقع على جسده ولا ثيابه ومن ذلك تحبيب الخلوة اليه حتى اوحي اليه ثم
اعلامه بموته ودنو اجله وان قبره في المدينة وفي بيته وان بين بيته
ومنبره روضة من رياض الجنة وتخيير الله له عند موته وما اشتمل عليه
حديث الوفاة من كراماته وتشريفه وصلاة الملائكة على جسده على ما رويناه
في بعضها واستيذان ملك الموت عليه ولم يستاذن على غيره قبله ونداؤهم
الذي سمعوه ان لا تنزعوا القميص عنه عند غسله صلى الله عليه وسلم وما روي
من تعزية الخضر والملائكة اهل بيته عند موته الى ما ظهر على اصحابه رضي
الله عنهم من كراماته وبركته في حياته وموته كاستسقاء عمر وتبرك غير معجزة
واحد بذريته فصل قال القاضي ابو الفضل قد اتينا في هذا الباب
على نكت من معجزاته واضحة وجمل من علامات نبوته مقنعة في واحد منها
الكفاية والغنية وتركنا الكثير سوى ما ذكرنا واقتصرنا من الاحاديث الطوال
على عين الغرض وفص المقصد ومن كثير الاحاديث وغريبها على ما صح واشتهر

الا يسيرا

الآتين من غير سببه بما ذكره مشاهير الأئمة وحذفنا الإسناد في جمهورها
طلبا للاختصار وبحسب هذا الباب لو تقصي أن يكون ديوانا جامعا
يشتمل على مجلدات عدة ومعجزات نبينا صلى الله عليه وسلم أظهر من سائر
معجزات الرسل بوجهين أحدهما كثرتها وأنه لم يؤت نبي معجزة إلا وعند
نبينا صلى الله عليه وسلم مثلها أو ما هو أبلغ منها وقد نبه الناس على ذلك
فإن أردته فتأمل فصول هذا الباب ومعجزات من تقدم من الأنبياء صلوات
الله عليهم تقف على ذلك إن شاء الله وأما كونها كثيرة فهذا القرآن وكله
معجز وأقل ما يقع الإعجاز فيه عند بعض أئمة المحققين سورة إنا أعطيناك
الكوثر أو آية في قدرها وذهب بعضهم إلى أن كل آية منه كيف كانت معجزة
وزاد آخرون أن كل جملة منتظمة منه معجزة وإن كانت من كلمة أو كلمتين
والحق ما ذكرناه أولا لقوله تعالى فأتوا بسورة من مثله فهو أقل ما تحداهم به
مع ما ينصر هذا من نظر وتحقيق يطول بسطه وإذا كان هذا ففي القرآن
من الكلمات نحو من سبعة وسبعين ألف كلمة ونيف على عدد بعضهم وعدد
كلمات إنا أعطيناك الكوثر عشر كلمات فتجزأ القرآن على نسبة عدد إنا أعطيناك
الكوثر أزيد من سبعة آلاف جزء كل واحد منها معجز في نفسه ثم إعجازه كما
تقدم بوجهين طريق بلاغته وطريق نظمه فصار كل جزء من هذا العدد
معجزتان فتضاعف العدد من هذا الوجه ثم فيه وجوه إعجاز أخر من الإخبار
بعلوم الغيب فقد يكون في السورة الواحدة من هذه التجزئة الخبر عن أشياء من
الغيب كل خبر منها معجز فتضاعف العدد كرة أخرى ثم وجوه الإعجاز الأخر
التي ذكرناها توجب التضعيف هذا في حق القرآن فلا يكاد يأخذ العد معجزاته
ولا يحوي الحصر براهينه ثم الأحاديث الواردة والأخبار الصادرة عنه

عليه السلام في هذه الأبواب وعمادا على أمره بما أشرنا إلى جملته يبلغ نحوا
من هذا الوجه الثاني وضوح معجزاته صلى الله عليه وسلم فإن معجزات
الرسل صلوات الله عليهم كانت بقدر همم أهل زمانهم وبحسب الفن الذي
سما فيه قرنه فلما كان زمن موسى عليه السلام غاية علم أهله السحر بعث
إليهم موسى بمعجزة تشبه ما يدعون قدرتهم عليه فجاءهم منها ما خرق عادتهم
ولم يكن في قدرتهم وأبطل سحرهم وكذلك زمن عيسى عليه السلام أغنى ما
كان الطب وأوفر ما كان أهله فجاءهم أمر لا يستطيعونه وأتاهم ما
لم يحتسبوه من إحياء الميت وإبراء الأكمه والأبرص دون معالجة ولا طب
وهكذا سائر معجزات الأنبياء صلوات الله عليهم. ثم إن الله تعالى بعث محمدا
صلى الله عليه وسلم وجملة معارف العرب وعلومها أربعة. البلاغة. والشعر.
والخبر. والكهانة. فأنزل عليه القرآن الخارق لهذه الأربعة فصول من الفصاحة
والإيجاز والبلاغة الخارجة عن نمط كلامهم. ومن النظم الغريب والأسلوب
العجيب الذي لم يهتدوا في المنظوم إلى طريقه. ولا علموا في أساليب الأوزان
منهجه. ومن الإخبار عن الكوائن والحوادث والأسرار والمخبآت والضمائر
فتوجد على ما كانت ويعترف المخبر عنها بصحة ذلك وصدقه وإن كان
أعدى العدو. فأبطل الكهانة التي تصدق مرة وتكذب عشرا. ثم اجتثها
من أصلها برجم الشهب ورصد النجوم. وجاء من الأخبار عن القرون السالفة.
وأنباء الأنبياء والأمم البائدة. والحوادث الماضية ما يعجز من تفرغ لهذا العلم
عن بعضه على الوجوه التي بسطناها وبينا المعجز فيها. ثم بقيت هذه المعجزة الجامعة
لهذه الوجوه إلى الفصول الأخر التي ذكرناها في معجزات القرآن ثابتة إلى يوم القيامة
بينة الحجة لكل أمة تأتي لا يخفى وجوه ذلك على من نظر فيه وتأمل وجوه إعجازه

إلى ما أخبر به من الغيوب على هذه السبل، فلا يمر عصر ولا زمن إلا ويظهر فيه
صدقه بظهور مخبره على ما أخبر، فيتجدد الإيمان، ويتظاهر البرهان، وليس
الخبر كالعيان، وللمشاهدة زيادة في اليقين، والنفس أشد طمأنينة إلى عين اليقين
منها إلى علم اليقين، وإن كان كل عندها حقا، وسائر معجزات الرسل صلوات
الله عليهم انقرضت بانقراضهم، وعدمت بعدم ذواتها، ومعجزة نبينا صلى الله
عليه وسلم لا تبيد ولا تنقطع، وآياته تتجدد ولا تضمحل، ولهذا أشار عليه السلام
بقوله فيما أخبرنا القاضي الشهيد، حدثنا القاضي أبو الوليد، حدثنا أبو ذر،
حدثنا أبو محمد وأبو إسحاق وأبو الهيثم قالوا حدثنا الفربري، حدثنا البخاري،
حدثنا عبد العزيز بن عبد الله، حدثنا الليث عن سعيد عن أبيه عن أبي هريرة
رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ما من الأنبياء نبي إلا أعطي من الآيات
ما مثله آمن عليه البشر، وإنما كان الذي أوتيت وحيا أوحاه الله إلي، فأرجو
أني أكثرهم تابعا يوم القيامة. هذا معنى الحديث عند بعضهم، وهو الظاهر
والصحيح إن شاء الله، وذهب غير واحد من العلماء في تأويل هذا الحديث وظهور
معجزة نبينا عليه السلام إلى معنى آخر من ظهورها بكونها وحيا وكلاما لا يمكن
التخييل فيه، ولا التحيل عليه والتشبيه، فإن غيرها من معجزات الرسل قد
رام المعاندون لها بأشياء طمعوا في التخييل بها على الضعفاء، كإلقاء السحرة حبالهم
وعصيهم، وشبه هذا مما يخيله الساحر أو يتحيل فيه، والقرآن كلام ليس للحيلة
ولا للسحر في التخييل فيه عمل، فكان من هذا الوجه عندهم أظهر من غيره من
المعجزات، كما لا يتم لشاعر ولا خطيب أن يكون شاعرا أو خطيبا بضرب من الحيل
والتمويه، والتأويل الأول أخلص وأرضى، وفي هذا التأويل الثاني ما يغمض الخفي
عليه ويغضي عنه [illegible] على مذهب من قال بالصرفة، وأن المعارضة كانت في

مقدور البشر فصرفوا عنها أو على الحد مذهب أهل السنة من أن الإتيان
بمثله من جنس مقدورهم ولكن لم يكن ذلك قبل ولا يكون بعد لأن الله تعالى
لم يقدرهم ولا يقدرهم عليه وبين المذهبين فرق بين وعليهما جميعا ترك
العرب الإتيان بما في مقدورهم أو ما هو من جنس مقدورهم ورضاهم بالبلاء
والجلاء والسباء والإذلال وتغير الحال وسلب النفوس والأموال والتقريع
والتوبيخ والتعجيز والتهديد والوعيد أبين آية للعجز عن الإتيان بمثله والنكول
عن معارضته وأنهم منعوا عن شيء هو من جنس مقدورهم وإلى هذا ذهب الإمام
أبو المعالي الجويني وغيره قال وهذا عندنا أبلغ في خرق العادة بالأفعال البديعة
في أنفسها كقلب العصا حية ونحوها فإنه قد يسبق إلى بال الناظر بدارا أن
ذلك من اختصاص صاحب ذلك بمزيد معرفة في ذلك الفن وفضل علم إلى
أن يرد ذلك صحيح النظر وأما التحدي للعقلاء بكلام من جنس كلامهم
جنس كلامهم ليأتوا بمثله فلم يأتوا فلم يبق بعد توفر الدواعي على المعارضة
ثم عدمها إلا منع الله الخلق عنها بمثابة ما لو قال نبي آيتي أن يمنع الله القادر
عن القيام مع قدرتهم عليه وارتفاع الزمانة عنهم فلو كان ذلك وعجزهم الله
عن القيام لكان ذلك من أبهر آية وأظهر دلالة وبالله التوفيق وقد غاب
عن بعض العلماء وجه ظهور آيته على سائر آيات الأنبياء عليهم السلام حتى احتاج
للعذر عن ذلك بدقة أفهام العرب وذكاء ألبابها ووفور عقولها وأنهم
أدركوا المعجزة فيه بفطنتهم وجاءهم من ذلك بحسب إدراكهم وغيرهم من
القبط وبني إسرائيل وغيرهم لم يكونوا بهذه السبيل بل كانوا من الغباوة وقلة
الفطنة بحيث جوز عليهم فرعون أنه ربهم وجوز عليهم السامري ذلك في العجل
بعد إيمانهم وعبدوا المسيح مع إجماعهم على صلبه وما قتلوه وما صلبوه ولكن

مطلب

شبه

شبهة هم فحالهم من الأسباب الظاهرة المبينة للأبصار بقدر غلط أفهامهم
بما لا تستكون فيه ومع هذا فقالوا لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة ولم يصبروا
على المن والسلوى واستبدلوا الذي هو أدنى بالذي هو خير. والعرب على
جاهليتها أكثرها يعترف بالصانع وإن كانت تتقرب بالأصنام إلى الله زلفى.
ومنهم من آمن بالله وحده من قبل الرسول صلى الله عليه وسلم بدليل عقله وصفاء
لبه. ولما جاءهم الرسول صلى الله عليه وسلم بكتاب الله تعالى فهموا حكمته وتبينوا
بفضل إدراكهم لأول وهلة معجزته فآمنوا به وازدادوا كل يوم إيمانا ورفضوا
الدنيا كلها في صحبته صلى الله عليه وسلم وهجروا ديارهم وأموالهم وقتلوا آباءهم
وأبناءهم في نصرته. وأتى في معنى هذا بما يلوح له رونق ويعجب منه زبرج لو
احتيج إليه وحقق لكنا قدمنا من بيان معجزة نبينا صلى الله عليه وسلم وظهورها
ما يغني عن ركوب بطون هذه المسالك وظهورها. وبالله أستعين وهو حسبي.

وحده

القسم الثاني فيما يجب على الأنام من حقوقه صلى الله عليه وسلم

من نصف الكتاب

قال القاضي أبو الفضل رحمه الله ورضي عنه: وهذا قسم لخصنا فيه الكلام
في أربعة أبواب على ما ذكرناه في أول الكتاب ومجموعها في وجوب تصديقه
واتباعه وطاعته ومحبته ومناصحته وتوقيره وبره وحكم الصلاة عليه
والتسليم وزيارة قبره صلى الله عليه وسلم.

الباب الأول

في فرض الإيمان به ووجوب طاعته واتباع سنته صلى الله عليه وسلم. إذا تقرر
بما قدمناه ثبوت نبوته وصحة رسالته وجب الإيمان به وتصديقه فيما أتى
به صلى الله عليه وسلم. قال الله تعالى: فآمنوا بالله ورسوله والنور الذي أنزلنا.
وقال تعالى: إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا لتؤمنوا بالله ورسوله.
وقال تعالى: فآمنوا بالله ورسوله النبي الأمي الآية. فالإيمان بالنبي محمد عليه السلام

واجب متعين لا يتم إيمان إلا به ولا يصح إسلام إلا معه. قال الله تعالى
ومن لم يؤمن بالله ورسوله فإنا أعتدنا للكافرين سعيرا. أخبرنا أبو محمد
الخشني الفقيه بقراءتي عليه حدثنا الإمام أبو علي الطبري حدثنا عبد الغافر
الفارسي حدثنا ابن عمرويه حدثنا ابن سفيان حدثنا أبو الحسين حدثنا
أمية بن بسطام حدثنا يزيد بن زريع حدثنا روح عن العلاء بن عبد الرحمن
ابن يعقوب عن أبيه عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله ويؤمنوا بي وبما
جئت به فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم
على الله تعالى. قال [illegible] والإيمان به عليه السلام هو تصديق
نبوته ورسالة الله له وتصديقه في جميع ما جاء به وما قاله ومطابقة
تصديق القلب بذلك شهادة اللسان بأنه رسول الله صلى الله عليه وسلم
فإذا اجتمع التصديق به بالقلب والنطق بالشهادة بذلك باللسان
تم الإيمان به والتصديق له كما ورد في الحديث نفسه من رواية عبد الله
ابن عمر رضي الله عنهما أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن
محمدا رسول الله. وقد زاده وضوحا في حديث جبريل عليه السلام إذ قال
أخبرني عن الإسلام فقال النبي صلى الله عليه وسلم أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن
محمدا رسول الله. وذكر أركان الإسلام ثم سأله عن الإيمان فقال أن تؤمن بالله
وملائكته وكتبه ورسله الحديث. فقد قرر أن الإيمان به محتاج إلى العقد
بالجنان والإسلام به مضطر إلى النطق باللسان وهذه الحالة المحمودة التامة
وأما الحالة المذمومة فالشهادة باللسان دون تصديق القلب وهذا هو النفاق
قال الله تعالى إذا جاءك المنافقون قالوا نشهد إنك لرسول الله والله يعلم إنك

لرسوله

لرسوله والله يشهد إن المنافقين لكاذبون. أي كاذبون في قولهم ذلك عن اعتقاد
وتصديق بقلوبهم وهم لا يعتقدونه فلما لم يصدقوا بذلك بضمائرهم لم ينفعهم أن يقولوا
بألسنتهم ما ليس في قلوبهم فخرجوا عن اسم الإيمان ولم يكن لهم في الآخرة حكمه
إذ لم يكن معهم ولحقوا بالكافرين في الدرك الأسفل من النار وبقي عليهم حكم الإسلام
بإظهار شهادة اللسان في أحكام الدنيا المتعلقة بالأئمة وحكام المسلمين الذين
أحكامهم على الظواهر بما أظهروه من علامة الإسلام إذ لم يجعل للبشر سبيل إلى السرائر
ولا أمروا بالبحث عنها بل نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن التحكم عليها وذم ذلك
وقال هلا شققت عن قلبه. وللفرق بين القول والعقد ما جعل في حديث
جبريل عليه السلام الشهادة من الإسلام والتصديق من الإيمان. وبقيت
حالتان أخريان بين هذين إحداهما أن يصدق بقلبه ثم يخترم قبل اتساع وقت
للشهادة بلسانه فاختلف فيه. فشرط بعضهم من تمام الإيمان القول والشهادة به
ورآه بعضهم مؤمنا مستوجبا للجنة لقوله عليه السلام يخرج من النار من كان في
قلبه مثقال ذرة من إيمان. فلم يذكر سوى ما في القلب. وهذا مؤمن بقلبه غير
عاص ولا مفرط بترك غيره. وهذا هو الصحيح في هذا الوجه. الثانية أن يصدق
بقلبه ويطول مهله وعلم ما يلزمه من الشهادة فلم ينطق بها جملة ولا استشهد
في عمره ولا مرة فهذا اختلف فيه أيضا فقيل هو مؤمن لأنه مصدق والشهادة
من جملة الأعمال فهو عاص بتركها غير مخلد وقيل ليس بمؤمن حتى يقارن عقده
شهادة إذ الشهادة إنشاء عقد والتزام إيمان وهي مرتبطة مع العقد ولا يتم
التصديق مع المهلة إلا بها وهذا هو الصحيح وهذا يستدعي إلى متسع من الكلام
في الإسلام والإيمان وأبوابهما وفي الزيادة فيهما والنقصان. وهل التجزي ممتنع
على مجرد التصديق لا يصح فيه جملة وإنما يرجع إلى ما زاد عليه من عمل أو قد يعرض فيه

عليها

والفرق

شهادته

لاختلاف صفاته وتباين حاله لأنه من قوة يقين وتصميم اعتقاد ووضوح معرفة
ودوام حالة وحضور قلب . وفي بسط هذا خروج عن غرض التأليف وفيما ذكرنا
غنية فيما قصدنا إن شاء الله تعالى . فصل وأما وجوب طاعته صلى الله عليه وسلم
فإذا وجب الإيمان به وتصديقه فيما جاء به وجبت طاعته لأن ذلك مما أتى به
قال الله تعالى يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وقال تعالى
قل أطيعوا الله والرسول وأطيعوا الله والرسول لعلكم ترحمون وقال تعالى
وإن تطيعوه تهتدوا وقال تعالى من يطع الرسول فقد أطاع الله وقال تعالى
وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا وقال تعالى ومن يطع الله والرسول
فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم وقال تعالى وما أرسلنا من رسول إلا ليطاع بإذن الله
فجعل تعالى طاعة رسوله طاعته وقرن طاعته بطاعته ووعد على ذلك بجزيل
الثواب وأوعد على مخالفته بسوء العقاب وأوجب امتثال أمره واجتناب نهيه
قال المفسرون والأئمة طاعة الرسول في التزام سنته والتسليم لما جاء به
وقالوا وما أرسل الله من رسول إلا فرض طاعته على من أرسله إليه وقالوا من
يطع الرسول في سنته يطع الله في فرائضه وسئل سهل بن عبد الله عن شرائع الإسلام
فقال وما آتاكم الرسول فخذوه وقال السمرقندي يقال أطيعوا الله في فرائضه
والرسول في سنته وقيل أطيعوا الله فيما حرم عليكم والرسول فيما بلغكم ويقال
أطيعوا الله بالشهادة له بالربوبية والنبي بالشهادة له بالنبوة حدثنا أبو محمد
ابن عتاب بقراءتي عليه حدثنا حاتم بن محمد حدثنا أبو الحسن علي بن محمد بن خلف
حدثنا محمد بن أحمد حدثنا محمد بن يوسف حدثنا البخاري حدثنا عبدان حدثنا
عبد الله حدثنا يونس عن الزهري أخبرني أبو سلمة بن عبد الرحمن أنه سمع أبا هريرة
رضي الله عنه يقول إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من أطاعني فقد أطاع الله

ورسوله

مطلب

ومن عصاني فقد عصى الله ومن أطاع أميري فقد أطاعني ومن عصى أميري فقد
عصاني فطاعة الرسول من طاعة الله إذ الله أمر بطاعته فطاعته امتثال
لما أمر الله تعالى به وطاعة له وقد حكى الله تعالى عن الكفار في دركات جهنم
يوم تقلب وجوههم في النار يقولون يا ليتنا أطعنا الله وأطعنا الرسولا
فتمنوا طاعته حيث لا ينفعهم التمني وقال عليه السلام إذا نهيتكم عن شيء
فاجتنبوه وإذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم وفي حديث أبي هريرة رضي الله
عنه عليه السلام كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبى قالوا ومن يأبى قال من
أطاعني دخل الجنة ومن عصاني فقد أبى وفي الحديث الآخر الصحيح عنه عليه
السلام مثلي ومثل ما بعثني الله به كمثل رجل أتى قوما فقال يا قوم إني رأيت الجيش
بعيني وإني أنا النذير العريان فالنجا فالنجا فأطاعه طائفة من قومه فأدلجوا
فانطلقوا على مهلهم فنجوا وكذبت طائفة منهم فأصبحوا مكانهم فصبحهم الجيش
فأهلكهم واجتاحهم فذلك مثل من أطاعني واتبع ما جئت به ومثل من عصاني
وكذب ما جئت به من الحق وفي الحديث الآخر في مثله كمثل من بنى دارا وجعل
فيها مأدبة وبعث داعيا فمن أجاب الداعي دخل الدار وأكل من المأدبة
ومن لم يجب الداعي لم يدخل الدار ولم يأكل من المأدبة فالدار الجنة والداعي
محمد صلى الله عليه وسلم فمن أطاع محمدا فقد أطاع الله ومن عصى محمدا فقد عصى الله
ومحمد فرق بين الناس فصل وأما وجوب اتباعه وامتثال سنته والاقتداء
بهديه صلى الله عليه وسلم فقد قال الله تعالى قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني
يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم وقال تعالى فآمنوا بالله ورسوله النبي الأمي
الذي يؤمن بالله وكلماته واتبعوه لعلكم تهتدون وقال تعالى فلا وربك
لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت

ويسلموا تسليما • أي ينقادون لحكمك انقياد استسلام وتسليم وأسلم أي انقاد
وقال تعالى لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله الآية
قال محمد بن علي الترمذي الأسوة في الرسول صلى الله عليه وسلم الاقتداء به والاتباع
لسنته وترك مخالفته في قول أو فعل وقال غير واحد من المفسرين معناه
هو عتاب للمتخلفين عنه وقال سهل في قوله تعالى صراط الذين أنعمت عليهم
قال بمتابعة السنة فأمرهم الله بذلك ووعدهم الاهتداء باتباعه لأن الله تعالى
أرسله بالهدى ودين الحق ليزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة ويهديهم إلى صراط
مستقيم ووعدهم محبته تعالى في الآية الأخرى ومغفرته إذا اتبعوه وآثروه
على أهوائهم وما تجنح إليه نفوسهم وأن صحة إيمانهم بانقيادهم له ورضاهم
بحكمه وترك الاعتراض عليه وروي عن الحسن رضي الله عنه أن أقواما قالوا
يا رسول الله إنا نحب الله فأنزل الله تعالى قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني الآية
وروي أن الآية نزلت في كعب بن الأشرف وغيره وأنهم قالوا نحن أبناء الله وأحباؤه
ونحن أشد حبا لله فأنزل الله تعالى الآية وقال الزجاج معناه إن كنتم تحبون الله
أن تقصدوا طاعته فافعلوا ما أمركم به إذ محبة العبد لله والرسول طاعته
لهما ورضاه بما أمرا ومحبة الله لهم عفوه عنهم وإنعامه عليهم برحمته ويقال
الحب من الله عصمة وتوفيق ومن العباد طاعة كما قال القائل

تعصي الإله وأنت تظهر حبه • هذا لعمري في القياس بديع
لو كان حبك صادقا لأطعته • إن المحب لمن يحب مطيع

ويقال محبة العبد لله تعظيمه له وهيبته منه • ومحبة الله تعالى له رحمته
له وإرادته جميل له وتكون بمعنى مدحه وثنائه عليه قال القشيري رحمه الله
فإذا كان بمعنى الرحمة والإرادة والمدح كان من صفات الذات وسيأتي بعد

في محنة العبد عن هذا بحول الله تعالى حدثنا أبو إسحق إبرهيم بن جعفر الفقيه
قال حدثنا أبو الأصبغ عيسى بن سهل وحدثنا أبو الحسن يونس بن مغيث الفقيه
عن أبي عليه قالا أخبرنا حاتم بن محمد حدثنا أبو حفص الجهني حدثنا أبو بكر
الآجري حدثنا إبرهيم بن موسى الجوزي حدثنا داود بن رشيد حدثنا الوليد
ابن مسلم عن ثور بن يزيد عن خالد بن معدان عن عبد الرحمن بن عمرو الأسلمي
وحجر الكلاعي عن العرباض بن سارية في حديثه في موعظة النبي صلى الله عليه وسلم
أنه قال فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين عضوا عليها
بالنواجذ وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة
زاد في حديث جابر بمعناه وكل ضلالة في النار وفي [illegible] أبي رافع عنه
صلى الله عليه وسلم لا ألفين أحدكم متكئا على أريكته يأتيه الأمر من أمري مما
أمرت به أو نهيت عنه فيقول لا أدري ما وجدنا في كتاب الله اتبعناه وفي
حديث عائشة رضي الله عنها صنع رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئا ترخص فيه
فتنزه عنه قوم فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فحمد الله ثم قال ما بال أقوام يتنزهون
عن الشيء أصنعه فوالله إني لأعلمهم بالله وأشدهم له خشية وروي عنه
عليه السلام أنه قال القرآن صعب مستصعب على من كرهه وهو الحكم
فمن استمسك بحديثي وفهمه وحفظه جاء مع القرآن ومن تهاون بالقرآن
وحديثي خسر الدنيا والآخرة أمرت أمتي أن يأخذوا بقولي ويطيعوا أمري
ويتبعوا سنتي فمن رضي بقولي فقد رضي بالقرآن قال الله تعالى وما آتاكم
الرسول فخذوه الآية وقال عليه السلام من اقتدى بي فهو مني ومن رغب
عن سنتي فليس مني وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال
إن أحسن الحديث كتاب الله وخير الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم وشر الأمور

يحذنا بها وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه قال النبي صلى الله عليه وسلم
العلم ثلاثة فما سوى ذلك فهو فضل آية محكمة أو سنة قائمة أو فريضة عادلة
وعن الحسن بن أبي الحسن رضي الله عنه قال عليه السلام عمل قليل في سنة خير
من عمل كثير في بدعة وقال عليه السلام إن الله ليدخل العبد الجنة بالسنة
يتمسك بها وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال المتمسك
بسنتي عند فساد أمتي له أجر مائة شهيد وقال عليه السلام إن بني إسرائيل
افترقوا على إحدى وسبعين ملة وإن أمتي ستفترق على ثلاث وسبعين كلها في
النار إلا واحدة قالوا ومن هم يا رسول الله قال الذي أنا عليه اليوم وأصحابي
وعن أنس رضي الله عنه قال صلى الله عليه وسلم من أحيا سنتي فقد أحياني
ومن أحياني كان معي وعن عمرو بن عوف المزني أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لبلال
بن الحرث من أحيا سنة من سنتي قد أميتت بعدي فإن له من الأجر مثل من عمل
بها من غير أن ينقص من أجورهم شيئا ومن ابتدع بدعة ضلالة لا يرضاها الله
ورسوله كان عليه مثل آثام من عمل بها لا ينقص ذلك من أوزار الناس شيئا
فصل وأما ما ورد عن السلف والأئمة من اتباع سنته والاقتداء بهديه
وسيرته صلى الله عليه وسلم حدثنا الشيخ أبو عمران موسى بن عبد الرحمن بن أبي تليد
الفقيه سماعا عليه قال حدثنا أبو عمر الحافظ حدثنا سعيد بن نصر حدثنا
قاسم بن أصبغ ووهب بن مسرة قالا حدثنا محمد بن وضاح حدثنا يحيى بن يحيى حدثنا
مالك عن ابن شهاب عن رجل من آل خالد بن أسيد أنه سأل عبد الله بن عمر رضي الله
عنهما فقال يا أبا عبد الرحمن إنا نجد صلاة الخوف وصلاة الحضر في القرآن
ولا نجد صلاة السفر فقال ابن عمر يا ابن أخي إن الله تعالى بعث إلينا محمدا صلى الله عليه وسلم
ولا نعلم شيئا فإنما نفعل كما رأيناه يفعل وقال عمر بن عبد العزيز سن رسول الله

مطلب العلم ثلاثة

مطلب ...

صلى الله عليه وسلم وولاة الأمر بعده سننا الأخذ بها تصديق لكتاب الله تعالى
واستعمال لطاعة الله عز وجل وقوة على دين الله ليس لأحد تغييرها ولا تبديلها
ولا النظر في رأي من خالفها من اقتدى بها فهو مهتد ومن استنصر بها فهو منصور
ومن خالفها واتبع غير سبيل المؤمنين ولاه الله ما تولى وأصلاه جهنم وساءت مصيرا
وقال الحسن بن أبي الحسن رضي الله عنه عمل قليل في سنة خير من عمل كثير في بدعة
وقال ابن شهاب بلغنا عن رجال من أهل العلم قالوا الاعتصام بالسنة نجاة
وكتب عمر بن الخطاب رضي الله عنه تعلموا السنة والفرائض واللحن أي اللغة
وقال إن ناسا يجادلونكم بشبه القرآن فخذوهم بالسنن فإن أصحاب السنن
أعلم بكتاب الله وفي خبر حجر صلى بذي الحليفة ركعتين ثم قال أصنع كما رأيت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يصنع وعن علي رضي الله عنه حين قرن فقال
له عثمان رضي الله عنه تراني أنهى الناس عنه وتفعله قال لم أكن لأدع سنة
رسول الله صلى الله عليه وسلم لقول أحد من الناس وعنه ألا إني لست بنبي ولا
يوحى إلي ولكني أعمل بكتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم ما استطعت
وكان ابن مسعود يقول القصد في السنة خير من الاجتهاد في البدعة وقال
ابن عمر رضي الله عنهما صلاة السفر ركعتان من خالف السنة كفر وقال أبي بن
كعب عليكم بالسبيل والسنة فإنه ما على الأرض من عبد على السبيل والسنة
ذكر الله ففاضت عيناه من خشية ربه فيعذبه الله أبدا وما على الأرض من عبد
على السبيل والسنة ذكر الله في نفسه فاقشعر جلده من خشية الله تعالى إلا كان
مثله كمثل شجرة قد يبس ورقها فهي كذلك إذ أصابتها ريح شديدة فتحات عنها
ورقها إلا حط الله عنه خطاياه كما تحات عن الشجرة ورقها فإن اقتصادا في
سبيل وسنة خير من اجتهاد في خلاف سبيل وسنة وانظروا أن يكون عملكم

ان كان اجتهاداً أو اقتصاداً أن يكون على منهاج الأنبياء وسنتهم عليهم
السلام وكتب بعض عمال عمر بن عبد العزيز إلى عمر رضي الله عنه بحال بلده
وكثرة لصوصه هل يأخذهم بالظنة أو يحملهم على البينة وما جرت عليه
السنة فكتب إليه عمر خذهم بالبينة وما جرت عليه السنة فإن لم يصلحهم
الحق فلا أصلحهم الله وعن عطاء في قوله تعالى فإن تنازعتم في شيء فردوه
إلى الله والرسول إلى كتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال
الشافعي رضي الله عنه ليس في سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا اتباعها
وقال عمر رضي الله عنه ونظر إلى الحجر الأسود إنك حجر لا تنفع ولا تضر ولولا
أني رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقبلك ما قبلتك ثم قبله وروي
عبد الله بن عمر رضي الله عنهما يدير ناقته في مكان فسئل فقال لا أدري إلا مطلب
أني رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فعله ففعلته وقال أبو عثمان الحيري
من أمر السنة على نفسه قولاً وفعلاً نطق بالحكمة ومن أمر الهوى على نفسه
نطق بالبدعة وقال سهل التستري أصول مذهبنا ثلاثة الاقتداء بالنبي
صلى الله عليه وسلم في الأخلاق والأفعال والأكل من الحلال وإخلاص النية
في جميع الأعمال وجاء في تفسير قوله تعالى والعمل الصالح يرفعه أنه الاقتداء
برسول الله صلى الله عليه وسلم وحكي عن أحمد بن حنبل كنت يوماً مع جماعة
تجردوا ودخلوا الماء فاستعملت الحديث من كان يؤمن بالله واليوم الآخر
فلا يدخل الحمام إلا بمئزر ولم أتجرد فرأيت تلك الليلة قائلاً لي يا أحمد أبشر
فإن الله قد غفر لك باستعمالك السنة وجعلك إماماً يقتدى بك قلت من
أنت قال جبريل فصل ومخالفة أمره وترك سنته صلى الله عليه وسلم
ضلال وبدعة متوعد عليه من الله بالخذلان والعذاب قال الله تعالى فليحذر

الذين

فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم وقال
تعالى ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين
نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيرا حدثنا أبو محمد عبد الله بن أبي
جعفر وعبد الرحمن بن عتاب بقراءتي عليهما قالا حدثنا أبو القاسم حاتم بن محمد
حدثنا أبو الحسن القابسي حدثنا أبو الحسن بن مسرور الدباغ حدثنا أحمد
ابن أبي سليمان حدثنا سحنون بن سعيد حدثنا ابن القاسم حدثنا مالك
عن العلاء بن عبد الرحمن عن أبيه عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله
عليه وسلم خرج إلى المقبرة وذكر الحديث في صفة أمته وفيه فليذادن رجال
عن حوضي كما يذاد البعير الضال فأناديهم ألا هلم ألا هلم ألا هلم فيقال إنهم
قد بدلوا بعدك فأقول فسحقا فسحقا فسحقا وروى أنس رضي الله عنه أن
النبي صلى الله عليه وسلم قال من رغب عن سنتي فليس مني وقال صلى الله عليه وسلم
من أدخل في أمرنا ما ليس منه فهو رد وروى ابن أبي رافع عن أبيه عن
النبي صلى الله عليه وسلم قال لا ألفين أحدكم متكئا على أريكته يأتيه الأمر
من أمري مما أمرت به أو نهيت عنه فيقول لا أدري ما وجدنا في كتاب
الله اتبعناه زاد في حديث المقدام ألا وإن ما حرم رسول الله صلى الله عليه وسلم
مثل ما حرم الله وقال عليه السلام وجيء بكتاب في كتف كفى بقوم حمقا
أو قال ضلالا أن يرغبوا عما جاء به نبيهم إلى غير نبيهم أو كتاب غير كتابهم
فنزلت أولم يكفهم أنا أنزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم الآية وقال عليه السلام
هلك المتنطعون وقال أبو بكر الصديق رضي الله عنه لست تاركا شيئا كان
رسول الله صلى الله عليه وسلم يعمل به إلا عملت به إني أخشى إن تركت شيئا من أمره
أن أزيغ الباب الثاني في لزوم محبته صلى الله عليه وسلم

قال الله تعالى قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم
وأموال اقترفتموها الآية فكفى بهذا حضًّا وتنبيهًا ودلالة وحجة على
إلزام محبته صلى الله عليه وسلم ووجوب فرضها وعظم خطرها واستحقاقه
لها إذ قرّع تعالى من كان ماله وأهله وولده أحب إليه من الله ورسوله
وأوعدهم بقوله فتربصوا حتى يأتي الله بأمره ثم فسّقهم بتمام الآية وأعلمهم
أنهم ممن ضل ولم يهده الله حدثنا أبو علي الغساني الحافظ فيما أجازنيه وهو
مما قرأته على غير واحد قال حدثنا سراج بن عبد الله القاضي حدثنا أبو
محمد الأصيلي حدثنا المروزي حدثنا أبو عبد الله محمد بن يوسف حدثنا
محمد بن إسماعيل حدثنا يعقوب بن إبراهيم حدثنا ابن علية عن عبد العزيز
بن صهيب عن أنس رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا يؤمن
أحدكم حتى أكون أحب إليه من ولده ووالده والناس أجمعين وعن أبي هريرة
نحوه وعن أنس عنه عليه السلام ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان أن
يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله وأن
يكره أن يعود في الكفر كما يكره أن يقذف في النار وعن عمر بن الخطاب رضي الله
عنه أنه قال للنبي صلى الله عليه وسلم لأنت أحب إلي من كل شيء إلا نفسي التي بين
جنبي فقال النبي صلى الله عليه وسلم لن يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من
نفسه فقال عمر والذي أنزل عليك الكتاب لأنت أحب إلي من نفسي التي بين
جنبي فقال له النبي صلى الله عليه وسلم الآن يا عمر قال سهل من لم ير ولاية
الرسول عليه السلام عليه في جميع الأحوال ويرى نفسه في ملكه عليه السلام
لا يذوق حلاوة سنته لأن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا يؤمن أحدكم حتى
أكون أحب إليه من نفسه الحديث فصل في ثواب محبته صلى الله عليه وسلم

حدثنا

حدثنا أبو محمد بن عتاب بقراءتي عليه حدثنا أبو القاسم حاتم بن محمد حدثنا
أبو الحسن علي بن خلف حدثنا أبو زيد المروزي حدثنا محمد بن يوسف حدثنا
محمد بن إسمعيل حدثنا عبدان حدثنا أبي حدثنا شعبة عن عمرو بن مرة عن
سالم بن أبي الجعد عن أنس رضي الله عنه أن رجلا أتى النبي صلى الله عليه وسلم
فقال متى الساعة يا رسول الله قال ما أعددت لها قال ما أعددت لها من كثير
صلاة ولا صوم ولا صدقة ولكني أحب الله ورسوله قال أنت مع من أحببت
وعن صفوان بن قدامة هاجرت إلى النبي صلى الله عليه وسلم فأتيته فقلت يا
رسول الله ناولني يدك أبايعك فناولني يده فقلت يا رسول الله إني أحبك قال
المرء مع من أحب وروى هذا اللفظ عن النبي صلى الله عليه وسلم عبد الله بن مسعود
وأبو موسى وأنس وعن أبي ذر بمعناه وعن علي رضي الله عنه أن النبي صلى الله
عليه وسلم أخذ بيد حسن وحسين رضي الله عنهما فقال من أحبني وأحب هذين
وأباهما وأمهما كان معي في درجتي يوم القيمة وروي أن رجلا أتى النبي صلى الله
عليه وسلم فقال يا رسول الله لأنت أحب إلي من أهلي ومالي وإني لأذكرك فما
أصبر حتى أجيء فأنظر إليك وإني ذكرت موتي وموتك فعرفت أنك إذا دخلت
الجنة رفعت مع النبيين وإن دخلتها لا أراك فأنزل الله تعالى ومن يطع الله
والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء
والصالحين وحسن أولئك رفيقا فدعا به فقرأها عليه وفي حديث آخر كان رجل
عند النبي صلى الله عليه وسلم ينظر إليه لا يطرف فقال ما بالك قال بأبي وأمي
أتمتع من النظر إليك فإذا كان يوم القيمة رفعك الله بتفضيله فأنزل الله
الآية وفي حديث أنس رضي الله عنه من أحبني كان معي في الجنة فصل
فيما روي عن السلف والأئمة من محبتهم للنبي صلى الله عليه وسلم وشوقهم له حدثنا

[illegible]

القاضي الشهيد حدثنا العذري حدثنا الرازي حدثنا الجلودي
حدثنا ابن سفيان حدثنا مسلم حدثنا قتيبة حدثنا يعقوب بن عبد الرحمن
عن سهيل عن أبيه عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال من أشد أمتي لي حبا ناس يكونون بعدي يود أحدهم لو رآني بأهله وماله
ومثله عن أبي ذر وقد تقدم حديث عمر رضي الله عنه وقوله للنبي صلى الله عليه وسلم
لأنت أحب إلي من نفسي وما تقدم عن الصحابة في مثله وعن عمرو بن العاص ما كان
أحد أحب إلي من رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن عبدة بنت خالد بن معدان
قالت ما كان خالد يأوي إلى فراش إلا وهو يذكر من شوقه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم
وإلى أصحابه من المهاجرين والأنصار يسميهم ويقول هم أصلي وفصلي وإليهم يحن
قلبي طال شوقي إليهم فعجل رب قبضي إليك حتى يغلبه النوم وروي عن أبي بكر
رضي الله عنه أنه قال للنبي صلى الله عليه وسلم والذي بعثك بالحق لإسلام
أبي طالب كان أقر لعيني من إسلامه يعني أباه أبا قحافة وذلك أن إسلام أبي
طالب كان أقر لعينك ونحوه عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قاله للعباس أن تسلم
أحب إلي من أن يسلم الخطاب لأن ذلك أحب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم
وعن ابن إسحاق أن امرأة من الأنصار قتل أبوها وأخوها وزوجها يوم أحد مع
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت ما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا خيرا هو
بحمد الله كما تحبين قالت أرنيه حتى أنظر إليه فلما رأته قالت كل مصيبة بعدك جلل
وسئل علي بن أبي طالب رضي الله عنه كيف كان حبكم لرسول الله صلى الله عليه وسلم
قال كان والله أحب إلينا من أموالنا وأولادنا وآبائنا وأمهاتنا ومن الماء البارد
على الظمأ وعن زيد بن أسلم خرج عمر رضي الله عنه ليلة يحرس فرأى مصباحا
في بيت وإذا عجوز تنفش صوفا وتقول على محمد صلاة الأبرار صلى عليه الطيبون

الأخيار، قد كنت قواماً بكا بالأسحار، يا ليت شعري والمنايا أطوار هل تجمعني
وحبيبي الدار، تعني النبي صلى الله عليه وسلم، فجلس عمر رضي الله عنه يبكي، وفي
الحكاية طول. وروي أن عبد الله بن عمر رضي الله عنه خدرت رجله فقيل له
اذكر أحب الناس إليك يزل عنك، فصاح: يا محمداه، فانتشرت. ولما احتضر
بلال نادت امرأته: واحرباه، فقال: واطرباه، غداً ألقى الأحبة محمداً وحزبه.
ويروى أن امرأة قالت لعائشة رضي الله عنها: اكشفي لي قبر رسول الله صلى الله
عليه وسلم، فكشفته لها فبكت حتى ماتت. ولما أخرج أهل مكة زيد بن الدثنة
من الحرم ليقتلوه قال له أبو سفيان بن حرب: أنشدك الله يا زيد أتحب أن محمداً
الآن عندنا مكانك نضرب عنقه وأنك في أهلك؟ فقال زيد: والله ما أحب
أن محمداً الآن في مكانه الذي هو فيه تصيبه شوكة وأني جالس في أهلي. فقال أبو
سفيان: ما رأيت من الناس أحداً يحب أحداً كحب أصحاب محمد محمداً صلى الله عليه وسلم.
وعن ابن عباس رضي الله عنهما: كانت المرأة إذا أتت النبي صلى الله عليه وسلم حلّفها
بالله ما خرجت من بغض زوج ولا رغبة بأرض عن أرض، وما خرجت إلا حباً
لله ورسوله. ووقف ابن عمر على ابن الزبير بعد قتله فاستغفر له وقال: كنت والله
ما علمت صواماً قواماً تحب الله ورسوله. فصل في علامة محبته عليه السلام.
اعلم أن من أحب شيئاً آثره وآثر موافقته، وإلا لم يكن صادقاً في حبه وكان مدعياً،
فالصادق في حب النبي صلى الله عليه وسلم من تظهر علامات ذلك عليه، وأولها
الاقتداء به واستعمال سنته واتباع أقواله وأفعاله وامتثال أوامره واجتناب
نواهيه والتأدب بآدابه في عسره ويسره ومنشطه ومكرهه، وشاهد هذا
قوله تعالى: قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله، وإيثار ما شرعه
وحض عليه على هوى نفسه وموافقة شهوته، قال الله تعالى: والذين تبوءوا الدار

مطلب

نفسه

ر والإيمان من قبلهم يحبون من هاجر إليهم ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا
ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة. وابتغاء العباد في رضا الله تعالى
حدثنا القاضي أبو علي الحافظ رحمه الله. حدثنا أبو الحسين الصيرفي وأبو الفضل
ابن خيرون. قالا حدثنا أبو يعلى البغدادي. حدثنا أبو علي السنجي حدثنا محمد بن
محبوب. حدثنا أبو عيسى حدثنا مسلم بن حاتم حدثنا محمد بن عبد الله الأنصاري.
عن أبيه عن علي بن زيد عن سعيد بن المسيب قال قال أنس بن مالك رضي الله عنه قال لي
رسول الله صلى الله عليه وسلم يا بني إن قدرت أن تصبح وتمسي ليس في قلبك غش لأحد
فافعل ثم قال لي يا بني وذلك من سنتي. ومن أحيا سنتي فقد أحبني. ومن أحبني كان
معي في الجنة. فمن اتصف بهذه الصفة فهو كامل المحبة لله ورسوله ومن خالفها
في بعض هذه الأمور فهو ناقص المحبة ولا يخرج عن اسمها. ودليله قوله عليه
السلام للذي حده في الخمر فلعنه بعضهم وقال ما أكثر ما يؤتى به فقال صلى الله
عليه وسلم لا تلعنه فإنه يحب الله ورسوله. ومن علامات محبة النبي صلى الله عليه وسلم
كثرة ذكره له فمن أحب شيئا أكثر من ذكره. ومنها كثرة شوقه إلى لقائه صلى الله عليه وسلم
فكل حبيب يحب لقاء حبيبه وفي حديث الأشعريين عند قدومهم المدينة أنهم
كانوا يرتجزون. غدا نلقى الأحبة محمدا وصحبه. وبعده قول بلال. ومثله
قال عمار قبل قتله وما ذكرناه من قصة خالد بن معدان. ومن علاماته مع كثرة
ذكره تعظيمه له صلى الله عليه وسلم وتوقيره عند ذكره. وإظهار الخشوع والانكسار
مع سماع اسمه قال إسحاق التجيبي كان أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم بعده لا يذكرونه
إلا خشعوا واقشعرت جلودهم وبكوا وكذلك كثير من التابعين. منهم من يفعل ذلك
محبة له وشوقا إليه ومنهم من يفعله تهيبا وتوقيرا ومنها محبته لمن أحب
النبي صلى الله عليه وسلم وهو بسببه من آل بيته وصحابته من المهاجرين والأنصار

وعداوة

وعداوة من عاداهم وبغض من أبغضهم وسبهم فمن أحب شيئا أحب من يحب
وقد قال عليه السلام في الحسن والحسين رضي الله عنهما اللهم إني أحبهما
فأحبهما وفي رواية في الحسن فأحب من يحبه وقال عليه السلام من أحبهما
فقد أحبني ومن أحبني فقد أحب الله ومن أبغضهما فقد أبغضني ومن أبغضني
فقد أبغض الله وقال عليه السلام الله الله في أصحابي لا تتخذوهم غرضا
من بعدي فمن أحبهم فبحبي أحبهم ومن أبغضهم فببغضي أبغضهم ومن آذاهم فقد آذاني
ومن آذاني فقد آذى الله ومن آذى الله يوشك أن يأخذه وقال صلى الله
عليه وسلم في فاطمة رضي الله عنها إنها بضعة مني يغضبني ما أغضبها
وقال عليه السلام لعائشة رضي الله عنها في أسامة بن زيد أحبيه فإني
أحبه وقال عليه السلام آية الإيمان حب الأنصار وآية النفاق بغض الأنصار
وفي حديث ابن عمر رضي الله عنهما من أحب العرب فبحبي أحبهم ومن أبغضهم
فببغضي أبغضهم • فبالحقيقة من أحب شيئا أحب كل شيء يحبه • وهذه
سيرة السلف حتى في المباحات وشهوات النفس وقد قال أنس رضي الله عنه
حين رأى النبي صلى الله عليه وسلم يتتبع الدباء من حوالي القصعة فما زلت
أحب الدباء من يومئذ • وهذا الحسن بن علي وعبد الله بن عباس وابن جعفر
رضي الله عنهم أتوا سلمى وسألوها أن تصنع لهم طعاما مما كان يعجب
رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان ابن عمر يلبس النعال السبتية ويصبغ
بالصفرة إذ رأى النبي صلى الله عليه وسلم يفعل نحو ذلك ومنها بغض من
أبغض الله ورسوله ومعاداة من عاداه ومجانبة من خالف سنته وابتدع
في دينه واستثقاله كل أمر يخالف شريعته • قال الله تعالى لا تجد قوما
يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله وهؤلاء أصحابه

عليه السلام قد قتلوا احبّاءهم وقاتلوا آباءهم وابناءهم في مرضاته
وقال سهل عبد الله بن عبد الله بن ابيّ لو شئت لأتيتك برأسه يعني اباه
ومنها ان يحب القرآن الذي اتى به عليه السلام وهدى به واهتدى
وتخلّق به حتى قالت عائشة رضي الله عنها كان خلقه القرآن وحبه للقرآن
تلاوته والعمل به وتفهّمه ويحب سنته ويقف عند حدودها قال
سهل بن عبد الله رحمه الله علامة حب الله حب القرآن وعلامة حب الله مطلب
وحب القرآن حب النبي صلى الله عليه وسلم وعلامة حب النبي صلى الله عليه وسلم
حب السنة وعلامة حب السنة حب الآخرة وعلامة حب الآخرة بغض
الدنيا وعلامة بغض الدنيا ان لا يدّخر منها الا زادًا وبلغة الى الآخرة
وقال ابن مسعود رضي الله عنه لا يسأل احد عن نفسه الا القرآن فان كان
يحب القرآن فهو يحب الله ورسوله ومن علامة حبه للنبي صلى الله عليه وسلم
شفقته على امته ونصحه لهم وسعيه في مصالحهم ورفع المضار عنهم كما
كان عليه السلام بالمؤمنين رؤوفا رحيما ومن علامة تمام محبته زهد
مدّعيها في الدنيا وايثاره الفقر واتصافه به وقد قال عليه السلام لابي سعيد
الخدري رضي الله عنه ان الفقر الى من يحبني منكم اسرع من السيل من اعلى
الوادي او الجبل الى اسفله وفي حديث عبد الله بن مغفل قال رجل للنبي
صلى الله عليه وسلم يا رسول الله اني احبك فقال انظر ما تقول قال والله اني
احبك ثلاث مرات قال عليه السلام ان كنت تحبني فاعدّ للفقر تجفافا ثم
ذكر نحو حديث ابي سعيد بمعناه فصل في معنى المحبة للنبي صلى الله عليه وسلم
وحقيقتها اختلف الناس في تفسير محبة الله ومحبة النبي صلى الله عليه وسلم
وكثرت عباراتهم في ذلك وليست ترجع بالحقيقة الى اختلاف مقال

ولكنها

ولكنها اختلاف أحوال فقال سفيان المحبة اتباع الرسول عليه السلام كأنه
التفت إلى قوله تعالى قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله الآية وقال
بعضهم محبة الرسول اعتقاد نصرته والذب عن سنته والانقياد لها وهيبة
مخالفته وقال بعضهم المحبة دوام الذكر للمحبوب وقال آخر إيثار المحبوب
وقال بعضهم المحبة الشوق إلى المحبوب وقال بعضهم المحبة مواطأة القلب
لمراد الرب يحب ما أحب ويكره ما كره وقال آخر المحبة ميل القلب إلى موافق له
وأكثر العبارات المتقدمة إشارة إلى ثمرات المحبة دون حقيقتها وحقيقة
المحبة الميل إلى ما يوافق الإنسان وتكون موافقته له إما لاستلذاذه بإدراكه
كحب الصور الجميلة والأصوات الحسنة والأطعمة والأشربة اللذيذة وأشباهها
مما كل طبع سليم مائل إليها لموافقتها له أو لاستلذاذه بإدراكه بحاسة
عقله وقلبه معاني باطنة شريفة كحب الصالحين والعلماء وأهل المعروف
والمأثور عنهم السير الجميلة والأفعال الحسنة فإن طبع الإنسان مائل إلى الشغف
بأمثال هؤلاء حتى يبلغ التعصب بقوم لقوم والتشيع من أمة في آخرين ما يؤدي
إلى الجلاء عن الأوطان وهتك الحرم واخترام النفوس أو يكون حبه إياه لموافقته
له من جهة إحسانه له وإنعامه عليه فقد جبلت النفوس على حب من أحسن
إليها فإذا تقرر لك هذا نظرت هذه الأسباب كلها في حقه عليه السلام
فعلمت أنه عليه السلام جامع لهذه المعاني الثلاثة الموجبة للمحبة أما جمال
الصورة والظاهر وكمال الأخلاق والباطن فقد قررنا منها قبل فيما مر من الكتاب
ما لا يحتاج إلى زيادة وأما إحسانه وإنعامه على أمته صلى الله عليه وسلم
فكذلك قد مر منه في أوصاف الله تعالى له من رأفته بهم ورحمته لهم وهدايته
إياهم وشفقته عليهم واستنقاذهم به من النار وأنه بالمؤمنين رؤوف رحيم

ورحمة للعالمين ومبشرا ونذيرا وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا ويتلو
عليهم اياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة ويهديهم الى صراط مستقيم •
فاي احسان اجل قدرا واعظم خطرا من احسانه الى جميع المومنين • واي
افضال اعم منفعة واكثر فائدة من انعامه على كافة المسلمين • اذ كان ذريعتهم
الى الهداية • ومنقذهم من العماية • وداعيهم الى الفلاح والكرامة • ووسيلتهم
الى ربهم وشفيعهم والمتكلم عنهم والشاهد لهم والموجب لهم البقاء الدائم
والنعيم السرمد • فقد استبان لك انه عليه السلام مستوجب للمحبة الحقيقية
شرعا بما قدمناه من صحيح الاثار • وعادة وجبلة بما ذكرناه انفا لافاضته
الاحسان وعمومه الاجمال • فاذا كان الانسان يحب من منحه في دنياه مرة او مرتين
معروفا او استنقذه من هلكة او مضرة مدة التاذي بها قليل منقطع • فمن
منحه ما لا يبيد من النعيم • ووقاه ما لا يفنى من عذاب الجحيم اولى بالحب • واذا
كان يحب بالطبع ملك لحسن سيرته او حاكم لما يوثر من قوام طريقته او
قاص بعيد الدار لما يشاد من علمه او كرم شيمته • فمن جمع هذه الخصال على
غاية مراتب الكمال احق بالحب واولى بالميل • وقد قال علي رضي الله عنه في
صفته عليه السلام من راه بديهة هابه • ومن خالطه معرفة احبه • وذكرنا
عن بعض الصحابة انه كان لا يصرف بصره عنه محبة فيه صلى الله عليه وسلم •

فصل في وجوب مناصحته عليه السلام • قال الله تعالى ولا على الذين لا
يجدون ما ينفقون حرج اذا نصحوا لله ورسوله ما على المحسنين من سبيل والله
غفور رحيم • قال اهل التفسير اذا نصحوا لله ورسوله اذا كانوا مخلصين
مسلمين في السر والعلانية • حدثنا الفقيه ابو الوليد هشام بن احمد
بن محمد حدثنا ابو يوسف بن عبد الله حدثنا ابن عبد المومن حدثنا ابو بكر التمار •

حدثنا أبو داود حدثنا أحمد بن يونس حدثنا زهير حدثنا سهيل بن أبي
صالح عن عطاء بن يزيد عن تميم الداري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
إن الدين النصيحة إن الدين النصيحة إن الدين النصيحة قالوا لمن يا رسول الله
قال لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم قال أئمتنا رحمهم الله
النصيحة لله ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم واجبة قال الإمام أبو سليمان
البستي النصيحة كلمة يعبر بها عن جملة إرادة الخير للمنصوح له وليس يمكن
أن يعبر عنها بكلمة واحدة تحصرها ومعناها في اللغة الإخلاص من قولهم
نصحت العسل إذا خلصته من شمعه وقال أبو بكر بن أبي إسحق الخفاف النصح فعل
الشيء الذي به الصلاح والملائمة مأخوذ من النصاح وهو الخيط الذي يخاط به
الثوب وقال أبو إسحق الزجاج نحوه. فنصيحة الله تعالى صحة الاعتقاد له
بالوحدانية ووصفه بما هو أهله وتنزيهه عما لا يجوز عليه والرغبة في
محابه والتعبد من مساخطه والإخلاص في عبادته. والنصيحة لكتابه الإيمان
به والعمل بما فيه وتحسين تلاوته والتخشع عنده والتعظيم له وتفهمه والتفقه
فيه والذب عنه من تأويل الغالين وطعن الملحدين. والنصيحة لرسوله صلى الله
عليه وسلم التصديق بنبوته وبذل الطاعة له فيما أمر به ونهى عنه قال أبو سليمان
وقال أبو بكر ومؤازرته ونصرته وحمايته حياً وميتاً وإحياء سنته بالطلب والذب
عنها ونشرها والتخلق بأخلاقه الكريمة وآدابه الجميلة. وقال أبو إبرهيم إسحق
التجيبي نصيحة رسول الله صلى الله عليه وسلم التصديق بما جاء به والاعتصام
بسنته ونشرها والحض عليها والدعوة إلى الله وإلى كتابه وإلى رسوله وإليها
وإلى العمل بها وقال أحمد بن محمد من مفروضات القلوب اعتقاد النصيحة لرسول الله
صلى الله عليه وسلم. قال أبو بكر الآجري وغيره النصح له يقتضي نصحين نصحاً في

حياته ونصحًا بعد مماته، ففي حياته نصح أصحابه له بالنصر والمحاماة عنه ومعاداة
من عاداه والسمع والطاعة له وبذل النفوس والأموال دونه كما قال الله تعالى
رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه الآية، وقال تعالى وينصرون الله ورسوله
الآية. وأما نصيحة المسلمين له بعد وفاته صلى الله عليه وسلم فالتزام التوقير
والإجلال له وشدة المحبة له والمثابرة على تعلم سنته والتفقه في شريعته ومحبة
آل بيته وأصحابه ومجانبة من رغب عن سنته وانحرف عنها وبغضه والتحذير
منه والشفقة على أمته والبحث عن تعرف أخلاقه وسيره وآدابه والصبر على
ذلك فعلى ما ذكره تكون النصيحة إحدى ثمرات محبته وعلامة من علاماتها
كما أنشدناه حكى الإمام أبو القاسم القشيري أن عمرو بن الليث أحد ملوك خراسان مطلب
ومشاهير الثوار المعروف بالصفار رؤي في النوم فقيل له ما فعل الله بك قال غفر لي
فقيل بماذا قال صعدت ذروة جبل يومًا فأشرفت على جنودي فأعجبتني كثرتهم
فتمنيت أني حضرت رسول الله صلى الله عليه وسلم فأعنته ونصرته فشكر الله لي
ذلك وغفر لي. وأما النصح لأئمة المسلمين فطاعتهم في الحق ومعونتهم فيه وأمرهم
به وتذكيرهم إياه على أحسن وجه وتنبيههم على ما غفلوا عنه وكتم عنهم من أمور
المسلمين وترك الخروج عليهم وتضريب الناس وإفساد قلوبهم عليهم. والنصيحة
لعامة المسلمين إرشادهم إلى مصالحهم ومعونتهم في أمر دينهم ودنياهم بالقول
والفعل وتنبيه غافلهم وتبصير جاهلهم ورفد محتاجهم وستر عوراتهم
ودفع المضار عنهم وجلب المنافع إليهم. الباب الثالث [illegible]
أمره ووجوب توقيره وبره قال الله تعالى إنا أرسلناك شاهدًا ومبشرًا
ونذيرًا لتؤمنوا بالله ورسوله وتعزروه وتوقروه وتسبحوه بكرة وأصيلًا
وقال تعالى يا أيها الذين آمنوا لا تقدموا بين يدي الله ورسوله، يا أيها الذين آمنوا

لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي الثلاث الآيات وقال تعالى لا تجعلوا دعاء
الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا فأوجب تعالى تعزيره وتوقيره وألزم
إكرامه وتعظيمه قال ابن عباس رضي الله عنهما تعزروه تجلوه وقال المبرد
تعزروه تبالغوا في تعظيمه وقال الأخفش تنصروه وقال الطبري تعينوه
وقرئ تعززوه من العز ونهى عن التقدم بين يديه بالقول وسوء الأدب
بسبقه بالكلام على قول ابن عباس رضي الله عنهما وغيره وهو اختيار ثعلب
قال سهل بن عبد الله لا تقولوا قبل أن يقول وإذا قال فاستمعوا له وأنصتوا
ونهوا عن التقدم والتعجل بقضاء أمر قبل قضائه فيه وأن يفتاتوا بشيء من ذلك
من قتال أو غيره من أمر دينهم إلا بأمره ولا يسبقوه به إلى هذا يرجع قول الحسن
ومجاهد والضحاك والسدي والثوري ثم وعظهم وحذرهم مخالفة ذلك
فقال واتقوا الله إن الله سميع عليم قال الماوردي يعني اتقوه في التقدم وقال
السلمي اتقوا الله في إهمال حقه وتضييع حرمته إنه سميع لقولكم عليم بفعلكم
ثم نهاهم عن رفع الصوت فوق صوته والجهر له بالقول كما يجهر بعضهم لبعض
ويرفع صوته وقيل كما ينادي بعضهم بعضا باسمه قال أبو محمد مكي لا تسابقوه
بالكلام وتغلظوا له بالخطاب ولا تنادوه باسمه نداء بعضكم لبعض ولكن
عظموه ووقروه ونادوه بأشرف ما يحب أن ينادى به يا رسول الله يا نبي الله وهذا
كقوله تعالى في الآية الأخرى لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا
على أحد التأويلين وقال غيره لا تخاطبوه إلا مستفهمين ثم خوفهم الله تعالى
بحبط أعمالهم إن هم فعلوا ذلك وحذرهم منه قيل نزلت الآية في وفد بني تميم
وقيل في غيرهم أتوا النبي صلى الله عليه وسلم فنادوه يا محمد يا محمد اخرج إلينا
فذمهم الله تعالى بالجهل ووصفهم بأن أكثرهم لا يعقلون وقيل نزلت الآية

الأولى في المجاورة وكانت بين أبي بكر وعمر رضي الله عنهما بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم
رحيلا وجرى بينهما حتى ارتفعت أصواتهما وقيل نزلت في ثابت بن قيس بن شماس
خطيب النبي صلى الله عليه وسلم في مفاخرة بني تميم وكان في أذنيه صمم فكان يرفع
صوته فلما نزلت هذه الآية أقام في منزله وخشي أن يكون حبط عمله فأتى النبي
صلى الله عليه وسلم فقال يا نبي الله لقد خشيت أن أكون هلكت نهانا الله أن نجهر
بالقول وأنا امرؤ جهير الصوت فقال النبي صلى الله عليه وسلم يا ثابت أما ترضى
أن تعيش حميدا وتقتل شهيدا وتدخل الجنة فقتل يوم اليمامة وروي أن
أبا بكر رضي الله عنه لما نزلت هذه الآية قال والله يا رسول الله لا أكلمك
بعدها إلا كأخي السرار وأن عمر رضي الله عنه كان إذا حدثه حدثه كأخي
السرار ما كان يسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد هذه الآية حتى يستفهمه
فأنزل الله تعالى فيهم إن الذين يغضون أصواتهم عند رسول الله أولئك الذين
امتحن الله قلوبهم للتقوى لهم مغفرة وأجر عظيم وقيل نزلت إن الذين ينادونك
من وراء الحجرات في وفد بني تميم نادوه باسمه صلى الله عليه وسلم وروي عن صفوان
بن عسال بينا النبي صلى الله عليه وسلم في سفر إذ ناداه أعرابي بصوت له جهوري
يا محمد يا محمد فقلنا له اغضض من صوتك فإنك قد نهيت عن رفع الصوت
وقال الله تعالى يا أيها الذين آمنوا لا تقولوا راعنا قال بعض المفسرين هي لغة كانت
في الأنصار نهوا عن قولها تعظيما للنبي صلى الله عليه وسلم وتبجيلا لأن معناها
ارعنا نرعك فنهوا عن قولها إذ مقتضاها كأنهم لا يرعونه إلا برعايته لهم
بل حقه أن يرعى على كل حال وقيل كانت اليهود تعرض بها للنبي صلى الله عليه وسلم
بالرعونة فنهي المسلمون عن قولها قطعا للذريعة ومنعا للتشبه بهم في قولها
لمشاركة اللفظة وقيل غير هذا فصل في عادة الصحابة في تعظيمه وتوقيره

وإجلاله صلى الله عليه وسلم حدثنا القاضي أبو علي الصدفي وأبو بحر الأسدي
سماعي عليهما في آخرين قالوا حدثنا أحمد بن عمر حدثنا أحمد بن الحسن حدثنا
محمد بن عيسى حدثنا إبرهيم بن سفين حدثنا مسلم حدثنا محمد بن مثنى وأبو
معن الرقاشي وإسحق بن منصور قالوا حدثنا الضحاك بن مخلد حدثنا حيوة
ابن شريح حدثني يزيد بن أبي حبيب عن ابن شماسة المهري قال حضرنا عمرو بن
العاص فذكر حديثا طويلا فيه عن عمرو قال وما كان أحد أحب إلي من رسول الله
صلى الله عليه وسلم ولا أجل في عيني منه وما كنت أطيق أن أملأ عيني منه إجلالا
له ولو سئلت أن أصفه ما أطقت لأني لم أكن أملأ عيني منه وروى الترمذي
عن أنس رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يخرج على أصحابه من
المهاجرين والأنصار وهم جلوس فيهم أبو بكر وعمر فلا يرفع أحد منهم إليه بصره
إلا أبو بكر وعمر فإنهما كانا ينظران إليه وينظر إليهما ويتبسمان إليه ويتبسم
إليهما وروى أسامة بن شريك أتيت النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه حوله
كأنما على رؤوسهم الطير وفي حديث صفته صلى الله عليه وسلم إذا تكلم أطرق جلساؤه
كأنما على رؤوسهم الطير وقال عروة بن مسعود حين وجهته قريش عام القضية
إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ورأى من تعظيم أصحابه له ما رأى وأنه لا يتوضأ
إلا ابتدروا وضوءه وكادوا يقتتلون عليه ولا يبصق بصاقا ولا يتنخم نخامة
إلا تلقوها بأكفهم فدلكوا بها وجوههم وأجسادهم ولا تسقط منه شعرة إلا
ابتدروها وإذا أمرهم بأمر ابتدروا أمره وإذا تكلم خفضوا أصواتهم عنده
وما يحدون إليه النظر تعظيما له فلما رجع إلى قريش قال يا معشر قريش إني
جئت كسرى في ملكه وقيصر في ملكه والنجاشي في ملكه وإني والله ما رأيت
ملكا في قوم قط مثل محمد صلى الله عليه وسلم في أصحابه وفي رواية إن رأيت ملكا

صح [illegible]

قط يعظمه أصحابه ما يعظم محمداً صلى الله عليه وسلم أصحابه وقد رأيت قوماً
لا يسلمونه أبداً وعن أنس رضي الله عنه لقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم
والحلاق يحلقه وأطاف به أصحابه فما يريدون أن تقع شعرة إلا في يد رجل تقع
ومن ذلك لما أذنت قريش لعثمان رضي الله عنه في الطواف بالبيت حين وجهه
النبي صلى الله عليه وسلم إليهم في القضية أبى وقال ما كنت لأفعل حتى يطوف به
رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي حديث طلحة أن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
قالوا لأعرابي جاهل سله عمن قضى نحبه وكانوا يهابونه ويوقرونه فسأله
فأعرض عنه إذ طلع طلحة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا ممن قضى نحبه
وفي حديث قيلة فلما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم جالساً القرفصاء أرعدت
من الفرق وذلك هيبة له وتعظيماً وفي حديث المغيرة كان أصحاب النبي
صلى الله عليه وسلم يقرعون بابه بالأظافير وقال البراء بن عازب لقد كنت أريد
أن أسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الأمر فأؤخر سنين من هيبته ۞
فصل واعلم أن حرمة النبي صلى الله عليه وسلم بعد موته وتوقيره وتعظيمه
لازم كما كان حال حياته وذلك عند ذكره عليه السلام وذكر حديثه وسنته
وسماع اسمه وسيرته ومعاملة آله وعترته وتعظيم أهل بيته وصحابته رضي الله
عنهم قال أبو إبراهيم التجيبي واجب على كل مؤمن متى ذكره أو ذكر عنده أن يخضع
ويخشع ويتوقر ويسكن من حركته ويأخذ في هيبته وإجلاله بما كان يأخذ به
نفسه لو كان بين يديه ويتأدب بما أدبنا الله تعالى به قال القاضي
أبو الفضل رحمه الله وهذه كانت سيرة سلفنا الصالح وأئمتنا الماضين
رضي الله عنهم حدثنا القاضي أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن الأشعري •
وأبو القاسم أحمد بن بقي الحاكم وغير واحد فيما أجازونيه قالوا أخبرنا أبو العباس

أحمد

مطلب [illegible]

أحمد بن عمر بن دلهاث قال حدثنا أبو الحسن علي بن فهر وحدثنا أبو بكر
محمد بن أحمد بن الفرج حدثنا أبو الحسن عبد الله بن المنتاب حدثنا يعقوب
ابن إسحق بن أبي إسرائيل حدثنا ابن حميد قال ناظر أبو جعفر أمير المؤمنين
مالكا في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له مالك يا أمير المؤمنين لا ترفع
صوتك في هذا المسجد فإن الله عز وجل أدب قوما فقال لا ترفعوا أصواتكم
فوق صوت النبي الآية ومدح قوما فقال إن الذين يغضون أصواتهم الآية
وذم قوما فقال إن الذين ينادونك من وراء الحجرات الآية وإن حرمته ميتا
كحرمته حيا فاستكان لها أبو جعفر فقال يا أبا عبد الله أستقبل القبلة
وأدعو أم أستقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ولم تصرف وجهك
عنه وهو وسيلتك ووسيلة أبيك آدم عليه السلام إلى الله يوم القيمة
بل استقبله واستشفع به فيشفعك الله قال الله تعالى ولو أنهم إذ ظلموا
أنفسهم جاءوك الآية وقال مالك وقد سئل عن أيوب السختياني ما حدثتكم
عن أحد إلا وأيوب أفضل منه قال وحج حجتين فكنت أرمقه فلا أسمع منه غير
أنه كان إذا ذكر النبي صلى الله عليه وسلم بكى حتى أرحمه فلما رأيت منه ما رأيت
وإجلاله للنبي صلى الله عليه وسلم كتبت عنه وقال مصعب بن عبد الله كان مالك
إذا ذكر النبي صلى الله عليه وسلم يتغير لونه وينحني حتى يصعب ذلك على جلسائه
فقيل له يوما في ذلك فقال لو رأيتم ما رأيت لما أنكرتم علي ما ترون ولقد كنت
أرى محمد بن المنكدر وكان سيد القراء لا نكاد نسأله عن حديث أبدا إلا يبكي
حتى نرحمه ولقد كنت أرى جعفر بن محمد وكان كثير الدعابة والتبسم فإذا ذكر عنده
النبي صلى الله عليه وسلم اصفر وما رأيته يحدث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا
على طهارة ولقد اختلفت إليه زمانا فما كنت أراه إلا على ثلث خصال إما مصليا

وإما صامتاً وإما يقرأ القرآن ولا يتكلم فيما لا يعنيه وكان من العلماء والعباد
الذين يخشون الله عز وجل. ولقد كان عبد الرحمن بن القاسم يذكر النبي صلى الله عليه وسلم
فينظر إلى لونه كأنه نزف منه الدم وقد جف لسانه في فمه هيبة لرسول الله صلى الله
عليه وسلم. ولقد كنت آتي عامر بن عبد الله بن الزبير فإذا ذكر عنده النبي صلى الله عليه وسلم
بكى حتى لا يبقى في عينيه دموع. ولقد رأيت الزهري وكان من أهنأ الناس وأقربهم
فإذا ذكر عنده النبي صلى الله عليه وسلم فكأنه ما عرفك ولا عرفته. ولقد كنت آتي
صفوان بن سليم وكان من المتعبدين المجتهدين فإذا ذكر النبي صلى الله عليه وسلم
بكى فلا يزال يبكي حتى يقوم الناس عنه ويتركوه. وروي عن قتادة أنه كان إذا سمع
الحديث أخذه العويل والزويل. ولما كثر على مالك الناس قيل له لو جعلت مستملياً
يسمعهم فقال قال الله تعالى يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي
وحرمته حياً وميتاً سواء. وكان ابن سيرين ربما يضحك فإذا ذكر عنده حديث
النبي صلى الله عليه وسلم خشع. وكان عبد الرحمن بن مهدي إذا قرأ حديث النبي صلى الله
عليه وسلم أمرهم بالسكوت وقال لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي ويتأول أنه يجب
له من الإنصات عند قراءة حديثه ما يجب له عند سماع قوله صلى الله عليه وسلم

فصل في سيرة السلف في تعظيم رواية حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وسنته

حدثنا الحسن بن محمد الحافظ. حدثنا أبو الفضل بن خيرون. حدثنا أبو بكر البرقاني
وغيره. حدثنا أبو الحسن الدارقطني. حدثنا علي بن مبشر. حدثنا أحمد بن سنان القطان.
حدثنا يزيد بن هارون. حدثنا المسعودي عن مسلم البطين عن عمرو بن ميمون.
قال اختلفت إلى ابن مسعود سنة فما سمعته يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا
أنه حدث يوماً فجرى على لسانه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم علاه كرب حتى
رأيت العرق يتحدر عن جبهته ثم قال هكذا إن شاء الله أو فوق ذا أو ما دون ذا أو ما هو قريب

ينزف

من دار في دواه فيربد وجهه ويتلون وقد تغرغرت عيناه واسمعت ودمعه
وقال إبراهيم بن عبد الله بن قريم الأنصاري قاضي المدينة مر مالك بن أنس رحمه الله
على أبي حازم وهو يحدث فجازه وقال إني لم أجد موضعا أجلس فيه فكرهت أن
آخذ حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا قائم وقال مالك جاء رجل إلى ابن
المسيب فسأله عن حديث وهو مضطجع فجلس وحدثه فقال له الرجل وددت
أنك لم تتعن فقال إني كرهت أن أحدثك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا مضطجع
وروي عن محمد بن سيرين أنه قد يكون يضحك فإذا ذكر عنده حديث النبي صلى الله
عليه وسلم خشع ۔ وقال أبو مصعب كان مالك بن أنس رحمه الله لا يحدث بحديث
رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا وهو على وضوء إجلالا له وحكى مالك ذلك عن
جعفر بن محمد وقال مصعب بن عبد الله كان مالك بن أنس إذا حدث عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم توضأ وتهيأ ولبس ثيابه ثم يحدث قال مصعب فسئل عن ذلك
فقال إنه حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ۔ قال مطرف كان إذا أتى الناس
مالكا خرجت إليهم الجارية فتقول لهم يقول لكم الشيخ تريدون الحديث أو المسائل
فإن قالوا المسائل خرج إليهم وإن قالوا الحديث دخل مغتسله واغتسل وتطيب
ولبس ثيابا جددا ولبس ساجه وتعمم ووضع على رأسه رداءه وتلقى له منصة فيخرج
فيجلس عليها وعليه الخشوع ولا يزال يبخر بالعود حتى يفرغ من حديث رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال غيره ولم يكن يجلس على تلك المنصة إلا إذا حدث عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال ابن أبي أويس فقيل لمالك في ذلك فقال أحب أن أعظم حديث
رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا أحدث به إلا على طهارة متمكنا قال وكان
يكره أن يحدث في الطريق أو وهو قائم أو مستعجل وقال أحب أن أفهم حديث رسول الله
صلى الله عليه وسلم ۔ قال عبد الله بن المبارك كنت عند مالك وهو يحدثنا فلدغته

عقرب ست عشرة مرة وهو يتغير لونه ويصفر ولا يقطع حديث رسول الله
صلى الله عليه وسلم فلما فرغ من المجلس وتفرق عنه الناس قلت له يا ابا عبد الله
لقد رأيت منك اليوم عجبا قال نعم انما صبرت اجلالا لحديث رسول الله
صلى الله عليه وسلم. قال ابن مهدي مشيت يوما مع مالك الى العقيق فسألته عن
حديث فانتهرني وقال لي كنت في عيني اجل من ان تسأل عن حديث رسول الله
صلى الله عليه وسلم ونحن نمشي. وسأله جرير بن عبد الحميد القاضي عن حديث
وهو قائم فأمر بحبسه فقيل له انه قاض قال القاضي احق من أدب. وذكر
ان هشام بن الغاز سأل مالكا وهو واقف فضربه عشرين سوطا ثم اشفق
فحدثه عشرين حديثا فقال هشام وددت لو زادني سياطا ويزيدني حديثا.
قال عبد الله بن صالح كان مالك والليث لا يكتبان الحديث الا وهما طاهران
وكان قتادة يستحب ان لا تقرأ احاديث النبي صلى الله عليه وسلم الا على وضوء ولا
يحدث الا على طهارة. وكان الاعمش اذا اراد ان يحدث وهو على غير وضوء تيمم.
فصل ومن توقيره صلى الله عليه وسلم وبره بر آله وذريته وامهات المؤمنين
ازواجه رضي الله عنهم اجمعين كما حض عليه عليه السلام وسلكه السلف الصالح
رضي الله عنهم قال الله تعالى انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت الآية
وقال تعالى وازواجه امهاتهم اخبرنا الشيخ ابو محمد بن محمد العدل من كتابه
وكتبت من اصله. حدثنا ابو الحسن المقرئ الفرغاني حدثتني ام القاسم بنت الشيخ
ابي بكر الخفاف. حدثني ابي حدثنا حاتم هو ابن عقيل حدثنا يحيى هو ابن اسماعيل
حدثنا يحيى هو الحماني حدثنا وكيع عن ابيه عن سعيد بن مسروق عن يزيد بن حيان
عن زيد بن ارقم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انشدكم الله اهل بيتي ثلاثا
قلنا لزيد من اهل بيته قال آل علي وآل جعفر وآل عقيل وآل العباس رضوان الله

عليهم أجمعين • وقال عليه السلام إني تارك فيكم ما إن أخذتم به لن تضلوا كتاب الله
وعترتي أهل بيتي فانظروا كيف تخلفوني فيهما • وقال عليه السلام معرفة آل محمد
براءة من النار وحب آل محمد جواز على الصراط والولاية لآل محمد أمان من العذاب
قال بعض العلماء معرفتهم هي معرفة مكانهم من النبي صلى الله عليه وسلم وإذا عرفهم
بذلك عرف وجوب حقهم وحرمتهم بسببه صلى الله عليه وسلم • وعن عمر بن أبي
سلمة لما نزلت هذه الآية إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت الآية
وذلك في بيت أم سلمة دعا فاطمة وحسنا وحسينا رضي الله عنهم فجللهم بكساء
وعلي رضي الله عنه خلف ظهره ثم قال اللهم هؤلاء أهل بيتي فأذهب عنهم
الرجس وطهرهم تطهيرا • وعن سعد بن أبي وقاص لما نزلت آية المباهلة دعا النبي
صلى الله عليه وسلم عليا وحسنا وحسينا وفاطمة رضي الله عنهم وقال اللهم
هؤلاء أهلي • وقال النبي صلى الله عليه وسلم في علي رضي الله عنه من كنت مولاه فعلي
مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه • وقال صلى الله عليه وسلم فيه لا يحبك
إلا مؤمن ولا يبغضك إلا منافق • وقال صلى الله عليه وسلم للعباس رضي الله عنه
والذي نفسي بيده لا يدخل قلب رجل الإيمان حتى يحبكم لله ولرسوله • ومن
آذى عمي فقد آذاني • وإنما عم الرجل صنو أبيه • وقال صلى الله عليه وسلم للعباس
اغد علي يا عم مع ولدك فجمعهم وجللهم بملاءته • وقال صلى الله عليه وسلم هذا
عمي وصنو أبي وهؤلاء أهل بيتي فاسترهم من النار كستري إياهم فأمنت أسكفة
الباب وحوائط البيت آمين آمين • وكان يأخذ أسامة بن زيد والحسن ويقول
اللهم إني أحبهما فأحبهما • وقال أبو بكر رضي الله عنه ارقبوا محمدا صلى الله عليه وسلم
في أهل بيته رضي الله عنهم • وقال أيضا والذي نفسي بيده لقرابة رسول الله
صلى الله عليه وسلم أحب إلي أن أصل من قرابتي • وقال صلى الله عليه وسلم أحبوا الله

من أحبّ حسنًا وحسينًا. وقال صلى الله عليه وسلم من أحبني وأحبّ هذين
وأشار إلى حسن وحسين وأباهما وأمهما كان معي في درجتي يوم القيامة. وقال
صلى الله عليه وسلم من أهان قريشًا أهانه الله. وقال صلى الله عليه وسلم قدّموا
قريشًا ولا تقدّموها. وقال عليه السلام لأم سلمة لا تؤذيني في عائشة. وعن
عقبة بن الحارث رأيت أبا بكر رضي الله عنه وجعل الحسن على عنقه وهو يقول
بأبي شبيه بالنبي ليس شبيهًا بعلي وعلي يضحك. وروي عن عبد الله بن حسن قال
أتيت عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه في حاجة فقال لي إذا كانت لك حاجة
فأرسل إليّ أو اكتب فإني أستحيي من الله أن يراك على بابي. وعن الشعبي صلى
زيد بن ثابت على جنازة أمه ثم قرّبت له بغلته ليركبها فجاء ابن عباس فأخذ
بركابه فقال زيد خلّ عنه يا ابن عم رسول الله فقال هكذا أمرنا أن نفعل بالعلماء فقبّل
زيد يد ابن عباس وقال هكذا أمرنا أن نفعل بأهل بيت نبينا صلى الله عليه وسلم
ورأى ابن عمر رضي الله عنهما محمد بن أسامة بن زيد فقال ليت هذا عبدي
فقيل له هو محمد بن أسامة فطأطأ ابن عمر رأسه ونقر بيده الأرض وقال لو رآه
رسول الله صلى الله عليه وسلم لأحبّه. وقال الأوزاعي دخلت بنت أسامة بن زيد
صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم على عمر بن عبد العزيز ومعها مولى لها يمسك
بيدها فقام لها عمر ومشى إليها حتى جعل يدها بين يديه ويداه في ثيابه ومشى بها
حتى أجلسها على مجلسه وجلس بين يديها وما ترك لها حاجة إلا قضاها. ولما
فرض عمر بن الخطاب رضي الله عنه لابنه عبد الله في ثلاثة آلاف ولأسامة بن
زيد في ثلاثة آلاف وخمسمائة قال عبد الله لأبيه لم فضّلته فوالله ما سبقني
إلى مشهد فقال له لأن زيدًا كان أحبّ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم من أبيك
وأسامة أحبّ إليه منك فآثرت حِبّ رسول الله صلى الله عليه وسلم على حِبّي.

مطلب

علم

وبلغ نفوسة أن كابس بن ربيعة يشبه برسول الله صلى الله عليه وسلم فلما دخل
عليه من باب الدار قام عن سريره وتلقاه وقبل بين عينيه واقطعه المرغاب
لشبهه صورة رسول الله صلى الله عليه وسلم وروي أن مالكا رحمه الله لما ضربه
جعفر بن سليمان ونال منه ما نال وحمل مغشيا عليه دخل عليه الناس فأفاق فقال
أشهدكم أني قد جعلت ضاربي في حل فسئل بعد ذلك فقال خفت أن أموت فألقى
النبي صلى الله عليه وسلم فأستحيي منه أن يدخل بعض آله النار بسببي وقيل
إن المنصور أقاده من جعفر فقال له أعوذ بالله والله ما ارتفع منها سوط
عن جسمي إلا وقد جعلته في حل لقرابته من رسول الله صلى الله عليه وسلم
وقال أبو بكر بن عياش لو أتاني أبو بكر وعمر وعلي رضي الله عنهم لبدأت بحاجة علي
قبلهما لقرابته من رسول الله صلى الله عليه وسلم ولأن أخر من السماء إلى الأرض أحب
إلي من أن أقدمه عليهما وقيل لابن عباس ماتت فلانة لبعض أزواج النبي
صلى الله عليه وسلم فسجد فقيل له أتسجد هذه الساعة فقال أليس قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم إذا رأيتم آية فاسجدوا وأي آية أعظم من ذهاب أزواج النبي
صلى الله عليه وسلم **فصل** ومن توقيره وبره عليه السلام توقير أصحابه وبرهم
ومعرفة حقهم والاقتداء بهم وحسن الثناء عليهم والاستغفار لهم والإمساك
عما شجر بينهم ومعاداة من عاداهم والإضراب عن أخبار المؤرخين وجهلة الرواة
وضلال الشيعة والمبتدعين القادحة في أحد منهم وأن يلتمس لهم فيما نقل عنهم من
مثل ذلك فيما كان بينهم من الفتن أحسن التأويلات ويخرج لهم أصوب المخارج
إذ هم أهل ذلك ولا يذكر أحد منهم بسوء ولا يغمص عليه أمر بل تذكر حسناتهم
وفضائلهم وحميد سيرهم ويسكت عما وراء ذلك كما قال عليه السلام إذا ذكر
أصحابي فأمسكوا قال الله تعالى محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء

منهم الى آخر السورة. وقال تعالى والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار
الآية. وقال تعالى لقد رضي الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة. وقال
تعالى من المؤمنين رجال صدقوا الآية حدثنا القاضي أبو علي فحدثنا أبو الحسين
وأبو الفضل قالا حدثنا أبو يعلى حدثنا أبو علي السنجي حدثنا محمد بن محبوب
حدثنا الترمذي حدثنا الحسن بن الصباح حدثنا سفين بن عيينة عن زائدة
عن عبد الملك بن عمير عن ربعي بن حراش عن حذيفة رضي الله عنه قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم اقتدوا باللذين من بعدي أبي بكر وعمر وقال صلى الله
عليه وسلم أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم وعن أنس رضي الله عنه قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل أصحابي كمثل الملح في الطعام لا يصلح الطعام
إلا به. وقال صلى الله عليه وسلم الله الله في أصحابي لا تتخذوهم غرضا بعدي
فمن أحبهم فبحبي أحبهم ومن أبغضهم فببغضي أبغضهم ومن آذاهم فقد آذاني
ومن آذاني فقد آذى الله ومن آذى الله يوشك أن يأخذه. وقال صلى الله عليه وسلم
لا تسبوا أصحابي فلو أنفق أحدكم مثل أحد ذهبا ما بلغ مد أحدهم ولا
نصيفه. وقال صلى الله عليه وسلم من سب أصحابي فعليه لعنة الله والملائكة
والناس أجمعين لا يقبل الله منه صرفا ولا عدلا. وقال صلى الله عليه وسلم
إذا ذكر أصحابي فأمسكوا. وقال صلى الله عليه وسلم في حديث جابر إن الله اختار
أصحابي على جميع العالمين سوى النبيين والمرسلين واختار لي منهم أربعة أبا بكر
وعمر وعثمان وعليا فجعلهم خير أصحابي وفي أصحابي كلهم خير. وقال صلى الله
عليه وسلم من أحب عمر فقد أحبني ومن أبغض عمر فقد أبغضني. قال مالك بن أنس
وغيره من أبغض الصحابة وسبهم فليس له في فيء المسلمين حق ونزع بآية الحشر
والذين جاءوا من بعدهم الآية. وقال رحمه الله من غاظه أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم

فهو كافر قال الله تعالى ليغيظ بهم الكفار • وقال عبد الله بن المبارك خصلتان
من كانتا فيه نجا • الصدق وحب أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم • قال أيوب
السختياني من أحب أبا بكر فقد أقام الدين ومن أحب عمر فقد أوضح السبيل
ومن أحب عثمان فقد استضاء بنور الله ومن أحب عليا فقد أخذ بالعروة الوثقى
ومن أحسن الثناء على أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم فقد برئ من النفاق • ومن
انتقص أحدا منهم فهو مبتدع مخالف للسنة وللسلف الصالح وأخاف أن لا
يصعد له عمل إلى السماء حتى يحبهم جميعا ويكون قلبه لهم سليما • وفي حديث خالد
ابن سعيد أن النبي صلى الله عليه وسلم قال أيها الناس إني راض عن أبي بكر فاعرفوا
له ذلك • أيها الناس إني راض عن عمر وعن علي وعن عثمان وطلحة والزبير
وسعد وسعيد وعبد الرحمن بن عوف فاعرفوا لهم ذلك • أيها الناس إن الله
غفر لأهل بدر والحديبية • أيها الناس احفظوني في أصحابي وأصهاري وأختاني
مطلب لا يطالبنكم أحد منهم بمظلمة فإنها مظلمة لا توهب في القيامة غدا • وقال
رجل للمعافى بن عمران أين عمر بن عبد العزيز من معاوية فغضب وقال لا يقاس
بأصحاب النبي صلى الله عليه وسلم أحد معاوية صاحبه وصهره وكاتبه
وأمينه على وحي الله عز وجل • وأتي النبي صلى الله عليه وسلم بجنازة رجل فلم يصل
عليه وقال كان يبغض عثمان فأبغضه الله • وقال عليه السلام في الأنصار
اعفوا عن مسيئهم واقبلوا من محسنهم • وقال صلى الله عليه وسلم احفظوني في أصحابي
وأصهاري فإنه من حفظني فيهم حفظه الله في الدنيا والآخرة ومن لم يحفظني فيهم
تخلى الله منه ومن تخلى الله منه يوشك أن يأخذه • وعنه عليه السلام اللهم من
حفظني في أصحابي كنت له حافظا يوم القيامة • وقال صلى الله عليه وسلم من حفظني
في أصحابي ورد علي الحوض ومن لم يحفظني في أصحابي لم يرد علي الحوض ولم يرني

أو من بعده. قال مالك رحمه الله هذا النبي صلى الله عليه وسلم مؤذن للخلق الذي
هدانا الله به وجعله رحمة للعالمين يخرج في جوف الليل إلى البقيع فيدعو لهم
ويستغفر لهم كالمودع لهم. وروي عن كعب أنه ليس أحد من أصحاب محمد صلى الله عليه و[سلم]
إلا له شفاعة يوم القيامة. وطلب من المغيرة بن نوفل أن يشفع له يوم القيامة.
قال سهل بن عبد الله التستري لم يؤمن بالرسول صلى الله عليه وسلم من لم يوقر أصحابه
ولم يعز أوامره. فصل ومن إعظامه وإكباره صلى الله عليه وسلم إعظام
جميع أسبابه وإكرام مشاهده وأمكنته من مكة والمدينة ومعاهده وما لمسه
عليه السلام أو عرف به. وروي عن صفية بنت نجدة قالت كان لأبي محذورة
قصة في مقدم رأسه إذا قعد وأرسلها أصابت الأرض فقيل له ألا تحلقها
فقال لم أكن بالذي أحلقها وقد مسها رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده. وكانت
في قلنسوة خالد بن الوليد رضي الله عنه شعرات من شعره صلى الله عليه وسلم فسقطت
قلنسوته في بعض حروبه فشد عليها شدة أنكر عليه أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم
كثرة من قتل فيها فقال لم أفعلها بسبب القلنسوة بل لما تضمنته من شعره عليه الصلاة
والسلام لئلا أسلب بركتها وتقع في أيدي المشركين. وروي ابن عمر رضي الله عنهما
واضعا يده على مقعد النبي صلى الله عليه وسلم من المنبر ثم وضعها على وجهه. ولهذا
كان مالك رحمه الله لا يركب بالمدينة دابة وكان يقول أستحيي من الله
أن أطأ تربة فيها رسول الله صلى الله عليه بحافر دابة. وروي أنه وهب للشافعي
رضي الله عنه كراعا كثيرا كان عنده فقال له الشافعي أمسك منها دابة فأجابه
بمثل هذا الجواب. وقد حكى أبو عبد الرحمن السلمي عن أحمد بن فضلويه الزاهد
وكان من الغزاة الرماة أنه قال ما مسست القوس بيدي إلا على طهارة منذ بلغني
أن النبي صلى الله عليه وسلم أخذ القوس بيده. وقد أفتى مالك رحمه الله فيمن قال

ان تربة المدينة ردية أن تضرب ثلثين درة وأمر بحبسه وكان له قدر
وقال ما أحوجه إلى ضرب عنقه تربة دفن فيها النبي صلى الله عليه وسلم يزعم أنها
غير طيبة وفي الصحيح أنه قال صلى الله عليه وسلم في المدينة من أحدث فيها حدثا
أو آوى محدثا فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين لا يقبل الله منه صرفا
ولا عدلا وحكي أن جهجاها الغفاري أخذ قضيب النبي صلى الله عليه وسلم من يد
عثمان رضي الله عنه وتناوله ليكسره على ركبته فصاح به الناس فأخذته الأكلة
في ركبته فقطعها ومات قبل الحول. وقال عليه السلام من حلف على منبري كاذبا
فليتبوأ مقعده من النار وحدثت أن أبا الفضل الجوهري لما ورد المدينة زائرا
وقرب من بيوتها ترجل ومشى باكيا منشدا.

ولما رأينا رسم من لم يدع لنا . فؤادا لعرفان الرسوم ولا لبا .
نزلنا عن الأكوار نمشي كرامة . لمن بان عنه أن نلم به ركبا .

وحكي عن بعض المريدين أنه لما أشرف على مدينة الرسول صلى الله عليه
وسلم أنشأ يقول متمثلا. رفع الحجاب لنا فلاح لناظري . قمر تقطع دونه الأوهام .
وإذا المطي بنا بلغن محمدا . فظهورهن على الرحال حرام . قربننا من خير من وطئ الثرى .
فلها علينا حرمة وذمام . وحكي عن بعض المشايخ أنه حج ماشيا فسئل في ذلك
فقال العبد الآبق يأتي إلى بيت مولاه راكبا لو قدرت أن أمشي على رأسي ما مشيت
على قدمي قال القاضي رحمه الله وجدير لمواطن عمرت بالوحي والتنزيل . وتردد
بها جبريل وميكائيل . وعرجت منها الملائكة والروح وضجت عرصاتها بالتقديس
والتسبيح واشتملت تربتها على جسد سيد البشر وانتشر عنها من دين الله وسنة
رسوله صلى الله عليه وسلم ما انتشر مدارس آيات . ومساجد صلوات . ومشاهد
الفضائل والخيرات . ومعاهد البراهين والمعجزات . ومناسك الدين ومشاعر

المُصَلِّين ومواقف سيّد المرسلين ومَثوى خاتم النبيين حيث انفجرت النبوة
وأين فاض عُبابها ومواطن مهبط الرسالة وأوّل أرض مسّ جلد المصطفى
صلوات الله وسلامه عليه ترابها أن تعظم عرصاتها وتُتنسّم نفحاتها
وتُقبَّل رُبوعها وجدرانها

يا دار خير المرسلين ومن به … هُدي الأنام وخُصّ بالآيات
عندي لأجلك لوعة وصبابة … وتشوّق متوقّد الجمرات
وعليَّ عهدٌ إن ملأتُ محاجري … من تلكم الجدرات والعرصات
لأعفّرنّ مصون شيبي بينها … من كثرة التقبيل والرشفات
لولا العوادي والأعادي زرتها … أبدًا ولو سحبًا على الوجنات
لكن سأُهدي من حفيل تحيتي … لقطين تلك الدار والحجرات
أذكى من المسك المفتّق نفحة … تغشاه بالآصال والبكرات
وتخصّه بزواكي الصلوات … ونوامي التسليم والبركات

الباب الرابع في حكم الصلوة عليه والتسليم

وفرض ذلك وفضيلته • قال الله تعالى إن الله وملائكته يصلون على النبي الآية •
وقال ابن عباس رضي الله عنهما معناه أن الله وملائكته يباركون على النبي
عليه السلام • وقيل إن الله تعالى يترحم على النبي صلى الله عليه وسلم وملائكته
يدعون له • وقال المبرد وأصل الصلوة الترحم فهي من الله رحمة ومن الملائكة
رقة واستدعاء للرحمة من الله وقد ورد في الحديث صفة صلاة الملائكة على من
جلس ينتظر الصلوة اللهم اغفر له اللهم ارحمه فهذا دعاء • وقال بكر القشيري
الصلوة من الله تعالى لمن دون النبي صلى الله عليه وسلم رحمة وللنبي صلى الله عليه وسلم
تشريف وزيادة تكرمة • وقال أبو العالية صلوة الله تعالى ثناؤه عليه عند الملائكة •

وصلاة

وصلاة الملائكة دعاء قال القاضي أبو الفضل رحمه الله وقد فرق النبي صلى الله
عليه وسلم في حديث تعليم الصلاة عليه بين لفظ الصلاة ولفظ البركة فدل أنهما
بمعنيين وأما التسليم الذي أمر الله به عباده فقال القاضي أبو بكر بن بكير نزلت
هذه الآية على النبي صلى الله عليه وسلم فأمر الله تعالى عباده أن يسلموا عليه وكذلك [اصحابه]
من بعدهم أمروا أن يسلموا على النبي صلى الله عليه وسلم عند حضورهم قبره وعند
ذكره وفي معنى السلام عليه ثلثة وجوه أحدها السلامة لك ومعك ويكون
السلام مصدراً كاللذاذ واللذاذة الثاني أي السلام على حفظك ورعايتك
متول له وكفيل به ويكون هنا السلام اسم الله تعالى الثالث أن السلام بمعنى
المسالمة له والانقياد كما قال الله تعالى فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر
بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما فصل
اعلم أن الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم فرض على الجملة غير محدد بوقت لأمر الله
بالصلاة عليه وحمل الأئمة والعلماء له على الوجوب وأجمعوا عليه وحكى أبو جعفر
الطبري أن محمل الآية عنده على الندب وادعى فيه الإجماع ولعله فيما زاد على مرة
والواجب منه الذي يسقط به الحرج ومأثم ترك الفرض مرة كالشهادة له بالنبوة
صلى الله عليه وسلم وما عدا ذلك فمندوب مرغب فيه من سنن الإسلام وشعار أهله
قال القاضي أبو الحسن بن القصار المشهور عن أصحابنا أن ذلك واجب في الجملة
على الإنسان وفرض عليه أن يأتي بها مرة من دهره مع القدرة على ذلك وقال
القاضي أبو بكر بن بكير افترض الله تعالى على خلقه أن يصلوا على نبيه ويسلموا تسليما
ولم يجعل ذلك لوقت معلوم فالواجب أن يكثر المرء منها ولا يغفل عنها قال
القاضي أبو محمد بن نصر الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم واجبة في الجملة قال
القاضي أبو عبد الله محمد بن سعيد ذهب مالك وأصحابه وغيرهم من أهل العلم رحمهم الله

أن الصلوة على النبي صلى الله عليه وسلم فرض بالجملة بعقد إيمان لا يتعين في الصلوة
وأن من صلى عليه مرة واحدة في عمره سقط الفرض عنه قال أصحاب الشافعي رضي الله
عنهم الفرض منها الذي أمر الله به ورسوله عليه السلام هو في الصلوة قالوا وأما
في غيرها فلا خلاف أنها غير واجبة وأما في الصلوة فحكى الإمامان أبو جعفر الطبري
والطحاوي وغيرهما إجماع جميع المتقدمين والمتأخرين من علماء الأمة على أن الصلوة
على النبي صلى الله عليه وسلم في التشهد غير واجبة وشذ الشافعي رضي الله عنه في ذلك
فقال من لم يصل على النبي صلى الله عليه وسلم من بعد التشهد الأخير وقبل السلام فصلاته
فاسدة وإن صلى عليه قبل ذلك لم تجزه ولا سلف له في هذا القول ولا سنة يتبعها
وقد بالغ في إنكار هذه المسألة عليه لمخالفته فيها من تقدمه جماعة وشنعوا عليه
الخلاف فيها منهم الطبري والقشيري وغير واحد وقال أبو بكر بن المنذر يستحب
أن لا يصلي أحد صلاة إلا صلى فيها على رسول الله صلى الله عليه وسلم فإن ترك ذلك
تارك فصلاته مجزئة في مذهب مالك وأهل المدينة وسفين الثوري وأهل الكوفة
من أصحاب الرأي وغيرهم وهو قول جل أهل العلم وحكي عن مالك وسفين أنها في
التشهد الأخير مستحبة وأن تاركها في التشهد مسيء وشذ الشافعي رضي الله عنه
فأوجب على تاركها في الصلوة الإعادة وأوجب إسحق الإعادة مع تعمد تركها دون
النسيان وحكى أبو محمد بن أبي زيد عن محمد بن المواز أن الصلوة على النبي صلى الله عليه وسلم
فريضة قال أبو محمد يريد ليست من فرائض الصلوة وقاله محمد بن عبد الحكم وغيره وحكى
ابن القصار وعبد الوهاب أن محمد بن المواز يراها فريضة في الصلوة كقول الشافعي
رضي الله عنه وحكى أبو يعلى العبدي المالكي عن المذهب فيها ثلثة أقوال في الصلوة
الوجوب والسنة والندب وقد خالف الخطابي من أصحاب الشافعي وغيره الشافعي
في هذه المسألة قال الخطابي وليست بواجبة في الصلوة وهو قول جماعة الفقهاء

إلا الشافعي رضي الله عنه ولا أعلم له فيها قدوة . والدليل على أنها ليست من فروض
الصلاة عمل السلف الصالح قبل الشافعي وإجماعهم عليه . وقد شنّع الناس عليه
هذه المسألة جدًا وهذا تشهد ابن مسعود الذي اختاره الشافعي وهو الذي علّمه
له النبي صلى الله عليه وسلم ليس فيه الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم . وكذلك
كل من روى التشهد عن النبي صلى الله عليه وسلم كأبي هريرة وابن عباس وجابر وابن عمر
وأبي سعيد الخدري وأبي موسى الأشعري وعبد الله بن الزبير رضي الله عنهم لم يذكروا
فيه صلاة على النبي صلى الله عليه وسلم . وقد قال ابن عباس وجابر كان النبي صلى الله
عليه وسلم يعلمنا التشهد كما يعلمنا السورة من القرآن . ونحوه عن أبي سعيد الخدري .
وقال ابن عمر كان أبو بكر رضي الله عنه يعلمنا التشهد على المنبر كما تعلمون الصبيان
في الكتّاب . وعلّمه أيضًا على المنبر عمر بن الخطاب رضي الله عنه . وفي الحديث لا صلاة
لمن لم يصل علي . وقال ابن القصار معناه كاملة أو لمن لم يصل علي مرة في عمره . وضعّف
أهل الحديث كلهم رواية هذا الحديث . وفي حديث أبي جعفر عن ابن مسعود .
عن النبي صلى الله عليه وسلم من صلى صلاة لم يصل فيها علي وعلى أهل بيتي لم تقبل منه .
قال الدارقطني الصواب أنه قول أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين لو صليت صلاة
لم أصل فيها على النبي صلى الله عليه وسلم ولا على أهل بيته لرأيت أنها لا تتم . فصل
في المواطن التي تستحب فيها الصلاة والسلام على النبي صلى الله عليه وسلم ويرغب
من ذلك في تشهد الصلاة كما قدمناه وذلك بعد التشهد وقبل الدعاء حدثنا
القاضي أبو علي رحمه الله بقراءتي عليه . قال حدثنا الإمام أبو القاسم البلخي قال حدثنا
الفارسي . عن أبي القاسم الخزاعي عن الهيثم عن أبي عيسى الحافظ حدثنا محمود بن
غيلان حدثنا عبد الله بن يزيد المقرئ حدثنا حيوة بن شريح حدثنا أبو هانئ
الخولاني أن عمرو بن مالك الجنبي أخبره أنه سمع فضالة بن عبيد يقول سمع النبي

صلى الله عليه وسلم رجلا يدعو في صلاته فلم يصل على النبي صلى الله عليه وسلم فقال النبي
صلى الله عليه وسلم عجل هذا ثم دعاه فقال له ولغيره إذا صلى أحدكم فليبدأ بتحميد الله
والثناء عليه ثم يصلي على النبي صلى الله عليه وسلم ثم ليدع بعد بما شاء د ت مس من غير
هذا السند بتمجيد الله وهو أصح ت وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال إن الدعاء والصلوة
معلق بين السماء والأرض لا يصعد إلى الله منه شيء حتى يصلى على النبي صلى الله عليه وسلم ت
وعن علي رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم بمعناه ط وعن عائشة رضي الله عنها
عن النبي صلى الله عليه وسلم وقال وعلى آل محمد ط وروي أن الدعاء محجوب حتى يصلي الداعي
على النبي صلى الله عليه وسلم وعن ابن مسعود رضي الله عنه إذا أراد أحدكم أن يسأل الله
تعالى شيئا فليبدأ بمدحه والثناء عليه بما هو أهله ثم يصلي على النبي صلى الله عليه وسلم
ثم ليسئل الله فإنه أجدر أن ينجح وعن جابر رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
لا تجعلوني كقدح الراكب فإن الراكب يملأ قدحه ثم يضعه ويرفع متاعه فإن احتاج
إلى شراب شربه أو الوضوء توضأ وإلا أهراقه ولكن اجعلوني في أول الدعاء
وأوسطه وآخره وقال ابن عطاء للدعاء أركان وأجنحة وأسباب وأوقات فإن
وافق أركانه قوي وإن وافق أجنحته طار في السماء وإن وافق مواقيته فاز
وإن وافق أسبابه أنجح فأركانه حضور القلب والرقة والاستكانة والخشوع
وتعلق القلب بالله وقطعه من الأسباب وأجنحته الصدق ومواقيته الأسحار
وأسبابه الصلوة على النبي صلى الله عليه وسلم وفي الحديث الدعاء بين الصلاتين
لا يرد وفي حديث آخر كل دعاء محجوب دون السماء فإذا جاءت الصلوة على
صعد الدعاء وفي دعاء ابن عباس الذي رواه عنه حنش فقال في آخره واستجب
دعائي ثم يبدأ بالصلوة على النبي صلى الله عليه وسلم أن يصلي على محمد عبدك ونبيك
ورسولك أفضل ما صليت على أحد من خلقك أجمعين آمين موضع الصلوة

مطلب ٥

على

عليه عند ذكره وسماع اسمه أو كتابه أو عند الأذان وقد قال عليه السلام
رغم أنف رجل ذكرت عنده فلم يصل علي وكره ابن حبيب ذكر النبي صلى الله عليه
وسلم عند الذبح وكره سحنون الصلوة عليه عند التعجب وقال لا يصلى
عليه إلا على طريق الاحتساب وطلب الثواب. وقال أصبغ عن ابن القاسم موطنان
لا يذكر فيهما إلا الله الذبيحة والعطاس فلا تقل فيهما بعد ذكر الله محمد رسول الله
ولو قال بعد ذكر الله صلى الله على محمد لم يكن تسمية له مع الله تعالى وقال أشهب
قال ولا ينبغي أن تجعل الصلوة على النبي صلى الله عليه وسلم فيه استنانا وروى
النسائي عن أوس بن أوس عن النبي صلى الله عليه وسلم الأمر بالإكثار من
الصلوة يوم الجمعة ومن مواطن الصلوة والسلام دخول المسجد قال أبو
إسحق بن شعبان وينبغي لمن دخل المسجد أن يصلي على النبي صلى الله عليه وسلم
وعلى آله ويترحم عليه وعلى آله ويبارك عليه وعلى آله ويسلم تسليما ويقول
اللهم اغفر لي ذنوبي وافتح لي أبواب رحمتك وإذا خرج فعل مثل ذلك وجعل
موضع رحمتك فضلك. وقال عمرو بن دينار في قوله تعالى فإذا دخلتم بيوتا
فسلموا على أنفسكم قال إن لم يكن في البيت أحد فقل السلام على النبي ورحمة الله
وبركاته السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين السلام على أهل البيت ورحمة
الله وبركاته. قال ابن عباس المراد بالبيوت هنا المساجد. وقال النخعي
إذا لم يكن في المسجد أحد فقل السلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم وإذا لم يكن
في البيت أحد فقل السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين وعن علقمة إذا دخلت
المسجد أقول السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته صلى الله وملائكته
على محمد. ونحوه عن كعب إذا دخل وإذا خرج ولم يذكر الصلوة. واحتج ابن
شعبان لما ذكره بحديث فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم أن النبي

صلى الله عليه وسلم كان يفعله اذا دخل المسجد، ومثله عن ابي بكر بن عمرو بن حزم
رضي الله عنهم وذكر السلام والرحمة. وقد ذكرنا هذا الحديث اخر القسم
والاختلاف في الفاظه ومن مواطن الصلوة عليه ايضا الصلوة على الجنائز
وذكر عن ابي امامة انها من السنة ومن مواطن الصلوة التي مضى عليها عمل
الامة ولم ينكرها الصلوة على النبي صلى الله عليه وسلم واله في الرسائل وما يكتب
بعد البسملة ولم يكن هذا في الصدر الاول واحدث عند ولاية بني هاشم فمضى
به عمل الناس في اقطار الارض ومنهم من يختم به ايضا الكتب. وقال صلى الله
عليه وسلم من صلى علي في كتاب لم تزل الملائكة تستغفر له ما دام اسمي في ذلك
الكتاب ومن مواطن السلام على النبي صلى الله عليه وسلم تشهد الصلاة حدثنا
ابو القاسم خلف بن ابرهيم المقرئ الخطيب رحمه الله وغيره قال حدثتني كريمة
بنت احمد قالت حدثنا ابو الهيثم حدثنا محمد بن يوسف حدثنا محمد بن اسمعيل
حدثنا ابو نعيم حدثنا الاعمش عن شقيق بن سلمة عن عبد الله بن مسعود عن
النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا صلى احدكم فليقل التحيات لله والصلوات
والطيبات السلام عليك ايها النبي ورحمة الله وبركاته السلام علينا وعلى
عباد الله الصالحين فانكم اذا قلتموها اصابت كل عبد صالح في السماء والارض
هذا الحديث موطن التسليم عليه وسنته اول التشهد وقد روى مالك عن ابن عمر
انه كان يقول ذلك اذا فرغ من تشهده واراد ان يسلم. واستحب مالك في
المدونة ان يسلم بمثل ذلك قبل السلام. قال محمد بن مسلمة اراد ما جاء عن
عايشة رضي الله عنها وابن عمر رضي الله عنهما انهما كانا يقولان عند سلامهما
السلام عليك ايها النبي ورحمة الله وبركاته السلام علينا وعلى عباد الله
الصالحين السلام عليكم واستحب اهل العلم ان ينوي الانسان حين سلامه

كل عبد صالح في السماء والارض من الملائكة وبني آدم والجن قال مالك في المجموعة
واحب للمأموم اذا سلم امامه ان يقول السلام على النبي ورحمة الله وبركاته
السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين السلام عليكم فصل في كيفية
الصلاة عليه والتسليم حدثنا ابو اسحق ابرهيم بن جعفر الفقيه بقراءتي عليه
حدثنا القاضي ابو الاصبغ حدثنا ابو عبد الله بن عتاب حدثنا ابو بكر بن
واقد وغيره حدثنا ابو عيسى حدثنا عبيد الله حدثنا يحيى بن يحيى حدثنا
مالك عن عبد الله بن ابي بكر بن حزم عن ابيه عن عمرو بن سليم الزرقي انه قال
اخبرني ابو حميد الساعدي رضي الله عنه انهم قالوا يا رسول الله كيف نصلي
عليك فقال قولوا اللهم صل على محمد وازواجه وذريته كما صليت على آل
ابرهيم وبارك على محمد وازواجه وذريته كما باركت على آل ابرهيم انك حميد
مجيد وفي رواية مالك عن ابي مسعود الانصاري رضي الله عنه قال قولوا اللهم
صل على محمد وعلى آله كما صليت على آل ابرهيم وبارك على محمد كما باركت على
آل ابرهيم في العالمين انك حميد مجيد والسلام كما علمتم وفي رواية كعب بن عجرة
اللهم صل على محمد وآل محمد كما صليت على ابرهيم وبارك على محمد وعلى آل محمد
كما باركت على ابرهيم انك حميد مجيد وعن عقبة بن عمرو في حديثه اللهم صل
على محمد النبي الامي وعلى آل محمد وفي رواية ابي سعيد الخدري اللهم صل على
محمد عبدك ورسولك وذكر معناه وحدثنا القاضي ابو عبد الله التميمي سماعا
عليه قال ثنا ابو علي الحسن بن طريف النحوي بقراءتي عليه قال حدثنا ابو عبد الله بن
سعدون الفقيه قال حدثنا ابو بكر المطوعي حدثنا ابو عبد الله الحاكم عن
ابي بكر بن ابي دارم الحافظ عن علي بن احمد العجلي عن حرب بن الحسن عن يحيى بن
المساور عن عمرو بن خالد عن زيد بن علي بن الحسين عن ابيه علي بن الحسين

عن أبيه علي بن أبي طالب رضي الله عنهم قال عدّهن في يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم
وقال عدّهن في يدي جبريل عليه السلام وقال هكذا أنزلت من عند رب العزة اللهم
صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد
اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد
مجيد اللهم وترحم على محمد وعلى آل محمد كما ترحمت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم
إنك حميد مجيد اللهم وتحنن على محمد وعلى آل محمد كما تحننت على إبراهيم وعلى
آل إبراهيم إنك حميد مجيد اللهم وسلم على محمد وعلى آل محمد كما سلمت على إبراهيم
وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه
وسلم من سره أن يكتال بالمكيال الأوفى إذا صلى علينا أهل البيت فليقل
اللهم صل على محمد النبي وأزواجه أمهات المؤمنين وذريته وأهل بيته كما
صليت على إبراهيم إنك حميد مجيد وفي رواية زيد بن خارجة الأنصاري سألت
النبي صلى الله عليه وسلم كيف نصلي عليك فقال صلوا علي واجتهدوا في الدعاء
وقولوا اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم إنك حميد مجيد
وعن سلامة الكندي كان علي رضي الله عنه يعلمنا الصلاة على النبي صلى الله عليه
وسلم اللهم داحي المدحوات وبارئ المسموكات اجعل شرائف صلواتك
ونوامي بركاتك ورأفة تحننك على محمد عبدك ورسولك الفاتح لما أغلق والخاتم
لما سبق والمعلن الحق بالحق والدامغ لجيشات الأباطيل كما حُمّل فاضطلع بأمرك
لطاعتك مستوفزا في مرضاتك واعيا لوحيك حافظا لعهدك ماضيا على نفاذ
أمرك حتى أورى قبسا لقابس آلاء الله تصل بأهله أسبابه به هديت القلوب
بعد خوضات الفتن والإثم وأقام موضحات الأعلام ونائرات الأحكام ومنيرات الإسلام
فهو أمينك المأمون وخازن علمك المخزون وشهيدك يوم الدين وبعيثك نعمة

وَرَسُولِكَ بِالْحَقِّ رَحْمَةً • اللهم افسح له في عدنك • واجزه مضاعفات الخير من فضلك
مهنّآت له غير مكدّرات • من فوز ثوابك المحلول • وجزيل عطائك المعلول • اللهم
أعل على سائر الناس بناءه • وأكرم مثواه لديك ونزله • وأتمم له نوره • واجزه
من ابتعاثك له مقبول الشهادة • ومرضيّ المقالة • ذا منطق عدل • وخطة
فصل • وبرهان عظيم • وعنه ايضا في الصلوة على النبي صلى الله عليه وسلم • إن الله
وملائكته يصلون على النبي الآية • لبيك اللهم ربي وسعديك • صلوات الله البر
الرحيم • والملائكة المقربين • والنبيين والصديقين • والشهداء والصالحين •
وما سبّح لك من شيء يا رب العالمين • على محمد بن عبد الله خاتم النبيين • وسيد
المرسلين • وإمام المتقين • ورسول رب العالمين • الشاهد البشير • الداعي إليك
بإذنك • السراج المنير • وعليه السلام • وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه
اللهم اجعل صلواتك وبركاتك ورحمتك على سيد المرسلين • وإمام المتقين وخاتم
النبيين • محمد عبدك ورسولك إمام الخير • وقائد الخير ورسول الرحمة • اللهم ابعثه
مقاما محمودا يغبطه فيه الأولون والآخرون • اللهم صل على محمد وعلى آل محمد
كما صليت على إبراهيم إنك حميد مجيد • وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على
إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد • وكان الحسن البصري رضي الله عنه يقول
من أراد أن يشرب بالكأس الأوفى من حوض المصطفى صلى الله عليه وسلم فليقل
اللهم صل على محمد وعلى آله وأصحابه وأولاده وأزواجه وذريته وأهل بيته
وأصهاره وأنصاره وأشياعه ومحبيه وأمته وعلينا معهم أجمعين يا أرحم الراحمين •
وعن طاوس عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه كان يقول اللهم تقبل شفاعة محمد
الكبرى وارفع درجته العليا وآته سؤله في الآخرة والأولى كما آتيت إبراهيم وموسى
وعن وهيب بن الورد أنه كان يقول في دعائه اللهم أعط محمدا أفضل ما سألك

لنفسه وأعط محمدا أفضل ما سألك له أحد من خلقك وأعط محمدا أفضل ما أنت
مسؤول له إلى يوم القيامة. وعن ابن مسعود أنه كان يقول إذا صليتم على النبي صلى الله
عليه وسلم فأحسنوا الصلاة عليه فإنكم لا تدرون لعل ذلك يعرض عليه وقولوا
اللهم اجعل صلواتك ورحمتك وبركاتك على سيد المرسلين وإمام المتقين وخاتم
النبيين محمد عبدك ورسولك إمام الخير وقائد الخير ورسول الرحمة اللهم ابعثه
مقاما محمودا يغبطه به الأولون والآخرون. اللهم صل على محمد وعلى آل محمد
كما صليت على آل إبراهيم إنك حميد مجيد اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد كما
باركت على آل إبراهيم إنك حميد مجيد. وما يؤثر في تطويل الصلاة وتكثير الثناء على
أهل البيت وغيرهم كثير. وقوله في السلام كما علمتم هو ما علمهم في التشهد
من قوله السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته السلام علينا وعلى عباد
الله الصالحين. وفي تشهد علي رضي الله عنه. السلام على نبي الله. السلام على
أنبياء الله ورسله. السلام على رسول الله. السلام على محمد بن عبد الله. السلام علينا
وعلى المؤمنين والمؤمنات من غاب منهم ومن شهد. اللهم اغفر لمحمد وتقبل شفاعته
واغفر لأهل بيته واغفر لي ولوالدي وما ولدا وارحمهما السلام علينا وعلى عباد الله
الصالحين السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته. جاء في هذا الحديث عن علي
رضي الله عنه الدعاء للنبي صلى الله عليه وسلم بالمغفرة. وفي حديث الصلاة عليه
صلى الله عليه وسلم أيضا عنه قبل الدعاء له بالرحمة ولم يأت في غيره من الأحاديث
المرفوعة المعروفة. وقد ذهب أبو عمر بن عبد البر وغيره إلى أنه لا يدعى للنبي صلى الله
عليه وسلم بالرحمة وإنما يدعى له بالصلاة والبركة التي تختص به ويدعى لغيره بالرحمة
والمغفرة. وقد ذكر أبو محمد بن أبي زيد في الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم اللهم
ارحم محمدا وآل محمد كما رحمت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم. ولم يأت هذا في حديث صحيح

وحجته قوله في التشهد السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته فصل
في فضيلة الصلوة على النبي صلى الله عليه وسلم والتسليم عليه والدعاء له أخبرنا
أحمد بن محمد الشيخ الصالح من كتابه حدثنا القاضي يونس بن مغيث حدثنا أبو بكر بن معوية
حدثنا النسائي أخبرنا سويد بن نصر أخبرنا عبد الله عن حيوة بن شريح قال أخبرني
كعب بن علقمة أنه سمع عبد الرحمن بن جبير مولى نافع أنه سمع عبد الله بن عمرو يقول
سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول إذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول
وصلوا علي فإنه من صلى علي صلى الله عليه عشرا ثم سلوا الله لي الوسيلة فإنها منزلة
في الجنة لا تنبغي إلا لعبد من عباد الله وأرجو أن أكون أنا هو فمن سأل لي الوسيلة
حلت عليه الشفاعة وروى أنس بن مالك رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم
قال من صلى علي صلاة صلى الله عليه عشر صلوات وحط عنه عشر خطيئات
ورفع له عشر درجات وفي رواية وكتب له عشر حسنات وعن أنس عنه عليه
السلام أن جبريل ناداني فقال من صلى عليك صلاة صلى الله عليه عشرا ورفعه
عشر درجات ومن رواية عبد الرحمن بن عوف عنه عليه السلام لقيت جبريل
فقال إني أبشرك أن الله يقول من سلم عليك سلمت عليه ومن صلى عليك صليت عليه
ونحوه من رواية أبي هريرة ومالك بن أوس بن حدثان وعبيد الله بن أبي طلحة وعن
رويفع بن ثابت رضي الله عنه سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول من قال اللهم صل
على محمد وأنزله المنزل المقرب عندك يوم القيمة وجبت له شفاعتي وعن ابن
مسعود رضي الله عنه أولى الناس بي يوم القيمة أكثرهم علي صلاة وعن أبي
هريرة رضي الله عنه عنه عليه السلام من صلى علي في كتاب لم تزل الملائكة
تستغفر له ما دام اسمي في ذلك الكتاب وعن عامر بن ربيعة رضي الله عنه سمعت
النبي صلى الله عليه وسلم يقول من صلى علي صلاة صلت عليه الملائكة ما صلى علي

فليقلل من ذلك عبد او ليكثر وعن ابي بن كعب رضي الله عنه كان رسول الله
صلى الله عليه وسلم اذا ذهب ربع الليل قام فقال يا ايها الناس اذكروا الله جاءت
الراجفة تتبعها الرادفة جاء الموت بما فيه فقال ابي بن كعب يا رسول الله اني اكثر
الصلوة عليك فكم اجعل لك من صلاتي قال ما شئت قال الربع قال ما شئت
وان زدت فهو خير قال النصف قال ما شئت وان زدت فهو خير قال الثلثين
قال ما شئت وان زدت فهو خير قال يا رسول الله فاجعل صلاتي كلها لك
قال اذا تكفى ويغفر ذنبك وعن ابي طلحة رضي الله عنه دخلت على النبي صلى الله
عليه وسلم فرايت من بشره وطلاقته ما لم اره قط فسالته فقال صلى الله عليه وسلم
ما يمنعني وقد خرج جبريل انفا فاتاني ببشارة من ربي ان الله تعالى بعثني اليك
ابشرك انه ليس احد من امتك يصلي عليك الا صلى الله عليه وملائكته بها عشرا
وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من
قال حين يسمع النداء اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلوة القائمة آت محمدا
الوسيلة والفضيلة وابعثه مقاما محمودا الذي وعدته الا حلت له الشفاعة يوم القيامة
وعن سعد بن ابي وقاص رضي الله عنه من قال حين يسمع المؤذن وانا اشهد ان لا
اله الا الله وحده لا شريك له وان محمدا عبده ورسوله رضيت بالله ربا وبمحمد
رسولا وبالاسلام دينا غفر له وروى ابن وهب رضي الله عنه ان النبي صلى الله
عليه وسلم قال من سلم علي عشرا فكانما اعتق رقبة وفي بعض الاخبار ليردن علي
اقوام ما اعرفهم الا بكثرة صلاتهم علي وفي اخر ان انجاكم يوم القيمة
من اهوالها ومواطنها اكثركم علي صلاة وعن ابي بكر رضي الله عنه الصلوة على
النبي صلى الله عليه وسلم امحق للذنوب من الماء البارد للنار والسلام عليه افضل
من عتق الرقاب فصل في ذم من لم يصل على النبي صلى الله عليه وسلم اذا ذكر

حدثنا

حدثنا القاضي الشهيد أبو علي رحمه الله، حدثنا أبو الفضل بن خيرون
وأبو الحسين الصيرفي قالا حدثنا أبو يعلى حدثنا السنجي حدثنا محمد بن محبوب
حدثنا أبو عيسى حدثنا أحمد بن إبراهيم الدورقي حدثنا ربعي بن إبراهيم
عن عبد الرحمن بن إسحق عن سعيد بن أبي سعيد عن أبي هريرة رضي الله عنه
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رغم أنف رجل ذكرت عنده فلم يصل علي
ورغم أنف رجل دخل رمضان ثم انسلخ قبل أن يغفر له ورغم أنف رجل أدرك
عنده أبواه الكبر فلم يدخلاه الجنة. قال عبد الرحمن وأظنه قال أو أحدهما
وفي حديث آخر أن النبي صلى الله عليه وسلم صعد المنبر فقال آمين ثم صعد
فقال آمين ثم صعد فقال آمين فسأله معاذ عن ذلك فقال إن جبريل أتاني
فقال يا محمد من سميت بين يديه فلم يصل عليك فمات فدخل النار فأبعده
الله قل آمين فقلت آمين. وقال فيمن أدرك رمضان فلم يقبل منه فمات
مثل ذلك ومن أدرك أبويه أو أحدهما فلم يبرهما فمات مثل ذلك وعن
علي بن أبي طالب رضي الله عنه عنه عليه السلام أنه قال البخيل الذي إذا
ذكرت عنده فلم يصل علي وعن جعفر بن محمد عن أبيه قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم من ذكرت عنده فلم يصل علي أخطئ به طريق الجنة وعن علي بن أبي
طالب رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إن البخيل كل البخيل
من ذكرت عنده فلم يصل علي وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال أبو القاسم
صلى الله عليه وسلم أيما قوم جلسوا مجلسا ثم تفرقوا عنه قبل أن يذكروا الله ويصلوا
على النبي صلى الله عليه وسلم كانت عليهم من الله ترة إن شاء عذبهم وإن شاء غفر لهم
وعن أبي هريرة رضي الله عنه من نسي الصلاة علي نسي طريق الجنة وعن قتادة
رضي الله عنه عنه عليه السلام من الجفاء أن أذكر عند الرجل فلا يصلي علي

مطلب

وعن جابر رضي الله عنه عنه عليه السلام ما جلس قوم مجلسا ثم تفرقوا
على غير صلاة على النبي صلى الله عليه وسلم إلا تفرقوا عن أنتن من ريح الجيفة وعن
أبي سعيد رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا يجلس قوم مجلسا
ثم يتفرقون ولم يصلوا فيه على النبي صلى الله عليه وسلم إلا كان عليهم حسرة وإن
دخلوا الجنة لما يرون من الثواب وحكى أبو عيسى الترمذي عن بعض أهل العلم
قال إذا صلى الرجل على النبي صلى الله عليه وسلم مرة في المجلس أجزأ عنه ما كان
في ذلك المجلس فصل في تخصيصه عليه السلام بتبليغ صلاة من صلى
عليه أو سلم من الأنام حدثنا القاضي أبو عبد الله التميمي حدثنا الحسين
بن محمد حدثنا أبو عمر الحافظ حدثنا ابن عبد المؤمن حدثنا ابن داسة
حدثنا أبو داود حدثنا ابن عوف حدثنا المقرئ حدثنا حيوة عن أبي صخر
حميد بن زياد عن يزيد بن عبد الله بن قسيط عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال ما من أحد يسلم علي إلا رد الله علي روحي حتى أرد عليه
السلام وذكر أبو بكر بن أبي شيبة عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم من صلى علي عند قبري سمعته ومن صلى علي نائيا بلغته وعن
ابن مسعود إن لله ملائكة سياحين في الأرض يبلغوني عن أمتي السلام ونحوه عن
أبي هريرة وعن ابن عمر رضي الله عنهما أكثروا من السلام على نبيكم كل جمعة فإنه
يؤتى به منكم في كل جمعة وفي رواية فإن أحدا لا يصلي علي إلا عرضت
صلاته علي حين يفرغ منها وعن الحسن رضي الله عنه عنه عليه السلام حيث
ما كنتم فصلوا علي فإن صلاتكم تبلغني وعن ابن عباس رضي الله عنهما ليس أحد
من أمة محمد صلى الله عليه وسلم يسلم عليه ويصلي عليه إلا بلغه وذكر بعضهم
أن العبد إذا صلى على النبي صلى الله عليه وسلم عرض عليه اسمه وعن الحسن بن علي

رضي الله

رضي الله عنهما اذا دخل المسجد فسلم على النبي صلى الله عليه وسلم فإن رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال لا تتخذوا قبري عيدا ولا تتخذوا بيوتكم قبورا وصلوا
علي حيث كنتم فإن صلاتكم تبلغني حيث كنتم وفي حديث اوس رضي الله عنه
أكثروا علي من الصلوة يوم الجمعة فإن صلاتكم معروضة علي وعن سليمن بن سحيم
رأيت النبي صلى الله عليه وسلم في النوم فقلت يا رسول الله هؤلاء الذين يأتونك فيسلمون
عليك أتفقه سلامهم قال نعم وأرد عليهم وعن ابن شهاب بلغنا أن رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال أكثروا من الصلوة علي في الليلة الزهراء واليوم الأزهر
فإنهما يؤديان عنكم وإن الأرض لا تأكل أجساد الأنبياء وما من مسلم يصلي
علي إلا حملها ملك حتى يؤديها إلي ويسميه حتى إنه ليقول إن فلانا يقول
كذا وكذا فصل في الاختلاف في الصلوة على غير النبي صلى الله عليه وسلم
وسائر الأنبياء عليهم السلام قال القاضي رحمه الله عامة أهل العلم متفقون
على جواز الصلوة على غير النبي صلى الله عليه وسلم وروي عن ابن عباس أنه لا تجوز
الصلوة على غير النبي صلى الله عليه وسلم وروي عنه لا تنبغي الصلوة على أحد
إلا النبيين وقال سفين يكره أن يصلى إلا على نبي ووجدت بخط بعض شيوخي
مذهب مالك أنه لا يجوز أن يصلى على أحد من الأنبياء سوى محمد صلى الله عليه وسلم
وهذا غير معروف من مذهبه وقد قال مالك في المبسوطة ليحيى بن إسحق أكره
الصلوة على غير الأنبياء وما ينبغي لنا أن نتعدى ما أمرنا به قال يحيى بن يحيى لست
آخذ بقوله ولا بأس بالصلوة على الأنبياء كلهم وعلى غيرهم واحتج بحديث ابن عمر
وبما جاء في حديث تعليم النبي صلى الله عليه وسلم الصلوة عليه وفيه وعلى أزواجه
وعلى آله وقد وجدت معلقا عن أبي عمران الفاسي روي عن ابن عباس كراهة
الصلوة على غير النبي صلى الله عليه وسلم قال وبه نقول ولم يكن يستعمل فيما مضى

روى عبد الرزاق عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
صلوا على أنبياء الله ورسله فإن الله بعثهم كما بعثني . قالوا إلا ما نقل عن
ابن عباس كتبه والصلاة في لسان العرب بمعنى الترحم والدعاء وذلك على الإطلاق
حتى يمنع منه حديث صحيح أو إجماع . وقد قال الله تعالى هو الذي يصلي عليكم
وملائكته الآية . وقال تعالى أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة . وقال النبي
صلى الله عليه وسلم اللهم صل على آل أبي أوفى . وكان صلى الله عليه وسلم إذا أتاه قوم
بصدقتهم قال اللهم صل على آل فلان . وفي حديث الصلاة اللهم صل على محمد وعلى
أزواجه وذريته . وفي آخر وعلى آل محمد . قيل أتباعه . وقيل أمته . وقيل آل بيته .
وقيل الأتباع هم الرهط والعشيرة . وقيل آل الرجل ولده . وقيل قومه . وقيل
أهله الذين حرمت عليهم الصدقة . وفي رواية أنس رضي الله عنه سئل النبي
صلى الله عليه وسلم من آل محمد قال كل تقي . ويجيء على مذهب الحسن رضي الله عنه
أن المراد بآل محمد محمد نفسه فإنه كان يقول في صلاته على النبي صلى الله عليه وسلم
اللهم اجعل صلواتك وبركاتك على آل أحمد يريد نفسه لأنه كان لا يخل
بالفرض ويأتي بالنفل لأن الفرض الذي أمر الله به هو الصلاة على محمد نفسه
وهذا مثل قوله عليه السلام لقد أوتي مزمارا من مزامير آل داود يريد من مزامير
داود . وفي حديث أبي حميد الساعدي في الصلاة اللهم صل على محمد وأزواجه
وذريته . وفي حديث ابن عمر أنه كان يصلي على النبي صلى الله عليه وسلم وعلى أبي بكر
وعمر رضي الله عنهما ذكره مالك في الموطأ من رواية يحيى الأندلسي . والصحيح من رواية
غيره ويدعو لأبي بكر وعمر . وفي رواية ابن وهب عن أنس بن مالك رضي الله عنه كنا ندعو
لأصحابنا بالغيب فنقول اللهم اجعل منك على فلان صلوات قوم أبرار الذين
يقومون بالليل ويصومون بالنهار . قال القاضي رحمه الله والذي ذهب

إليه

اليه بعض المحققين وأميل اليه ما قاله مالك وسفين وروى عن ابن عباس
واختاره غير واحد من الفقهاء والمتكلمين انه لا يصلى على غير الانبياء عند ذكرهم
بل هو شي يختص به الانبيا توقيرا لهم وتعزيزا كما يخص الله تعالى عند ذكره
بالتنزيه والتقديس والتعظيم ولا يشاركه فيه غيره كذلك تخصيص النبي صلى الله
عليه وسلم وسائر الانبيا بالصلوة والتسليم ولا يشارك فيه سواهم كما امر الله به
بقوله صلوا عليه وسلموا تسليما ويذكر من سواهم من الائمة وغيرهم بالغفران
والرضى كما قال تعالى يقولون ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان
وقال والذين اتبعوهم باحسان رضي الله عنهم وايضا فهو امر لم يكن معروفا
في الصدر الاول كما قال ابو عمران وانما احدثته الرافضة والمتشيعة في بعض
الائمة فشاركوهم عند الذكر لهم بالصلوة وساووهم بالنبي صلى الله عليه وسلم
في ذلك وايضا فان التشبه باهل البدع منهي عنه فتجب مخالفتهم فيما التزموه
من ذلك وذكر الصلوة على الآل والازواج مع النبي صلى الله عليه وسلم بحكم التبع
والاضافة اليه لا على التخصيص قالوا وصلوة النبي صلى الله عليه وسلم على من صلى
عليه مجراها مجرى الدعا والمواجهة ليس فيها معنى التعظيم والتوقير قالوا
وقد قال تعالى لا تجعلوا دعا الرسول بينكم كدعا بعضكم بعضا فكذلك يجب
ان يكون الدعا له مخالفا لدعا الناس بعضهم لبعض وهذا اختيار الامام ابي
المظفر الاسفرايني من شيوخنا فصل في حكم زيارة قبره صلى الله عليه وسلم
وفضيلة من زاره وسلم عليه وكيف يسلم ويدعو وزيارة قبره عليه السلام سنة
من سنن المسلمين مجمع عليها وفضيلة مرغب فيها روى عن ابن عمر رضي الله عنهما
قال قال النبي صلى الله عليه وسلم من زار قبري وجبت له شفاعتي حدثنا القاضي
ابو عيسى قال حدثنا ابو الفضل بن خيرون حدثنا الحسن بن جعفر حدثنا

أبو الحسن علي بن عمر الدارقطني حدثنا القاضي المحاملي حدثنا محمد بن عبد الرزاق
حدثنا موسى بن هلال عن عبيد الله بن عمر عن نافع عن ابن عمر يذكره وعن أنس بن
مالك رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من زارني في المدينة
محتسبا كان في جواري وكنت له شفيعا يوم القيامة وفي حديث آخر من زارني
بعد موتي فكأنما زارني في حياتي. وكره مالك رحمه الله أن يقال زرنا قبر النبي
صلى الله عليه وسلم. وقد اختلف في معنى ذلك فقيل كراهة الاسم لما ورد من قوله
عليه السلام لعن الله زوارات القبور. وهذا يرده قوله نهيتكم عن زيارة القبور
فزوروها. وقوله عليه السلام من زار قبري فقد أطلق اسم الزيارة. وقيل لأن
ذلك لما قيل إن الزائر أفضل من المزور. وهذا أيضا ليس بشيء إذ ليس كل زائر
بهذه الصفة وليس عموما. وقد ورد في حديث أهل الجنة زيارتهم لربهم
عز وجل ولم يمنع هذا اللفظ في حقه صلى الله عليه وسلم. وقال أبو عمران إنما كره
أن يقال طواف الزيارة وزرنا قبر النبي صلى الله عليه وسلم لاستعمال الناس ذلك
بينهم بعضهم لبعض وكره تسوية النبي صلى الله عليه وسلم مع الناس بهذا اللفظ
وأحب أن يخص بأن يقال سلمنا على النبي صلى الله عليه وسلم. وأيضا فإن الزيارة مباحة
بين الناس وواجب شد المطي إلى قبره صلى الله عليه وسلم يريد بالوجوب هنا
وجوب ندب وترغيب وتأكيد. والأولى عندي أن منعه وكراهة مالك
له لإضافته إلى قبر النبي صلى الله عليه وسلم وأنه لو قال زرنا النبي صلى الله عليه
وسلم لم يكرهه لقوله عليه السلام اللهم لا تجعل قبري وثنا يعبد بعدي
اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد فحمى إضافة هذا
اللفظ إلى القبر والتشبه بفعل أولئك قطعا للذريعة وحسما للباب والله أعلم.
قال إسحق بن إبرهيم الفقيه ومما لم يزل من شأن من حج المرور بالمدينة والقصد

إلى الصلاة في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم والتبرك برؤية روضته
ومنبره وقبره ومجلسه وملامس يديه ومواطئ قدميه صلى الله عليه وسلم
والعمود الذي كان يستند إليه وينزل جبريل عليه السلام بالوحي فيه عليه
وبمن عمره وقصده من الصحابة رضي الله عنهم وأئمة المسلمين والاعتبار بذلك
كله. قال ابن أبي فديك سمعت بعض من أدركت يقول بلغنا أن من وقف عند
قبر النبي صلى الله عليه وسلم فتلا هذه الآية إن الله وملائكته يصلون على النبي
ثم قال صلى الله عليك يا محمد من يقولها سبعين مرة ناداه ملك صلى الله عليك
يا فلان ولم تسقط له حاجة. وعن يزيد بن أبي سعيد المهري قدمت على عمر بن
عبد العزيز فلما ودعته قال لي إليك حاجة إذا أتيت المدينة سترى قبر النبي
صلى الله عليه وسلم فأقرئه مني السلام. قال غيره وكان يبرد إليه البريد من
الشام. قال بعضهم رأيت أنس بن مالك رضي الله عنه أتى قبر النبي صلى الله عليه وسلم
فوقف فرفع يديه حتى ظننت أنه افتتح الصلاة فسلم على النبي صلى الله عليه وسلم
ثم انصرف. وقال مالك في رواية ابن وهب إذا سلم على النبي صلى الله عليه وسلم
ودعا يقف ووجهه إلى القبر لا إلى القبلة ويدنو ويسلم ولا يمس القبر بيده. وقال
في المبسوط لا أرى أن يقف عند قبر النبي صلى الله عليه وسلم يدعو ولكن يسلم ويمضي.
قال ابن أبي مليكة من أحب أن يقوم وجاه النبي صلى الله عليه وسلم فليجعل القنديل
الذي في القبلة عند القبر على رأسه. وقال نافع كان ابن عمر يسلم على القبر رأيته
مائة مرة وأكثر يجيء إلى القبر فيقول السلام على النبي السلام على أبي بكر السلام
على أبي ثم ينصرف. ورئي واضعا يده على مقعد النبي صلى الله عليه وسلم من المنبر
ثم وضعها على وجهه. وعن ابن قسيط والعتبي كان أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم
خلوا من جانب المنبر التي تلي القبر بميامنهم ثم استقبلوا القبلة يدعون وسـ

الموطأ من رواية يحيى بن يحيى الليثي أنه كان يقف على قبر النبي صلى الله عليه وسلم فيصلي على النبي صلى الله عليه وسلم وعلى أبي بكر وعمر. وعند ابن القاسم والقعنبي ويدعو لأبي بكر وعمر قال مالك في رواية ابن وهب يقول المسلِّم السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته. قال في المبسوط ويسلم على أبي بكر وعمر. قال القاضي أبو الوليد الباجي وعندي أنه يدعو للنبي صلى الله عليه وسلم بلفظ الصلاة ولأبي بكر وعمر كما في حديث ابن عمر من الخلاف. وقال ابن حبيب ويقول إذا دخل مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم بسم الله وسلام على رسول الله السلام علينا من ربنا وصلى الله وملائكته على محمد اللهم اغفر لي ذنوبي وافتح لي أبواب رحمتك وجنتك واحفظني من الشيطان الرجيم ثم اقصد إلى الروضة وهي ما بين القبر والمنبر فاركع فيها ركعتين قبل وقوفك بالقبر تحمد الله فيهما وتسأله تمام ما خرجت إليه والعون عليه وإن كانت ركعتاك في غير الروضة أجزأتاك وفي الروضة أفضل وقد قال عليه السلام ما بين بيتي ومنبري روضة من رياض الجنة ومنبري على ترعة من ترع الجنة ثم تقف بالقبر متواضعا متوقرا ثم تصلي عليه وتثني بما يحضرك وتسلم على أبي بكر وعمر وتدعو لهما وأكثر من الصلاة في مسجد النبي صلى الله عليه وسلم بالليل والنهار ولا تدع أن تأتي مسجد قباء وقبور الشهداء. قال مالك في كتاب محمد ويسلم على النبي صلى الله عليه وسلم إذا دخل وخرج يعني في المدينة وفيما بين ذلك. قال محمد وإذا خرج جعل آخر عهده الوقوف بالقبر وكذلك من خرج مسافرا. وروى ابن وهب عن فاطمة بنت النبي صلى الله عليه وسلم أن النبي صلى الله عليه وسلم قال إذا دخلت المسجد فصل على النبي صلى الله عليه وسلم وقل اللهم اغفر لي ذنوبي وافتح لي أبواب رحمتك. وإذا خرجت فصل على النبي صلى الله عليه وسلم وقل اللهم اغفر لي ذنوبي وافتح لي

أبواب فضلك وفي رواية أخرى فليسلم مكان فليصل فيه وإذا خرج يقول
اللهم إني أسألك من فضلك وفي أخرى اللهم اعصمني من الشيطان الرجيم
وعن محمد بن سيرين كان الناس يقولون إذا دخلوا المسجد صلى الله وملائكته
على محمد السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته بسم الله دخلنا وبسم الله
خرجنا وعلى الله توكلنا وكانوا يقولون إذا خرجوا مثل ذلك وعن فاطمة أيضا
كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا دخل المسجد قال صلى الله على محمد وسلم ثم ذكر
مثل حديث فاطمة رضي الله عنها بأن هذا في رواية بسم الله وسمى وصلى على النبي
صلى الله عليه وسلم وذكر مثله وفي رواية بسم الله والسلام على رسول الله وعن
عنها كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا دخل المسجد قال اللهم افتح لي
أبواب رحمتك ويسر لي أبواب رزقك وعن أبي هريرة رضي الله عنه إذا دخل
أحدكم المسجد فليصل على النبي صلى الله عليه وسلم وليقل اللهم افتح لي وقال
مالك في المبسوط وليس يلزم من دخل المسجد وخرج منه من أهل المدينة
الوقوف بالقبر وإنما ذلك للغرباء وقال فيه أيضا لا بأس لمن قدم من سفر
أو خرج إلى سفر أن يقف على قبر النبي صلى الله عليه وسلم فيصلي عليه ويدعو له
ولأبي بكر وعمر رضي الله عنهما فقيل له فإن ناسا من أهل المدينة لا يقدمون
من سفر ولا يريدونه يفعلون ذلك في اليوم مرة أو أكثر وربما وقفوا في الجمعة
أو في الأيام المرة والمرتين أو أكثر عند القبر يسلمون ويدعون ساعة فقال لم
يبلغني هذا عن أحد من أهل الفقه ببلدنا وتركه واسع ولا يصلح آخر هذه الأمة
إلا ما أصلح أولها ولم يبلغني عن أول هذه الأمة وصدرها أنهم كانوا يفعلون ذلك
ويكره إلا لمن جاء من سفر أو أراده قال ابن القاسم ورأيت أهل المدينة إذا خرجوا
منها أو دخلوها أتوا القبر فسلموا قال وذلك رأيي قال الباجي ففرق بين أهل

المدينة والقرى لأن القرى تقصد والبلد وأهل المدينة مغبوطون بها أن يقصدوها
من أجل القبر والمسلم [illegible] عليه السلام اللهم لا تجعل قبري وثنا يعبد اشتد
غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد [illegible] لا تجعلوا قبري عيدا
[illegible] كتاب محمد بن سعيد الهندي ومن وقف بالقبر لا يلصق به ولا يمسه ولا يقف
عنده طويلا [illegible] العتبية يبدأ بالركوع قبل السلام في مسجد النبي صلى الله عليه وسلم
وأحب مواضع التنفل فيه مصلى النبي صلى الله عليه وسلم حيث العمود المخلق وأما
في الفريضة فالتقدم إلى الصفوف والتنفل فيه للغرباء أحب إلي من التنفل في البيوت
[illegible] فيما يلزم من دخل مسجد النبي صلى الله عليه وسلم من الأدب سوى ما قدمناه
وتفضيله وفضل الصلاة فيه وفي مسجد مكة وذكر قبره ومنبره صلى الله عليه وسلم وفضل
سكنى المدينة ومكة [illegible] الله تعالى لمسجد أسس على التقوى من أول يوم أحق أن تقوم
فيه [illegible] أن النبي صلى الله عليه وسلم سئل أي مسجد هو فقال مسجدي هذا وهو قول
ابن المسيب وزيد بن ثابت وابن عمر ومالك بن أنس وغيرهم رضي الله عنهم وعن ابن
عباس رضي الله عنهما أنه مسجد قباء [illegible] هشام بن أحمد الفقيه بقراءتي عليه
قال حدثنا الحسين بن محمد الحافظ حدثنا أبو عمر النمري حدثنا أبو محمد بن عبد المؤمن
حدثنا أبو بكر بن داسة حدثنا أبو داود حدثنا مسدد حدثنا سفيان عن الزهري
عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا تشد
الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد مسجد الحرام ومسجدي هذا والمسجد الأقصى [illegible]
تقدمت الآثار في الصلاة والسلام على النبي صلى الله عليه وسلم عند دخول المسجد وعن
عبد الله بن عمرو بن العاص أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا دخل المسجد قال
أعوذ بالله العظيم وبوجهه الكريم وسلطانه القديم من الشيطان الرجيم وقال مالك
رحمه الله سمع عمر بن الخطاب رضي الله عنه صوتا في المسجد فدعا بصاحبه فقال

مطلب في فضل سكنى المدينة ومكة شرفهما الله

مطلب

بمن أتى قال رجل من ثقيف قال لو كنت من هاتين القريتين إن مسجدنا لا يرفع فيه
الصوت. وقال محمد بن مسلمة لا ينبغي لأحد أن يعتمد المسجد برفع الصوت ولا
بشيء من الأذى وأن ينزه عما يكره. قال القاضي رحمه الله حكى ذلك كله القاضي
إسماعيل في مبسوطه في باب فضل مسجد النبي صلى الله عليه وسلم. وأهل العلم كلهم يقولون
أن حكم سائر المساجد هذا الحكم. قال القاضي إسماعيل وقال محمد بن مسلمة وإنما كره
في مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم الجهر على المصلين فيما يخلط عليهم صلاتهم
وليس مما يخص به المساجد رفع الصوت. قد كره رفع الصوت بالتلبية في
مساجد الجماعات إلا المسجد الحرام ومسجد منى. وقال أبو هريرة رضي الله عنه
عنه عليه السلام صلاة في مسجدي هذا خير من ألف صلاة فيما سواه إلا
المسجد الحرام. قال القاضي اختلف الناس في معنى هذا الاستثناء على اختلافهم
في المفاضلة بين مكة والمدينة. فذهب مالك في رواية أشهب عنه وقاله
ابن نافع صاحبه وجماعة أصحابه إلى أن معنى الحديث أن الصلاة في مسجد
الرسول صلى الله عليه وسلم أفضل من الصلاة في سائر المساجد بألف صلاة إلا
المسجد الحرام فإن الصلاة في مسجد النبي صلى الله عليه وسلم أفضل من الصلاة فيه
بدون الألف. واحتجوا بما روي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه صلاة في
المسجد الحرام خير من مائة صلاة فيما سواه. فتأتي فضيلة مسجد الرسول صلى الله
عليه وسلم بتسع مائة وعلى غيره بألف. وهذا مبني على تفضيل المدينة على مكة
على ما قدمناه وهو قول عمر بن الخطاب ومالك وأكثر المدنيين. وذهب أهل مكة
والكوفة إلى تفضيل مكة وهو قول عطاء وابن وهب وابن حبيب من أصحاب مالك
وحكاه الساجي عن الشافعي رضي الله عنه وحملوا الاستثناء في الحديث المتقدم
على ظاهره وأن الصلاة في المسجد الحرام أفضل. واحتجوا بحديث عبد الله بن الزبير

مطلب

عن النبي صلى الله عليه وسلم بمثل حديث أبي هريرة رضي الله عنه وقوله وصلاة في
المسجد الحرام أفضل من الصلاة في مسجدي هذا بمائة صلاة وروي بمائة
مثله فتأتي فضل الصلاة في المسجد الحرام على هذا على الصلاة في سائر المساجد
بمائة ألف ولا خلاف أن موضع قبره عليه السلام أفضل بقاع الأرض قال
القاضي أبو الوليد الباجي الذي يقتضيه الحديث مخالفة حكم مكة لسائر
المساجد ولا يعلم منه حكمها مع المدينة وذهب الطحاوي إلى أن هذا
التفضيل إنما هو في صلاة الفرض وذهب مطرف من أصحابنا إلى أن ذلك في
النافلة أيضا قال وجمعة خير من جمعة ورمضان خير من رمضان وقد
ذكر عبد الرزاق في تفضيل رمضان بالمدينة وغيرها حديثا نحوه وقوله
عليه السلام ما بين بيتي ومنبري روضة من رياض الجنة ومثله عن أبي هريرة
وأبي سعيد وزاد ومنبري على حوضي وفي حديث آخر منبري على ترعة من ترع
الجنة وقال الطبري فيه معنيان أحدهما أن المراد بالبيت بيت سكناه
على الظاهر مع أنه روي ما يبينه ما بين حجرتي ومنبري والثاني أن البيت هنا القبر
وهو قول زيد بن أسلم في هذا الحديث كما روي بين قبري ومنبري قال الطبري
وإذا كان قبره في بيته اتفقت معاني الروايات ولم يكن بينها خلاف لأن قبره
في حجرته وهو بيته وقوله ومنبري على حوضي قيل يحتمل أنه منبره بعينه الذي
كان في الدنيا وهو أظهر والثاني أن يكون له هناك منبر والثالث أن قصد
منبره والحضور عنده لملازمة الأعمال الصالحة يورد الحوض ويوجب الشرب منه
قاله الباجي وقوله روضة من رياض الجنة يحتمل معنيين أحدهما أنه موجب
لذلك وأن الدعاء والصلاة فيه يستحق ذلك من الثواب كما قيل الجنة تحت ظلال
السيوف والثاني أن تلك البقعة قد ينقلها الله تعالى فتكون في الجنة بعينها

قال

قاله الداودي وروى ابن عمر وجماعة من الصحابة رضي الله عنهم أن النبي
صلى الله عليه وسلم قال لا يصبر على لأوائها وشدتها أحد إلا كنت
له شهيدا أو شفيعا يوم القيمة وقال من يخرج عن المدينة والمدينة خير لهم لو
كانوا يعلمون وقال عليه السلام إنما المدينة كالكير تنفي خبثها وتنصع طيبها
وقال عليه السلام لا يخرج أحد من المدينة رغبة عنها إلا أبدلها الله خيرا
منه وروي عنه عليه السلام من مات في أحد الحرمين حاجا أو معتمرا بعثه
الله يوم القيمة لا حساب عليه ولا عذاب وفي طريق آخر بعث من الآمنين
يوم القيمة وعن ابن عمر رضي الله عنهما من استطاع أن يموت بالمدينة فليمت
بها فإني شفيع لمن يموت بها وقال تعالى إن أول بيت وضع للناس للذي ببكة
إلى قوله آمنا قال بعض المفسرين آمنا من النار وقيل كان آمنا من الطلب
من أحدث حدثا ولجأ إليه في الجاهلية وهذا مثل قوله وإذ جعلنا البيت مثابة
للناس وأمنا على قول بعضهم وروي أن قوما أتوا سعدون الخولاني بالمنستير
فأعلموه أن كتامة قتلوا رجلا وأضرموا عليه النار طول الليل فلم تعمل فيه شيئا وبقي
أبيض البدن فقال لعله حج ثلث حجج قالوا نعم قال حدثت أن من حج حجة
أدى فرضه ومن حج ثانية داين ربه ينادي غدا ملك يا عباد الله من كان
له على الله دين فليقم ومن حج ثلث حجج حرم الله شعره وبشره على النار ولما نظر
رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الكعبة قال مرحبا بك من بيت ما أعظمك
وأعظم حرمتك وفي الحديث عنه عليه السلام ما من أحد يدعو الله عند
الركن الأسود إلا استجاب الله له وكذلك عند الميزاب وعنه عليه السلام
من صلى خلف المقام ركعتين غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر وحشر يوم القيمة
من الآمنين قرأت على القاضي الحافظ أبي علي رحمه الله حدثنا أبو العباس

العذري حدثنا أبو أسامة محمد بن أحمد بن محمد الهروي حدثنا الحسن بن رشيق
سمعت أبا الحسن محمد بن الحسن بن راشد سمعت أبا بكر محمد بن إدريس سمعت
الحميدي قال سمعت سفيان بن عيينة قال سمعت عمرو بن دينار قال سمعت ابن عباس
رضي الله عنهما يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما دعا أحد بشيء
في هذا الملتزم إلا استجيب له. قال ابن عباس وأنا فما دعوت الله بشيء في هذا الملتزم
منذ سمعت هذا من رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا استجيب لي. وقال عمرو بن دينار
وأنا فما دعوت الله بشيء في هذا الملتزم منذ سمعت هذا من ابن عباس إلا استجيب
لي. وقال سفيان وأنا فما دعوت الله بشيء في هذا الملتزم منذ سمعت هذا من عمرو
إلا استجيب لي. وقال أبو الحسن محمد بن حسن الجندي وأنا فما دعوت الله
بشيء في هذا الملتزم منذ سمعت هذا من سفيان إلا استجيب لي. وقال محمد بن
إدريس وأنا فما دعوت الله بشيء في هذا الملتزم منذ سمعت هذا من الحميدي إلا
استجيب لي. وقال أبو الحسن محمد بن الحسن وأنا فما دعوت الله بشيء في هذا الملتزم
منذ سمعت هذا من محمد بن إدريس إلا استجيب لي. قال أبو أسامة وما أذكر
الحسن بن رشيق قال فيه شيئاً وأنا فما دعوت الله بشيء في هذا الملتزم منذ سمعت
هذا من الحسن بن رشيق إلا استجيب لي من أمر الدنيا وأنا أرجو أن يستجاب لي من
أمر الآخرة. وقال العذري وأنا فما دعوت الله بشيء في هذا الملتزم منذ سمعت
هذا من أبي أسامة إلا استجيب لي. وقال أبو علي وأنا فقد دعوت الله فيه بأشياء
كثيرة واستجيب لي بعضها وأرجو من سعة فضله أن يستجيب لي بقيتها. قال
القاضي أبو الفضل رحمه الله ذكرنا نبذاً من هذه النكت في هذا الفصل وإن لم تكن من
الباب لتعلقها بالفصل الذي قبله حرصاً على تمام الفائدة والله الموفق للصواب برحمته.

القسم الثالث فيما يجب للنبي صلى الله عليه وسلم وما يستحيل أو يجوز عليه

وما يمتنع او يصح من الاحوال البشرية ان تضاف اليه صلى الله عليه وسلم قال
الله تعالى وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل الاية وقال تعالى ما المسيح
ابن مريم الا رسول قد خلت من قبله الرسل وامه صديقة كانا ياكلان الطعام
وقال تعالى وما ارسلنا قبلك من المرسلين الا انهم لياكلون الطعام ويمشون
في الاسواق وقال تعالى قل انما انا بشر مثلكم يوحى الي الاية . محمد صلى الله
عليه وسلم وسائر الانبياء عليهم السلام من البشر ارسلوا الى البشر ولولا ذلك لما
اطاق الناس مقاومتهم والقبول عنهم ومخاطبتهم قال الله تعالى ولو جعلناه ملكا
لجعلناه رجلا اي لما كان الا في صورة البشر الذين يمكنكم مخاطبتهم اذ لا
يطيقون مقاومة الملك ومخاطبته ورؤيته اذا كان على صورته وقال
تعالى قل لو كان في الارض ملائكة يمشون مطمئنين لنزلنا عليهم من السماء ملكا
رسولا . اي لا يمكن في سنة الله ارسال الملك الا لمن هو من جنسه او من خصه الله
واصطفاه وقواه على مقاومته كالانبياء والرسل . فالانبياء والرسل وسائط
بين الله وبين خلقه يبلغونهم اوامره ونواهيه ووعده ووعيده ويعرفونهم بما
لم يعلموه من امره وخلقه وجلاله وسلطانه وجبروته وملكوته . فظواهرهم
واجسادهم وبنيتهم متصفة باوصاف البشر طارئ عليها ما يطرأ على البشر
من الاعراض والاسقام والموت والفناء ونعوت الانسانية وارواحهم وبواطنهم
متصفة باعلى من اوصاف البشر متعلقة بالملأ الاعلى متشبهة بصفات الملائكة
سليمة من التغير والآفات لا يلحقها غالبا عجز البشرية ولا ضعف الانسانية
اذ لو كانت بواطنهم خالصة للبشرية كظواهرهم لما اطاقوا الاخذ عن الملائكة
ورؤيتهم ومخاطبتهم ومخالتهم كما لا يطيقه غيرهم من البشر ولو كانت اجسامهم
وظواهرهم متسمة بنعوت الملائكة وبخلاف صفات البشر لما اطاق البشر ومن

أُرسلوا إليه مخالطتهم كما تقدم من قول الله تعالى فجعلوا من جهة الأجسام
والظواهر مع البشر ومن جهة الأرواح والبواطن مع الملائكة كما قال عليه السلام
لو كنت متخذا من أمتي خليلا لاتخذت أبا بكر خليلا ولكن أخوة الإسلام لكن
صاحبكم خليل الرحمن وكما قال صلى الله عليه وسلم تنام عيناي ولا ينام قلبي
وقال عليه السلام لست كهيئتكم إني أظل عند ربي يطعمني ويسقيني فبواطنهم
منزهة عن الآفات مطهرة من النقائص والاعتلالات وهذه جملة لن يكتفي
بمضمونها كل ذي همة بل الأكثر يحتاج إلى بسط وتفصيل على ما نأتي به بعد هذا في البابين
بعون الله وهو حسبي ونعم الوكيل **الباب الأول فيما يختص**
بالأمور الدينية والكلام في عصمة نبينا صلى الله عليه وسلم وسائر الأنبياء صلوات
الله عليهم قال القاضي أبو الفضل رحمه الله اعلم أن الطوارئ من التغيرات
والآفات على آحاد البشر لا تخلو أن تطرأ على جسمه أو على حواسه بغير قصد اجساد
واختيار كالأمراض والأسقام أو تطرأ بقصد واختيار وكله في الحقيقة عمل وفعل
ولكن جرى رسم المشايخ بتفصيله إلى ثلاثة أنواع عقد بالقلب وقول باللسان وعمل
بالجوارح وجميع البشر تطرأ عليهم الآفات والتغيرات بالاختيار وبغير الاختيار
في هذه الوجوه كلها والنبي صلى الله عليه وسلم وإن كان من البشر ويجوز على جبلته
ما يجوز على جبلة البشر فقد قامت البراهين القاطعة وتمت كلمة الإجماع على خروجه
عنهم وتنزيهه عن كثير من الآفات التي تقع على الاختيار وعلى غير الاختيار كما
سنبينه إن شاء الله تعالى فيما نأتي به من التفاصيل **فصل** في حكم عقد قلب النبي عقيدة
صلى الله عليه وسلم من وقت نبوته اعلم منحنا الله وإياك توفيقه أن ما تعلق منه
بطريق التوحيد والعلم بالله وصفاته والإيمان به وبما أوحي إليه فعلى غاية المعرفة
ووضوح العلم واليقين والانتفاء عن الجهل بشيء من ذلك أو الشك أو الريب فيه

ذ العصمه

والعصمة من كل ما يضاد المعرفة بذلك والتمييز هذا ما وثم خداع الشيطان
عليه ولا يصح بالقرائن التي يجب أن تكون في عقود الاشياء سواء ولا يعترض
على هذا بقول ابرهيم عليه السلام قال بلى ولكن ليطمئن قلبي اذ لم يشك ابرهيم
في اخبار الله تعالى له باحياء الموتى ولكن اراد طمأنينة القلب وترك المنازعة
لمشاهدة الاحياء فحصل له العلم الأول بوقوعه وأراد العلم الثاني بكيفيته ومشاهدته
الوجه الثاني أن ابرهيم عليه السلام انما اراد اختبار منزلته عند ربه وعلم
اجابة دعوته بسؤال ذلك من ربه فيكون قوله أولم تؤمن أي لم تصدق بمنزلتك
مني وخلتك واصطفائك الوجه الثالث انه سأل زيادة يقين وقوة طمأنينة
وان لم يكن في الأول شك اذ العلوم الضرورية والنظرية قد تتفاضل في قوتها
وطريان الشكوك على الضروريات ممتنع ومجوز في النظريات فأراد الانتقال من
النظر او الخبر الى المشاهدة والترقي من علم اليقين الى عين اليقين فليس الخبر كالمعاينة
ولهذا قال سهل بن عبد الله سأل كشف غطاء العيان ليزداد نور اليقين تمكنا له
في حاله الوجه الرابع انه لما احتج على المشركين بأن ربه يحيي ويميت طلب ذلك
من ربه ليصح احتجاجه عيانا الوجه الخامس قول بعضهم هو سؤال على طريق
الأدب المراد اقدرني على احياء الموتى وقوله ليطمئن قلبي عن هذه الأمنية الوجه
السادس انه أرى من نفسه الشك وما شك لكن ليجاوب فيزداد قربة وقول
نبينا صلى الله عليه وسلم نحن أحق بالشك من ابرهيم نفي لأن يكون ابرهيم شك وابعاد
للخواطر الضعيفة أن تظن هذا بابرهيم أي نحن موقنون بالبعث واحياء الله الموتى
فلو شك ابرهيم لكنا اولى بالشك منه اما على طريق الأدب او أن يريد امته الذين
يجوز عليهم الشك او على طريق التواضع والاشفاق ان حملت قصة ابرهيم على اختبار
حاله او زيادة يقينه فان قلت فما معنى قوله تعالى فان كنت في شك مما انزلنا

إليك فاسأل الذين يقرؤون الكتاب من قبلك الآية. فاحذر ثبت الله قلبك
أن يخطر ببالك ما ذكره فيه بعض المفسرين عن ابن عباس أو غيره من إثبات شك
للنبي صلى الله عليه وسلم فيما أوحي إليه وأنه من البشر فمثل هذا لا يجوز عليه جملة
بل قد قال ابن عباس لم يشك النبي صلى الله عليه وسلم ولم يسأل. ونحوه عن ابن جبير
والحسن وحكى قتادة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال ما أشك ولا أسأل وعامة
المفسرين على هذا. واختلفوا في معنى الآية. فقيل المراد قل يا محمد للشاك إن
كنت في شك الآية قالوا وفي السورة نفسها ما دل على هذا التأويل. قوله تعالى
قل يا أيها الناس إن كنتم في شك من ديني الآية. وقيل المراد بالخطاب العرب
وغير النبي صلى الله عليه وسلم كما قال لئن أشركت ليحبطن عملك الآية. الخطاب
له والمراد غيره ومثله فلا تك في مرية مما يعبد هؤلاء ونظيره كثير. قال بكر بن
العلاء ألا تراه يقول ولا تكونن من الذين كذبوا بآيات الله. وهو عليه السلام كان
المكذَّب فيما يدعو إليه فكيف يكون ممن كذب به. فهذا كله يدل على أن المراد
بالخطاب غيره. ومثل هذه الآية قوله تعالى الرحمن فاسأل به خبيرا. المأمور ها هنا
غير النبي صلى الله عليه وسلم ليسأل النبي صلى الله عليه وسلم والنبي عليه السلام هو
الخبير المسؤول لا المستخبر السائل. وقيل إن هذا الشك الذي أمر غير النبي صلى الله
عليه وسلم بسؤال الذين يقرؤون الكتاب إنما هو فيما قصه من أخبار الأمم لا فيما دعا
إليه من التوحيد والشريعة. ومثل هذا قوله تعالى واسأل من أرسلنا من قبلك
من رسلنا الآية. المراد به المشركون والخطاب مواجهة للنبي صلى الله عليه وسلم
قاله القتبي. وقيل معناه سلنا عمن أرسلنا من قبلك فحذف الخافض وتم الكلام
ثم ابتدأ أجعلنا من دون الرحمن آلهة يعبدون. على طريق الإنكار أي ما جعلنا
حكاه مكي. وقيل أمر النبي صلى الله عليه وسلم أن يسأل الأنبياء ليلة الإسراء عن ذلك

فكان

فكان اشد تعنتا من ان يحتاج الى السؤال وروي انه قال لا اسأل قد اكتفيت
فالذي رايته وقيل سل امم من ارسلنا هل جاؤهم بغير التوحيد وهو معنى
قول مجاهد والسدي والضحاك وقتادة • والمراد بهذا والذي قبله اعلامه
ما بعثت به الرسل وانه تعالى لم يأذن في عبادة غيره لاحد ردا على مشركي
العرب وغيرهم في قولهم ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى • وكذلك قوله تعالى
والذين آتيناهم الكتاب يعلمون انه منزل من ربك بالحق فلا تكونن من الممترين
اي في علمهم بانك رسول الله وان لم يقروا بذلك وليس المراد به شكه فيما ذكر
في اول الآية • وقد يكون ايضا على مثل ما تقدم اي قل لمن امترى في ذلك يا محمد
لا تكونن من الممترين بدليل قوله تعالى في اول الآية افغير الله ابتغي حكما الآية
وان النبي صلى الله عليه وسلم يخاطب بذلك غيره • وقيل هو تقرير كقوله تعالى أأنت
قلت للناس اتخذوني وامي الهين من دون الله وقد علم انه لم يقل • وقيل معناه
ما كنت في شك فسل تزدد طمانينة وعلما الى علمك ويقينك • وقيل ان كنت تشك
فيما شرفناك وفضلناك به فاسألهم عن صفتك في الكتب ونشر فضائلك
وحكي عن ابي عبيدة ان المراد ان كنت في شك من غيرك فيما انزلنا ايان بيان فما معنى
قوله تعالى حتى اذا استيأس الرسل وظنوا انهم قد كذبوا على قراءة التخفيف
قلنا المعنى في ذلك ما قالته عائشة رضي الله عنها معاذ الله ان تظن ذلك الرسل
بربها وانما معنى ذلك ان الرسل لما استيأسوا ظنوا ان من وعدهم النصر من اتباعهم قد
كذبوهم وعلى هذا اكثر المفسرين • وقيل ان الضمير في ظنوا عائد الى الاتباع والامم
لا على الانبياء والرسل وهو قول ابن عباس والنخعي وابن جبير وجماعة من العلماء
وبهذا المعنى قرأ مجاهد كذبوا بالفتح فلا تشغل بالك من شاذ التفسير بسواه
مما لا يليق بمنصب العلماء فكيف بالانبياء • وكذلك ما ورد في حديث السيرة

مطلب رفع شأن الغرانيق والقاء في
النبي صلى الله عليه وسلم الاسم ... ما ال ... والله ... تعالى

ومبتدأ الوحي من قوله عليه السلام لخديجة لقد خشيت على نفسي ليس معناه الشك
فيما أتاه الله بعد رؤية الملك ولكن لعله خشي أن لا تحتمل قوته مقاومة الملك
وأعباء الوحي فينخلع قلبه أو تزهق نفسه. هذا على ما ورد في الصحيح أنه قاله بعد
لقائه الملك أو يكون ذلك قبل لقائه الملك وإعلام الله تعالى له بالنبوة لأول
ما عرضت عليه من العجائب وسلم عليه الحجر والشجر وبدأته المنامات والتباشير
كما روي في بعض طرق هذا الحديث أن ذلك كان أولا في المنام ثم أري في اليقظة
مثل ذلك تأنيسا له عليه السلام لئلا يفجأه الأمر مشاهدة ومشافهة فلا يحتمله
لأول حالة بنية البشرية. وفي الصحيح عن عائشة رضي الله عنها أول ما بدئ به
رسول الله صلى الله عليه وسلم من الوحي الرؤيا الصادقة ثم قالت ثم حبب إليه الخلاء
وقالت إلى أن جاءه الحق وهو في غار حراء الحديث. وعن ابن عباس رضي الله عنهما مكث
النبي صلى الله عليه وسلم بمكة خمس عشرة سنة يسمع الصوت ويرى الضوء سبع سنين
ولا يرى شيئا وثمان سنين يوحى إليه. وقد روى ابن إسحاق عن بعضهم أن النبي صلى الله
عليه وسلم قال وذكر جواره بغار حراء قال فجاءني وأنا نائم فقال اقرأ فقلت ما أقرأ
وذكر نحو حديث عائشة رضي الله عنها في غطه له وإقرائه اقرأ باسم ربك السورة
قال فانصرف عني وهببت من نومي كأنما صورت في قلبي ولم يكن أبغض إلي من شاعر
أو مجنون قلت لا تحدث عني قريش بهذا أبدا لأعمدن إلى حالق من الجبل فلأطرحن
نفسي منه فلأقتلنها فبينا أنا عامد لذلك إذ سمعت مناديا ينادي من السماء
يا محمد أنت رسول الله وأنا جبريل فرفعت رأسي فإذا جبريل على صورة رجل وذكر
الحديث فقد بين في هذا أن قوله لما قال وقصده لما قصد إنما كان قبل لقاء
جبريل وقبل إعلام الله تعالى له بالنبوة وإظهاره واصطفائه له بالرسالة عليه السلام
ومثله حديث عمرو بن شرحبيل أنه عليه السلام قال لخديجة إني إذا خلوت وحدي

سمعت

سمعت بدا وقد خشيت والله أن يكون هذا الأمر وفي رواية حماد بن سلمة أن النبي
صلى الله عليه وسلم قال لخديجة إني لأسمع صوتا وأرى ضوءا وأخشى أن يكون بي
جنون وعلى هذا يتأول لو صح قوله في بعض هذه الأحاديث إن الأبعد شاعر أو
مجنون وألفاظا يفهم منها معنى الشك في تصحيح ما رآه وأنه كان كله في ابتداء
أمره وقبل لقاء الملك له وإعلام الله تعالى أنه رسوله فكيف وبعض هذه الألفاظ
لا يصح طرقها وأما بعد إعلام الله تعالى له ولقائه الملك فلا يصح فيه ريب ولا يجوز
عليه شك فيما ألقي إليه وقد روى ابن إسحاق عن شيوخه أن رسول الله صلى الله عليه
وسلم كان يرقى بمكة من العين قبل أن ينزل عليه فلما نزل عليه القرآن أصابه نحو
ما كان يصيبه فقالت له خديجة رضي الله عنها أوجه إليك من يرقيك قال أما
الآن فلا وحديث خديجة واختبارها أمر جبريل بكشف رأسها حديث إنما
ذلك في حق خديجة لتتحقق صحة نبوة رسول الله صلى الله عليه وسلم وأن الذي
يأتيه ملك ويزول الشك عنها لا أنها فعلت ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم
وليختبر هو حاله بذلك فقد ورد في حديث عبد الله بن محمد بن يحيى بن عروة
عن هشام عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها أن ورقة أمر خديجة رضي الله عنها
أن تختبر الأمر بذلك وفي حديث إسماعيل بن أبي حكيم أنها قالت لرسول الله صلى الله
عليه وسلم يا ابن عم هل تستطيع أن تخبرني بصاحبك إذا جاءك قال نعم فلما جاءه
أخبرها فقالت له اجلس إلى شقي وذكر الحديث إلى آخره وفيه فقالت ما هذا
شيطان هذا الملك يا ابن عم فاثبت وأبشر وآمنت به فهذا يدل على أنها مستثبتة
بما فعلته لنفسها ومستظهرة لإيمانها لا للنبي صلى الله عليه وسلم وقول معمر في فترة
الوحي فحزن النبي صلى الله عليه وسلم فيما بلغنا حزنا غدا منه مرارا كي يتردى من رؤوس
شواهق الجبال لا يقدح في هذا الأصل لقول معمر عنه فيما بلغنا ولم يسنده ولا

ذكر رواته ولا من حدث به ولا أن النبي صلى الله عليه وسلم قاله ولا يعرف مثل هذا
الأمر من جهة النبي صلى الله عليه وسلم مع أنه قد يحمل على أنه كان في أول الأمر كما ذكرناه
أو أنه فعل ذلك لما أحرجه من تكذيب من بلغه كما قال تعالى فلعلك باخع نفسك
على آثارهم إن لم يؤمنوا بهذا الحديث أسفا • ويصحح معنى هذا التأويل حديث
رواه شريك عن عبد الله بن محمد بن عقيل عن جابر بن عبد الله أن المشركين لما اجتمعوا
بدار الندوة للتشاور في شأن النبي صلى الله عليه وسلم واتفق رأيهم على أن يقولوا
إنه ساحر اشتد ذلك عليه وتزمل في ثيابه وتدثر فيها فأتاه جبريل عليه السلام
فقال يا أيها المزمل يا أيها المدثر أو خاف أن الفترة لأمر أو سبب منه فخشي أن
تكون عقوبة من ربه ففعل ذلك بنفسه ولم يرد بعد شرع بالنهي عن ذلك
فيعترض به • ونحو هذا فرار يونس عليه السلام خشية تكذيب قومه له لما
وعدهم به من العذاب • وقول الله تعالى في يونس فظن أن لن نقدر عليه معناه
أن لن نضيق عليه • قال مكي طمع في رحمة الله وأن لا يضيق عليه مسلكه في خروجه
وقيل حسن ظنه بمولاه أنه لا يقضي عليه العقوبة • وقيل نقدر عليه ما أصابه
وقد قرئ نقدّر عليه بالتشديد • وقيل نؤاخذه بغضبه وذهابه • وقال ابن زيد
معناه أفظن أن لن نقدر عليه على الاستفهام • ولا يليق أن يظن بنبي أن يجهل صفة من
صفات ربه • وكذلك قوله تعالى إذ ذهب مغاضبا • الصحيح مغاضبا لقومه لكفرهم
وهو قول ابن عباس والضحاك وغيرهما لا لربه إذ مغاضبة الله معاداة له ومعاداة
الله كفر لا يليق بالمؤمنين فكيف بالأنبياء • وقيل استحيا من قومه أن يسموه بالكذب
أو يقتلوه كما ورد في الخبر • وقيل مغاضبا لبعض الملوك فيما أمره به من التوجه
إلى أمر أمره الله تعالى به على لسان نبي آخر فقال له يونس عليه السلام غيري
أقوى عليه مني فعزم عليه فخرج لذلك مغاضبا • وقد روي عن ابن عباس أن إرسال

يونس ونبوته عليه السلام إنما كان بعد أن نبذه الحوت واستدل من الآية بقوله
تعالى فنبذناه بالعراء وهو سقيم وأنبتنا عليه شجرة من يقطين وأرسلناه • وبقوله
أيضا ولا تكن كصاحب الحوت وذكر القصة ثم قال فاجتباه ربه فجعله من الصالحين
فتكون هذه القصة إذاً قبل نبوته فإن قيل فما معنى قوله عليه السلام إنه ليغان
على قلبي فأستغفر الله في كل يوم مائة مرة • وفي طريق في اليوم أكثر من سبعين مرة فاحذر
أن يقع ببالك أن يكون هذا الغين وسوسة أو ريناً وقع في قلبه عليه السلام
بل أصل الغين في هذا ما يتغشى القلب ويغطيه • قاله أبو عبيد وأصله من غين السماء
وهو إطباق الغيم عليها • وقال غيره والغين شيء يغشى القلب ولا يغطيه كل التغطية
كالغيم الرقيق الذي يعرض في الهواء فلا يمنع ضوء الشمس • وكذلك لا يفهم من الحديث
أنه يغان على قلبه عليه السلام مائة مرة أو أكثر من سبعين في اليوم إذ ليس يقتضيه
لفظه الذي ذكرناه وهو أكثر الروايات وإنما هذا عدد للاستغفار لا للغين فيكون
المراد بهذا الغين إشارة إلى غفلات قلبه وفترات نفسه وسهوها عن مداومة الذكر
ومشاهدة الحق بما كان دفع إليه من مقاساة البشر وسياسة الأمة ومعاناة الأهل
ومقاومة الولي والعدو ومصلحة النفس وكلفه من أعباء أداء الرسالة وحمل الأمانة
وهو في كل هذا في طاعة ربه عز وجل وعبادة خالقه ولكن لما كان صلى الله عليه وسلم
أرفع الخلق عند الله مكانة وأعلاهم درجة وأتمهم به معرفة وكانت حاله صلى الله
عليه وسلم عند خلوص قلبه وخلو همه وتفرده بربه وإقباله بكليته عليه ومقامه هنالك
أرفع حاليه رأى عليه السلام حال فترته عنها وشغله بسواها غضاً من علي حاله
وخفضاً من رفيع مقامه فاستغفر الله من ذلك • هذا أولى وجوه الحديث وأشهرها
وإلى معنى ما أشرنا به مال كثير من الناس وحام حوله فقارب ولم يرد وقد قربنا
غامض معناه وكشفنا للمستفيد محياه وهو مبني على جواز الفترات والغفلات

والسهو في غير طريق البلاغ على ما شأنا وقد [illegible] سطا بعضهم من أرباب القلوب ومشيخة
المتصوفة ممن قال بتنزيه النبي صلى الله عليه وسلم عن هذا جملة وأجله أن يجوز عليه
في حال سهو أو فترة إلى أن معنى الحديث ما يهم خاطره ويغم فكره من أمر أمته
عليه السلام لاهتمامه بهم وكثرة شفقته عليهم فيستغفر لهم • قالوا وقد يكون الغين
هنا على قلبه عليه السلام السكينة التي تغشاه لقوله تعالى فأنزل الله سكينته عليه
ويكون استغفاره عليه السلام عندها إظهارا للعبودية والافتقار • وقال
ابن عطاء استغفاره وفعله هذا تعريف للأمة يحملهم على الاستغفار • وقال
غيره ويستشعرون الحذر ولا يركنون إلى الأمن • وقد يحتمل أن تكون هذه الإغانة
حالة خشية وإعظام تغشى قلبه فيستغفر حينئذ شكرا لله تعالى وملازمة
لعبوديته كما قال في ملازمة العبادة أفلا أكون عبدا شكورا • وعلى هذه الوجوه
الأخيرة يحمل ما روي في بعض طرق هذا الحديث عنه عليه السلام إني لأستغفر الله في
اليوم أكثر من سبعين مرة فاستغفروا الله فإن قلت فما معنى قوله تعالى لمحمد
عليه السلام ولو شاء الله لجمعهم على الهدى فلا تكونن من الجاهلين • وقوله لنوح
عليه السلام فلا تسألن ما ليس لك به علم إني أعظك أن تكون من الجاهلين فاعلم
أنه لا يلتفت في ذلك إلى قول من قال في آية نبينا صلى الله عليه وسلم لا تكونن ممن
يجهل أن الله لو شاء لجمعهم على الهدى • وفي آية نوح عليه السلام لا تكونن ممن يجهل
أن وعد الله حق لقوله وإن وعدك الحق إذ فيه إثبات الجهل بصفة من صفات
الله تعالى وذلك لا يجوز على الأنبياء والمقصود وعظهم أن لا يتشبهوا في أمورهم
بسمات الجاهلين كما قال تعالى إني أعظك أن تكون من الجاهلين • وليس في آية منهما
دليل على كونهم على تلك الصفة التي نهاهم عن الكون عليها فكيف وآية نوح
قبلها فلا تسألن ما ليس لك به علم فحمل ما بعدها على ما قبلها أولى لأن مثل هذا

قد

تدخل حاجة الى اذن ويذكرون ناحية سؤال فيه ابتدا ونهاه الله ان يسأل عما
طوى عنه علمه واكنه من غيبه من السبب الموجب لهلاك ابنه ثم اكمل الله
نعمته عليه باعلامه ذلك بقوله انه ليس من اهلك انه عمل غير صالح حكى معناه
مكي. كذلك امر نبينا صلى الله عليه وسلم في الآية الاخرى بالتزام الصبر على اعراض
قومه ولا يحرج عند ذلك فيقارب حال الجاهل بشدة التحسر. حكاه ابو بكر
ابن فورك. وقيل معنى الخطاب لامة محمد صلى الله عليه وسلم اي فلا تكونوا من
الجاهلين. حكاه ابو محمد مكي. وقال مثله في القرآن كثير فبهذا الفصل وجب القول
بعصمة الانبيا منه بعد النبوة قطعا. فان قلت فاذا قررت عصمتهم من هذا
وانه لا يجوز عليهم شي من ذلك فما معنى اذا وعيد الله تعالى لنبينا صلى الله عليه وسلم
على ذلك ان فعله وتحذيره منه كقوله تعالى لئن اشركت ليحبطن عملك الآية وقوله
تعالى ولا تدع من دون الله ما لا ينفعك ولا يضرك الآية. وقوله تعالى اذا لاذقناك
ضعف الحياة الآية. وقوله تعالى لاخذنا منه باليمين. وقوله تعالى وان تطع
اكثر من في الارض يضلوك عن سبيل الله. وقوله تعالى فان يشا الله يختم على قلبك
وقوله تعالى وان لم تفعل فما بلغت رسالته. وقوله تعالى اتق الله ولا تطع الكافرين
والمنافقين. فاعلم وفقنا الله واياك انه عليه السلام لا يصح ولا يجوز عليه الا
يبلغ وان يخالف امر ربه ولا ان يشرك ولا ان يتقول على الله ما لا يجب او يفتري عليه
او يضل او يختم على قلبه او يطيع الكافرين لكن يسر الله امره بالمكاشفة والبيان في
البلاغ للمخالفين وان ابلاغه ان لم يكن بهذه السبيل فكانه ما بلغ وطيب نفسه
وقوى قلبه بقوله عز وجل والله يعصمك من الناس كما قال لموسى وهرون عليهما
السلام لا تخافا لتشتد بصائرهما في الابلاغ واظهار دين الله تعالى ويذهب
عنهما خوف العدو المضعف للنفس. واما قوله تعالى ولو تقول علينا بعض الاقاويل

الآية • وقوله تعالى إذاً لأذقناك ضعف الحياة • فمعناه أن هذا جزاء من فعل هذا
وجزاؤك لو كنت ممن يفعله وهو لا يفعله • وكذلك قوله تعالى وإن تطع أكثر من
في الأرض • فالمراد غيره كما قال عز وجل إن تطيعوا الذين كفروا الآية • وقوله تعالى
فإن يشإ الله يختم على قلبك • ولئن أشركت ليحبطن عملك وما أشبهه • فالمراد غيره
وأن هذه حال من أشرك والنبي صلى الله عليه وسلم لا يجوز عليه هذا • وقوله تعالى
اتق الله ولا تطع الكافرين فليس فيه أنه صلى الله عليه وسلم أطاعهم والله ينهاه
عما يشاء ويأمره بما يشاء كما قال عز وجل ولا تطرد الذين يدعون ربهم الآية • وما
كان طردهم عليه السلام ولا كان من الظالمين فصل وأما عصمتهم
من هذا الفن قبل النبوة فللناس فيه خلاف والصواب أنهم معصومون قبل النبوة
من الجهل بالله وصفاته والتشكك في شيء من ذلك • وقد تعاضدت الأخبار
والآثار عن الأنبياء عليهم السلام بتنزيههم عن هذه النقيصة منذ ولدوا ونشأتهم
على التوحيد والإيمان بل على إشراق أنوار المعارف ونفحات ألطاف السعادة
كما نبهنا عليه في الباب الثاني من القسم الأول من كتابنا هذا ولم ينقل أحد من
أهل الأخبار أن أحداً نبئ واصطفي ممن عرف بكفر وإشراك قبل ذلك ومستند
هذا الباب النقل • وقد استدل بعضهم بأن القلوب تنفر عمن كانت هذه سبيله
وأنا أقول إن قريشاً قد رمت نبينا عليه السلام بكل ما افترته وعير كفار الأمم
أنبياءها بكل ما أمكنها واختلقته مما نص الله عليه أو نقلته إلينا الرواة ولم
نجد في شيء من ذلك تعييراً لواحد منهم برفضه آلهته وتقريعه بذمه بترك
ما كان قد جامعهم عليه ولو كان هذا لكانوا بذلك مبادرين وبتلونه في معبوده
محتجين ولكان توبيخهم له بنهيهم عما كان يعبد قبل أفظع وأقطع في الحجة من
توبيخه بنهيهم عن تركهم آلهتهم وما كان يعبد آباؤهم من قبل ففي إطباقهم

على الإعراض عنه دليل على أنهم لم يجدوا سبيلا إليه إذ لو كان لنقل وما سكتوا
عنه كما لم يسكتوا عن تحويل القبلة وقالوا ما ولاهم عن قبلتهم التي كانوا عليها كما حكاه كما
الله تعالى عنهم وقد استدل القاضي القشيري على تنزيههم عن هذا بقوله تعالى
وإذ أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك الآية وبقوله تعالى وإذ أخذ الله ميثاق
النبيين إلى قوله لتؤمنن به ولتنصرنه قال فطهره الله في الميثاق ويبعد أن
يأخذ منه الميثاق قبل خلقه ثم يأخذ ميثاق النبيين بالإيمان به ونصره قبل عليه
مولده صلى الله عليه وسلم بدهور ويجوز عليه الشرك أو غيره من الذنوب هذا
ما لا يجوزه إلا ملحد هذا معنى كلامه وكيف يكون ذلك وقد أتاه جبريل عليه
السلام وشق قلبه صغيرا واستخرج منه علقة وقال هذا حظ الشيطان
منك ثم غسله وملأه حكمة وإيمانا كما تظاهرت به أخبار المبدأ ولا يشبه
عليك بقول إبرهيم عليه السلام في الكوكب والقمر والشمس هذا ربي فإنه قد قيل
كان هذا في سن طفوليته وابتداء النظر والاستدلال وقبل لزوم التكليف
وذهب معظم الحذاق من العلماء والمفسرين إلى أنه إنما قال ذلك مبكتا
لقومه ومستدلا عليهم وقيل معناه الاستفهام الوارد مورد الإنكار والمراد
أهذا ربي قال الزجاج قوله هذا ربي أي على قولكم كما قال أين شركائي
أي عندكم ويدل على أنه لم يعبد شيئا من ذلك ولا أشرك قط بالله طرفة عين
قول الله تعالى عنه إذ قال لأبيه وقومه ما تعبدون ثم قال أفرأيتم ما كنتم
تعبدون أنتم وآباؤكم الأقدمون فإنهم عدو لي إلا رب العالمين وقال إذ جاء
ربه بقلب سليم أي من الشرك وقوله واجنبني وبني أن نعبد الأصنام فإن قلت
فما معنى قوله لئن لم يهدني ربي لأكونن من القوم الضالين قيل إنه إن لم يؤيدني
بمعونته أكن مثلكم في ضلالكم وعبادتكم على معنى الإشفاق والحذر وإلا فهو

معصوم في الأزل من الضلال. فإن قلت فما معنى قوله وقال الذين كفروا لرسلهم
لنخرجنكم من أرضنا أو لتعودن في ملتنا ثم قال بعد عن الرسل قد افترينا على
الله كذبا إن عدنا في ملتكم بعد إذ نجانا الله منها. فلا يشكل عليك لفظة
العود وأنها تقتضي أنهم إنما يعودون إلى ما كانوا فيه من ملتهم فقد تأتي هذه
اللفظة في كلام العرب لغير ما ليس له ابتداء بمعنى الصيرورة كما جاء في حديث
الجهنميين عادوا حمما ولم يكونوا كذلك. ومثله قول الشاعر:
تلك المكارم لا قعبان من لبن . شيبا بماء فعادا بعد أبوالا. وما كانا قبل كذلك.
فإن قلت فما معنى قوله ووجدك ضالا فهدى. فليس هو من الضلال الذي هو
الكفر. قيل ضالا عن النبوة فهداك إليها. قاله الطبري. وقيل وجدك بين أهل
الضلال فعصمك من ذلك وهداك للإيمان وإلى إرشادهم. ونحوه عن السدي
وغير واحد. وقيل ضالا عن شريعتك أي لا تعرفها فهداك إليها. والضلال
هاهنا التحير. ولهذا كان عليه السلام يخلو بغار حراء في طلب ما يتوجه به إلى ربه
ويتشرع به حتى هداه الله إلى الإسلام. قال معناه القشيري. وقيل لا تعرف الحق
فهداك إليه. وهذا مثل قوله تعالى وعلمك ما لم تكن تعلم. قاله علي بن عيسى.
قال ابن عباس رضي الله عنهما لم تكن له ضلالة معصية. وقيل هدى أي بين أمرك
بالبراهين. وقيل وجدك ضالا بين مكة والمدينة فهداك إلى المدينة. وقيل المعنى
وجدك فهدى بك ضالا. وعن جعفر بن محمد ووجدك ضالا عن محبتي لك في الأزل
لا تعرفها فمننت عليك بمعرفتي. وقرأ الحسن بن علي رضي الله عنهما ووجدك ضال
فهدى أي اهتدى بك. وقال ابن عطاء ووجدك ضالا أي محبا لمعرفتي. والضال
المحب كما قال تعالى إنك لفي ضلالك القديم أي محبتك القديمة. ولم يريدوا هاهنا
في الدين إذ لو قالوا ذلك في نبي الله لكفروا. ومثله عند هذا إنا لنراها في ضلال مبين.

قبل ذلك صح

أي

اي محبة

أي محبة بينة. وقال الجنيد: ووجدك متحيرا في بيان ما أنزل إليك فهداك
لبيانه لقوله تعالى: وأنزلنا إليك الذكر الآية. وقيل: ووجدك لم يعرفك أحد
بالنبوة حتى أظهرك فهدى بك السعداء. ولا أعلم أحدا من المفسرين قال
فيها ضالا عن الإيمان. وكذلك في قصة موسى عليه السلام قوله: فعلتها إذا
وأنا من الضالين أي من المخطئين الفاعلين شيئا بغير قصد، قاله ابن عرفة. وقال
الأزهري: معناه من الناسين. وقد قيل ذلك في قوله: ووجدك ضالا فهدى
أي ناسيا كما قال تعالى: أن تضل إحداهما. فإن قلت: فما معنى قوله: ما كنت
تدري ما الكتاب ولا الإيمان؟ فالجواب أن السمرقندي قال: معناه ما كنت
تدري قبل الوحي أن تقرأ القرآن ولا كيف تدعو الخلق إلى الإيمان. وقال
بكر القاضي نحوه. قال: ولا الإيمان الذي هو الفرائض والأحكام. قال: فكان قبل
مؤمنا بتوحيده ثم نزلت الفرائض التي لم يكن يدريها قبل فازداد بالتكليف إيمانا.
وكذلك الحديث الذي يرويه عثمان بن أبي شيبة بسنده عن جابر أن النبي صلى الله
عليه وسلم قد كان يشهد مع المشركين مشاهدهم فسمع ملكين خلفه أحدهما يقول
لصاحبه: اذهب حتى تقوم خلفه، فقال الآخر: كيف أقوم خلفه وعهده باستلام
الأصنام، فلم يشهدهم بعد. فهذا حديث أنكره أحمد بن حنبل جدا وقال: هذا
موضوع أو شبيه بالموضوع. وقال الدارقطني: يقال إن عثمان وهم في إسناده
والحديث بالجملة منكر غير متفق على إسناده فلا يلتفت إليه. والمعروف عن النبي
صلى الله عليه وسلم خلافه عند أهل العلم من قوله عليه السلام: بغضت إلي
الأصنام. وقوله في الحديث الآخر الذي روته أم أيمن حين كلمه عمه وآله في
حضور بعض أعيادهم وعزموا عليه فيه بعد كراهته لذلك فخرج معهم
ورجع مرعوبا فقال: كلما دنوت منها من صنم تمثل لي شخص أبيض طويل يصيح بي

ورأيته لا تمسه فما مسه بعد ذلك حتى بعث. وقوله عليه السلام في قصة بحيرا حين
استحلف النبي صلى الله عليه وسلم باللات والعزى إذ لقيه بالشام في سفرته
مع عمه أبي طالب وهو صبي ورأى فيه علامات النبوة فاختبره بذلك فقال له النبي
صلى الله عليه وسلم لا تسألني بهما فوالله ما أبغضت شيئا قط بغضهما فقال له بحيرا
فبالله إلا أخبرتني عما أسألك عنه فقال سل عما بدا لك. وكذلك المعروف من سيرته
عليه السلام وتوفيق الله له أنه صلى الله عليه وسلم كان قبل نبوته يخالف المشركين في
وقوفهم بمزدلفة في الحج فكان يقف هو بعرفة لأنه كان موقف إبراهيم عليه السلام
فصل قال القاضي أبو الفضل رحمه الله قد بان بما قدمناه عقود الأنبياء
في التوحيد والإيمان والوحي وعصمتهم في ذلك على ما بيناه. فأما ما عدا هذا
الباب من عقود قلوبهم فجماعها أنها مملوءة علما ويقينا على الجملة وأنها قد احتوت
من المعرفة والعلم بأمور الدين والدنيا ما لا شيء فوقه. ومن طالع الأخبار
واعتنى بالحديث وتأمل ما قلناه وجده. وقد قدمنا منه في حق نبينا عليه السلام
في الباب الرابع أول قسم من هذا الكتاب ما ينبه على ما وراءه إلا أن أحوالهم في هذه
المعارف تختلف فأما ما تعلق منها بأمر الدنيا فلا يشترط في حق الأنبياء العصمة
من عدم معرفة الأنبياء ببعضها أو اعتقادها على خلاف ما هي عليه ولا وصم
عليهم فيه إذ هممهم متعلقة بالآخرة وأنبائها وأمر الشريعة وقوانينها
وأمور الدنيا تضادها بخلاف غيرهم من أهل الدنيا الذين يعلمون ظاهرا من
الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون كما سنبين هذا في الباب الثاني
إن شاء الله. ولكنه لا يقال إنهم لا يعلمون شيئا من أمر الدنيا فإن ذلك يؤدي
إلى الغفلة والبله وهم المنزهون عنه بل قد أرسلوا إلى أهل الدنيا وقلدوا
سياستهم وهدايتهم والنظر في مصالح دينهم ودنياهم وهذا لا يكون مع

عزوب العلم بأمور الدنيا بالكلية . وأحوال الأنبياء وسيرهم في هذا الباب معلومة
ومعرفتهم بذلك كله مشهورة . وأما إن كان هذا العقد مما يتعلق بالدين فلا
يصح من النبي عليه السلام إلا العلم به ولا يجوز عليه جهله جملة لأنه لا يخلو
أن يكون حصل عنده ذلك عن وحي من الله فهذا ما لا يصح الشك منه فيه على ما قدمناه
فكيف الجهل بل حصل له العلم اليقين أو يكون فعل ذلك باجتهاده فيما لم ينزل
عليه فيه شيء على القول بتجويز وقوع الاجتهاد منه في ذلك على قول المحققين
وعلى مقتضى حديث أم سلمة رضي الله عنها إني إنما أقضي بينكم برأيي فيما لم ينزل
علي فيه . خرجه الثقات وكقضية أسرى بدر والإذن للمتخلفين على رأي بعضهم
فلا يكون أيضا ما يعتقده مما يثمره اجتهاده إلا حقا وصحيحا هذا هو الحق الذي
لا يلتفت إلى خلاف من خالف فيه ممن أجاز عليه الخطأ في الاجتهاد [illegible] عليه
دليل لا على القول بتصويب المجتهدين الذي هو الحق والصواب عندنا ولا على القول
الآخر بأن الحق في طرف واحد لعصمة النبي صلى الله عليه وسلم من الخطأ في الاجتهاد
في الشرعيات ولأن القول في تخطئة المجتهدين إنما هو بعد استقرار الشرع . ونظر
النبي صلى الله عليه وسلم واجتهاده إنما هو فيما لم ينزل عليه فيه شيء ولم يشرع له
من هذا فيما عقد عليه صلى الله عليه وسلم قلبه فأما ما لم يعقد عليه قلبه من
أمر النوازل الشرعية فقد كان لا يعلم منها أولا إلا ما علمه الله شيئا فشيئا حتى استقر
علم جملتها عنده عليه السلام إما بوحي من الله أو إذن أن يشرع في ذلك ويحكم
بما أراه الله وقد كان ينتظر الوحي في كثير منها ولكنه لم يمت حتى استفرغ علم جميعها
عنده صلى الله عليه وسلم وتقررت معارفها لديه على التحقيق ورفع الشك والريب
وانتفاء الجهل . وبالجملة فلا يصح منه الجهل بشيء من تفاصيل الشرع الذي أمر بالدعوة
إليه إذ لا تصح دعوته إلى ما لا يعلمه وأما ما تعلق بعقده صلى الله عليه وسلم من ملكوت

السموات والأرض وخلق الله وتعيين أسمائه الحسنى وآياته الكبرى وأمور الآخرة
وأشراط الساعة وأحوال السعداء والأشقياء وعلم ما كان ويكون مما لم يعلمه إلا
بوحي فعلى ما تقدم من أنه معصوم فيه لا يأخذه فيما أُعلم منه شك ولا ريب
بل هو فيه على غاية اليقين لكنه لا يشترط له العلم بجميع تفاصيل ذلك وإن كان
عنده من علم ذلك ما ليس عند جميع البشر لقوله عليه السلام إني لا أعلم إلا ما
علمني ربي ولقوله ولا خطر على قلب بشر فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين
وقول موسى للخضر عليهما السلام هل أتبعك على أن تعلمن مما علمت رشدا وقوله
صلى الله عليه وسلم أسألك بأسمائك الحسنى ما علمت منها وما لم أعلم وقوله عليه
السلام أسألك بكل اسم سميت به نفسك أو استأثرت به في علم الغيب عندك
وقد قال الله تعالى وفوق كل ذي علم عليم قال زيد بن أسلم وغيره حتى ينتهي العلم
إلى الله تعالى وهذا ما لا خفاء به إذ معلوماته تعالى لا يحاط بها ولا منتهى لها
هذا حكم عقد النبي صلى الله عليه وسلم في التوحيد والشرع والمعارف والأمور الدينية
فصل واعلم أن الأمة مجمعة على عصمة النبي صلى الله عليه وسلم من الشيطان
وكفايته منه لا في جسمه بأنواع الأذى ولا على خاطره بالوساوس حدثنا
القاضي الحافظ أبو علي رحمه الله قال حدثنا أبو الفضل بن خيرون العدل حدثنا
أبو بكر بن برقان وغيره حدثنا أبو الحسن الدارقطني حدثنا إسماعيل الصفار حدثنا
عباس الترقفي حدثنا محمد بن يوسف حدثنا سفيان عن منصور عن سالم بن أبي الجعد
عن مسروق عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ما منكم من أحد إلا وكل به قرينه من الجن وقرينه من الملائكة قالوا وإياك يا رسول الله
قال وإياي ولكن الله تعالى أعانني عليه فأسلم زاد غيره عن منصور فلا يأمرني إلا
بخير وعن عائشة رضي الله عنها بمعناه روي فأسلم بضم الميم أي فأسلم أنا منه وصحح

بعضهم هذه الرواية ورجحها، وروي فأسلم يعني القرين أنه انتقل عن حال كفره
إلى الإسلام فصار لا يأمر إلا بخير كالملك وهو ظاهر الحديث. ورواه بعضهم
فأستسلم. قال القاضي أبو الفضل رحمه الله: فإذا كان هذا حكم شيطانه وقرينه
المسلط على بني آدم فكيف بمن بعد منه ولم يلزم صحبته ولا أقدر على الدنو منه.
وقد جاءت الآثار بتصدي الشياطين له في غير موطن رغبة في إطفاء نوره وإماتة نفسه
وإدخال شغل عليه إذ يئسوا من إغوائه فانقلبوا خاسرين كتعرضه له في
صلاته فأخذه النبي صلى الله عليه وسلم وأسره. ففي الصحاح قال أبو هريرة عنه
عليه السلام: إن الشيطان عرض لي، قال عبد الرزاق في صورة هر، فشد علي
يقطع علي الصلاة فأمكنني الله منه فذعته، ولقد هممت أن أوثقه إلى سارية حتى
تصبحوا تنظرون إليه فذكرت قول أخي سليمان رب اغفر لي وهب لي ملكا لا ينبغي
لأحد من بعدي الآية، فرده الله خاسئا. وفي حديث أبي الدرداء رضي الله عنه
عنه عليه السلام أن عدو الله إبليس جاء بشهاب من نار ليجعله في وجهي
والنبي صلى الله عليه وسلم في الصلاة، وذكر تعوذه بالله منه ولعنه له ثم أردت
أخذه، وذكر نحوه وقال: لأصبح موثقا يتلاعب به ولدان أهل المدينة. وكذلك
في حديثه صلى الله عليه وسلم في الإسراء ثم أردت أخذه وذكر نحوه وطلب عفريت
له بشعلة نار فعلمه جبريل عليه السلام ما يتعوذ به منه، ذكره في الموطأ. ولما لم
يقدر على أذاه بمباشرته تسبب بالتوسط إلى عداه كقضيته مع قريش في الائتمار
بقتل النبي صلى الله عليه وسلم وتصوره في صورة الشيخ النجدي، ومرة أخرى في
غزوة يوم بدر في صورة سراقة بن مالك، وهو قوله تعالى: وإذ زين لهم الشيطان
أعمالهم وقال لا غالب لكم اليوم الآية، ومرة ينذر بشأنه عند بيعة العقبة.
وكل هذا فقد كفاه الله تعالى أمره وعصمه ضره وشره، وقد قال عليه السلام

ان عيسى عليه السلام كفي من لمسه فجا ليطعن بيده في خاصرته حين ولد فطعن
في الحجاب. وقال عليه السلام حين لُدّ في مرضه وقيل له خشينا ان يكون بك
ذات الجنب فقال انها من الشيطان ولم يكن الله ليسلطها علي. فإن قيل فما معنى
قوله تعالى وإما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله الآية. فقد قال بعض
المفسرين انها راجعة الى قوله واعرض عن الجاهلين. ثم قال وإما ينزغنك
اي يستخفنك غضب يحملك على ترك الإعراض عنهم فاستعذ بالله. وقيل النزغ
هنا الفساد كما قال من بعد ان نزغ الشيطان بيني وبين اخوتي. وقيل ينزغنك
يغرينك ويحركك والنزغ ادنى الوسوسة فأمره الله تعالى انه متى تحرك عليه
غضب على عدوه او رام الشيطان من اغرائه به وخواطر ادنى وساوسه ما لم
يجعل له سبيل اليه ان يستعيذ منه فيكفى امره ويكون سبب تمام عصمته اذ لم
يسلط عليه باكثر من التعرض له ولم يجعل له قدرة عليه. وقد قيل في الآية غير
هذا. وكذلك لا يصح ان يتصور له الشيطان في صورة الملك ويلبس عليه لا
في اول الرسالة ولا بعدها. والاعتماد في ذلك دليل المعجزة بل لا يشك النبي
صلى الله عليه وسلم ان ما يأتيه من الله الملك ورسوله حقيقة اما بعلم ضروري
يخلقه الله تعالى له او ببرهان يظهره الله لديه لتتم كلمة ربك صدقا وعدلا
لا مبدل لكلماته. فإن قيل فما معنى قوله وما ارسلنا من قبلك من رسول ولا نبي
الا اذا تمنى القى الشيطان في امنيته الآية. فاعلم ان للناس في معنى هذه
الآية اقاويل منها السهل والوعث والسمين والغث واولى ما يقال فيها
ما عليه الجمهور من المفسرين ان التمني هاهنا التلاوة والقاء الشيطان فيها اشغاله
بخواطر واذكار من امور الدنيا للتالي حتى يدخل عليه الوهم والنسيان فيما تلاه
او يدخل غير ذلك على افهام السامعين من التحريف وسوء التأويل ما يزيله الله وينسخه

إشغاله

عند

ويكيف لبسه ويحكم آياته. وسيأتي الكلام على هذه الآية بعد هذا بأشبع من هذا
إن شاء الله. ومن خفي السمر فيدري إنكار قول من قال بتسلط الشيطان على ملك سليمان
وغلبته عليه وأن مثل هذا لا يجوز وقد ذكرنا قصة سليمن بعد هذا مبينة
ومن قال إن الجسد هو الولد الذي ولد له. وقال أبو محمد في قصة أيوب عليه
السلام وقوله إني مسني الشيطان بنصب وعذاب إنه لا يجوز لأحد أن يتأول
أن الشيطان هو الذي أمرضه وألقى الضر في بدنه ولا يكون ذلك لأعطائه
وأتى ليبتليهم ويشتتهم فالمبكي. وقيل إن الذي أصابه الشيطان ما وسوس به
إلى أهله بأن ذلك بأمعتق وقوله تعالى عن يوشع وما أنسانيه إلا الشيطان.
وقوله تعالى عن يوسف فأنساه الشيطان ذكر ربه. وقول نبينا صلى الله عليه
وسلم حين نام عن الصلوة يوم الوادي إن هذا واد به شيطان. وقول موسى
عليه السلام في وكزته هذا من عمل الشيطان فاعلم أن هذا الكلام قد يرد
في جميع هذا على مورد مستعمل كلام العرب في وصفهم كل قبيح من شخص أو فعل
بالشيطان أو بفعله كما قال تعالى كأنه رؤوس الشياطين. وقال صلى الله عليه وسلم
فليقاتله فإنما هو شيطان. وأيضا فإن قول يوشع لا يلزم منه الحوات عنده إذ
لم تثبت له في ذلك الوقت نبوة مع موسى قال الله تعالى وإذ قال موسى لفتاه
والمروي أنه إنما نبئ بعد موت موسى وقيل قبل موته وقول موسى كان نبيئته
بدليل القرآن. وقصة يوسف قد ذكرنا أنها كانت قبل نبوته. وقد قال المفسرون
في قوله تعالى أنساه الشيطان قولين أحدهما أن الذي أنساه الشيطان ذكر ربه
أحد صاحبي السجن ورب الملك أي أنساه أن يذكر للملك شأن يوسف عليه السلام
وأيضا فإن مثل هذا من فعل الشيطان ليس فيه تسلط على يوسف ويوشع بوساوس
ونزغ وإنما هو بشغل خواطرهما بأمور أخر وتذكيرهما من أمورهما ما ينسيهما

ويشتتهم

وعلمها

وأمّا قوله صلى الله عليه وسلم إنّ هذا وادٍ به شيطانٌ فليس فيه ذكر تسلّطه عليه
ولا وسوسته له بل إن كان بمقتضى ظاهره فقد بيّن أمر ذلك الشيطان بقوله
عليه السلام إنّ الشيطان أتى بلالاً فلم يزل يهدّئه كما يهدّأ الصبيّ حتى نام فاعلم
أنّ تسلّط الشيطان في ذلك الوادي إنما كان على بلال الموكّل بكلاءة الفجر هذا
إن جعلنا قوله إنّ هذا وادٍ به شيطانٌ تنبيهاً على سبب النوم عن الصلوة وأمّا
إن جعلناه تنبيهاً على سبب الرحيل عن الوادي وعلّةً لترك الصلوة به فهو دليل
مساق حديث زيد بن أسلم فلا اعتراض به في هذا الباب لبيانه وارتفاع إشكاله

فصل وأمّا أقواله عليه السلام فقامت الدلائل الواضحة بصحّة المعجزة
على صدقه وأجمعت الأمّة فيما كان طريقه البلاغ أنّه صلى الله عليه وسلم معصومٌ
فيه من الإخبار عن شيءٍ منها بخلاف ما هو به لا قصداً وعمداً ولا سهواً وغلطاً
أمّا تعمّد الخلف في ذلك فمنتفٍ بدليل المعجزة القائمة مقام قول الله صدق فيما
قال اتّفاقاً وبإطباق أهل الملّة إجماعاً وأمّا وقوعه على جهة الغلط في ذلك فبهذه
السبيل عند الأستاذ أبي إسحق الإسفرايني ومن قال بقوله ومن جهة الإجماع فقط
وورود الشرع بانتفاء ذلك وعصمة النبيّ صلى الله عليه وسلم لا من مقتضى المعجزة نفسها
عند القاضي أبي بكر الباقلاني ومن وافقه لاختلافٍ بينهم في مقتضى دليل المعجزة
لا نطوّل بذكره فنخرج عن غرض الكتاب فلنعتمد على ما وقع عليه إجماع المسلمين
أنّه لا يجوز عليه خلفٌ في القول في إبلاغ الشريعة والإعلام بما أخبر عن ربّه
وما أوحاه إليه من وحيه لا على وجه العمد ولا على غير عمدٍ ولا في حالي الرضى حالي
والسخط والصحّة والمرض وفي حديث عبد الله بن عمرو قلت يا رسول الله أكتب
كلّ ما أسمع منك قال نعم قلت في الرضى والغضب قال نعم فإنّي لا أقول في ذلك كلّه
إلّا حقّاً ولنزد ما أشرنا إليه من دليل المعجزة عليه بياناً فنقول إذا قامت

معجزة

المعجزة على صدقه صلى الله عليه وسلم وأنه لا يقول إلا حقا ولا يبلغ عن الله إلا
صدقا وأن المعجزة قائمة مقام قول الله له صدقت فيما تذكره عني وهو يقول
إني رسول الله إليكم لأبلغكم ما أرسلت به إليكم وأبين لكم ما نزل عليكم
وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى وقد جاءكم الرسول بالحق من ربكم
وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا فلا يصح أن يوجد منه
في هذا الباب خبر بخلاف مخبره على أي وجه كان فلو جوزنا الغلط والسهو
لما تميز لنا من غيره ولا اختلط الحق بالباطل فالمعجزة مشتملة على تصديقه جملة
واحدة من غير خصوص فتنزيه النبي صلى الله عليه وسلم عن ذلك كله واجب
برهانا وإجماعا كما قاله أبو إسحاق فصل وقد توجهت ههنا لبعض الطاعنين
سؤالات منها ما روي من أن النبي صلى الله عليه وسلم لما قرأ سورة والنجم
وقال أفرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى قال تلك الغرانيق العلى
وإن شفاعتها لترتجى ويروى ترتضى وفي رواية إن شفاعتها لترتجى وإنها لمع
الغرانيق العلى وفي أخرى والغرانقة العلى تلك الشفاعة ترتجى فلما ختم السورة
سجد صلى الله عليه وسلم وسجد معه المسلمون والكفار لما سمعوه أثنى على آلهتهم
وما وقع في بعض الروايات أن الشيطان ألقاها على لسانه وأن النبي صلى الله عليه
وسلم كان يتمنى أن لو نزل عليه شيء يقارب بينه وبين قومه وفي رواية أخرى
أن لا ينزل عليه شيء ينفرهم عنه وذكر هذه القصة وأن جبريل عليه السلام جاءه
فعرض عليه السورة فلما بلغ الكلمتين قال له ما جئتك بهاتين فحزن لذلك
النبي صلى الله عليه وسلم فأنزل الله تعالى تسلية له وما أرسلنا من قبلك من رسول
ولا نبي الآية وقوله تعالى وإن كادوا ليفتنونك الآية فاعلم أكرمك الله
أن لنا في الكلام على مشكل هذا الحديث مأخذين أحدهما في توهين أصله

والثاني في نقله. أما المأخذ الأول فيكفيك أن هذا حديث لم يخرجه
أحد من أهل الصحة ولا رواه ثقة بسند سليم متصل. وإنما أولع به وبمثله
المفسرون والمؤرخون المولعون بكل غريب المتلقفون من الصحف كل صحيح وسقيم
وصدق القاضي بكر بن العلاء المالكي حيث قال لقد بلي الناس ببعض أهل الأهواء
والتفسير وتعلق بذلك الملحدون مع ضعف نقلته واضطراب رواياته وانقطاع
إسناده واختلاف كلماته. فقائل يقول إنه في الصلاة وآخر يقول قالها في نادي اسانيده
قومه حين أنزلت عليه السورة وآخر يقول قالها وقد أصابته سنة. وآخر يقول
بل حدث نفسه فسها. وآخر يقول إن الشيطان قالها على لسانه وإن النبي
صلى الله عليه وسلم لما عرضها على جبريل قال ما هكذا أقرأتك. وآخر يقول بل
أعلمهم الشيطان أن النبي صلى الله عليه وسلم قرأها فلما بلغ النبي صلى الله عليه وسلم
ذلك قال والله ما هكذا أنزلت. إلى غير ذلك من اختلاف الرواة. ومن حكيت
هذه الحكاية عنه من المفسرين والتابعين لم يسندها أحد منهم ولا رفعها
إلى صاحب وأكثر الطرق عنهم فيها ضعيفة واهية. والمرفوع فيه حديث
شعبة عن أبي بشر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما فيما أحسب
الشك في الحديث أن النبي صلى الله عليه وسلم كان بمكة وذكر القصة قال أبو بكر
البزار هذا الحديث لا نعلمه يروى عن النبي صلى الله عليه وسلم بإسناد متصل
يجوز ذكره إلا هذا ولم يسنده عن شعبة إلا أمية بن خالد وغيره يرسله عن
سعيد بن جبير وإنما يعرف عن الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس فقد بين لك
أبو بكر رحمه الله أنه لا يعرف من طريق يجوز ذكره سوى هذا. وفيه من الضعف
ما نبه عليه مع وقوع الشك فيه كما ذكرناه الذي لا يوثق به ولا حقيقة
معه. وأما حديث الكلبي فمما لا تجوز الرواية عنه ولا ذكره لقوة ضعفه

وكذبه

وكذلك كما أشار إليه البزار رحمه الله • والذي منه في الصحيح أن النبي صلى الله
عليه وسلم قرأ والنجم وهو بمكة فسجد معه المسلمون والمشركون والجن والإنس
هذا توهينه من طريق النقل وأما من جهة المعنى فقد قامت الحجة وأجمعت الأمة
على عصمته صلى الله عليه وسلم ونزاهته عن مثل هذه الرذيلة • إما من تمنيه
أن ينزل عليه مثل هذا من مدح آلهة غير الله تعالى وهو كفر أو أن يتسور عليه
الشيطان ويشبه عليه القرآن حتى يجعل فيه ما ليس منه ويعتقد النبي صلى الله
عليه وسلم أن من القرآن ما ليس منه حتى ينبهه جبريل • وذلك كله ممتنع في حقه
عليه السلام أو يقول ذلك النبي صلى الله عليه وسلم من قبل نفسه عمدا وذلك كفر
أو سهوا وهو معصوم من هذا كله • وقد قررنا بالبرهان والإجماع عصمته
صلى الله عليه وسلم من جريان الكفر على قلبه أو لسانه لا عمدا ولا سهوا أو أن يشتبه
عليه ما يلقيه الملك مما يلقي الشيطان أو يكون للشيطان عليه سبيل أو أن يتقول
على الله لا عمدا ولا سهوا ما لم ينزل عليه وقد قال الله تعالى ولو تقول علينا بعض
الأقاويل الآية وقال إذا لأذقناك ضعف الحياة وضعف الممات الآية ووجه
ثان وهو استحالة هذه القصة نظرا وعرفا وذلك أن هذا الكلام لو كان
كما روي لكان بعيد الالتئام متناقض الأقسام ممتزج المدح بالذم متخاذل
التأليف والنظم ولما كان النبي صلى الله عليه وسلم ولا من بحضرته من المسلمين
وصناديد المشركين ممن يخفى عليه ذلك • وهذا لا يخفى على أدنى متأمل فكيف
بمن رجح حلمه واتسع في باب البيان ومعرفة فصيح الكلام علمه ووجه ثالث
وهو أنه قد علم من عادة المنافقين ومعاندي المشركين وضعفة القلوب والجهلة
من المسلمين نفورهم لأول وهلة وتخليط العدو على النبي صلى الله عليه وسلم لأقل
فتنة وتعييرهم المسلمين والشمات بهم الفينة بعد الفينة وارتداد من في قلبه

والشماتة

مرضٌ ممن أظهر الإسلام لأذى سفهائه ولم يحك أحدٌ في هذه القصة شيئاً سوى
هذه الرواية الضعيفة الأصل ولو كان ذلك لوجدت قريش بها على المسلمين
الصولة ولأقامت اليهود بها الحجة كما فعلوا مكابرة في قصة الإسراء حتى كانت
في ذلك لبعض الضعفاء ردة. وكذلك ما روي في هذه القصة ولا فتنة أعظم
من هذه البلية لو وجدت ولا تشغيب للمعادي حينئذ أشد من هذه الحادثة ولا تشغيب
لو أمكنت فما روي عن معاند فيها كلمة ولا عن مسلم بسببها بنت شفة فدل
على بطلها واجتثاث أصلها. ولا شك في إدخال بعض شياطين الإنس أو الجن بطلانها
هذا الحديث على بعض مغفلي المحدثين ليلبس به على ضعفاء المسلمين ووجه رابع
ذكر الرواة لهذه القضية أن فيها نزلت وإن كادوا ليفتنونك الآيتين.
وهاتان الآيتان تردان الخبر الذي رووه لأن الله تعالى ذكر أنهم كادوا يفتنونه
حتى يفتري وأنه لولا أن ثبته الله لكاد يركن إليهم فمضمون هذا ومفهومه
أن الله تعالى عصمه من أن يفتري وثبته حتى لم يركن إليهم قليلاً فكيف كثيراً
وهم يروون في أخبارهم الواهية أنه صلى الله عليه وسلم زاد على الركون والافتراء
بمدح آلهتهم وأنه قال عليه السلام افتريت على الله وقلت ما لم يقل. وهذا ضد
مفهوم الآية وهي تضعف الحديث لو صح فكيف ولا صحة له وهذا مثل قوله
تعالى في الآية الأخرى ولولا فضل الله عليك ورحمته لهمت طائفة منهم أن
يضلوك وما يضلون إلا أنفسهم وما يضرونك من شيء. وقد روي عن ابن عباس
رضي الله عنهما كل ما في القرآن كاد فهو ما لا يكون. قال الله تعالى يكاد سنا
برقه يذهب بالأبصار ولم يذهب. وأكاد أخفيها ولم يفعل. قال القشيري
القاضي ولقد طالبته قريش وثقيف إذ مر بآلهتهم أن يقبل بوجهه إليها وثقيف
ووعدوه به إن فعل فما فعل ولا كان ليفعل. قال ابن الأنباري ما قارب الإيمان

الرسول صلى الله عليه وسلم ولا ركن. وقد ذكرت في معنى هذه الآية تفاسير أخر ما
ذكرنا من نص الله على عصمة رسوله صلى الله عليه وسلم يرد سفسافها فلم يبق
في الآية إلا أن الله تعالى امتن على رسوله صلى الله عليه وسلم بعصمته وتثبيته
مما كاده به الكفار وراموا من فتنته. ومرادنا من ذلك تنزيهه وعصمته
صلى الله عليه وسلم وهو مفهوم الآية. وأما المأخذ الثاني فهو مبني على تسليم
الحديث لو صح وقد أعاذنا الله تعالى من صحته ولكن على كل حال فقد
أجاب على ذلك أئمة المسلمين بأجوبة منها الغث والسمين فمنها ما روى
قتادة ومقاتل رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم أصابته سنة عند
قراءته هذه السورة فجرى هذا الكلام على لسانه بحكم النوم وهذا لا يصح إذ لا يجوز
على النبي صلى الله عليه وسلم مثله في حالة من أحواله ولا يخلقه الله تعالى على لسانه
ولا يستولي الشيطان عليه في نوم ولا يقظة لعصمته صلى الله عليه وسلم في هذا
الباب من جميع العمد والسهو. وفي قول الكلبي أن النبي صلى الله عليه وسلم حدث
نفسه فقال ذلك الشيطان على لسانه وفي رواية ابن شهاب عن أبي بكر بن عبد الرحمن
قال وسها فلما أخبر بذلك قال إنما ذلك من الشيطان. وكل هذا لا يصح أن
يقوله عليه السلام لا سهوا ولا قصدا ولا يتقوله الشيطان على لسانه صلى الله
عليه وسلم. وقيل لعل النبي صلى الله عليه وسلم قاله أثناء تلاوته على تقدير التقرير
والتوبيخ للكفار كقول إبراهيم عليه السلام هذا ربي على أحد التأويلات وكقوله
بل فعله كبيرهم هذا بعد السكت وبيان الفصل بين الكلامين ثم رجع إلى
تلاوته وهذا ممكن مع بيان الفصل وقرينة تدل على المراد وأنه ليس من المتلو
وهو أحد ما ذكره القاضي أبو بكر. ولا يعترض على هذا بما روي أنه كان في الصلاة صح
فقد كان الكلام قبل فيها غير ممنوع. والذي يظهر ويترجح في تأويله عنده

وعند غيره من المحققين على تسليمه أن النبي صلى الله عليه وسلم كان كما أمره ربه يرتل
القرآن ترتيلا ويفصل الآي تفصيلا في قراءته كما رواه الثقات عنه فيمكن ترصد
الشيطان لتلك السكتات ودسه فيها ما اختلقه من تلك الكلمات محاكيا
نغمة النبي صلى الله عليه وسلم بحيث يسمعه من دنا إليه من الكفار فظنوها من
قول النبي صلى الله عليه وسلم وأشاعوها ولم يقدح ذلك عند المسلمين لحفظ
السورة قبل ذلك على ما أنزلها الله تعالى وتحققهم من حال النبي صلى الله عليه
وسلم في ذم الأوثان وعيبها ما عرف منه وقد حكى موسى بن عقبة في مغازيه
نحو هذا وقال إن المسلمين لم يسمعوها وإنما ألقى الشيطان ذلك في أسماع المشركين
وقلوبهم ويكون ما روي من حزن النبي صلى الله عليه وسلم لهذه الإشاعة والشبهة
وسبب هذه الفتنة. وقد قال الله تعالى وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا
نبي الآية. تمنى معنى تلا. قال الله تعالى لا يعلمون الكتاب إلا أماني أي تلاوة.
وقوله تعالى فينسخ الله ما يلقي الشيطان أي يذهبه ويزيل اللبس به ويحكم
آياته. وقيل معنى الآية هو ما يقع للنبي صلى الله عليه وسلم من السهو إذا قرأ فينتبه
لذلك ويرجع عنه وهذا نحو قول الكلبي في الآية أنه حدث نفسه. وقال
إذا تمنى أي حدث نفسه وفي رواية أبي بكر بن عبد الرحمن نحوه وهذا السهو في
القراءة إنما يصح فيما ليس طريقه تغيير المعاني وتبديل الألفاظ وزيادة ما ليس
من القرآن بل السهو عن إسقاط آية منه أو كلمة ولكنه لا يقر على هذا السهو بل
ينبه عليه ويذكر به للحين كما سنذكره في حكم ما يجوز عليه من السهو والغلط
وما لا يجوز. ومما يظهر في تأويله أيضا أن مجاهدا روى هذه القصة والغرانيق
العلى فإن سلمنا القصة قلنا لا يبعد أن هذا كان قرآنا والمراد بالغرانيق العلى
وأن شفاعتهن لترتجى الملائكة على هذه الرواية وبهذا فسر الكلبي الغرانيق

الأماني

علي ما

شفاعتهم

انها الملائكة وذلك ان الكفار كانوا يعتقدون ذلك وان الملائكة بناته
كما حكى الله تعالى عنهم ورد عليهم في هذه السورة بقوله تعالى ألكم الذكر
وله الانثى • فانكر الله كل هذا من دعواهم ورجاء الشفاعة من الملائكة صحيح
لما اوله المشركون على ان المراد بهذا الذكر آلهتهم ولبس عليهم الشيطان
ذلك وزينه في قلوبهم والقاه اليهم نسخ الله تعالى ما القى الشيطان واحكم
اياته ورفع تلاوة تلك اللفظتين اللتين وجد الشيطان بهما سبيلا للتلبيس (للكلم)
كما نسخ كثير من القران ورفعت تلاوته وكان في انزال الله تعالى حكمة وفي نسخه
حكمة ليضل به من يشاء ويهدي من يشاء وما يضل به الا الفاسقين وليجعل
ما يلقي الشيطان فتنة للذين في قلوبهم مرض والقاسية قلوبهم وان الظالمين
لفي شقاق بعيد وليعلم الذين اوتوا العلم انه الحق من ربك فيؤمنوا به فتخبت
له قلوبهم الاية • وقيل ان النبي صلى الله عليه وسلم لما قرأ هذه السورة وبلغ
ذكر اللات والعزى ومناة الثالثة الاخرى خاف الكفار ان يأتي بشيء من
ذمها فسبقوا الى مدحها بتلك الكلمتين ليخلطوا في تلاوة النبي صلى الله عليه
وسلم ويشنعوا عليه على عادتهم وقولهم لا تسمعوا لهذا القران والغوا فيه (ويشنعوا)
لعلكم تغلبون • ونسب هذا الفعل الى الشيطان لحمله لهم عليه واشاعوا
ذلك واذاعوه وان النبي صلى الله عليه وسلم قاله فحزن لذلك من كذبهم
وافترائهم عليه فسلاه الله تعالى بقوله وما ارسلنا من قبلك من رسول
ولا نبي الا اذا تمنى الاية • وبين للناس الحق من ذلك من الباطل وحفظ القران
واحكم اياته ودفع ما لبس به العدو كما ضمنه تعالى من قوله انا نحن نزلنا (تضمنه)
الذكر الاية • ومن ذلك ما روي من قصة يونس عليه السلام انه وعد قومه
العذاب عن ربه فلما تابوا كشف عنهم العذاب فقال لا ارجع اليهم كذابا ابدا

تدفعه بمعارضتها. اعلم أكرمك الله أن ليس في خبر من الأخبار الواردة في هذا
الباب أن يونس عليه السلام قال لهم إن الله تعالى مهلككم وإنما فيه أنه
دعا عليهم بالهلاك والدعاء ليس بخبر يطلب صدقه من كذبه لكنه قال
لهم إن العذاب مصبحكم وقت كذا وكذا فكان ذلك كما قال ثم رفع الله
عنهم العذاب وتداركهم قال الله تعالى إلا قوم يونس لما آمنوا كشفنا
عنهم عذاب الخزي الآية وروي في الأخبار أنهم رأوا دلائل العذاب ومخايله
قاله ابن مسعود وقال سعيد بن جبير غشاهم العذاب كما يغشى الثوب القبر
فإن قلت فما معنى ما روي أن عبد الله بن أبي سرح كان يكتب لرسول الله صلى الله
عليه وسلم ثم ارتد مشركا وصار إلى قريش فقال لهم إني كنت أصرف محمدا حيث
أريد كان يملي علي عزيز حكيم فأقول أو عليم حكيم فيقول نعم كل صواب وفي
حديث آخر فيقول له النبي صلى الله عليه وسلم اكتب كذا فيقول أكتب كذا فيقول
اكتب كيف شئت ويقول اكتب عليما حكيما فيقول أكتب سميعا بصيرا فيقول
له اكتب كيف شئت وفي الصحيح عن أنس رضي الله عنه أن نصرانيا كان يكتب
للنبي صلى الله عليه وسلم بعدما أسلم ثم ارتد وكان يقول ما يدري محمد إلا ما
كتبت له فاعلم ثبتنا الله وإياك على الحق ولا جعل للشيطان وتلبيسه الحق
بالباطل إلينا سبيلا أن مثل هذه الحكاية أولا لا توقع في قلب مؤمن ريبا
إذ هي حكاية عمن ارتد وكفر بالله ونحن لا نقبل خبر المسلم المتهم فكيف بكافر
افترى هو ومثله على الله ورسوله ما هو أعظم من هذا. والعجب لسليم العقل كيف
يشغل بمثل هذه الحكاية سره وقد صدرت من عدو كافر مبغض للدين مفتر
على الله ورسوله ولم يرد عن أحد من المسلمين ولا ذكر أحد من الصحابة أنه شاهد
ما قاله وافتراه على نبي الله. وإنما يفتري الكذب الذين لا يؤمنون بآيات الله

فاولئك هم الكاذبون. وما وقع من ذكرها في حديث أنس وظاهر حكايته
ها فليس فيه ما يدل أنه شاهدها ولعله حكى ما سمع. وقد علّل البزار حديثه
ذلك وقال رواه ثابت عنه ولم يتابع عليه ورواه حميد عن أنس قال الدارقطني
حميد إنما سمعه من ثابت قال القاضي أبو الفضل رحمه الله ولهذا والله
أعلم لم يخرج أهل الصحيح حديث ثابت وحميد والصحيح حديث عبد العزيز
بن رفيع عن أنس الذي خرجه أهل الصحيح وذكرناه وليس فيه عن أنس قول
شيء من ذلك من قبل نفسه إلا من حكايته عن المرتد النصراني ولو كانت صحيحة
لما كان فيها قدح ولا توهيم للنبي صلى الله عليه وسلم فيما أوحي إليه ولا جواز
للنسيان والغلط عليه والتحريف فيما بلغه ولا طعن في نظم القرآن وأنه من
عند الله إذ ليس فيه لو صح أكثر من أن الكاتب قال له عليم حكيم أو كتبه فقال
له النبي صلى الله عليه وسلم كذلك هو فسبقه لسانه أو قلمه لكلمة أو كلمتين مما أنزل
على الرسول صلى الله عليه وسلم قبل إظهار الرسول لها إذ كان ما تقدم مما أملاه
الرسول يدل عليها ويقتضي وقوعها بقوة قدرة الكاتب على الكلام ومعرفته
وجودة حسه وفطنته كما يتفق ذلك للعارف إذا سمع البيت أن يسبق إلى قافيته
أو مبتدأ الكلام الحسن إلى ما يتم به فلا يتفق ذلك في جملة الكلام كما لا يتفق ذلك
في آية ولا في سورة وكذلك قوله عليه السلام إن صح كلٌّ صواب. فقد يكون هذا
فيما كان فيه من مقاطع الآي وجهان وقراءتان أنزلتا جميعا على النبي صلى الله
عليه وسلم فأملى إحداهما وتوصل الكاتب بفطنته ومعرفته بمقتضى الكلام إلى
الأخرى فذكرها للنبي صلى الله عليه وسلم كما قدمناه فصوبها له النبي صلى الله عليه
وسلم ثم أحكم الله من ذلك ما أحكم ونسخ ما نسخ كما وجد ذلك في بعض قد
مقاطع الآي مثل قوله تعالى إن تعذبهم فإنهم عبادك وإن تغفر لهم فإنك أنت

العزيز الحكيم وهي قراءة الجمهور. وقد قرأ جماعة فإنك أنت الغفور الرحيم وليست
من المصحف. وكذلك كلمات جاءت على وجهين في غير هذه المواضع قرأ بهما معا الجمهور
وثبتتا في المصحف مثل وانظر إلى العظام كيف ننشرها وننشزها ويقص الحق
ويقضي الحق. وكل هذا لا يوجب ريبا ولا يسبب للنبي صلى الله عليه وسلم غلطا ولا
وهما. وقد قيل إن هذا يحتمل أن يكون فيما يكتبه عن النبي صلى الله عليه وسلم
إلى الناس غير القرآن فيصف الله ويسميه كيف شاء. فصل هذا القول
فيما طريقه البلاغ. وأما ما ليس سبيله سبيل البلاغ من الأخبار التي لا مستند
لها إلى الأحكام ولا أخبار المعاد ولا تضاف إلى وحي بل في أمور الدنيا وأحوال
نفسه. فالذي يجب تنزيه النبي صلى الله عليه وسلم عن أن يقع خبره في شيء من ذلك
بخلاف مخبره لا عمدا ولا سهوا ولا غلطا وأنه معصوم من ذلك في حال رضاه
وفي حال سخطه وجده ومزحه وصحته ومرضه صلى الله عليه وسلم ودليل ذلك
اتفاق السلف وإجماعهم عليه وذلك أنا نعلم من دين الصحابة وعادتهم رضي
الله عنهم مبادرتهم إلى تصديق جميع أحواله والثقة بجميع أخباره صلى الله عليه
وسلم في أي باب كانت وعن أي شيء وقعت وأنه لم يكن لهم توقف ولا تردد في
شيء منها ولا استثبات عن حاله عند ذلك هل وقع فيها سهو أم لا. ولما احتج
ابن أبي الحقيق اليهودي على عمر رضي الله عنه حين أجلاهم من خيبر بإقرار رسول الله
صلى الله عليه وسلم لهم واحتج عليه عمر رضي الله عنه بقوله صلى الله عليه وسلم
كيف بك إذا أخرجت من خيبر فقال اليهودي كانت هزيلة من أبي القاسم
فقال له عمر رضي الله عنه كذبت يا عدو الله. وأيضا فإن أخباره وآثاره وسيره
وشمائله معتنى بها مستقصى تفاصيلها ولم يرد في شيء منها استدراكه عليه
السلام لغلط في قول قاله أو اعترافه بوهم في شيء أخبر به. ولو كان ذلك

لنا كما نقل من نصيحته عليه السلام وخوفه عما أشار به على الأنصار في تلقيح
النخل وكان ذلك رأيا لا خبرا وغير ذلك من الأمور التي ليست من هذا الباب غيرها
كقوله عليه السلام والله لا أحلف على يمين فأرى خيرا منها الا فعلت الذي حلفت
عليه وكفرت عن يميني وقوله عليه السلام إنكم تختصمون إلي الحديث وقوله
عليه السلام اسق يا زبير حتى يبلغ الماء الجدر كما سنبين كل ما في هذا من مشكل
في هذا الباب والذي يليه إن شاء الله تعالى مع أشباهها وأيضا فإن الكذب
متى عرف من أحد في شيء من الأخبار بخلاف ما هو على أي وجه كان استريب
بخبره واتهم في حديثه ولم يقع قوله في النفوس موقعا ولهذا ما ترك المحدثون
والعلماء الحديث عمن عرف بالوهم والغفلة وسوء الحفظ وكثرة الغلط مع ثقته
وأيضا فإن تعمد الكذب في أمور الدنيا معصية والإكثار منه كبيرة بالإجماع
مسقط للمروءة وكل هذا مما ينزه عنه منصب النبوة والمرة الواحدة منه فيما ويستشنع
يستشنع ويستبشع مما يخل بصاحبها ويزري بقائلها لاحقة بذلك وأما
فيما لا يقع هذا الموقع فإن عددناها من الصغائر فهل تجري على حكمها في
الخلاف فيها مختلف فيه والصواب تنزيه النبوة عن قليله وكثيره سهوه وعمده
إذ عمدة النبوة البلاغ والإعلام والتبيين وتصديق ما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم
وتجويز شيء من هذا قادح في ذلك ومشكك فيه مناقض للمعجزة فلنقطع عن يقين
بأنه لا يجوز على الأنبياء عليهم السلام خلف في القول في وجه من الوجوه لا
بقصد ولا بغير قصد ولا نتسامح مع من تسامح في تجويز ذلك عليهم حال السهو
فيما ليس طريقه البلاغ نعم وبأنه لا يجوز عليهم الكذب قبل النبوة ولا الاتسام
به في أمورهم وأحوال دنياهم لأن ذلك كان يزري بهم ويريب بهم وينفر القلوب
عن تصديقهم بعد وانظر أحوال أهل عصر النبي صلى الله عليه وسلم من قريش

وغيرها من التعريب وتنزيههم عن حالة في صدق لسانه وما عزي إليه من ذلك
واعترفوا به مما عرف واتفق السلف على عصمة نبينا صلى الله عليه وسلم منه قبل
وبعد وقد ذكرنا من الآثار فيه في الباب الثاني أول الكتاب ما يبين لك
صحة ما أشرنا إليه

فصل

فإن قلت فما معنى قوله عليه السلام في حديث
السهو الذي حدثنا به الفقيه أبو إسحاق إبراهيم بن جعفر حدثنا القاضي أبو
الأصبغ ابن سهل حدثنا حاتم بن محمد حدثنا أبو عبد الله بن الفخار حدثنا
أبو عيسى حدثنا عبيد الله حدثنا يحيى عن مالك عن داود بن الحصين عن أبي
سفيان مولى ابن أبي أحمد أنه قال سمعت أبا هريرة رضي الله عنه يقول صلى رسول الله
صلى الله عليه وسلم صلاة العصر فسلم في ركعتين فقام ذو اليدين فقال أقصرت يا رسول الله
الصلاة أم نسيت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كل ذلك لم يكن وفي
الرواية الأخرى ما قصرت وما نسيت الحديث بقصته فأخبر بنفي الحالتين
وأنها لم تكن وقد كان أحد ذلك كما قال ذو اليدين قد كان بعض ذلك
يا رسول الله فاعلم وفقنا الله وإياك أن للعلماء في ذلك أجوبة بعضها بصدد
الإنصاف ومنها ما هو بنية التعسف والاعتساف وها أنا أقول أما على
القول بتجويز الوهم والغلط مما ليس طريقه من القول البلاغ وهو الذي زيفناه
من القولين فلا اعتراض بهذا الحديث وشبهه وأما على مذهب من يمنع
السهو والنسيان في أفعاله صلى الله عليه وسلم جملة ويرى أنه في مثل هذا عامد
لصورة النسيان ليسن فهو صادق في خبره لأنه لم ينس ولا قصرت ولكنه
على هذا القول تعمد هذا الفعل في هذه الصورة ليسنه لمن اعتراه مثله وهو قول
مرغوب عنه نذكره في موضعه وأما على إحالة السهو عليه في الأقوال وتجويز
السهو عليه فيما ليس طريقه القول كما سنذكره ففيه أجوبة منها أن النبي صلى الله عليه وسلم

ففيه

الخبر عن اعتقاده وضميره. أما إنكار القصر فحق وصدق باطنا وظاهرا
وأما النسيان فأخبر صلى الله عليه وسلم عن اعتقاده وأنه لم ينس في ظنه
فكأنه قصد الخبر بهذا عن ظنه وإن لم ينطق به وهذا صدق أيضا وجه ثان
أن قوله عليه السلام ولم أنس راجع إلى السلام أي إني سلمت قصدا وسهوت
عن العدد أي لم أسه في نفس السلام وهذا محتمل وفيه بعد وجه ثالث
وهو أبعدها ما ذهب إليه بعضهم وإن احتمله اللفظ من قوله عليه السلام
كل ذلك لم يكن أي لم يجتمع القصر والنسيان بل كان أحدهما ومفهوم اللفظ خلافه
مع الرواية الأخرى الصحيحة وهو قوله عليه السلام ما قصرت الصلاة وما نسيت
هذا ما رأيت فيه لأئمتنا وكل من هذه الوجوه محتمل للفظ على بعد بعضها
وتعسف الآخر منها قال القاضي أبو الفضل رحمه الله تعالى والذي أقول ويظهر
لي أنه أقرب من هذه الوجوه كلها أن قوله عليه السلام لم أنس إنكار للفظ الذي
نفاه عن نفسه وأنكره على غيره بقوله بئسما لأحدكم أن يقول نسيت آية كذا وكذا
ولكنه نسي. وبقوله عليه السلام في بعض روايات الحديث الآخر لست أنسى
ولكن أنسى فلما قال له السائل أقصرت الصلاة أم نسيت أنكر قصرها كما كان ونسيانه
هو من قبل نفسه عليه السلام. وأنه إن كان جرى شيء من ذلك فقد نسي
حتى سأل غيره فتحقق أنه نسي وأجري عليه ذلك ليسن. فقوله على هذا لم أنس
ولم تقصر وكل ذلك لم يكن صدق وحق لم تقصر ولم ينس حقيقة ولكنه نسي
ووجه آخر استثرته من كلام بعض المشايخ وذلك أنه قال إن النبي صلى الله عليه
وسلم كان يسهو ولا ينسى. ولذلك نفى عن نفسه النسيان قال لأن النسيان
غفلة وآفة والسهو إنما هو شغل قال فكان النبي صلى الله عليه وسلم يسهو في صلاته
ولا يغفل عنها وكان يشغله عن حركات الصلاة ما في الصلاة شغلا بها لا غفلة

عنهما فقد ان يحقق على هذا المعنى لم يكن في قوله عليه السلام ما قصرت ولا
نسيت خلف في قوله. وعندي ان قوله صلى الله عليه وسلم ما قصرت وما نسيت
بمعنى الترك الذي هو احد وجهي النسيان اراد والله اعلم اني لم اسلم من ركعتين
تاركا لاكمال الصلوة ولكني نسيت ولم يكن ذلك من تلقاء نفسي. والدليل على ذلك
قوله صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح اني لانسى او انسى لاسن. واما قصة
كلمات ابرهيم عليه السلام المذكورة في حديث انها كذباته الثلاث المنصوصة
في القرآن منها اثنتان قوله اني سقيم. وبل فعله كبيرهم هذا. وقوله عليه السلام
للملك عن زوجته انها اختي يا علي اكرمك الله ان هذه كلها خارجة عن الكذب
لا في القصد ولا في غيره وهي داخلة في باب المعاريض التي فيها مندوحة عن
الكذب. اما قوله عليه السلام اني سقيم فقال الحسن وغيره معناه ساسقم
اي ان كل مخلوق معرض لذلك فاعتذر لقومه من خروجه معهم الى عيدهم بهذا.
وقيل بل سقيم بما قدر علي من الموت. وقيل سقيم القلب بما اشاهده من كفركم
وعنادكم. وقيل بل كانت تاخذه الحمى عند طلوع نجم معلوم فلما راه اعتذر بعادته
وكل هذا ليس فيه كذب بل هو خبر صحيح صدق. وقيل بل عرض بسقم حجته عليهم
وضعف ما اراد بيانه لهم من جهة النجوم التي يشتغلون بها وانه اثناء نظره في ذلك
وقبل استقامة حجته عليهم في حال سقم ومرض حال مع انه لم يشك هو ولا ضعف
ايمانه ولكن ضعف في استدلاله عليهم وسقم نظره كما يقال حجة سقيمة ونظر
معلول حتى الهمه الله تعالى باستدلاله وصحة حجته عليهم بالكوكب والشمس
والقمر ما نصه الله تعالى وقد قدمنا بيانه. واما قوله عليه السلام بل فعله
كبيرهم هذا الاية فانه علق خبره بشرط نطقه كانه قال ان كان ينطق
فهو فعله على طريق التبكيت لقومه وهذا صدق ايضا لا خلف فيه. واما قوله

عليه السلام

عليه السلام أختي فقد بين في الحديث وقال فإنك أختي في الإسلام وهو صادق
والله تعالى يقول إنما المؤمنون إخوة فإن قلت فهذا النبي صلى الله عليه وسلم قد
سماها كذبات وقال لم يكذب إبراهيم إلا ثلاث كذبات وقال في حديث الشفاعة
ويذكر كذباته فمعناه أنه لم يتكلم بكلام صورته صورة الكذب وإن كان حقا
في الباطن إلا هذه الكلمات ولما كان مفهوم ظاهرها خلاف باطنها أشفق إبراهيم
عليه السلام بمؤاخذته بها وأما الحديث كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا أراد
غزوة ورى بغيرها فليس فيه خلف في القول إنما هو ستر مقصده لئلا يأخذ
عدوه حذره منه وكتم وجه ذهابه بذكر السؤال عن موضع آخر والبحث عن
أخباره والتعريض بذكره لا أنه يقول تجهزوا إلى غزوة كذا أو وجهتنا إلى موضع
كذا خلاف مقصده فهذا لم يكن والأول ليس فيه خبر يدخله الخلف فإن
قلت فما معنى قول موسى عليه السلام وقد سئل أي الناس أعلم فقال أنا أعلم
فعتب الله عليه إذ لم يرد العلم إليه الحديث وفيه قال بلى عبد لنا بمجمع البحرين
أعلم منك وهذا خبر قد أنبأ الله تعالى أنه ليس كذلك فاعلم أنه وقع في هذا الحديث
من بعض طرقه الصحيحة عن ابن عباس رضي الله عنهما هل تعلم أحدا أعلم منك
فإذا كان جوابه على علمه فهو خبر حق وصدق لا خلف فيه ولا شبهة • وعلى الطريق
الآخر فمحمله على ظنه ومعتقده كما لو صرح به لأن حاله في النبوة والاصطفاء
يقتضي ذلك فيكون إخباره بذلك أيضا عن اعتقاده وحسبانه صدقا لا خلف فيه
وقد يريد بقوله عليه السلام أنا أعلم بما تقتضيه وظائف النبوة من علوم التوحيد
وأمور الشريعة وسياسة الأمة ويكون الخضر أعلم منه بأمور أخر مما لا يعلمها
أحد إلا بإعلام الله من علوم غيبه كالقصص المذكورة في خبرهما فكان موسى أعلم
على الجملة بما تقدم • وهذا أعلم على الخصوص بما أعلم ويدل عليه قوله تعالى وعلمناه

من لدنا علمًا وعتب الله ذلك عليه فيما قال العلماء إنكار هذا القول عليه لأنه
لم يرد العلم إليه كما قالت الملائكة لا علم لنا إلا ما علمتنا أو لأنه لم يرض قوله شرعًا
وذلك والله أعلم لئلا يقتدي به فيه من لم يبلغ كماله في تزكية نفسه وعلو درجته
من أمته فيهلك لما تضمنه من مدح الإنسان نفسه ويورثه ذلك من الكبر والعجب
والتعاطي والدعوى وإن نزه عن هذه الرذائل الأنبياء فغيرهم بمدرجة سبيلها
ودرك ليلها إلا من عصمه الله تعالى فالتحفظ منها أولى لنفسه وليقتدى به ولهذا
قال عليه السلام تحفظًا من مثل هذا مما قد علم به أنا سيد ولد آدم ولا فخر
وهذا الحديث أخذ حجة القائلين بنبوة الخضر لقوله فيه أنا أعلم من موسى ولا يكون
الولي أعلم من النبي صلى الله عليه وسلم وأما الأنبياء فيتفاضلون في المعارف وبقوله
وما فعلته عن أمري فدل أنه بوحي ومن قال إنه ليس بنبي قال يحتمل أن يكون فعله
بأمر نبي آخر وهذا يضعف لأنه ما علمنا كان في زمن موسى عليه السلام نبي غيره
إلا أخاه هرون وما نقل أحد من أهل الأخبار في ذلك شيئًا يعول عليه • وإذا
جعلنا أعلم منك ليس على العموم وإنما هو على الخصوص وفي قضايا معينة لم يحتج
إلى إثبات نبوة خضر عليه السلام ولهذا قال بعض الشيوخ كان موسى عليه السلام
أعلم من الخضر فيما أخذ عن الله تعالى والخضر أعلم فيما دفع إليه من موسى وقال
آخر إنما ألجئ موسى إلى الخضر للتأديب لا للتعليم فصل وأما ما يتعلق بالجوارح
من الأعمال ولا تخرج من جملتها القول باللسان فيما عدا الخبر الذي وقع فيه
الكلام ولا الاعتقاد بالقلب فيما عدا التوحيد وما قدمناه من معارفه المختصة
به فأجمع المسلمون على عصمة الأنبياء عليهم السلام من الفواحش والكبائر الموبقات
ومستند الجمهور في ذلك الإجماع الذي ذكرناه وهو مذهب القاضي أبي بكر
ومنعها غيره بدليل العقل مع الإجماع وهو قول الكافة واختاره الأستاذ أبو إسحق

وكذلك لا خلاف أنهم معصومون من كتمان الرسالة والتقصير في التبليغ لأن
كل ذلك يقتضي العصمة منه المعجزة مع الإجماع على ذلك من الكافة. والجمهور
قائل بأنهم معصومون من ذلك من قبل الله تعالى معتصمون باختيارهم وكسبهم
الا حسينا النجار فانه قال لا قدرة لهم على المعاصي أصلا. وأما الصغائر
فجوزها جماعة من السلف وغيرهم على الأنبياء وهو مذهب أبي جعفر الطبري وغيره
من الفقهاء والمحدثين والمتكلمين وسنورد بعد هذا ما احتجوا به. وذهبت طائفة
أخرى إلى الوقف وقالوا العقل لا يحيل وقوعها منهم ولم يأت في الشرع قاطع
بأحد الوجهين. وذهبت طائفة أخرى من المحققين من الفقهاء والمتكلمين إلى
عصمتهم من الصغائر كعصمتهم من الكبائر قالوا لاختلاف الناس في الصغائر لصغيرة
وتعيينها من الكبائر وإشكال ذلك وقول ابن عباس وغيره أن كل ما عصي الله الصغائر
به فهو كبيرة وأنه إنما سمي منها الصغير بالإضافة إلى ما هو أكبر منه ومخالفة
الباري في أي أمر كان يجب كونه كبيرة. قال القاضي أبو محمد عبد الوهاب بوجه
لا يمكن أن يقال أن في معاصي الله صغيرة إلا على معنى أنها تغتفر باجتناب الكبائر
ولا يكون لها حكم مع ذلك بخلاف الكبائر إذا لم يتب منها فلا يحبطها شيء
والمشيئة في العفو عنها إلى الله تعالى وهو قول القاضي أبي بكر وجماعة أئمة الأشعرية
وكثير من أئمة الفقهاء. وقال بعض أئمتنا ولا يجب على القولين أن يختلف أنهم معصومون
عن تكرار الصغائر وكثرتها إذ يلحقها ذلك بالكبائر ولا في صغيرة أدت إلى
إزالة الحشمة وأسقطت المروءة وأوجبت الإزراء والخساسة فهذا أيضا مما
يعصم عنه الأنبياء عليهم السلام إجماعا لأن مثل هذا يحط منصب المتسم به منصب
ويزري بصاحبه وينفر القلوب عنه والأنبياء منزهون عن ذلك بل يلحق
بهذا ما كان من قبيل المباح فأدى إلى مثله لخروجه بما أدى إليه عن اسم المباح

إلى الحظر، وقد ذهب بعضهم إلى عصمتهم من مواقعة المكروه وفصل، وقد
استدل بعض الأئمة على عصمتهم من الصغائر بالمصير إلى امتثال أفعالهم
واتباع آثارهم وسيرهم مطلقًا وجمهور الفقهاء على ذلك من أصحاب مالك
والشافعي وأبي حنيفة رضي الله عنهم من غير التزام قرينة بل مطلقًا عند بعضهم
وإن اختلفوا في حكم ذلك، وحكى ابن خويز منداد وأبو الفرج عن مالك التزام
ذلك وجوبًا وهو قول الأبهري وابن القصار وأكثر أصحابنا وقول أكثر أهل
العراق وابن سريج والإصطخري وابن خيران من الشافعية، وأكثر الشافعية
على أن ذلك ندب، وذهبت طائفة إلى الإباحة، وقيد بعضهم الاتباع فيما كان
من الأمور الدينية وعلم به مقصد القربة، ومن قال بالإباحة في أفعاله لم
يقيد، قال: فلو جوزنا عليهم الصغائر لم يمكن الاقتداء بهم في أفعالهم إذ ليس كل
فعل من أفعاله يتميز مقصده به من القربة أو الإباحة والحظر أو المعصية
ولا يصح أن يؤمر المرء بامتثال أمر لعله معصية لا سيما على من يرى تقديم الفعل
على القول إذا تعارضا من الأصوليين، ونزيد هذا حجة بأن نقول من جوز الصغائر
ومن نفاها عن نبينا عليه السلام مجمعون أنه لا يقر على منكر من قول أو فعل
وأنه متى رأى شيئًا فسكت عنه صلى الله عليه وسلم دل على جوازه، فكيف يكون هذا
حاله في حق غيره ثم يجوز وقوعه منه في نفسه، وعلى هذا المأخذ تجب عصمتهم
من مواقعة المكروه كما قيل، إذ الحظر أو الندب على الاقتداء بفعله ينافي الزجر
والنهي عن فعل المكروه، وأيضًا فقد علم من دين الصحابة رضي الله عنهم قطعًا
الاقتداء بأفعال النبي صلى الله عليه وسلم كيف توجهت، وفي كل فن كالاقتداء
بأقواله صلى الله عليه وسلم فقد نبذوا خواتيمهم حين نبذ خاتمه وخلعوا نعالهم
حين خلع نعله صلى الله عليه وسلم، واحتجاجهم برؤية ابن عمر رضي الله عنهما

رآه حالسا بقضا حاجته مستقبلا بيت المقدس واخبر غير واحد منهم
في غير شي مما بابه العبادة او العادة بقوله رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يفعله وقال هلا اخبرتها اني اقبل وانا صايم وقالت عايشة رضي الله عنها محتجة
كنت افعله انا ورسول الله صلى الله عليه وسلم وغضب عليه السلام على الذي
اخبر بمثل هذا عنه وقال يحل الله لرسوله ما شاء وقال اني لاخشاكم لله واعلمكم
بحدوده والاثار في هذا اعظم من ان نحيط عليها لكنه نعلم من مجموعها
على القطع اتباعهم افعاله واقتداهم بها ولو جوزوا عليه المخالفة في شي
منها لما اتسق هذا ولنقل عنهم وظهر بحثهم عن ذلك ولما انكر عليه السلام
على الاخر قوله واعتذاره بما ذكرناه واما المباحات فجايز وقوعها منهم اذ
ليس فيها قدح بل هي ماذون فيها وايديهم كايدي غيرهم مسلطة عليها
الا انهم بما خصوا به من رفيع المنزلة وشرحت له صدورهم من انوار المعرفة
واصطفوا به من تعلق بالهم بالله والدار الاخرة لا ياخذون من المباحات
الا الضرورات مما يتقوون به على سلوك طريقهم وصلاح دينهم وضرورة دنياهم
وما اخذ على هذه السبيل التحق طاعة وصار قربة كما بينا منه اول الكتاب طرفا
في خصال نبينا صلى الله عليه وسلم فبان لك الفضل لله على نبينا صلى الله عليه وسلم
وعلى ساير الانبيا عليهم السلام بان جعل افعالهم قربات وطاعات بعيدة عن وجه
المخالفة ورسم المعصية فصل وقد اختلف في عصمتهم من المعاصي قبل
النبوة فمنعها قوم وجوزها اخرون والصحيح ان شا الله تعالى تنزيههم من كل
عيب وعصمتهم من كل ما يوجب الريب فكيف والمسالة تصورها كالممتنع فان
المعاصي والنواهي انما تكون بعد تقرر الشرع وقد اختلف الناس في حال نبينا
صلى الله عليه وسلم قبل ان يوحى اليه هل كان متبعا لشرع قبله ام لا فقال جماعة

بها ح يلفها

بالعلم ح

عظيم ح

م يكن متشرعا بشيء وهذا قول الجمهور والقاضي على هذا القول غير موجود ولا
معتبر في حقه حينئذ إذ الأحكام الشرعية إنما تتعلق بالأوامر والنواهي وتقرير
الشريعة. ثم اختلفت حجج القائلين بهذه المقالة عليها فذهب سيف السنة
ومقتدى فرق الأمة القاضي أبو بكر إلى أن طريق العلم بذلك النقل وتواتر الخبر ابن الطيب
من طريق السمع. وحجته أنه لو كان ذلك لنقل ولما أمكن كتمه وستره في العادة
إذ كان من مهم أمره وأولى ما اهتبل به من سيرته ولفخر به أهل تلك الشريعة
ولاحتجوا به عليه ولم يؤثر شيء من ذلك جملة وذهبت طائفة إلى امتناع ذلك
عقلا قالوا لأنه يبعد أن يكون متبوعا من عرف تابعا. وبنوا هذا على التحسين
والتقبيح وهي طريقة غير سديدة واستناد ذلك إلى النقل كما تقدم للقاضي
أبي بكر أولى وأظهر. وقالت فرقة أخرى بالوقف في أمره عليه السلام وترك القطع
بحكم عليه بشيء في ذلك إذ لم يحل الوجهين منهما العقل ولا استبان عنده
في أحدهما طريق النقل وهو مذهب أبي المعالي. وقالت فرقة ثالثة إنه كان
عاملا بشرع من قبله. ثم اختلفوا هل يتعين ذلك الشرع أم لا. فوقف بعضهم
عن تعيينه وأحجم. وجسر بعضهم على التعيين وصمم. ثم اختلفت هذه المعينة
فيمن كان يتبع. فقيل نوح. وقيل إبراهيم. وقيل موسى. وقيل عيسى صلوات الله عليهم
فهذه جملة المذاهب في هذه المسألة. والأظهر فيها ما ذهب إليه القاضي أبو بكر
وأبعدها مذاهب المعينين إذ لو كان شيء من ذلك لنقل كما قدمناه ولم يخف جملة
ولا حجة لمن قال إن عيسى عليه السلام آخر الأنبياء فلزمت شريعته من جاء
بعدها إذ لم تثبت عموم دعوة عيسى بل الصحيح أنه لم تكن لنبي دعوة عامة إلا
لنبينا صلى الله عليه وسلم. ولا حجة للآخرين أيضا في قوله تعالى أن اتبع ملة إبراهيم
حنيفا. وللآخرين في قوله تعالى شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا فهذه

الأمم على اتباعهم في التوحيد كقوله تعالى أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده. وقد سمى الله فيهم من لم يبعث ولم يكن له شريعة تخصه كيوسف بن يعقوب عليهما السلام على قول من يقول إنه لم يكن رسولا. وقد سمى الله تعالى جماعة منهم في هذه الآية شرائعهم مختلفة لا يمكن الجمع بينها فدل أن المراد ما اجتمعوا عليه من التوحيد وعبادة الله تعالى. وبعد هذا فهل يلزم من قال بمنع اتباع هذا القول في سائر الأنبياء غير نبينا صلى الله عليه وسلم أو يخالفون بينهم أما من منع الاتباع عقلا فيطرد أصله في كل رسول بلا مرية. وأما من مال إلى النقل فأينما تصور له وتقرر اتبعه. ومن قال بالوقف فعلى أصله. ومن قال بوجوب الاتباع من قبله يلتزمه بمساق حجته في كل نبي.

فصل

هذا حكم ما تكون المخالفة فيه من الأعمال عن قصد وهو ما يسمى معصية ويدخل تحت التكليف. وأما ما يكون بغير قصد وتعمد كالسهو والنسيان في الوظائف الشرعية مما تقرر الشرع بعدم تعلق الخطاب به وترك المؤاخذة عليه. فأحوال الأنبياء عليهم السلام في ترك المؤاخذة به وكونه ليس معصية لهم مع أممهم سواء. ثم ذلك على نوعين ما طريقه البلاغ وتقرير الشرع وتعلق الأحكام وتعليم الأمة بالفعل وأخذهم باتباعه فيه وما هو خارج عن هذا مما يختص بنفسه. أما الأول فحكمه عند جماعة من العلماء حكم السهو في القول في هذا الباب. وقد ذكرنا الاتفاق على امتناع ذلك في حق النبي صلى الله عليه وسلم وعصمته من جوازه عليه قصدا أو سهوا. فكذلك قالوا الأفعال في هذا الباب لا يجوز طرو المخالفة فيها لا عمدا ولا سهوا لأنها بمعنى القول من جهة التبليغ والأداء وطرو هذه العوارض عليها يوجب التشكيك وتسبب المطاعن. واعتذروا عن أحاديث السهو بتوجيهات نذكرها بعد هذا. وإلى هذا مال أبو إسحاق. وذهب الأكثر من الفقهاء والمتكلمين إلى

وطرو صح

أن مخالفة في الأفعال البلاغية والأحكام الشرعية سهواً وعن غير قصد منه
جائز عليه كما تقرر من أحاديث السهو في الصلاة، وفرق بين ذلك وبين الأقوال
البلاغية لقيام المعجزة على الصدق في القول ومخالفة ذلك تناقضها، وأما
السهو في الأفعال فغير مناقض لها ولا قادح في النبوة بل غلطات الفعل وغفلات
القلب من سمات البشر كما قال صلى الله عليه وسلم إنما أنا بشر أنسى كما تنسون
فإذا نسيت فذكروني. نعم بل حالة النسيان والسهو هنا في حقه عليه السلام
سبب إفادة علم وتقرير شرع كما قال عليه السلام إني لأنسى أو أنسى لأسن
بل قد روي لست أنسى ولكن أنسى لأسن. وهذه الحالة زيادة له في التبليغ و
في التبليغ وتمام عليه في النعمة بعيدة عن سمات النقص وأغراض الطعن فإن القائلين
بتجويز ذلك يشترطون أن الرسل لا تقر على السهو والغلط بل ينبهون عليه
ويعرفون حكمه بالفور على قول بعضهم وهو الصحيح وقبل انقراضهم على قول
الآخرين. وأما ما ليس طريقه البلاغ ولا بيان الأحكام من أفعاله عليه السلام
وما يختص به من أمور دينه وأذكار قلبه مما لم يفعله ليتبع فيه فالأكثر من
طبقات علماء الأمة على جواز السهو والغلط عليه فيها ولحوق الفترات والغفلات
بقلبه وذلك بما كلفه من مقاساة الخلق وسياسات الأمة ومعاناة الأهل
وملاحظة الأعداء ولكن ليس على سبيل التكرار ولا الاتصال بل على سبيل الندور
كما قال عليه السلام إنه ليغان على قلبي فأستغفر الله. وليس في هذا شيء يحط
من رتبته ويناقض معجزته. وذهبت طائفة إلى منع السهو والنسيان والغفلات
والفترات في حقه عليه السلام جملة وهو مذهب جماعة المتصوفة وأصحاب
علم القلوب والمقامات ولهم في هذه الأحاديث مذاهب سنذكرها بعد هذا
إن شاء الله تعالى. فصل في الكلام على الأحاديث المذكور فيها السهو منه

عليه السلام

عليه السلام. قد قدمنا في الفصول قبل هذا ما يجوز فيه عليه السهو عليه السلام
وما يمتنع وأحلناه في الأخبار جملة وفي الأقوال الدينية قطعا وأجزنا وقوعه
في الأفعال الدينية على الوجه الذي رتبناه وأشرنا إلى ما ورد في ذلك ونحن
نبسط القول فيه. الصحيح من الأحاديث الواردة في سهوه عليه السلام في الصلوة
ثلثة احاديث أولها حديث ذي اليدين في السلام من اثنتين الثاني حديث
ابن بحينة في القيام من اثنتين الثالث حديث ابن مسعود رضي الله عنه أن النبي
صلى الله عليه وسلم صلى الظهر خمسا. وهذه الأحاديث مبنية على السهو في الفعل
الذي قررناه. وحكمة الله فيه ليستن به إذ البلاغ بالفعل أجلى منه بالقول
وأرفع للاحتمال وشرطه أنه لا يقر على هذا السهو بل يشعر به ليرتفع الالتباس
وتظهر فائدة الحكمة منه كما قدمناه وأن النسيان والسهو في الفعل في حقه
عليه السلام غير مضاد للمعجزة ولا قادح في التصديق. وقد قال عليه السلام
إنما أنا بشر أنسى كما تنسون فإذا نسيت فذكروني. وقال رحم الله فلانا لقد
أذكرني كذا وكذا آية كنت اسقطتهن ويروى أنسيتهن. وقال عليه السلام إني
لأنسى أو أنسى لأسن. قيل هذا اللفظ شك من الراوي. وقد روي إني لا أنسى
ولكن أنسى لأسن. وذهب ابن نافع وعيسى بن دينار أنه ليس بشك وأن معناه
التقسيم أي أنسى أنا أو ينسيني الله. قال القاضي أبو الوليد الباجي يحتمل ما
قالاه أن يريد أني أنسى في اليقظة وأنسى في النوم أو أنسى على سبيل عادة
البشر من الذهول عن الشيء والسهو وأنسى مع إقبالي عليه وتفرغي له فأضاف
أحد النسيانين إلى نفسه عليه السلام إذ كان له بعض السبب فيه ونفى الآخر
عن نفسه إذ هو فيه كالمضطر. وذهبت طائفة من أصحاب المعاني والكلام
على الحديث إلى أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يسهو في الصلوة ولا ينسى لأن

النسيان ذهول وغفلة وآفة قال والنبي صلى الله عليه وسلم منزه عنها والسهو
شغل فكان عليه السلام يسهو في صلاته ويشغله عن حركات الصلوة ما في
الصلوة شغلا بها لا غفلة عنها. واحتج بقوله عليه السلام في الرواية الاخرى
اني لا انسى. وذهبت طائفة الى منع هذا كله عنه وقالوا ان سهوه عليه السلام
كان عمدا وقصدا ليسن. وهذا قول مرغوب عنه متناقض المقاصد لا يحلى
منه بطائل لانه كيف يكون متعمدا ساهيا في حال. ولا حجة لهم في امره
صلى الله عليه وسلم امر بتعمد صورة النسيان ليسن لقوله عليه السلام اني لانسى
او انسى وقد اثبت احد الوصفين ونفى مناقضة التعمد والقصد وقال انما انا
بشر مثلكم انسى كما تنسون. وقد مال الى هذا عظيم من المحققين من ائمتنا
وهو ابو المظفر الاسفرايني ولم يرتضه غيره منهم ولا ارتضيه ولا حجة لهاتين
الطائفتين في قوله عليه السلام اني لا انسى ولكن انسى اذ ليس فيه نفي حكم
النسيان بالجملة وانما فيه نفي لفظه وكراهة لقبه لقوله عليه السلام بئسما
لاحدكم ان يقول نسيت اية كذا ولكنه نسي او نفي الغفلة وقلة الاهتمام بامر
الصلوة عن قلبه لكن شغل بها عنها ونسي بعضها ببعضها كما ترك الصلوة يوم
الخندق حتى خرج وقتها وشغل بالتحرز من العدو عنها فشغل بطاعة عن طاعة
وقيل ان الذي ترك يوم الخندق اربع صلوات الظهر والعصر والمغرب والعشاء
وبه احتج من ذهب الى جواز تاخير الصلوة في الخوف اذا لم يتمكن من ادائها الى
وقت الامن وهو مذهب الشاميين. والصحيح ان حكم صلاة الخوف كان بعد
هذا فهو ناسخ له. فان قلت فما تقول في نومه عليه السلام عن الصلوة يوم الوادي
وقد قال عليه السلام ان عيني تنامان ولا ينام قلبي فاعلم ان للعلماء عن ذلك اجوبة
منها ان المراد بان هذا حكم قلبه عند نومه وعينيه في غالب الاوقات وقد

يندر

يمنعه منه غير ذلك ويصحح هذا التأويل قوله عليه السلام في الحديث نفسه
إن الله قبض أرواحنا وقول بلال رضي الله عنه فيه ما ألقيت علي نومة
مثلها قط ولكن مثل هذا إنما يكون منه لأمر يريده من إثبات حكم وتأسيس
سنة وإظهار شرع وكما قال في الحديث الآخر لو شاء الله لأيقظنا ولكن
أراد أن تكون لمن بعدكم الثاني أن قلبه عليه السلام لا يستغرقه النوم
حتى يكون منه الحدث فيه لما روي أنه كان محروسا وأنه كان ينام حتى
ينفخ وحتى يسمع غطيطه ثم يصلي ولا يتوضأ وحديث ابن عباس رضي الله عنهما
المذكور فيه وضوءه عند قيامه من النوم فيه نومه مع أهله فلا يمكن
الاحتجاج به على وضوئه بمجرد النوم إذ لعل ذلك لملامسة الأهل أو لحدث
آخر ألا تراه في آخر الحديث نفسه ثم نام حتى سمعت غطيطه ثم أقيمت الصلاة
فصلى ولم يتوضأ وقيل لا ينام قلبه من أجل أنه يوحى إليه في النوم وليس
في قصة الوادي إلا نوم عينيه عن رؤية الشمس وليس هذا من فعل القلب
وقد قال عليه السلام إن الله قبض أرواحنا ولو شاء لردها إلينا في حين غير
هذا فإن قيل فلولا عادته من استغراق النوم لما قال لبلال اكلأ لنا الصبح
فقيل في الجواب إنه كان من شأنه عليه السلام التغليس بالصبح ومراعاة
أول الفجر لا تصح ممن نامت عينه إذ هو ظاهر يدرك بالجوارح الظاهرة
فوكل بلالا بمراعاة أوله ليعلمه بذلك كما لو شغل بشغل غير النوم عن مراعاته
فإن قيل فما معنى نهيه عليه السلام عن القول نسيت وقد قال عليه السلام
إني أنسى كما تنسون فإذا نسيت فذكروني وقال لقد أذكرني كذا وكذا آية كنت
أنسيتها فاعلم أكرمك الله أنه لا تعارض في هذه الألفاظ أما نهيه عن أن
يقال نسيت آية كذا فمحمول على ما نسخ حفظه من القرآن أي أن الغفلة في هذا

غطيطه

حفظه

في هذا الممكن منه ولكن الله تعالى اضطره اليها بالمحو ما يشاء ويثبت وما كان من
سهوا ونقله من قبله بتذكرها فصلح ان يقال فيه انسى • وقد قيل ان هذا منه
صلى الله عليه وسلم على طريق الاستحباب ان يضيف الفعل الى خالقه • والاخر
على طريق الجواز لاكتساب العبد فيه واسقاطه عليه السلام لما اسقط من
هذه الآيات جائز عليه بعد بلاغ ما امر ببلاغه وتوصيله الى عباده ثم
يستذكرها من امته او من قبل نفسه الا ما قضى الله نسخه ومحوه من القلوب
وترك استذكاره • وقد يجوز ان ينسى النبي صلى الله عليه وسلم ما هذا سبيله
كرة ويجوز ان ينسى منه قبل البلاغ ما لا يغير نظما ولا يخلط حكما مما
لا يدخل خللا في الخبر ثم يذكره اياه ويستحيل دوام نسيانه له لحفظ الله تعالى
كتابه وتكليفه بلاغه • فصل في الرد على من اجاز عليهم الصغائر والكلام
على ما احتجوا به في ذلك اعلم ان المجوزين للصغائر على الانبياء عليهم السلام
من الفقهاء والمحدثين ومن شايعهم على ذلك من المتكلمين احتجوا على ذلك بظواهر
كثيرة من القرآن والحديث ان التزموا ظواهرها افضت بهم الى تجويز الكبائر
وخرق الاجماع وما لا يقول به مسلم فكيف وكل ما احتجوا به مما اختلف
المفسرون في معناه وتقابلت الاحتمالات في مقتضاه وجاءت اقاويل فيها
للسلف بخلاف ما التزموه من ذلك فاذا لم يكن مذهبهم اجماعا وكان الخلاف
فيما احتجوا به من ذلك قديما وقامت الدلالة على خطا قولهم وصحة غيره
وجب تركه والمصير الى ما صح • وها نحن ناخذ في النظر فيها ان شاء الله تعالى •
فمن ذلك قوله تعالى لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم ليغفر لك الله ما تقدم من
ذنبك وما تأخر • وقوله تعالى واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات • وقوله
تعالى ووضعنا عنك وزرك الذي انقض ظهرك • وقوله تعالى عفا الله عنك

لم اذنت

لمرادت همّ . وقوله تعالى لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما أخذتم عذاب
عظيم . وقوله تعالى عبس وتولى أن جاءه الأعمى الآيات . وما قص من قصص غيره
من الأنبياء كقوله تعالى وعصى آدم ربه فغوى . وقوله تعالى عنهما ربنا ظلمنا
أنفسنا الآية . وقوله تعالى فلما آتاهما صالحا جعلا له شركا فيما آتاهما الآية
وقوله تعالى عن يونس سبحانك إني كنت من الظالمين . وما ذكر من قصته وقصة
داود عليهما السلام . وقوله تعالى وظن داود أنما فتناه إلى قوله مآب . وقوله
تعالى ولقد همت به وهم بها وما قص من قصته مع إخوته . وقوله تعالى عن
موسى عليه السلام فوكزه موسى فقضى عليه ثم قال هذا من عمل الشيطان . وقول
النبي صلى الله عليه وسلم في دعائه رب اغفر لي ما قدمت وما أخرت وما أسررت
وما أعلنت . ونحوه من أدعيته عليه السلام وذكر الأنبياء ذنوبهم في حديث
في الموقف
الشفاعة . وقوله عليه السلام إنه ليغان على قلبي فأستغفر الله وفي حديث
أبي هريرة رضي الله عنه إني لأستغفر الله وأتوب إليه في اليوم أكثر من سبعين
مرة . وقوله تعالى عن نوح وإلا تغفر لي الآية وقد كان قال الله تعالى له
ولا تخاطبني في الذين ظلموا إنهم مغرقون . وقال تعالى عن إبراهيم عليه
السلام والذي أطمع أن يغفر لي خطيئتي يوم الدين . وقوله تعالى عن موسى
عليه السلام تبت إليك . وقوله تعالى ولقد فتنا سليمان . إلى ما أشبه هذه
الظواهر . فأما احتجاجهم بقوله تعالى ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك
وما تأخر فهذا قد اختلف فيه المفسرون فقيل المراد ما كان قبل النبوة
وبعدها . وقيل المراد ما وقع لك من ذنب وما لم يقع أعلمه أنه مغفور له
وقيل ما كان قبل النبوة والمتأخر عصمتك بعدها حكاه أحمد بن نصر . وقيل
المراد بذلك أمته عليه السلام . وقيل المراد ما كان عن سهو وغفلة وتأويل

حكاه الطبري واختاره القشيري. وقيل ما تقدم لأبيك آدم وما تأخر
من ذنوب أمتك. حكاه السمرقندي والسلمي عن ابن عطاء. وبمثله والذي
قبله يتأول قوله تعالى واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات. قال مكي
مخاطبة النبي صلى الله عليه وسلم هاهنا هي مخاطبة لأمته. وقيل إن النبي صلى الله
عليه وسلم لما أمر أن يقول وما أدري ما يفعل بي ولا بكم سر بذلك الكفار
فأنزل الله تعالى ليغفر لك الله ما تقدم الآية. وبمآل المؤمنين في الآية
الأخرى بعدها قاله ابن عباس رضي الله عنهما فمقصد الآية أنك مغفور لك
غير مؤاخذ بذنب أن لو كان. قال بعضهم المغفرة هاهنا تبرئة من العيوب.
وأما قوله تعالى ووضعنا عنك وزرك الذي أنقض ظهرك. فقيل ما سلف
من ذنبك قبل النبوة. وهو قول ابن زيد والحسن ومعنى قول قتادة. وقيل
معناه أنه حفظ قبل النبوة منها وعصم ولولا ذلك لأثقلت ظهره. حكى
معناه السمرقندي. وقيل المراد بذلك ما أثقل ظهره من أعباء الرسالة حتى
بلغها. حكاه الماوردي والسلمي. وقيل حططنا عنك ثقل أيام الجاهلية
حكاه مكي. وقيل ثقل شغل سرك وحيرتك وطلب شريعتك حتى شرعنا ذلك
لك. حكى معناه القشيري. وقيل معناه خففنا عليك ما حملت بحفظنا لما
استحفظت وحفظ عليك. ومعنى أنقض أي كاد ينقضه فيكون المعنى على
من جعل ذلك لما قبل النبوة اهتمام النبي صلى الله عليه وسلم بأمور فعلها قبل
نبوته وحرمت عليه بعد النبوة فعدها أوزارا وثقلت عليه وأشفق منها
أو يكون الوضع عصمة الله تعالى له وكفايته من ذنوب لو كانت لأنقضت ظهره
أو يكون من ثقل الرسالة أو ما ثقل عليه وشغل قلبه من أمور الجاهلية وإعلام
الله تعالى له بحفظ ما استحفظه من وحيه. وأما قوله تعالى عفا الله عنك لم أذنت

هم . فأمر لم يتقدم للنبي صلى الله عليه وسلم فيه من الله تعالى نهي فيعد معصية
ولا عده الله تعالى عليه معصية بل لم يعده أهل العلم معاتبة وغلطوا من ذهب
إلى ذلك . قال نفطويه وقد حاشاه الله من ذلك بل كان مخيرا في أمرين قالوا
وقد كان له صلى الله عليه وسلم أن يفعل ما شاء فيما لم ينزل عليه فيه وحي فكيف
وقد قال الله تعالى فأذن لمن شئت منهم . فلما أذن لهم أعلمه الله تعالى بما لم
يطلع عليه من سرهم أنه لو لم يأذن لهم لقعدوا وأنه لا حرج عليه فيما فعل وليس
عفا هنا بمعنى غفر بل كما قال النبي صلى الله عليه وسلم عفا الله لكم عن صدقة
الخيل والرقيق ولم تجب عليكم قط أي لم يلزمكم ذلك ونحوه للقشيري
قال وإنما يقول العفو لا يكون إلا عن ذنب من لم يعرف كلام العرب . قال
ومعنى عفا الله عنك . أي لم يلزمك ذنبا . قال الداودي روي أنها تكرمة .
قال مكي هو استفتاح كلام مثل أصلحك الله وأعزك . وحكى السمرقندي أن
معناه عافاك الله . وأما قوله في أسارى بدر ما كان لنبي أن يكون له أسرى
الآيتين فليس فيه إلزام ذنب للنبي صلى الله عليه وسلم بل فيه بيان ما خص به
وفضل من بين سائر الأنبياء عليه وعليهم السلام فكأنه قال ما كان هذا لنبي
غيرك كما قال عليه السلام أحلت لي الغنائم ولم تحل لنبي قبلي فإن قيل فما معنى
قوله تريدون عرض الدنيا الآية . قيل المعنى بالخطاب لمن أراد ذلك منهم
وتجرد غرضه لعرض الدنيا وحده والاستكثار منها وليس المراد بهذا النبي
صلى الله عليه وسلم ولا علية أصحابه بل قد روي عن الضحاك أنها نزلت حين
انهزم المشركون يوم بدر واشتغل الناس بالسلب وجمع الغنائم عن القتال حتى خشي
عمر رضي الله عنه أن يعطف عليهم العدو . ثم قال تعالى لولا كتاب من الله سبق
فاختلف المفسرون في معنى الآية . فقيل معناها لولا أنه سبق مني أن لا أعذب

أحدًا إلا بعد النهي لعذبتكم فهذا ينفي أن يكون أمر الأسرى معصية. وقيل
المعنى لولا إيمانكم بالقرآن وهو الكتاب السابق فاستوجبتم به الصفح لعوقبتم
على الغنائم. ويزاد هذا القول تفسيرا وبيانا بأن يقال لولا ما كنتم مؤمنين بالقرآن
وكنتم ممن أحلت لهم الغنائم لعوقبتم كما عوقب من تعدى. وقيل لولا أنه سبق في
اللوح المحفوظ أنها حلال لكم لعوقبتم فهذا كله ينفي الذنب والمعصية لأن من فعل
ما أحل له لم يعص. قال الله تعالى فكلوا مما غنمتم حلالا طيبا. وقيل بل كان عليه السلام
قد خير في ذلك وقد روي عن علي رضي الله عنه قال جاء جبريل عليه السلام إلى النبي
صلى الله عليه وسلم يوم بدر فقال خير أصحابك في الأسارى إن شاؤوا القتل وإن
شاؤوا الفداء على أن يقتل منهم عام المقبل مثلهم فقالوا الفداء ويقتل منا. وهذا
دليل على صحة ما قلناه وأنهم لم يفعلوا إلا ما أذن لهم فيه لكن بعضهم مال
إلى أضعف الوجهين مما كان الأصلح غيره من الإثخان والقتل فعوتبوا على ذلك
وبين لهم ضعف اختيارهم وتصويب اختيار غيرهم وكلهم غير عصاة ولا مذنبين
وإلى نحو هذا أشار الطبري. وقوله عليه السلام في هذه القضية لو نزل من السماء
عذاب ما نجا منه إلا عمر إشارة إلى هذا من تصويب رأيه ورأي من أخذ بمأخذه
في إعزاز الدين وإظهار كلمته وإبادة عدوه وأن هذه القضية لو استوجبت
عذابا نجا منه عمر ومثله. وعين عمر لأنه أول من أشار بقتلهم ولكن الله لم يقدر
عليهم في ذلك عذابا لحله لهم فيما سبق. وقال الداودي والخبر بهذا لا يثبت
ولو ثبت لما جاز أن يظن أن النبي صلى الله عليه وسلم حكم بما لا نص فيه ولا دليل
من نص ولا جعل الأمر فيه إليه وقد نزهه الله عن ذلك. وقال القاضي بكر
ابن العلاء أخبر الله تعالى نبيه في هذه الآية أن تأويله وافق ما كتبه له من إحلال
الغنائم والفداء. وقد كان قبل هذا فادى في سرية عبد الله بن جحش التي قتل فيها

الحضرمي

ابن الحضرمي بالحكم بن كيسان وصاحبه مما عتب الله ذلك عليهم وذلك
قبل بدر بأزيد من عام. فهذا كله يدل على أن فعل النبي صلى الله عليه وسلم
في شأن الأسرى كان على تأويل وبصيرة، وعلى ما تقدم قبل مثله فلم ينكره الله
عليهم لكن الله تعالى أراد لعظم أمر بدر وكثرة أسراها والله أعلم إظهار نعمته
وتأكيد منته بتعريفهم ما كتب في اللوح المحفوظ من حل ذلك لهم لا على وجه
عتاب وإنكار أو تذنيب. هذا معنى كلامه. وأما قوله تعالى عبس وتولى الآيات
فليس فيه إثبات ذنب له عليه السلام بل إعلام الله أن ذلك المتصدى له ممن
لا يتزكى وأن الصواب والأولى كان لو كشف لك حال الرجلين الإقبال على الأعمى
وفعل النبي صلى الله عليه وسلم لما فعل وتصديه لذلك الكافر كان طاعة لله تعالى
وتبليغا عنه واستيلافا له كما شرعه الله تعالى له لا معصية ومخالفة له. وما
قصه الله تعالى عليه من ذلك إعلام بحال الرجلين وتوهين أمر الكافر عنده
والإشارة إلى الإعراض عنه بقوله تعالى وما عليك ألا يزكى. وقيل أراد بعبس
وتولى الكافر الذي كان مع النبي صلى الله عليه وسلم. قاله أبو تمام. وأما قصة
آدم عليه السلام وقوله تعالى فأكلا منها بعد قوله تعالى ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا
من الظالمين. وقوله تعالى ألم أنهكما عن تلكما الشجرة وتصريحه تعالى عليه
بالمعصية بقوله وعصى آدم ربه فغوى. أي جهل. وقيل أخطأ فإن الله تعالى
أخبر بعذره بقوله تعالى ولقد عهدنا إلى آدم من قبل فنسي ولم نجد له عزما.
قال ابن زيد نسي عداوة إبليس له وما عهد الله إليه من ذلك بقوله تعالى إن
هذا عدو لك ولزوجك الآية. وقيل نسي ذلك بما أظهرهما. وقال ابن عباس
رضي الله عنهما إنما سمي الإنسان إنسانا لأنه عهد إليه فنسي. وقيل لم يقصد
المخالفة استحلالا لها ولكنهما اغترا بحلف إبليس لهما إني لكما لمن الناصحين

وتوهما أن أحداً لا يحلف بالله حانثاً وقد روي عن آدم عليه السلام في هذا
في بعض الآثار. وقال ابن جبير حلف بالله لهما حتى غرهما والمؤمن يخدع
وقيل نسي ولم ينو المخالفة فلذلك قال ولم نجد له عزماً أي قصداً للمخالفة.
وأكثر المفسرين على أن العزم هنا الحزم والصبر. وقيل كان عند أكله سكران
وهذا فيه ضعف لأن الله تعالى وصف خمر الجنة أنها لا تسكر فإذا كان ناسياً
لم تكن معصية. وكذلك إن كان ملبساً عليه غالطاً إذ الاتفاق على خروج
الناسي والساهي عن حكم التكليف. وقال الشيخ أبو بكر بن فورك وغيره إنه
يمكن أن يكون ذلك قبل النبوة ودليل ذلك قوله تعالى وعصى آدم ربه فغوى
ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى. فذكر أن الاجتباء والهداية كانا بعد العصيان
وقيل بل أكلها متأولاً وهو لا يعلم أنها الشجرة التي نهي عنها لأنه تأول نهي الله
عن شجرة مخصوصة لا على الجنس. ولهذا قيل إنما كانت التوبة من ترك التحفظ
لا من المخالفة. وقيل تأول أن الله تعالى لم ينهه عنها نهي تحريم. فإن قيل
فعلى كل حال فقد قال الله تعالى وعصى آدم ربه. وقال فتاب عليه. وقوله في
حديث الشفاعة ويذكر ذنبه وإني نهيت عن أكل الشجرة فعصيت. فسيأتي
الجواب عنه وعن أشباهه مجملاً آخر الفصل إن شاء الله تعالى. وأما قصة
يونس عليه السلام فقد مضى الكلام على بعضها آنفاً وليس في قصة يونس
نص على ذنب وإنما فيه أبق وذهب مغاضباً وقد تكلمنا عليه. وقيل إنما نقم
الله تعالى عليه خروجه عن قومه فاراً من نزول العذاب. وقيل بل لما وعدهم
العذاب ثم عفا الله تعالى عنهم قال والله لا ألقاهم بوجه كذاب أبداً. وقيل
بل كانوا يقتلون من كذب فخاف ذلك. وقيل ضعف عن حمل أعباء الرسالة
وقد تقدم الكلام أنه لم يكذبهم. وهذا كله ليس فيه نص على معصية إلا على قول

مرغوب

مرغوب عنه • وقوله تعالى اذ أبق الى الفلك المشحون • قال المفسرون
تباعد • وقوله اني كنت من الظالمين • فالظلم وضع الشيء في غير موضعه •
فهذا اعتراف منه عند بعضهم بذنبه فاما ان يكون خروجه عن قومه
بغير اذن ربه او لضعفه عما حمله او لدعائه بالعذاب على قومه وقد
دعا نوح عليه السلام بهلاك قومه فلم يؤاخذ • وقال الواسطي في
معناه نزه ربه عز وجل عن الظلم واضاف الظلم الى نفسه اعترافا واستحقاقا
ومثل هذا قول ادم عليه السلام وحوا ربنا ظلمنا انفسنا اذ كانا السبب
في وضعهما غير الموضع الذي انزلا فيه واخراجهما من الجنة وانزالهما
الى الارض • واما قصة داود عليه السلام فلا يجب ان يلتفت الى ما سطره
فيها الاخباريون عن اهل الكتاب الذين بدلوا وغيروا ونقله بعض المفسرين
ولم ينص الله تعالى على شيء من ذلك ولا ورد في حديث صحيح • والذي نص
الله تعالى عليه قوله وظن داود انما فتناه الى قوله وحسن مآب • وقوله
فيه اواب • فمعنى فتناه اي اختبرناه واواب • قال قتادة مطيع وهذا التفسير
اولى • قال ابن عباس وابن مسعود ما زاد داود على ان قال للرجل انزل
لي عن امرأتك واكفلنيها فعاتبه الله على ذلك ونبهه عليه وانكر عليه
شغله بالدنيا وهذا الذي ينبغي ان يعول عليه من امره • وقيل خطبها
على خطبته • وقيل بل احب بقلبه ان يستشهد • وحكى السمرقندي ان
ذنبه الذي استغفر منه قوله لاحد الخصمين لقد ظلمك فظلمه بقول
خصمه والى نفي ما اضيف في الاخبار الى داود عليه السلام من ذلك
ذهب احمد بن نصر وابو تمام وغيرهما من المحققين • قال الداودي ليس في
قصة داود عليه السلام واوريا خبر يثبت ولا يظن بنبي محبة قتل مسلم

وقيل إن الخصمين للذين اختصما إليه رجلان في نتاج غنم على ظاهر الآية
وأما قصة يوسف عليه السلام وإخوته فليس على يوسف منها تَعقُّب
وأما إخوته فلم تثبت نبوّتهم فيلزم الكلام على أفعالهم وذكر الأسباط
وعدّهم في القُرَب عند ذكر الأنبياء عليهم الصلاة، قال المفسرون يريد
من نُبّئ من أبناء الأسباط، وقد قيل إنهم كانوا حين فعلوا بيوسف ما فعلوا
صغار الأسنان، ولهذا لم يميزوا يوسف حين اجتمعوا به ولهذا قالوا أرسله
معنا غدًا نرتع ونلعب، وإن ثبتت لهم نبوة فبعد هذا والله أعلم، وأما قول
الله تعالى ولقد همت به وهم بها لولا أن رأى برهان ربه، فعلى مذهب
كثير من الفقهاء والمحدثين أن همّ النفس لا يؤاخذ به وليس سيئة لقوله
عليه السلام عن ربه إذا همّ عبدي بسيئة فلم يعملها كتبت له حسنة، فلا
معصية في همّه إذًا، وأما على مذهب المحققين من الفقهاء والمتكلمين فإن
الهمّ إذا وُطّنت عليه النفس سيئة، وأما ما لم توطّن عليه النفس من همومها
وخواطرها فهو المعفو عنه وهذا هو الحق، فيكون إن شاء الله همّ يوسف
من هذا ويكون قوله وما أبرئ نفسي الآية أي ما أبرئها من هذا الهمّ
أو يكون ذلك منه على طريق التواضع والاعتراف بمخالفة النفس لما زُكّي قبلُ
وبُرّئ فكيف وقد حكى أبو حاتم عن أبي عبيدة أن يوسف لم يهمّ وأن الكلام
فيه تقديم وتأخير أي ولقد همّت به ولولا أن رأى برهان ربه لهمّ بها،
وقد قال الله تبارك وتعالى عن المرأة ولقد راودته عن نفسه فاستعصم
وقال تعالى لنصرف عنه السوء والفحشاء وقال تعالى وغلّقت الأبواب وقالت
هيت لك الآية قال معاذ الله، وقيل في المُلك، وقيل همّ بها أي بزجرها ووعظها
وقيل همّ بها أي غمّها امتناعه عنها، وقيل همّ بها نظر إليها، وقيل همّ بضربها

ودفعها

وذنبها، وقيل هذا كله كان قبل نبوته. وقد ذكر بعضهم ما زال النساء يملن
إلى يوسف ميل شهوة حتى نبأه الله تعالى فألقى عليه هيبة النبوة فشغلت
هيبته كل من رآه عن حسنه. وأما خبر موسى عليه السلام مع قتيله الذي
وكزه فقد نص الله تعالى أنه من عدوه، قال كان من القبط الذين على دين
فرعون، ودليل السورة في هذا كله أنه قبل نبوة موسى عليه السلام. وقال
قتادة: وكزه بالعصا ولم يتعمد قتله، فعلى هذا لا معصية في ذلك. وقوله
هذا من عمل الشيطان. وقوله ظلمت نفسي فاغفر لي. قال ابن جريج: قال
ذلك من أجل أنه لا ينبغي لنبي أن يقتل حتى يؤمر. وقال النقاش: لم يقتله
عن عمد مريدا للقتل، وإنما وكزه وكزة يريد بها دفع ظلمه. قال وقد قيل إن
هذا كان قبل النبوة، وهو مقتضى التلاوة. وقوله في قصته وفتناك فتونا
أي ابتليناك ابتلاء بعد ابتلاء، قيل في هذه القصة وما جرى له مع فرعون
وقيل إلقاؤه في التابوت واليم وغير ذلك. وقيل معناه أخلصناك إخلاصا
قاله ابن جبير ومجاهد من قولهم فتنت الفضة في النار إذا خلصتها. وأصل
الفتنة معنى الاختبار وإظهار ما بطن إلا أنه استعمل في عرف الشرع في
اختبار أدى إلى ما يكره. وكذلك ما روي في الخبر الصحيح من أن ملك الموت
جاءه فلطم عينه ففقأها الحديث ليس فيه ما يحكم على موسى عليه السلام
بالتعدي وفعل ما لا يجب له إذ هو ظاهر الأمر بين الوجه جائز الفعل
لأن موسى دافع عن نفسه من أتاه لإتلافها وقد تصور له في صورة آدمي
ولا يمكن أنه علم حينئذ أنه ملك الموت فدافعه عن نفسه مدافعة أدت
إلى ذهاب عين تلك الصورة التي تصور له فيها الملك امتحانا من الله فلما جاءه
بعد وأعلمه الله أنه رسوله إليه استسلم، وللمتقدمين والمتأخرين على هذا

الحديث أجوبة هذا أسدها عندي وهو تأويل شيخنا الإمام أبي عبد الله المازري
وقد تأوله قديما ابن عباسة وعبره على ضعفه ولطفه بالحجة وقيل عن محبته
وهو كلام مستعمل في هذا الباب في اللغة معروف وأما قصة سليمان عليه
السلام وما حكى فيها أهل التفسير من ذنبه وقوله تعالى ولقد فتنا سليمان
فمعناه ابتليناه وابتلاؤه ما حكي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال لأطوفن
الليلة على مائة امرأة أو تسع وتسعين كلهن يأتين بفارس يجاهد في سبيل الله
فقال له صاحبه قل إن شاء الله فلم يقل فلم تحمل منهن إلا امرأة واحدة جاءت
بشق رجل قال النبي صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده لو قال إن شاء الله
لجاهدوا في سبيل الله قال أصحاب المعاني والشق هو الجسد الذي ألقي على
كرسيه حين عرض عليه وهي عقوبته ومحنته وقيل بل مات فألقي على كرسيه
ميتا وقيل ذنبه حرصه على ذلك وتمنيه وقيل لأنه لم يستثن لما استغرقه
من الحرص وغلب عليه من التمني وقيل عقوبته أن سلب ملكه وذنبه أن
أحب بقلبه أن يكون الحق لأختانه على خصمهم وقيل أوخذ بذنب قارفه
بعض نسائه ولا يصح ما نقله الأخباريون من تشبه الشيطان به وتسلطه على
ملكه وتصرفه في أمته بالجور في حكمه لأن الشياطين لا يسلطون على مثل هذا
وقد عصم الأنبياء من مثله وإن سئل لم لم يقل سليمان في القصة المذكورة
إن شاء الله فعنه أجوبة أحدها ما روي في الحديث الصحيح أنه نسي أن يقولها
وذلك لينفذ مراد الله تعالى والثاني أنه لم يسمع صاحبه وشغل عنه وقوله
هب لي ملكا لا ينبغي لأحد من بعدي لم يفعل هذا سليمان غيرة على الدنيا ولا
نفاسة بها ولكن مقصده في ذلك على ما ذكره المفسرون أن لا يسلط عليه أحد
كما سلط عليه الشيطان الذي سلبه إياه مدة امتحانه على قول من قال ذلك

وقيل بل أراد أن تكون له من الله فضيلة وخاصة يختص بها كاختصاص غيره
من أنبياء الله تعالى ورسله بخواص منه. وقيل ليكون ذلك دليلاً وحجة على
نبوته كإلانة الحديد لأبيه وإحياء الموتى لعيسى عليه السلام واختصاص
محمد صلى الله عليه وسلم بالشفاعة ونحو هذا. وأما قصة نوح عليه السلام فظاهرة
العذر وأنه أخذ فيها بالتأويل وظاهر اللفظ لقوله تعالى وأهلك. فطلب
مقتضى هذا اللفظ وأراد علم ما طوي عنه من ذلك لا أنه شك في وعد
الله تعالى. فبين الله عليه أنه ليس من أهله الذين وعد نجاتهم لكفره وعمله
الذي هو غير صالح وقد أعلمه أنه مغرق الذين ظلموا ونهاه عن مخاطبته فيهم
فأوخذ بهذا التأويل وعتب عليه وأشفق هو من إقدامه على ربه لسؤاله
ما لم يؤذن له في السؤال فيه وكان نوح عليه السلام فيما حكاه النقاش
لا يعلم بكفر ابنه. وقيل في الآية غير هذا وكل هذا لا يقضي على نوح عليه
السلام بمعصية سوى ما ذكرناه من تأويله وإقدامه بالسؤال فيما لم يؤذن
له فيه ولا نهي عنه. وما روي في الصحيح من أن نبياً قرصته نملة فحرق
قرية النمل فأوحى الله إليه أن قرصتك نملة أحرقت أمة من الأمم تسبح فليس
في هذا الحديث أن هذا الذي أتى معصية بل فعل ما رآه مصلحة وصواباً بقتل
من يؤذي جنسه ويمنع المنفعة بما أباح الله تعالى. ألا ترى أن هذا النبي
صلى الله عليه وسلم كان نازلاً تحت الشجرة فلما آذته النملة تحول برحله عنها
مخافة تكرار الأذى عليه وليس فيما أوحى الله تعالى إليه ما يوجب معصية
بل ندبه إلى احتمال الصبر وترك التشفي كما قال تعالى ولئن صبرتم لهو خير الصبر
للصابرين. إذ ظاهر فعله إنما كان لأجل أنها آذته هو في خاصته فكان انتقاماً
لنفسه وقطع مضرة يتوقعها من بقية النمل هناك ولم يأت في كل هذا أمراً

نهي عنه ليتقي به ولا يخبر بما اوحى الله تعالى اليه بذلك ولا بالتوبة والا ستغفار
منه والله اعلم فان قيل فما معنى قوله عليه السلام ما من احد الا الم بذنب
او كاد الا يحيى بن زكريا او قال عليه السلام ما خلوت عنه كما اشده من ذنوب
الانبياء التي وقعت عن غير قصد وعن سهو وغفلة فصل فان قيل فاذا
نفيت عنهم صلوات الله عليهم الذنوب والمعاصي بما ذكرته من اختلاف المفسرين
وتاويل المحققين فما معنى قوله تعالى وعصى ادم ربه فغوى • وما تكرر في القران
والحديث الصحيح من اعتراف الانبياء عليهم السلام بذنوبهم وتوبتهم واستغفارهم
وبكائهم على ما سلف منهم واشفاقهم وهل يشفق ويتاب ويستغفر من لا شيء
فاعلم وفقنا الله واياك ان درجة الانبياء عليهم السلام في الرفعة والعلو
والمعرفة بالله وسنته في عباده وعظم سلطانه وقوة بطشه مما يحملهم
على الخوف منه جل جلاله والاشفاق من المؤاخذة بما لا يؤاخذ به غيرهم وانهم
في تصرفهم بامور لم ينهوا عنها ولا امروا بها ثم اوخذوا عليها وعوتبوا بسببها
او حذروا من المؤاخذة بها واتوها على وجه التاويل او السهو او تزيد من امور
الدنيا المباحة خائفون وجلون وهي ذنوب بالاضافة الى علي منصبهم
ومعاص بالنسبة الى كمال طاعتهم لا انها كذنوب غيرهم ومعاصيهم فان الذنب
ماخوذ من الشيء الدني والرذل • ومنه ذنب كل شيء اي اخره • واذناب الناس
رذالهم فكان هذه ادنى افعالهم واسوا ما يجري من احوالهم لتطهيرهم
وتنزيههم وعمارة بواطنهم وظواهرهم بالعمل الصالح والكلم الطيب والذكر
الظاهر والخفي والخشية لله تعالى واعظامه في السر والعلانية • وغيرهم
يتلوث من الكبائر والقبائح والفواحش ما تكون بالاضافة اليه هذه الهنات
في حقه كالحسنات كما قيل حسنات الابرار سيئات المقربين • اي يرونها بالاضافة

اذ

الى غير احوالهم كالشباب • وكذلك العصيان الزلة والمخالفة فعلى مقتضى
اللفظة كيف ما كانت من سهو او تاويل فهي مخالفة وزلة • وقوله تعالى فغوى
اى جهل ان تلك الشجرة هي التي نهي عنها والغي الجهل • وقيل اخطأ ما طلب
من الخلود اذ اكلها وخابت امنيته • وهذا يوسف عليه السلام قد اوخذ
بقوله لاحد صاحبي السجن اذكرني عند ربك فانساه الشيطان ذكر ربه فلبث
في السجن بضع سنين • قيل انسي يوسف ذكر الله • وقيل انسي صاحبه ان يذكره
لسيده الملك • قال النبي صلى الله عليه وسلم لولا كلمة يوسف ما لبث في السجن
ما لبث • قال ابن دينار لما قال ذلك يوسف قيل له اتخذت من دوني وكيلا
لاطيلن حبسك • فقال يا رب انسى قلبي كثرة البلوى • وقال بعضهم يؤاخذ الانبياء
بمثاقيل الذر لمكانتهم عنده ويجاوز عن سائر الخلق لقلة مبالاته بهم
في اضعاف ما اتوا به من سوء الادب • وقد قال المحتج للفرقة الاولى على سياق
ما قلناه اذا كان الانبياء يؤاخذون بهذا مما لا يؤاخذ به غيرهم من السهو
والنسيان وما ذكرته وحالهم ارفع فحالهم اذا في هذا اسوأ حالا من غيرهم
فاعلم اكرمك الله انا لا نثبت لك المؤاخذة في هذا على حد مؤاخذة غيرهم
بل نقول انهم يؤاخذون بذلك في الدنيا ليكون ذلك زيادة في درجاتهم
ويبتلون بذلك ليكون استشعارهم له سببا لمنماة رتبتهم كما قال ثم اجتباه
ربه فتاب عليه وهدى • وقال لداود فغفرنا له ذلك الاية • وقال بعد قوله
موسى تبت اليك انى اصطفيتك على الناس • وقال بعد ذكر فتنة سليمان
وانابته فسخرنا له الريح الى وحسن مآب • قال بعض المتكلمين زلات الانبياء
عليهم السلام في الظاهر زلات وفي الحقيقة كرامات وزلف • واشار الى نحو
مما قدمناه وايضا فلينبه غيرهم من البشر منهم او ممن ليس في درجتهم بمؤاخذتهم

بذلك فيستشعر الحذر ويعتقد المحاسبة ليلتزم الشكر على النعم ويعتقد
الصبر على المحن بملاحظة ما وقع بأهل هذا النصاب الرفيع المعصوم فكيف من
سواهم. ولهذا قال صالح المري ذكر داود بسطة للتوابين. قال ابن عطاء لم يكن
ما نص الله تعالى من قصة صاحب الحوت نقصا له ولكن استزادة من نبينا صلى الله
عليه وسلم. وأيضا فيقال لهم فإنكم ومن وافقكم تقولون بغفران الصغائر
باجتناب الكبائر ولا خلاف في عصمة الأنبياء عليهم السلام من الكبائر فما جوزتم
من وقوع الصغائر عليهم هي مغفورة على هذا فما معنى المؤاخذة بها إذا عندكم
وخوف الأنبياء وتوبتهم منها وهي مغفورة لو كانت فما أجابوا به فهو جوابنا
عن المؤاخذة بأفعال السهو والتأويل. وقد قيل إن كثرة استغفار النبي صلى الله
عليه وسلم وتوبته وغيره من الأنبياء عليهم السلام على وجه ملازمة الخضوع
والعبودية والاعتراف بالتقصير شكرا لله تعالى على نعمه كما قال عليه السلام
وقد أمن من المؤاخذة بما تقدم وما تأخر أفلا أكون عبدا شكورا. وقال عليه
السلام إني أخشاكم لله وأعلمكم بما أتقي. قال الحارث بن أسد خوف الملائكة
والأنبياء عليهم السلام خوف إعظام وتعبد لله تعالى لأنهم آمنون. وقيل فعلوا
ذلك ليقتدى بهم وتستن بهم أممهم كما قال عليه السلام لو تعلمون ما أعلم
لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا. وأيضا فإن في التوبة والاستغفار معنى آخر لطيفا
أشار إليه بعض العلماء وهو استدعاء محبة الله تعالى. قال الله تعالى إن الله يحب
والتوبة التوابين ويحب المتطهرين فإحداث الأنبياء والرسل للاستغفار والتوبة والإنابة والاوبه
والأوبة في كل حين استدعاء لمحبة الله تعالى والاستغفار فيه معنى التوبة. وقد
قال الله تعالى لنبيه عليه السلام بعد أن غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر
لقد تاب الله على النبي والمهاجرين والأنصار الآية. وقال تعالى فسبح بحمد ربك

واستغفره

واستغفره إنه كان توابا فصل قد استبان لك أيها الناظر بما قررناه
ما هو الحق من عصمته عليه السلام عن الجهل بالله وصفاته أو كونه على حالة
تنافي العلم بشيء من ذلك كله جملة بعد النبوة عقلا وإجماعا وقبلها سمعا
ونقلا ولا بشيء مما قرره من أمور الشرع وأداه عن ربه من الوحي قطعا عقلا
وشرعا وعصمته صلى الله عليه وسلم عن الكذب وخلف القول منذ نبأه الله
تعالى وأرسله قصدا أو غير قصد واستحالة ذلك عليه شرعا وإجماعا ونظرا
وبرهانا وتنزيهه عنه قبل النبوة قطعا وتنزيهه عن الكبائر إجماعا وعن
الصغائر تحقيقا وعن استدامة السهو والغفلة واستمرار الغلط والنسيان
عليه فيما شرعه للأمة وعصمته في كل حالاته صلى الله عليه وسلم من رضى
وغضب وجد ومزح فيجب عليك أن تتلقاها باليمين وتشد عليها يد
الضنين وتقدر هذه الفصول حق قدرها وتعلم عظيم فائدتها وخطرها
فإن من يجهل ما يجب للنبي صلى الله عليه وسلم أو يجوز أو يستحيل عليه ولا يعرف
صور أحكامه لا يأمن أن يعتقد في بعضها خلاف ما هي عليه ولا ينزهه
عما لا يجب أن يضاف إليه فيهلك من حيث لا يدري ويسقط في هوة الدرك
الأسفل من النار إذ ظن الباطل به واعتقاد ما لا يجوز عليه يحل بصاحبه
دار البوار ولهذا ما احتاط عليه السلام على الرجلين اللذين رأياه ليلا وهو
معتكف صح معتكف في المسجد مع صفية فقال لهما إنها صفية ثم قال لهما إن الشيطان
يجري من ابن آدم مجرى الدم وإني خشيت أن يقذف في قلوبكما شيئا فتهلكا
هذه أكرمك الله إحدى فوائد ما تكلمنا عليه في هذه الفصول ولعل جاهلا
لا يعلم بجهله إذا سمع شيئا منها يرى أن الكلام فيها جملة من فضول العلم وأن
السكوت أولى وقد استبان لك أنه متعين للفائدة التي ذكرناها وفائدة ثانية

ويبتنى

نضطر اليها في اصول الفقه ويبنى عليها مسائل لا تعد من الفقه ويتخلص
بها من تشعب مختلفي الفقهاء في عدة منها وهي الحكم في افعال النبي صلى الله
عليه وسلم وافعاله وهو باب عظيم واصل كبير من اصول الفقه ولا بد من بنائه
على صدق النبي صلى الله عليه وسلم في اخباره وبلاغه وانه لا يجوز السهو عليه
فيه وعصمته من المخالفة في افعاله عمدا وبحسب اختلافهم في وقوع الصغائر
وقع خلاف في امتثال الفعل بسط بيانه في كتب ذلك العلم فلا نطول به وفائدة
ثالثة يحتاج اليها الحاكم والمفتي فيمن اضاف الى النبي صلى الله عليه وسلم
شيئا من هذه الامور ووصفه بها فمن لم يعرف ما يجوز وما يمتنع عليه
وما وقع الاجماع فيه والخلاف كيف يصمم في الفتيا في ذلك ومن اين يدري
هل ما قاله فيه نقص او مدح فاما ان يجترئ على سفك دم مسلم حرام او يسقط
حقا او يضيع حرمة للنبي صلى الله عليه وسلم وبسبيل هذا ما قد اختلف ارباب
الاصول وائمة العلماء والمحققين في عصمة الملائكة. فصل في القول
في عصمة الملائكة. اجمع المسلمون ان الملائكة مؤمنون فضلاء واتفق ائمة
المسلمين ان حكم المرسلين منهم حكم النبيين سوا في العصمة مما ذكرنا عصمتهم
منه وانهم في حقوق الانبياء والتبليغ اليهم كالانبياء عليهم السلام مع الامم
واختلفوا في غير المرسلين منهم فذهبت طائفة الى عصمة جميعهم عن
المعاصي واحتجوا بقوله تعالى لا يعصون الله ما امرهم ويفعلون ما يؤمرون
وبقوله تعالى وما منا الا له مقام معلوم وانا لنحن الصافون وانا لنحن المسبحون
وبقوله تعالى ومن عنده لا يستكبرون عن عبادته الاية وبقوله تعالى ان
الذين عند ربك لا يستكبرون عن عبادته الاية وقوله تعالى كرام بررة
ولا يمسه الا المطهرون ونحوه من السمعيات وذهبت طائفة الى ان هذا

خصوص

خصوص للمرسلين منهم والمقربين واحتجوا بآيات ذكرها أهل الأخبار
والتفاسير نحن نذكرها إن شاء الله تعالى بعد ونبين الوجه فيها إن شاء الله
والصواب عصمة جميعهم وتنزيه نصابهم الرفيع عن جميع ما يحط من رتبتهم
ومنزلتهم عن جليل مقدارهم ورأيت بعض شيوخنا أشار أن لا حاجة بالفقيه
إلى الكلام في عصمتهم وأنا أقول إن للكلام في ذلك ما للكلام في عصمة
الأنبياء عليهم السلام من الفوائد التي ذكرناها سوى فائدة الكلام في الأقوال
والأفعال فهي ساقطة هاهنا فمما احتج به من لم يوجب عصمة جميعهم
قصة هاروت وماروت وما ذكر فيها أهل الأخبار ونقلة المفسرين
وما روي عن علي وابن عباس في خبرهما وابتلائهما فاعلم أكرمك الله أن هذه
الأخبار لم يرو منها شيء لا سقيم ولا صحيح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
وليس هو شيئا يؤخذ بقياس والذي منه في القرآن اختلف المفسرون في معناه
وأنكر ما قال بعضهم فيه كثير من السلف كما سنذكره وهذه الأخبار من كتب
اليهود وافترائهم كما نصه الله تعالى أول الآيات من افترائهم بذكرهم
على سليمان عليه السلام وتكفيرهم إياه وقد انطوت القصة على شنع عظيمة
وها نحن نحبر في ذلك ما يكشف غطاء هذه الإشكالات إن شاء الله تعالى
فاختلف أولا في هاروت وماروت هل هما ملكان أو إنسيان وهل هما المراد
بالملكين أم لا وهل القراءة ملكين أو ملكين وهل ما في قوله تعالى وما أنزل على
الملكين وما يعلمان من أحد نافية أو موجبة فأكثر المفسرين أن الله امتحن الناس
بالملكين لتعليم السحر وتبيينه وأن عمله كفر فمن تعلمه كفر ومن تركه آمن قال
الله تعالى إنما نحن فتنة فلا تكفر وتعليمهما الناس له تعليم إنذار أي يقولان
لمن جاء يطلب تعلمه لا تفعلوا كذا فإنه يفرق بين المرء وزوجه ولا تتخيلوا

يكذبا بانه سحر ولا كفر • فعلى هذا تعليم الملكين طاعة وتصرفهما فيما امرا به
ليس بمعصية وهي لغيرهما فتنة وروى ابن وهب عن خالد بن ابي عمران انه ذكر
عنده هاروت وماروت وانهما يعلمان السحر فقال نحن ننزههما عن هذا فقرا
بعضهم وما انزل على الملكين فقال خالد لم ينزل عليهما فهذا خالد على جلالته
وعلمه نزههما عن تعليم السحر الذي قد ذكر غيره انهما ماذونٌ لهما في تعليمه
بشريطة ان يبينا انه كفر وانه امتحان من الله تعالى وابتلا فكيف لا ننزههما
عن كبائر المعاصي والكفر المذكور في تلك الاخبار وقول خالد لم ينزل يريد
ان ما نافية وهو قول ابن عباس رضي الله عنهما قال مكي وتقدير الكلام وما
كفر سليمن يريد بالسحر الذي افتعلته عليه الشياطين واتبعتهم في ذلك
اليهود وما انزل على الملكين • قال مكي هما جبريل وميكائيل ادعى اليهود عليهما
المجي به كما ادعوا على سليمن فاكذبهم الله في ذلك ولكن الشياطين كفروا يعلمون
الناس السحر ببابل هاروت وماروت • قال هما رجلان يعلمانه • وقال الحسن
هاروت وماروت علجان من اهل بابل • وقرا وما انزل على الملكين بكسر اللام
ويكون ما ايجابا على هذا وكذلك قرا عبد الرحمن ابن ابزى بكسر اللام ولكنه
قال الملكان هنا داود وسليمن ويكون ما نفيا على ما تقدم • وقيل كانا ملكين
من بني اسرائيل فمسخهما الله تعالى حكاه السمرقندي • والقراة بكسر اللام شاذة
فحمل الاية على تقدير ابي محمد مكي حسن ينزه الملئكة ويذهب الرجس عنهم ويطهرهم
تطهيرا • وقد وصفهم الله تعالى بانهم مطهرون • وكرام بررة • ولا يعصون
الله ما امرهم • ومما يذكرونه قصة ابليس وانه كان من الملئكة ورئيسا
فيهم ومن خزان الجنة الى اخر ما حكوه وانه استثناه من الملئكة بقوله تعالى
فسجدوا الا ابليس • وهذا ايضا لم يتفق عليه بل الاكثر ينفون ذلك وانه

ابو الجن

ابو الجن كما ان آدم ابو الانس وهو قول الحسن وقتادة وابن زيد وقال
شهر بن حوشب كان من الجن الذين طردتهم الملئكة في الارض حين افسدوا
والاستثناء من غير الجنس شائع وكلام العرب سائغ وقد قال الله تعالى
وما لهم به من علم الا اتباع الظن وروي في الاخبار ان خلقا من الملئكة
عصوا الله فحرقوا وامروا ان يسجدوا لادم فابوا فحرقوا ثم آخرون كذلك
حتى سجد له من ذكر الله الا ابليس في اخبار لا اصل لها يردها صحاح الاخبار
فلا نشتغل بها

الباب الثاني فيما يختص بهم في الامور

الدنيوية وبطرو اعلالهم من العوارض البشرية قد قدمنا انه عليه السلام
وسائر الانبياء والرسل من البشر وان جسمه وظاهره خالص للبشر يجوز عليه
من الافات والتغيرات والالام والاسقام وتجرع كاس الحمام ما يجوز
على البشر وهذا كله ليس بنقيصة فيه لان الشيء انما يسمى ناقصا بالاضافة
الى ما هو اتم منه واكمل من نوعه وقد كتب الله تعالى على اهل هذه الدار فيها
يحيون وفيها يموتون ومنها يخرجون وخلق جميع البشر بمدرجة الغير
فقد مرض عليه السلام واشتكى واصابه الحر والقر وادركه الجوع والعطش
ولحقه الغضب والضجر وناله الاعياء والتعب ومسه الضعف والكبر
وسقط فجحش شقه وشجه الكفار وكسروا رباعيته وسقي السم وسحر وتداوى
واحتجم وتنشر وتعوذ ثم قضى نحبه صلى الله عليه وسلم ولحق بالرفيق الاعلى
وتخلص من دار الامتحان والبلوى وهذه سمات البشر التي لا محيص عنها
واصاب غيره من الانبياء ما هو اعظم منه فقتلوا قتلا ورموا في النار ونشروا
بالمناشير ومنهم من وقاه الله تعالى ذلك في بعض الاوقات ومنهم من عصمه
كما عصم بعد نبينا عليه السلام من الناس فلئن لم يكف نبينا ربه يد ابن قمئة

يوم أحد ولا حجبه عن عيون عداه عند دعوته أهل الطائف فلقد
أخذ على عيون قريش عند خروجه إلى ثور وأمسك عنه سيف غورث جبل
وحجر أبي جهل وفرس سراقة ولئن لم يقه من سحر ابن الأعصم فلقد وقاه
ما هو أعظم من سم اليهودية • وهكذا سائر أنبيائه عليهم السلام مبتلى
ومعافى • وذلك من تمام حكمته ليظهر شرفهم في هذه المقامات ويبين
أمرهم ويتم كلمته فيهم وليحقق بامتحانهم بشريتهم ويرتفع الالتباس عن أهل
الضعف فيهم لئلا يضلوا بما يظهر من العجائب على أيديهم ضلال النصارى
بعيسى • وليكون في محنهم تسلية لأممهم ووفور لأجورهم عند ربهم والتغييرات
تماما على الذي أحسن إليهم • قال بعض المحققين وهذه الطوارئ والتغييرات
المذكورة إنما تختص بأجسامهم البشرية المقصود بها مقاومة البشر ومعاناة
بني آدم لمشاكلة الجنس • وأما بواطنهم فمنزهة غالبا عن ذلك معصومة منه
متعلقة بالملأ الأعلى والملائكة لأخذها عنهم وتلقيها الوحي منهم • قال
وقد قال عليه السلام إن عيني تنامان ولا ينام قلبي • وقال عليه السلام
إني لست كهيئتكم إني أبيت يطعمني ربي ويسقيني • وقال عليه السلام لست
أنسى ولكن أنسى ليستن بي • فأخبر صلى الله عليه وسلم أن سره وباطنه وروحه
بخلاف جسمه وظاهره وأن الآفات التي تحل ظاهره من ضعف وجوع وسهر
ونوم لا يحل منها شيء باطنه بخلاف غيره من البشر في حكم الباطن لأن غيره إذا
نام استغرق النوم جسمه وقلبه وهو عليه السلام في نومه حاضر القلب كما
هو في يقظته • حتى جاء في بعض الآثار أنه كان صلى الله عليه وسلم محروسا من قوله
الحدث في نومه لكون قلبه يقظان كما ذكرناه • وكذلك غيره إذا جاع ضعف
لذلك جسمه وخارت قوته فبطلت بالكلية جملته • وهو عليه السلام قد أخبر

انه لا يعتريه في ذلك وانه بخلافهم بقوله لست كهيئتكم اني ابيت يطعمني
ربي ويسقيني . وكذلك اقول انه صلى الله عليه وسلم في هذه الاحوال كلها
من وصب ومرض وسحر وغضب لم يجر على باطنه ما يخل به ولا فاض منه
على لسانه وجوارحه ما لا يليق به كما يعتري غيره من البشر مما نأخذ بعد
في بيانه **فصل** فان قلت فقد جاءت الاخبار الصحيحة انه عليه السلام
سحر . حدثنا الشيخ ابو محمد العتابي بقراءتي عليه قال حدثنا حاتم بن محمد
حدثنا ابو الحسن علي بن خلف حدثنا محمد بن احمد حدثنا محمد بن يوسف
حدثنا البخاري حدثنا عبيد بن اسمعيل حدثنا ابو اسامة عن هشام بن عروة
عن ابيه عن عائشة رضي الله عنها قالت سحر رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى
انه ليخيل اليه انه فعل الشيء وما فعله وفي رواية اخرى حتى كان يخيل اليه
انه كان يأتي النساء ولا يأتيهن الحديث . واذا كان هذا من التباس الامر على
المسحور فكيف حال النبي صلى الله عليه وسلم في ذلك وكيف جاز عليه وهو
معصوم فاعلم وفقنا الله واياك ان هذا الحديث صحيح متفق عليه وقد طعنت
فيه الملحدة وتذرعت به لسخف عقولها وتلبيسها على امثالها الى التشكيك
في الشرع وقد نزه الله الشرع والنبي صلى الله عليه وسلم عما يدخل في امره لبسا
وانما السحر مرض من الامراض وعارض من العلل يجوز عليه كانواع الامراض
مما لا ينكر ولا يقدح في نبوته صلى الله عليه وسلم . واما ما ورد انه كان يخيل اليه
انه كان فعل الشيء ولا يفعله فليس في هذا ما يدخل عليه داخلة في شيء
من تبليغه او شريعته او يقدح في صدقه لقيام الدليل والاجماع على عصمته
من هذا وانما هذا فيما يجوز طروه عليه في امر دنياه التي لم يبعث بسببها
ولا فضل من اجلها وهو فيها عرضة للآفات كسائر البشر فغير بعيد ان يخيل

طروه

لشيء من أمورها ما لا حقيقة له ثم تنجلي عنه كما كان. وأيضاً فقد فسر هذا
الفصل الحديث الآخر من قوله صلى الله عليه وسلم حتى يخيل إليه أنه يأتي أهله
ولا يأتيهن. وقد قال سفيان وهذا أشد ما يكون من السحر. ولم يأت في خبر
منها أنه نقل عنه في ذلك قول بخلاف ما كان أخبر أنه فعله ولم يفعله وإنما
كانت خواطر وتخييلات. وقد قيل إن المراد بالحديث أنه كان يتخيل الشيء
أنه فعله وما فعله لكنه تخييل لا يعتقد صحته فتكون اعتقاداته كلها
على السداد وأقواله على الصحة. هذا ما وقفنا عليه لأئمتنا من الأجوبة عن
هذا الحديث مما أوضحناه من معنى كلامهم وزدناه بياناً من تلويحاتهم وكل
وجه منها مقنع لكنه قد ظهر لي في الحديث تأويل أجلى وأبعد من مطاعن
ذوي الأضاليل يستفاد من نفس الحديث. وهو أن عبد الرزاق قد روى
هذا الحديث عن ابن المسيب وعروة بن الزبير وقال فيه عنهما سحر يهود بني
زريق رسول الله صلى الله عليه وسلم فجعلوه في بئر حتى كاد رسول الله صلى الله
عليه وسلم أن ينكر بصره ثم دله الله تعالى على ما صنعوا فاستخرجه من البئر.
وروى نحوه الواقدي عن عبد الرحمن بن كعب وعمر بن الحكم. وذكر عن عطاء
الخراساني عن يحيى بن يعمر حبس رسول الله صلى الله عليه وسلم عن عائشة سنة
فبينا هو نائم أتاه ملكان فقعد أحدهما عند رأسه والآخر عند رجليه الحديث
قال عبد الرزاق وحبس رسول الله صلى الله عليه وسلم عن عائشة خاصة سنة
حتى أنكر بصره. فقد استبان لك من مضمون هذه الروايات أن السحر إنما
تسلط على ظاهره وجوارحه لا على قلبه واعتقاده وعقله وأنه إنما أثر
في بصره وحبسه عن وطء نسائه فيكون معنى قوله يخيل إليه أنه يأتي أهله ولا
يأتيهن أي يظهر له من نشاطه ومتقدم عادته القدرة على النساء فإذا دنا

سحر أصابه أنه أُخذ السحر فلم يقدر على إتيانهن كما يعتري من أُخذ واعترض
ولعله لمثل هذا أشار سفيان بقوله وهذا أشد ما يكون من السحر ويكون قول
عائشة رضي الله عنها في الرواية الأخرى إنه ليخيل إليه أنه فعل الشيء وما فعله
من باب ما اختل من بصره كما ذكر في الحديث فيظن أنه رأى شخصا من بعض
أزواجه أو شاهد فعلا من غيره ولم يكن على ما يخيل إليه لما أصابه في بصره
وضعف نظره صلى الله عليه وسلم لا لشيء طرأ عليه في ميزه. وإذا كان هذا
لم يكن فيما ذكر من إصابته بالسحر وتأثيره فيه ما يدخل لبسا ولا يجد به الملحد
المعترض أنسا فصل هذه حاله صلى الله عليه وسلم في جسمه. فأما أحواله
في أمور الدنيا فنحن نسبرها على أسلوبها المتقدم بالعقد والقول والفعل
أما العقد منها فقد يعتقد في أمور الدنيا الشيء على وجه ويظهر خلافه
أو يكون منه على شك أو ظن بخلاف أمور الشرع كما حدثنا أبو بحر سفيان بن
العاص وغير واحد سماعا وقراءة. قالوا حدثنا أبو العباس أحمد بن عمر حدثنا
أبو العباس الرازي حدثنا أبو أحمد بن عمرويه. حدثنا ابن سفيان حدثنا
مسلم. حدثنا عبد الله بن الرومي وعباس العنبري وأحمد المعقري. قالوا
حدثنا النضر بن محمد قال حدثني عكرمة حدثنا أبو النجاشي حدثنا رافع
بن خديج قال قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة وهم يأبرون النخل
فقال ما تصنعون قالوا كنا نصنعه قال لعلكم لو لم تفعلوا لكان خيرا
فتركوه فنقصت فذكروا ذلك له فقال إنما أنا بشر إذا أمرتكم بشيء من دينكم
فخذوا به وإذا أمرتكم بشيء من رأيي فإنما أنا بشر. وفي رواية أنس أنتم
أعلم بأمر دنياكم. وفي حديث آخر إنما ظننت ظنا فلا تؤاخذوني بالظن وفي
حديث ابن عباس رضي الله عنهما في قصة الخرص فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم

إنما أنا بشر فما حدثتكم عن الله فهو حق وما قلت فيه من قبل نفسي فإنما أنا
بشر أخطئ وأصيب. وهذا على ما قررناه فيما قاله صلى الله عليه وسلم من قبل
نفسه في أمور الدنيا وظنه من أحوالها لا ما قاله من قبل نفسه واجتهاده في
شرع شرعه وسنة سنها. وكما حكى ابن إسحاق أنه عليه السلام لما نزل بأدنى
مياه بدر قال له الحباب بن المنذر أهذا منزل أنزلكه الله ليس لنا أن نتقدمه
أم هو الرأي والحرب والمكيدة قال لا بل هو الرأي والحرب والمكيدة
قال فإنه ليس بمنزل انهض حتى نأتي أدنى ماء من القوم فننزله ثم نغور ما وراءه
من القلب فنشرب ولا يشربون فقال أشرت بالرأي وفعل ما قاله وقد
قال الله تعالى وشاورهم في الأمر وأراد مصالحة بعض عدوه على ثلث
تمر المدينة فاستشار الأنصار فلما أخبروه برأيهم رجع عنه فمثل هذا
وأشباهه من أمور الدنيا التي لا مدخل فيها لعلم ديانة ولا اعتقادها ولا
تعليمها يجوز عليه فيه ما ذكرناه إذ ليس في هذا كله نقيصة ولا محطة وإنما
هي أمور اعتيادية يعرفها من جربها وجعلها همه وشغل نفسه بها والنبي
صلى الله عليه وسلم مشحون القلب بمعرفة الربوبية ملآن الجوانح بعلوم الشريعة
مقيد البال بمصالح الأمة الدينية والدنيوية ولكن هذا إنما يكون في بعض
الأمور ويجوز في النادر وفيما سبيله التدقيق في حراسة الدنيا واستثمارها
لا في الكثير المؤذن بالبله والغفلة. وقد تواتر بالنقل عنه عليه السلام
من المعرفة بأمور الدنيا ودقائق مصالحها وسياسة فرق أهلها ما هو معجز
في البشر مما قد نبهنا عليه في باب معجزاته من هذا الكتاب. فصل وأما
ما يعتقده في أمور أحكام البشر الجارية على يديه صلى الله عليه وسلم وقضاياهم
ومعرفة المحق من المبطل وعلم المصلح من المفسد فبهذه السبيل لقوله عليه السلام

إنما أنا بشر وإنكم تختصمون إلي ولعل بعضكم أن يكون ألحن بحجته من
بعض فأقضي له على نحو مما أسمع فمن قضيت له من حق أخيه بشيء فلا يأخذ منه
شيئا فإنما أقطع له قطعة من النار وفي [illegible] الفقيه أبو الوليد رحمه الله حدثنا
حسين بن محمد الحافظ حدثنا أبو عمر حدثنا أبو محمد حدثنا أبو بكر حدثنا
أبو داود حدثنا محمد بن كثير أخبرنا سفيان عن هشام بن عروة عن أبيه عن
زينب بنت أم سلمة عن أم سلمة رضي الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم الحديث وفي [illegible] الزهري عن عروة فلعل بعضكم أن يكون أبلغ
من بعض فأحسب أنه صادق فأقضي له، وتجري أحكامه عليه السلام على
الظاهر وموجب غلبات الظن بشهادة الشاهد ويمين الحالف ومراعاة
الأشبه ومعرفة العفاص والوكاء مع مقتضى حكمة الله في ذلك فإنه تعالى
لو شاء لأطلعه على سرائر عباده ومخبآت ضمائر أمته فتولى الحكم بينهم بمجرد
يقينه وعلمه دون حاجة إلى اعتراف أو بينة أو يمين أو شبهة، ولكن لما
أمر الله أمته باتباعه والاقتداء به في أفعاله وأحواله وقضاياه وسيره
صلى الله عليه وسلم، وكان هذا لو كان مما يختص بعلمه ويؤثره الله تعالى به لم
يكن للأمة سبيل إلى الاقتداء به في شيء من ذلك ولا قامت حجة بقضية من
قضاياه لأحد في شريعته لأنا لا نعلم ما أطلع عليه هو في تلك القضية لحكمه
هو إذا في ذلك بالمكنون من إعلام الله تعالى له بما أطلعه الله عليه من سرائرهم
وهذا ما لا تعلمه الأمة فأجرى الله تعالى أحكامه على ظواهرهم التي يستوي
في ذلك هو وغيره من البشر ليتم اقتداء أمته به صلى الله عليه وسلم في تعيين قضاياه
وتنزيل أحكامه ويأتون ما أتوا من ذلك على علم ويقين من سنته إذ البيان
بالفعل أوقع منه بالقول وأرفع لاحتمال اللفظ وتأويل المتأول، وكان

صلى الله عليه وسلم حكمه على الظاهر أجلى في الثبات وأوضح في وجوه الأحكام
وأكثر فوائد لموجبات التشاجر والخصام، وليقتدي بذلك كل حكام أمته
ويستوثق بما يؤثر عنه وينضبط قانون شريعته، وطي ذلك عنه من علم الغيب
الذي استأثر به عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحدا إلا من ارتضى من رسول
فيعلمه منه ما شاء ويستأثر بما شاء ولا يقدح هذا في نبوته ولا يفصم عروة من
عصمته صلى الله عليه وسلم فصل وأما أقواله صلى الله عليه وسلم الدنيوية
من إخباره عن أحواله وأحوال غيره وما يفعله أو فعله فقد قدمنا أن الخلف
فيها ممتنع عليه في كل حال وعلى أي وجه من عمد أو سهو أو صحة أو مرض
أو رضى أو غضب وأنه معصوم منه صلى الله عليه وسلم، هذا فيما طريقه
الخبر المحض مما يدخله الصدق والكذب فأما المعاريض الموهم ظاهرها
خلاف باطنها فجائز ورودها منه في الأمور الدنيوية لا سيما لقصد المصلحة
كتوريته عن وجه مغازيه لئلا يأخذ العدو حذره وكما روي من ممازحته
ودعابته لبسط أمته صلى الله عليه وسلم وتطييب قلوب المؤمنين من صحابته
وتأكيدا في تحببهم ومسرة نفوسهم كقوله عليه السلام لأحملنك على ابن
الناقة، وقوله عليه السلام للمرأة التي سألته عن زوجها أهو الذي بعينه
بياض، وهذا كله صدق لأن كل جمل ابن ناقة وكل إنسان بعينه بياض،
وقد قال عليه السلام إني لأمزح ولا أقول إلا حقا، هذا كله فيما بابه الخبر
فأما ما بابه غير الخبر مما صورته صورة الأمر والنهي في الأمور الدنيوية
فلا يصح منه أيضا ولا يجوز عليه أن يأمر أحدا بشيء أو ينهى أحدا عن شيء وهو
يبطن خلافه، وقد قال عليه السلام ما كان لنبي أن تكون له خائنة الأعين
فكيف أن تكون له خيانة قلب فإن قلت فما معنى إذا قوله تعالى في قصة زيد

وَإِذْ تقولُ للذي أنعمَ الله عليه وأنعمتَ عليهِ أمسِكْ عليكَ زوجَكَ الآيةَ
فاعلمْ أكرمكَ الله ولا تسترِبْ في تنزيهِ النبيّ صلى الله عليه وسلم عن هذا
الظاهرِ وأن يأمُرَ زيدًا بإمساكِها وهو يحبُّ تطليقَه إيّاها كما ذكر عن
جماعةٍ من المفسّرين. وأصحُّ ما في هذا ما حكاهُ أهلُ التفسيرِ عن عليّ بن حسين
أنّ الله تعالى كان أعلمَ نبيّه عليه السّلام أنّ زينبَ ستكونُ من أزواجِه
فلمّا شكاها إليه زيدٌ قال له أمسِكْ عليكَ زوجَكَ واتّقِ الله وأخفى في
نفسِه ما أعلمَهُ الله تعالى به من أنّه سيتزوّجُها ممّا الله مُبديهِ ومُظهِرُه بتمام
التزويجِ وطلاقِ زيدٍ لها. وروى نحوَهُ عمرو بن فائدٍ عن الزُّهريّ قال نزل جبريل
على النبيّ صلى الله عليه وسلم يُعلِمُه أنّ الله تعالى يزوِّجُه زينبَ بنتَ جحشٍ فذلك
الذي أخفى في نفسِه ويُصحِّحُ هذا قولُ المفسّرين في قوله تعالى بعد هذا وكان
أمرُ الله مفعولًا أي لا بدّ لك أن تتزوّجَها ويُوضّحُ هذا أنّ الله لم يُبدِ من أمرِه
معها غيرَ زواجِه لها فدلّ أنّه الذي أخفاهُ عليه السلام ممّا كان أعلمَه به تعالى
وقولُه تعالى في القصّةِ ما كان على النبيّ من حرجٍ فيما فرض الله له سنّةَ الله الآيةَ
فدلّ أنّه لم يكن عليه حرجٌ في الأمرِ. قال الطبريّ ما كان الله ليُؤثِّمَ نبيَّه صلى الله
عليه وسلم فيما أحلّ مثالَ فعلِه لمن قبلَه من الرسلِ. قال الله تعالى سنّةَ الله في
الذين خلَوا من قبلُ أي من النبيّين فيما أحلّ لهم. ولو كان على ما رُوي في حديث
قتادةَ من وقوعِها في قلبِ النبيّ صلى الله عليه وسلم عندما أعجبتْهُ ومحبّتِه طلاقَ
زيدٍ لها لكان فيه أعظمُ الحرجِ وما لا يليقُ به من مدِّ عينيه لما نُهي عنه من زهرةِ
الحياةِ الدنيا ولكان هذا نفسَ الحسدِ المذمومِ الذي لا يرضاه ولا يتّسمُ به الأتقياءُ
فكيف سيّدُ الأنبياءِ صلى الله عليه وسلم. قال القشيريّ وهذا إقدامٌ عظيمٌ من قائلِه
وقلّةُ معرفةٍ بحقّ النبيّ صلى الله عليه وسلم وبفضلِه. وكيف يقالُ رآها فأعجبتْهُ وهي

[illegible]

بنت عمته فلم يزل يراها منذ ولدت ولا كان النساء يحتجبن منه عليه السلام وهو زوجها
لزيد وإنما جعل الله تعالى طلاق زيد لها وتزويج النبي صلى الله عليه وسلم إياها لإزالة
حرمة التبني وإبطال سنته كما قال تعالى ما كان محمد أبا أحد من رجالكم. وقال تعالى
لكي لا يكون على المؤمنين حرج في أزواج أدعيائهم. ونحوه لابن فورك. وقال أبو
الليث السمرقندي فإن قيل فما الفائدة في أمر النبي صلى الله عليه وسلم لزيد بإمساكها
فهو أن الله تعالى أعلم نبيه صلى الله عليه وسلم أنها زوجته فنهاه النبي صلى الله عليه وسلم
عن طلاقها إذ لم تكن بينهما ألفة وأخفى في نفسه ما أعلمه الله به فلما طلقها زيد
خشي قول الناس يتزوج امرأة ابنه فأمره الله تعالى بزواجها ليباح مثل ذلك
لأمته كما قال تعالى لكي لا يكون على المؤمنين حرج في أزواج أدعيائهم. وقد قيل
كان أمره لزيد بإمساكها قمعا للشهوة وردا للنفس عن هواها وهذا إذا جوزنا
عليه أنه رآها فجأة واستحسنها ومثل هذا لا نكرة فيه لما طبع عليه ابن آدم من
استحسانه للحسن ونظرة الفجأة معفو عنها ثم قمع نفسه عنها وأمر زيدا بإمساكها
وإنما تنكر تلك الزيادات التي في القصة والتعويل والأولى ما ذكرناه عن علي بن حسين
رضي الله عنهما وحكاه السمرقندي وهو قول ابن عطاء وصححه واستحسنه القاضي
القشيري وعليه عول أبو بكر بن فورك وقال إنه معنى ذلك عند المحققين من
أهل التفسير قال والنبي صلى الله عليه وسلم منزه عن استعمال النفاق في ذلك
وإظهار خلاف ما في نفسه وقد نزهه الله عن ذلك بقوله تعالى ما كان على النبي
من حرج فيما فرض الله له ومن ظن ذلك بالنبي صلى الله عليه وسلم فقد أخطأ
قال وليس معنى الخشية هنا الخوف وإنما معناه الاستحياء أي يستحيي منهم
أن يقولوا تزوج زوجة ابنه وأن خشيته عليه السلام من الناس كانت من إرجاف
المنافقين واليهود وتشغيبهم على المسلمين بقولهم تزوج زوجة ابنه بعد نهيه

ز

عن نكاح حلائل الأبناء كما كان نعتها الله على هذا ونزهه عن الالتفات إليهم
فيما أحله لهم كما عتبه على مراعاة رضى أزواجه في سورة التحريم بقوله تعالى
لم تحرم ما أحل الله لك الآية كذلك قوله تعالى له عليه السلام هاهنا وتخشى
الناس والله أحق أن تخشاه وقد روي عن الحسن وعائشة رضي الله عنهما لو
كتم رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئا لكتم هذه الآية لما فيها من عتبه وإبداء ما
أخفاه فصل فإن قلت قد تقررت عصمته عليه السلام في أقواله في جميع
أحواله وأنه لا يصح منه فيها خلف ولا اضطراب في عمد ولا سهو ولا صحة
ولا مرض ولا جد ولا مزح ولا رضى ولا غضب ولكن ما معنى الحديث
في وصيته عليه السلام الذي حدثنا به القاضي الشهيد أبو علي رحمه الله
قال حدثنا القاضي أبو الوليد قال حدثنا أبو ذر حدثنا أبو محمد وأبو الهيثم
وأبو إسحق قالوا حدثنا محمد بن يوسف حدثنا محمد بن إسماعيل حدثنا علي بن
عبد الله حدثنا عبد الرزاق أخبرنا معمر عن الزهري عن عبيد الله بن عبد الله
عن ابن عباس رضي الله عنهما قال لما احتضر رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي البيت
رجال فقال النبي صلى الله عليه وسلم هلموا أكتب لكم كتابا لن تضلوا بعده
فقال بعضهم إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد غلبه الوجع الحديث وفي
رواية ايتوني أكتب لكم كتابا لن تضلوا بعدي أبدا فتنازعوا فقالوا ما له أهجر
استفهموه فقال دعوني فإن الذي أنا فيه خير وفي بعض طرقه أن النبي صلى الله
عليه وسلم يهجر وفي رواية هجر ويروى أهجر ويروى أهجرا وفيه فقال عمر
رضي الله عنه إن النبي صلى الله عليه وسلم قد اشتد به الوجع وعندنا كتاب الله
حسبنا وكثر اللغط فقال قوموا عني وفي رواية واختلف أهل البيت واختصموا
فمنهم من يقول قربوا يكتب لكم رسول الله صلى الله عليه وسلم كتابا ومنهم من

يقول ما قاله عمر رضي الله عنه. قال أئمتنا في هذا الحديث النبي صلى الله عليه وسلم
غير معصوم من الأمراض وما يكون من عوارضها من شدة وجع وغشي ونحوه
مما يطرأ على جسمه معصوم أن يكون منه من القول أثناء ذلك ما يطعن في
معجزته ويؤدي إلى فساد في شريعته من هذيان أو اختلال في كلام وعلى هذا
لا يصح ظاهر رواية من روى في الحديث هجر إذ معناه هذى يقال هجر هجرا
إذا هذى وأهجر هجرا إذا أفحش وأهجر تعدية هجر وإنما الأصح والأولى
أهجر على طريق الإنكار على من قال لا يكتب. وهكذا روايتنا فيه في صحيح البخاري من
رواية جميع الرواة في حديث الزهري المتقدم وفي حديث محمد بن سلام عن ابن
عيينة وكذا ضبطه الأصيلي بخطه في كتابه وغيره من هذه الطرق. وكذا
رويناه عن مسلم في حديث سفيان وعن غيره وقد تحمل عليه رواية من رواه هجر
على حذف ألف الاستفهام والتقدير أهجر ما شاهد من حال الرسول صلى الله عليه و
وشدة وجعه وهول المقام الذي اختلف فيه عليه والأمر الذي هم بالكتاب
فيه حتى لم يضبط هذا القائل لفظه وأجرى الهجر مجرى شدة الوجع لا أنه
اعتقد أنه يجوز عليه الهجر كما حملهم الإشفاق على حراسته والله تعالى يقول
والله يعصمك من الناس ونحو هذا. وأما على رواية أهجر وهي رواية أبي إسحق
المستملي في الصحيح وفي حديث ابن جبير عن ابن عباس من رواية قتيبة فقد يكون
هذا راجعا إلى المختلفين عنده صلى الله عليه وسلم ومخاطبة لهم من بعضهم أي جئتم
باختلافكم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين يديه هجرا ومنكرا من القول
والهجر بضم الهاء الفحش في المنطق. اختلف العلماء في معنى هذا الحديث وكيف
اختلفوا بعد أمره عليه السلام أن يأتوه بالكتاب فقال بعضهم أوامر النبي
صلى الله عليه وسلم يفهم إيجابها من ندبها من إباحتها بقرائن

قوله عليه السلام لبعضهم ما فهموا أنه لم يكن منه عزمة بل أمر رده إلى اختيارهم
وبعضهم لم يفهم ذلك فقال استفهموه فلما اختلفوا كف عنه إذ لم يكن عزمة
ولما رأوه من صواب رأي عمر رضي الله عنه ثم هؤلاء قالوا ويكون امتناع عمر
رضي الله عنه إما إشفاقا على النبي صلى الله عليه وسلم من تكلفه في تلك الحال
إملاء الكتاب وأن تدخل عليه مشقة من ذلك كما قال إن النبي صلى الله
عليه وسلم اشتد به الوجع. وقيل خشي عمر رضي الله أن يكتب أمورا يعجزون عنها
فيحصلون في الحرج بالمخالفة ورأى أن الأرفق بالأمة في تلك الأمور سعة
الاجتهاد وحكم النظر وطلب الصواب فيكون المصيب والمخطئ مأجورا
وقد علم عمر رضي الله عنه تقرر الشرع وتأسيس الملة وأن الله تعالى قال
اليوم أكملت لكم دينكم. وقوله عليه السلام أوصيكم بكتاب الله وعترتي
وقول عمر رضي الله عنه حسبنا كتاب الله رد على من نازعه لا على أمر النبي
صلى الله عليه وسلم. وقد قيل إن عمر رضي الله عنه خشي تطرق المنافقين
ومن في قلبه مرض لما كتب في ذلك الكتاب في الخلوة وأن يتقولوا في ذلك
الأقاويل كادعاء الرافضة الوصية وغير ذلك. وقيل إنه كان من النبي
صلى الله عليه وسلم لهم على طريق المشورة والاختبار هل يتفقون على ذلك أم
يختلفون فلما اختلفوا تركه. وقالت طائفة أخرى إن معنى الحديث أن النبي
صلى الله عليه وسلم كان مجيبا في هذا الكتاب لما طلب منه لا أنه ابتدأ بالأمر
به بل اقتضاه منه بعض أصحابه فأجاب رغبتهم وكره ذلك غيرهم للعلل
التي ذكرناها. واستدل في مثل هذه القصة بقول العباس لعلي رضي الله عنهما
انطلق بنا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فإن كان الأمر فينا علمناه وكراهة
علي هذا وقوله والله لا أفعل الحديث. واستدل بقوله عليه السلام دعوني

فإن الذي أنا فيه خير، أي الذي أنا فيه خير من إرسال الأمر وترككم
وكتاب الله وأن تدعوني مما طلبتم. وذكر أن الذي طلب كتابة أمر الخلافة بعده
وتعيين ذلك. فإن قلت فما وجه حديثه أيضا الذي حدثناه الفقيه أبو محمد
الخشني بقراءتي عليه، حدثنا أبو علي الطبري حدثنا عبد الغافر الفارسي حدثنا
أبو أحمد الجلودي حدثنا إبراهيم بن سفيان حدثنا مسلم بن الحجاج حدثنا
قتيبة حدثنا الليث عن سعيد بن أبي سعيد عن سالم مولى النصريين قال سمعت
أبا هريرة يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اللهم إنما محمد بشر
يغضب كما يغضب البشر وإني قد اتخذت عندك عهدا لن تخلفنيه فأيما مؤمن
آذيته أو سببته أو جلدته فاجعلها له كفارة وقربة تقربه بها إليك يوم
القيامة. وفي رواية فأيما أحد دعوت عليه بدعوة. وفي رواية ليس لها بأهل
وفي رواية فأيما رجل من المسلمين سببته أو لعنته أو جلدته فاجعلها له زكاة
وصلاة ورحمة. وكيف يصح أن يلعن النبي صلى الله عليه وسلم من لا يستحق اللعن
ويسب من لا يستحق السب ويجلد من لا يستحق الجلد أو يفعل مثل ذلك عند الغضب
وهو معصوم من هذا كله. فاعلم شرح الله صدرك أن قوله أولا ليس لها بأهل
أي عندك يا رب في باطن أمره، فإن حكمه عليه السلام على الظاهر كما قال، وللحكمة
التي ذكرناها فحكم عليه السلام بجلده أو أدبه بسبه أو لعنه بما اقتضاه عنده
حال ظاهره، ثم دعا له عليه السلام لشفقته على أمته ورأفته ورحمته للمؤمنين
التي وصفه الله بها وحذره أن يتقبل الله فيمن دعا عليه دعوته أن يجعل دعاءه
ولعنه له رحمة، فهو معنى قوله ليس لها بأهل، لا أنه عليه السلام يحمله الغضب
ويستفزه الضجر لأن يفعل مثل هذا بمن لا يستحقه من مسلم. وهذا معنى صحيح
ولا يفهم من قوله أغضب كما يغضب البشر أن الغضب حمله على ما لا يجب بل يجوز

أن يكون

أن يكون المراد بهذا أن لعنت الله خلة على معاقبته بلعنه وسبه وإنما
كان يحتمل ويجوز عفوه عنه أو كان مما خير بين المعاقبة فيه أو العقوبة وقد
يحتمل أنه خرج مخرج الإشفاق وتعليم أمته الخوف والحذر من تعدي حدود الله
وقد يحمل ما ورد من دعائه هنا ومن دعواته على غير واحد وفي غير موطن على غير
العقد والقصد بل بما جرت به عادة العرب وليس المراد بها الإجابة كقوله تربت
يمينك ولا أشبع الله بطنك وعقرى حلقى وغيرها من دعواته ٭ وقد ورد في
صفته في غير حديث أنه عليه السلام لم يكن فحاشا ٭ وقال أنس رضي الله عنه لم يكن
سبابا ولا فاحشا ولا لعانا وكان يقول لأحدنا عند المعتبة ما له ترب جبينه
فيكون حمل الحديث على هذا المعنى ٭ ثم أشفق عليه السلام من موافقة أمثالها إجابة
تعاهد ربه كما قال في الحديث أن يجعل ذلك للمقول له زكاة ورحمة وقربة ٭ وقد
يكون ذلك إشفاقا على المدعو عليه وتأنيسا له لئلا يلحقه من استشعار خوف وحذر
من لعن النبي صلى الله عليه وسلم وتقبل دعائه ما يحمله على اليأس والقنوط ٭ وقد يكون
ذلك سؤالا منه لربه عز وجل لمن جلده أو سبه على حق ٭ وبوجه صحيح أن يجعل
ذلك له كفارة لما أصاب وتمحية لما اجترم وأن يكون عقوبته له في الدنيا سبب
العفو والغفران كما جاء في الحديث الآخر ومن أصاب من ذلك شيئا فعوقب به فهو
كفارة له ٭ فإن قلت فما معنى حديث الزبير رضي الله عنه وقول النبي صلى الله عليه
وسلم حين تخاصمه مع الأنصاري في شراج الحرة اسق يا زبير حتى يبلغ الكعبين
فقال له الأنصاري أن كان ابن عمتك يا رسول الله فتلون وجه رسول الله صلى الله عليه
وسلم ثم قال له اسق يا زبير ثم احبس حتى يبلغ الجدر الحديث ٭ فالجواب أن
النبي صلى الله عليه وسلم منزه أن يقع بنفس مسلم منه في هذه القصة أمر يريب ولكنه
صلى الله عليه وسلم ندب الزبير أولا إلى الاقتصار عن بعض حقه على طريق التوسط

والصلح فلما لم يرض بذلك الآخر وحرج وقال أما لا جعت استوفى النبي صلى الله عليه وسلم
للزبير حقه وهذا ترجم البخاري على هذا الحديث باب إذا أشار الإمام بالصلح
فأبى حكم عليه بالحكم وذكر في آخر الحديث فاستوعى رسول الله صلى الله
عليه وسلم حينئذ حقه للزبير وقد جعل المسلمون هذا الحديث أصلا في قضيته
وفيه الاقتداء به صلى الله عليه وسلم في كل ما فعله في حال غضبه ورضاه وأنه وإن
نهى أن يقضي القاضي وهو غضبان فإنه في حكمه في حال الغضب والرضى سواء
لكونه فيهما معصوما وغضب النبي صلى الله عليه وسلم في هذا إنما كان لله لا لنفسه
كما جاء في الحديث الصحيح . وكذلك الحديث في إقادته عكاشة من نفسه لم يكن
لتعدٍّ حمله الغضب عليه بل وقع في الحديث نفسه أن عكاشة قال له وضربتني
بالقضيب فلا أدري أعمدا أم أردت ضرب الناقة فقال النبي صلى الله عليه وسلم
أعيذك بالله يا عكاشة أن يتعمدك رسول الله صلى الله عليه وسلم . وكذلك في
حديثه الآخر مع الأعرابي حين طلب عليه السلام الاقتصاص منه فقال الأعرابي
قد عفوت عنك . وكان النبي صلى الله عليه وسلم قد ضربه بالسوط لتعلقه بزمام
ناقته مرة بعد أخرى والنبي صلى الله عليه وسلم ينهاه ويقول له تدرك حاجتك وهو
يأبى فضربه بعد ثلاث مرات وهذا منه عليه السلام لمن لم يقف عند نهيه صواب
وموضع أدب لكنه عليه السلام أشفق إذ كان حق نفسه من الأمر حتى عفا عنه
[illegible] سواد بن عمرو أتيت النبي صلى الله عليه وسلم وأنا متخلق فقال ورس ورس
حط حط وغشيني بقضيب في يده في بطني فأوجعني فقلت القصاص يا رسول الله فكشف
لي عن بطنه إنما ضربه عليه السلام لمنكر رآه به ولعله لم يرد بضربه بالقضيب إلا
تنبيهه فلما كان منه إيجاع لم يقصده طلب التحلل منه على ما قدمناه .
وأما أفعاله عليه السلام الدنيوية فحكمه فيها من توقي المعاصي والمكروه ما قدمناه .

ومن جواز السهو والغلط في بعضها ما ذكرناه وكله غير قادح في النبوة بل ان هذا
فيها على الندور اذ عامة افعاله صلى الله عليه وسلم على السداد والصواب بل اكثرها
او كلها جارية مجرى العبادات والقرب على ما بيناه اذ كان عليه السلام لا ياخذ
منها لنفسه الا ضرورته وما يقيم رمق جسمه وفيه مصلحة ذاته التي بها يعبد
ربه ويقيم شريعته ويسوس امته وما كان بينه وبين الناس من ذلك فبين
معروف يصنعه او بر يوسعه او كلام حسن يقوله او يسمعه وتألف شارد او قهر
معاند او مداراة حاسد وكل هذا لاحق بصالح اعماله منتظم في زاكي وظائف
عباداته وقد كان يخالف في افعاله الدنيوية بحسب اختلاف الاحوال ويعد
للامور اشباهها فيركب في تصرفه لما قرب الحمار وفي اسفاره الراحلة ويركب
البغلة في معارك الحرب دليلا على الثبات ويركب الخيل ويعدها ليوم الفزع
واجابة الصارخ وكذلك في لباسه وسائر احواله صلى الله عليه وسلم بحسب اعتبار
مصلحته ومصالح امته وكذلك يفعل الفعل من امور الدنيا مساعدة لامته
وسياسة وكراهية خلافها وان كان قد يرى غيره خيرا منه كما يترك الفعل لهذا
وقد يرى فعله خيرا منه وقد يفعل هذا في الامور الدينية مما له الخيرة في احد وجهيه
كخروجه من المدينة لاحد وكان مذهبه التحصن بها وتركه قتل المنافقين
وهو على يقين من امرهم مؤالفة لغيرهم ورعاية للمؤمنين من قرابتهم وكراهة
لان يقول الناس ان محمدا يقتل اصحابه كما جاء في الحديث وتركه بناء الكعبة على
قواعد ابرهيم عليه السلام مراعاة لقلوب قريش وتعظيمهم لتغييرها وحذرا من نفار
قلوبهم لذلك وتحريك متقدم عداوتهم للدين واهله فقال في الحديث الصحيح
لعائشة رضي الله عنها لولا حدثان قومك بالكفر لاتممت البيت على قواعد ابرهيم
ويفعل الفعل ثم يتركه لكون غيره خيرا منه كانتقاله من ادنى مياه بدر الى اقربها

للغدر من قريش. وكقوله صلى الله عليه وسلم لو استقبلت من أمري ما استدبرت
ما سقت الهدي. وبسط وجهه للكافر والعدو رجاء استئلافه وصبره للجاهل
ويقول إن من شرار الناس من اتقاه الناس لشره. ويبذل الرغائب ليحبب
إليه شريعته صلى الله عليه وسلم ودين ربه عز وجل. ويتولى في منزله ما يتولى
الخادم من مهنته ويتسمت في ملائه حتى لا يبدو منه شيء من أطرافه وحتى
كأن على رؤوس جلسائه الطير. ويتحدث مع جلسائه بحديث أولهم ويتعجب
مما يتعجبون منه ويضحك مما يضحكون منه. قد وسع الناس بشره وعدله
لا يستفزه الغضب ولا يقصر عن حق ولا يبطن عن جلسائه يقول ما كان
لنبي أن تكون له خائنة الأعين. فإن قلت فما معنى قوله عليه السلام لعائشة
رضي الله عنها في الداخل عليه بئس ابن العشيرة فلما دخل ألان له القول
وضحك معه فلما سألته عن ذلك قال إن من شر الناس من اتقاه الناس
لشره وكيف جاز أن يظهر له خلاف ما يبطن ويقول في ظهره ما قال
فالجواب أن فعله عليه السلام كان استئلافا لمثله وتطييبا لنفسه ليتمكن
إيمانه ويدخل في الإسلام أتباعه ويراه مثله فينجذب بذلك إلى الإسلام
ومثل هذا على هذا الوجه قد خرج من حد مداراة الدنيا إلى السياسة الدينية
وقد كان صلى الله عليه وسلم يستألفهم بأموال الله العريضة فكيف بالكلمة
اللينة. قال صفوان لقد أعطاني وهو أبغض الخلق إلي فما زال يعطيني حتى
صار أحب الخلق إلي. وقوله فيه بئس ابن العشيرة هو غير غيبة بل هو تعريف
ما علمه منه لمن لم يعلم ليحذر حاله ويحترز منه ولا يوثق بجانبه كل الثقة
ولا سيما وكان مطاعا متبوعا. ومثل هذا إذا كان لضرورة ودفع مضرة لم يكن
بغيبة بل كان جائزا بل واجبا في بعض الأحيان كعادة المحدثين في تجريح

الرواة

الرواة والمذكورين في الشهود [illegible] في معنى المفصل الوارد في حديث بريرة
من قوله عليه السلام لعائشة وقد أخبرته أن موالي بريرة أبوا بيعها إلا أن
يكون لهم الولاء فقال لها عليه السلام اشتريها واشترطي لهم الولاء ففعلت ثم قام
خطيبا فقال ما بال أقوام يشترطون شروطا ليست في كتاب الله كل شرط ليس
في كتاب الله فهو باطل وإن النبي صلى الله عليه وسلم قد أمرها بالشرط لهم وعليه
باعوا أن الولاء والله أعلم لما باعوها من عائشة كما لم يبيعوها إلا حتى شرطوا
ذلك عليها ثم أبطله عليه السلام وهو قد حرم الغش والخديعة [illegible]
أكرمك الله أن النبي صلى الله عليه وسلم منزه عما يقع في بال الجاهل من هذا
ولتنزيه النبي صلى الله عليه وسلم عن ذلك ما قد أنكر قوم هذه الزيادة قوله
عليه السلام اشترطي لهم الولاء إذ ليست في أكثر طرق الحديث ومع ثباتها فلا
اعتراض بها إذ يقع لهم بمعنى عليهم قال الله تعالى أولئك لهم اللعنة وقال
تعالى وإن أسأتم فلها بمعنى اشترطي عليهم الولاء لك ويكون قيام النبي صلى الله
عليه وسلم ووعظه لما سلف لهم من شرط الولاء لأنفسهم قبل ذلك [illegible]
أن قوله عليه السلام اشترطي لهم الولاء ليس على معنى الأمر لكن على معنى التسوية
والإعلام بأن شرطه لهم لا ينفعهم بعد بيان النبي صلى الله عليه وسلم لهم
قبل أن الولاء لمن أعتق وكأنه قال صلى الله عليه وسلم اشترطي أو لا تشترطي
فإنه شرط غير نافع وإلى هذا ذهب الداودي وغيره وتوبيخ النبي صلى الله
عليه وسلم لهم وتقريعهم على ذلك يدل على علمهم به قبل هذا [illegible]
أن معنى قوله اشترطي لهم الولاء أي أظهري لهم حكمه وبيني عندهم سنته
أن الولاء إنما هو لمن أعتق ثم بعد هذا قام هو صلى الله عليه وسلم مبينا ذلك
وموبخا على مخالفة ما تقدم منه فيه [illegible] في معنى قول يوسف عليه السلام

أخيه إذ جعل السقاية في رحله وأخذه باسم سرقها وما جرى على إخوته
في ذلك وقوله أيتها العير إنكم لسارقون ولم يسرقوا فاعلم أكرمك الله أن لأحد أن يقول
أن فعل يوسف عليه السلام كان عن أمر الله لقوله تعالى كذلك كدنا ليوسف
ما كان ليأخذ أخاه في دين الملك إلا أن يشاء الله الآية. وإذا كان ذلك فلا
اعتراض به كان فيه ما فيه. وأيضاً فإن يوسف عليه السلام كان أعلم أخاه
بأني أنا أخوك فلا تبتئس فكان ما جرى عليه بعد هذا من وفقه ورغبته
وعلى تيسير من عقبى خبرته به وإزاحة التهمة والمعرة عنه بذلك وأما قوله
أيتها العير إنكم لسارقون فليس من قول يوسف عليه السلام فيلزم عليه جواب
لحل شبهته ولعل قائله إن حسن له التأويل كائناً من كان ظن على صورة الحال
ذلك. وقد قيل قال ذلك لفعلهم قبل بيوسف وبيعهم له وقيل غير هذا
ولا يلزمنا أن نقول لا نبهنا ما لم يأت أنهم قالوه حتى يطلب الخلاص منه ولا
يلزمنا الاعتذار عن زلات غيرهم فصل فإن قيل فما الحكمة في إجراء الأمراض
وشدتها عليه وعلى غيره من الأنبياء عليه وعليهم السلام وما الوجه فيما ابتلاهم
الله به من البلاء وامتحانهم بما امتحنوا به كأيوب ويعقوب ودانيال
ويحيى وزكريا وعيسى وإبرهيم ويوسف وغيرهم صلوات الله عليهم وهم
خيرته من خلقه وأحباؤه وأصفياؤه فاعلم وفقنا الله وإياك أن أفعال
الله تعالى كلها عدل وكلماته جميعها صدق لا مبدل لكلماته يبتلي عباده
كما قال لهم لننظر كيف تعملون. وليبلوكم أيكم أحسن عملاً. ولما يعلم الله الذين
جاهدوا منكم ويعلم الصابرين. وحتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين
ونبلو أخباركم. فامتحانه إياهم بضروب المحن زيادة في مكانتهم ورفعة في
درجاتهم وأسباب لاستخراج حالات الصبر والرضى والشكر والتسليم والتوكل

والمفوضين الى الدعاء والمضرع منهم وتأكيدا لتصابرهم في رحمة المنعمين
والشفقة على المبتلين فيسلوا الى الاجر بما جرى عليه ويقتدوا بهم في الصبر
ومحو الهنات فرطت منهم او غفلات سلفت منهم ليلقوا الله طيبين مهذبين
وليكون اجرهم اكمل وثوابهم اوفر واجزل حدثنا القاضي ابو علي الحافظ حدثنا
ابو الحسين الصيرفي وابو الفضل بن خيرون قالا حدثنا ابو يعلى البغدادي حدثنا
ابو علي السنجي حدثنا محمد بن محبوب حدثنا ابو عيسى الترمذي حدثنا
قتيبة حدثنا حماد بن زيد عن عاصم بن بهدلة عن مصعب بن سعد عن ابيه
قال قلت يا رسول الله اي الناس اشد بلاء قال الانبياء ثم الامثل فالامثل
يبتلى الرجل على حسب دينه فما يبرح البلاء بالعبد حتى يتركه يمشي على الارض
ما عليه خطيئة وكما قال تعالى وكاين من نبي قاتل معه ربيون كثير الآيات
الثلث وعن ابي هريرة رضي الله عنه ما يزال البلاء بالمؤمن في نفسه وولده
وماله حتى يلقى الله وما عليه خطيئة وعن انس رضي الله عنه عنه عليه السلام
اذا اراد الله بعبده الخير عجل له العقوبة في الدنيا واذا اراد الله بعبده الشر
امسك عنه بذنبه حتى يوافى به يوم القيامة وفي حديث اخر اذا احب الله عبدا
ابتلاه ليسمع تضرعه وحكى السمرقندي ان كل من كان اكرم على الله تعالى كان
بلاؤه اشد كي يتبين فضله ويستوجب الثواب كما روي عن لقمان انه قال
يا بني الذهب والفضة يختبران بالنار والمؤمن يختبر بالبلاء وقد حكي ان ابتلاء
يعقوب بيوسف عليهما السلام كان سببه التفاته في صلاته اليه ويوسف
نائم محبة له وقيل بل اجتمع يوما هو وابنه يوسف على اكل حمل مشوي وهما
يضحكان وكان لهم جار يتيم فشم ريحه واشتهاه وبكى وبكت له عجوز
لبكائه وبينهما جدار ولا علم عند يعقوب وابنه فعوقب يعقوب بالبكاء اسفا

على يوسف الى ان سالت حدقتاه وابيضت عيناه من الحزن فلما علم بذلك
كان بقية حياته يأمر مناديا ينادي على سطحه الا من كان مفطرا فليتغذ
عند آل يعقوب وعوقب يوسف بالمحنة التي نص الله عليها وروي عن الليث
ان سبب بلاء ايوب انه دخل مع اهل قريته على ملكهم فكلموه في ظلمه واغلظوا
له الا ايوب عليه السلام فانه رفق به مخافة على زرعه فعاقبه الله تعالى ببلائه
ومحنة سليمن عليه السلام بما ذكرناه من نيته في كون الحق في جنبة اصهاره
او للعمل بالمعصية في داره ولا علم عنده. وهذه فائدة شدة المرض والوجع
بالنبي عليه السلام. قالت عائشة رضي الله عنها ما رايت الوجع على احد اشد
منه على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن عبد الله رايت النبي صلى الله عليه وسلم
في مرضه يوعك وعكا شديدا فقلت انك لتوعك وعكا شديدا قال اجل
اني اوعك كما يوعك رجلان منكم قلت ذلك ان لك الاجرين قال اجل
ذلك كذلك وفي حديث ابي سعيد رضي الله عنه ان رجلا وضع يده على
النبي صلى الله عليه وسلم فقال والله ما اطيق اضع يدي عليك من شدة حماك
فقال النبي صلى الله عليه وسلم انا معشر الانبيا يضاعف لنا البلا ان كان
النبي صلى الله عليه وسلم ليبتلى بالقمل حتى يقتله وان كان النبي ليبتلى بالفقر
وان كانوا ليفرحون بالبلا كما تفرحون بالرخاء وعن انس رضي الله عنه عنه
صلى الله عليه وسلم ان عظم الجزاء مع عظم البلا وان الله اذا احب قوما ابتلاهم
فمن رضي فله الرضى ومن سخط فله السخط. وقد قال المفسرون في قوله تعالى
من يعمل سوءا يجز به ان المسلم يجزى بمصائب الدنيا فتكون له كفارة وروي
هذا عن عائشة رضي الله عنها وابي ومجاهد. وقال ابو هريرة عنه عليه السلام
من يرد الله به خيرا يصب منه. وقال في رواية عائشة ما من مصيبة

تصيبُ المسلمَ الا كفّر الله بها عنه حتى الشوكة يشاكها. وقال في رواية أبي
سعيد ما يصيبُ المؤمن من نصبٍ ولا وصبٍ ولا همٍّ ولا حزنٍ ولا أذى ولا
غمٍّ حتى الشوكة يشاكها الا كفّر الله بها من خطاياه. وفي حديث ابن مسعود ما
من مسلم يصيبه أذى الا حاتّ الله عنه خطاياه كما تحتّ ورق الشجر
اخرى او دعها الله تعالى في الأمراض لاختباره وتعاقب الاوجاع عليها
وشدتها عند مماته ليضعف قوى نفوسهم فتنها اخروجها عند نفسهم وتخفّ
عليهم مؤنة النزع وشدة السكرات بتقدم المرض وضعف الجسم والنفس
لذلك بخلاف موت الفجأة واخذه كما يشاهد من اختلاف احوال الموتى في الشدة
واللين والصعوبة والسهولة. وقد قال عليه السلام مثل المؤمن مثل خامة
الزرع تفيئها الريح هكذا وهكذا. وفي رواية ابي هريرة رضي الله عنه من حيث اتتها
الريح تكفأها فاذا سكنت اعتدلت وكذلك المؤمن يكفأ بالبلاء. ومثل الكافر
كمثل الارزة صمّاء معتدلة حتى يقصمها الله. معناه ان المؤمن مرزأ مصاب
بالبلاء والامراض راضٍ في تصريفه بين اقدار الله تعالى مطاع لذلك لين الجانب
برضاه وقلة سخطه كطاعة خامة الزرع وانقيادها للرياح وتمايلها لهبوبها
وترنحها من حيث ما اتتها فاذا اراح الله عن المؤمن رياح البلاء واعتدل صحيحا
كما اعتدلت خامة الزرع عند سكون رياح الريح رجع الى شكر ربه ومعرفة نعمته
عليه برفع بلائه منتظرا رحمته وثوابه عليه فاذا كان بهذه السبيل لم يصعب
عليه مرض الموت ولا نزوله ولا اشتدت عليه سكراته ونزعه لعادته بما
تقدّمه من الالام ومعرفة ما له فيها من الاجر وتوطينه نفسه على المصائب ورقتها
وضعفها بتوالي المرض وشدته. والكافر بخلاف هذا معافى في غالب حاله ممتّع
بصحة جسمه كالارزة الصمّاء حتى اذا اراد الله هلاكه قصمه لحينه على غرة

وأخذه بغتة من غير لطف ولا رفق لكان موته أشد عليه حسرة ومقاساة
نزعه مع قوة نفسه وصحة جسمه أشد ألما وعذابا ولعذاب الآخرة أشد كأخذ
الأزرة وكما قال الله تعالى وأخذناهم بغتة وهم لا يشعرون وكذلك عادة الله
في أعدائه كما قال تعالى فكلا أخذنا بذنبه فمنهم من أرسلنا عليه حاصبا ومنهم
من أخذته الصيحة الآية. فيفجأهم بالموت على حال عتو وغفلة وصحتهم به
على غير استعداد بغتة ولهذا ما كره السلف موت الفجأة. وفيه في حديث أنهم
كانوا يكرهون أخذة كأخذة الأسف أي الغضب يريدون موت الفجأة وحكمة ذلك
أن الأمراض مقدمات الموت وبقدر شدتها يشتد الخوف من نزول الموت فيستعد
من أصابته وعلم بشاهد حاله للمفارقة ويعرض عن دار الدنيا الكثيرة الأنكاد
ويكون قلبه متعلقا بالمعاد فينفصل من كل ما يخشى تبعته من حق الله تعالى
ومن حق العباد ويؤدي الحقوق إلى أهلها وينظر فيما يحتاج إليه من وصية فيمن
يخلفه أو أمر يعهده. وهذا نبينا صلى الله عليه وسلم المغفور له ما تقدم من ذنبه
وما تأخر قد طلب التنصل في مرضه ممن كان له عليه مال أو حق في بدن وأقاد
من نفسه وماله وأمكن من القصاص منه على ما ورد في حديث الفضل وحديث
الوفاة وأوصى بالثقلين بعده كتاب الله وعترته وبالأنصار عيبته ودعا
إلى كتب كتاب لئلا يضلوا بعده أبدا أي النص على الخلافة أو الله أعلم بمراده
ثم رأى الإمساك عنه أفضل وخيرا. وهكذا سنة عباد الله المؤمنين وأوليائه
المتقين وهذا كله يحرمه إتيان الكفار لإمهال الله تعالى لهم ليزدادوا إثما
ويستدرجهم من حيث لا يعلمون. قال الله تعالى ما ينظرون إلا صيحة واحدة
تأخذهم وهم يخصمون الآية. ولذلك قال عليه السلام في موت الفجأة
سبحان الله كأنه على غضب المحروم من حرم وصيته. وقال موت الفجأة راحة

للمؤمن

للمؤمن وأحبه أشق للكافر والفاجر وذلك لأن المؤمن يأتيه الموت وهو غالبًا
مستعد له منتظر لحلوله فهان أمره عليه كيف ما جاء وأفضى إلى راحته من نصب
الدنيا وأذاها كما قال عليه السلام مستريح ومستراح منه ويأتي الكافر والفاجر
منيته على غير استعداد ولا أهبة ولا مقدمات منذرة ومزعجة بل تأتيهم بغتة
فتبهتهم فلا يستطيعون ردها ولا هم ينظرون فكان الموت أشق شيء عليه وفراق
الدنيا أفظع أمر صدمه وأكره شيء له وإلى هذا المعنى أشار عليه السلام بقوله
من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه

القسم الرابع

في تصرف وجوه الأحكام فيمن تنقصه أو سبه عليه السلام قال القاضي
أبو الفضل رحمه الله ورضي عنه قد تقدم من الكتاب والسنة وإجماع الأمة
ما يجب من الحقوق للنبي صلى الله عليه وسلم وما يتعين له من بر وتوقير وتعظيم
وإكرام وبحسب هذا حرم الله تعالى أذاه في كتابه وأجمعت الأمة على قتل
متنقصه من المسلمين وسابه قال الله تعالى إن الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم
الله في الدنيا والآخرة وأعد لهم عذابًا مهينا وقال تعالى والذين يؤذون
رسول الله لهم عذاب أليم وقال تعالى وما كان لكم أن تؤذوا رسول الله ولا
أن تنكحوا أزواجه من بعده أبدًا الآية وقال تعالى في تحريم التعريض له يا أيها
الذين آمنوا لا تقولوا راعنا وقولوا انظرنا واسمعوا الآية وذلك أن اليهود كانوا
يقولون راعنا يا محمد أي أرعنا سمعك واسمع منا ويعرضون بالكلمة يريدون
الرعونة فنهى الله المؤمنين التشبه بهم وقطع الذريعة بنهي المؤمنين عنها لئلا عن
يتوصل بها الكافر والمنافق إلى سبه والاستهزاء به وقيل بل لما فيها من مشاركة
اللفظ لأنها عند اليهود بمعنى اسمع لا سمعت وقيل بل لما فيها من قلة الأدب
وعدم توقير النبي صلى الله عليه وسلم وتعظيمه لأنها في لغة الأنصار بمعنى ارعنا

رغبة فيهم عن ذلك إذ منعتهم أنهم لا يرغبون إلا برغائبه هو وهو عليه
السلام واجب برعايته بكل حال وهذا هو عليه السلام قد نهى عن التكني
بكنيته فقال تسموا باسمي ولا تكنوا بكنيتي صيانة لنفسه وحماية عن أذاه إذ
كان صلى الله عليه وسلم استجاب لرجل نادى يا أبا القاسم فقال لم أعنك إنما
دعوت هذا فنهى حينئذ عن التكني بكنيته لئلا يتأذى بإجابة دعوة غيره ممن
لم يدعه ويجد بذلك المنافقون والمستهزئون ذريعة إلى أذاه والإزراء به
فينادونه فإذا التفت قالوا إنما أردنا هذا لسواه تعنيتا له واستخفافا
بحقه على عادة المجان والمستهزئين فحمى عليه السلام حمى أذاه بكل وجه فحمل
محققو العلماء نهيه عن هذا على مدة حياته وأجازوه بعد وفاته لارتفاع
العلة. وللناس في هذا الحديث مذاهب ليس هذا موضعها وما ذكرناه هو
مذهب الجمهور والصواب إن شاء الله تعالى. وأن ذلك على طريق تعظيمه
وتوقيره وعلى سبيل الندب والاستحباب لا على سبيل التحريم ولذلك لم ينه
عن اسمه لأنه قد كان الله منع من ندائه به بقوله تعالى لا تجعلوا دعاء الرسول
بينكم كدعاء بعضكم بعضا وإنما كان المسلمون يدعونه يا رسول الله يا نبي الله
وقد يدعوه بكنيته أبا القاسم بعضهم في بعض الأحوال وقد روى أنس رضي الله عنه
عليه السلام ما يدل على كراهة التسمي باسمه صلى الله عليه وسلم وتنزيهه عن
ذلك إذا لم يوقر فقال عليه السلام تسمون أولادكم محمدا ثم تلعنونهم وروي
أن عمر رضي الله عنه كتب إلى أهل الكوفة لا يسمى أحد باسم النبي صلى الله عليه وسلم
حكاه أبو جعفر الطبري. وحكى محمد بن سعد أنه نظر إلى رجل اسمه محمد ورجل
يسبه ويقول له فعل الله بك يا محمد وصنع فقال عمر لابن أخيه محمد بن زيد بن الخطاب
لا أرى محمدا صلى الله عليه وسلم يسب بك والله لا تدعى محمدا ما دمت حيا

وسماه عبد الرحمن وأراد أن يمنع لهذا أن يسمى أحد بأسماء الأنبياء إكراما
لهم بذلك وغيّر أسماءهم وقال لا تسموا بأسماء الأنبياء ثم أمسك والصواب
جواز هذا كله بعده عليه السلام بدليل إطباق الصحابة رضي الله عنهم على ذلك
وقد سمى جماعة منهم محمدا وكناه بأبي القاسم وروي أن النبي صلى الله عليه وسلم
أذن في ذلك لعلي رضي الله عنه وقد أخبر عليه السلام أن ذلك اسم المهدي
وكنيته وقد سمى به النبي صلى الله عليه وسلم محمد بن طلحة ومحمد بن عمرو بن حزم ومحمد
بن ثابت بن قيس وغير واحد وقال ما ضر أحدكم أن يكون في بيته محمد ومحمدان
وثلاثة وقد فصلت الكلام في هذا القسم على بابين كما قدمناه

الباب الأول في بيان ما هو في حقه عليه السلام سب أو نقص

من تعريض أو نص اعلم وفقنا الله وإياك أن جميع من سب النبي صلى الله عليه وسلم
أو عابه أو ألحق به نقصا في نفسه أو نسبه أو دينه أو خصلة من خصاله أو عرّض
به أو شبهه بشيء على طريق السب له أو الإزراء عليه أو التصغير لشأنه أو الغض
منه والعيب له فهو ساب له والحكم فيه حكم الساب يقتل كما نبينه ولا نستثني
فصلا من فصول هذا الباب على هذا المقصد ولا نمتري فيه تصريحا كان أو
تلويحا وكذلك من لعنه أو دعا عليه أو تمنى مضرة له أو نسب إليه ما لا يليق
بمنصبه على طريق الذم أو عبث في جهته العزيزة بسخف من الكلام وهجر ومنكر
من القول وزور أو عيّره بشيء مما جرى من البلاء والمحنة عليه أو غمصه ببعض
العوارض البشرية الجائزة والمعهودة لديه وهذا كله إجماع من العلماء وأئمة
الفتوى من لدن الصحابة رضي الله عنهم إلى هلم جرا قال أبو بكر بن المنذر
أجمع عوام أهل العلم على أن من سب النبي صلى الله عليه وسلم يقتل وممن قال ذلك
مالك بن أنس والليث وأحمد وإسحاق وهو مذهب الشافعي رضي الله عنه وال

الغالي في الفضل وهو منتقص بزوال أبي بكر الصديق رضي الله عنه ولا تقبل
توبته عند هؤلاء. ومثله قال أبو حنيفة وأصحابه رضي الله عنهم والثوري
وأهل الكوفة والأوزاعي في المسلم لكنهم قالوا هي ردة. وروى مثله الوليد بن
مسلم عن مالك رضي الله عنه وحكى الطبري مثله عن أبي حنيفة وأصحابه فيمن
تنقصه صلى الله عليه وسلم أو برئ منه أو كذبه. وقال سحنون فيمن سبه ذلك
ردة كالزندقة وعلى هذا وقع الخلاف في استتابته وتكفيره وهل قتله حد
أو كفر كما سنبينه في الباب الثاني إن شاء الله تعالى. ولا نعلم خلافا في استباحة
دمه بين علماء الأمصار وسلف الأمة. وقد ذكر غير واحد الإجماع على قتله
وتكفيره. وأشار بعض الظاهرية وهو أبو محمد علي بن أحمد الفارسي إلى الخلاف
في تكفير المستخف به والمعروف ما قدمناه. قال محمد بن سحنون أجمع العلماء
أن شاتم النبي صلى الله عليه وسلم المتنقص له كافر والوعيد جار عليه بعذاب
الله له وحكمه عند الأمة القتل ومن شك في كفره وعذابه كفر. واحتج إبراهيم
ابن حسين بن خالد الفقيه في مثل هذا بقتل خالد بن الوليد مالك بن نويرة لقوله
عن النبي صلى الله عليه وسلم صاحبكم. وقال أبو سليمان الخطابي لا أعلم أحدا
من المسلمين اختلف في وجوب قتله إذا كان مسلما. وقال ابن القاسم عن مالك
في كتاب ابن سحنون والمبسوط والعتبية وحكاه مطرف عن مالك في كتاب ابن
حبيب من سب النبي صلى الله عليه وسلم من المسلمين قتل ولم يستتب. وقال ابن القاسم
في العتبية من سبه أو شتمه أو عابه أو تنقصه فإنه يقتل وحكمه عند الأمة القتل كالزنديق
وقد فرض الله تعالى توقيره وبره. وفي المبسوط عن عثمان بن كنانة من شتم النبي
صلى الله عليه وسلم من المسلمين قتل أو صلب حيا ولم يستتب والإمام مخير في صلبه
حيا أو قتله. ومن رواية أبي المصعب وابن أبي أويس سمعنا مالكا رحمه الله يقول من

سب رسول الله صلى الله عليه وسلم أو شتمه أو عابه أو تنقصه فإنه يقتل كان
أو كافرا ولا يستتاب . وفي كتاب محمد أخبرنا أصحاب مالك أنه قال من سب
النبي صلى الله عليه وسلم أو غيره من النبيين من مسلم أو كافر قتل ولم يستتب .
وقال أصبغ يقتل على كل حال أسر ذلك أو أظهره ولا يستتاب لأن توبته لا
تعرف . وقال عبد الله بن عبد الحكم من سب النبي صلى الله عليه وسلم من مسلم أو كافر
قتل ولم يستتب . وحكى الطبري مثله عن أشهب عن مالك وروى ابن وهب
عن مالك من قال إن رداء النبي صلى الله عليه وسلم ويروى زر النبي صلى الله عليه و
سلم أراد به عيبه قتل . وقال بعض علمائنا أجمع العلماء على أن من دعا على نبي
من الأنبياء بالويل أو بشيء من المكروه أنه يقتل بلا استتابة . وأفتى أبو الحسن
القابسي فيمن قال في النبي الحمال يتيم أبي طالب بالقتل . وأفتى أبو محمد بن أبي زيد
بقتل رجل سمع قوما يتذاكرون صفة النبي صلى الله عليه وسلم إذ مر بهم رجل قبيح
الوجه واللحية فقال لهم تريدون تعرفون صفته هي في صفة هذا المار في
خلقه ولحيته . قال ولا تقبل توبته وقد كذب لعنه الله وليس يخرج من قلب
سليم الإيمان . وقال أحمد بن أبي سليمان صاحب سحنون من قال إن النبي صلى الله
عليه وسلم كان أسود يقتل . وقال في رجل قيل له لا وحق رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال فعل الله برسول الله كذا وكذا وذكر كلاما قبيحا فقيل له ما تقول يا عدو الله
فقال أشد من كلامه الأول ثم قال إنما أردت برسول الله العقرب فقال
ابن أبي سليمان للذي سأله اشهد عليه وأنا شريكك يريد في قتله وثواب
ذلك . قال حبيب بن ربيع لأن ادعاء التأويل في لفظ صراح لا يقبل لأنه امتهان
وهو غير معزر لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولا موقر له فوجبت إباحة دمه
وأفتى أبو عبد الله بن عتاب في عشار قال لرجل أد واشك إلى النبي صلى الله عليه وسلم

وقال ان سألت او جهلت فقد جهل وسأل النبي بالمقال. وأفتى فقهاء الاندلس
بقتل ابن حاتم المتفقه الطليطلي وصلبه بما شهد عليه من استخفافه بحق النبي صلى الله
عليه وسلم وتسميته اياه اثناء مناظرته باليتيم وختن حيدرة وزعمه ان زهده لم يكن
قصدا ولو قدر على الطيبات اكلها الى اشباه لهذا. وأفتى فقهاء القيروان واصحاب
سحنون بقتل ابرهيم الفزاري وكان شاعرا متفننا في كثير من العلوم وكان ممن
يحضر مجلس القاضي ابي العباس بن طالب للمناظرة فرفعت عليه امور منكرة من هذا
الباب في الاستهزا بالله وانبيائه ونبينا عليه وعليهم السلام فأحضر له القاضي
يحيى بن عمر وغيره من الفقها وأمر بقتله وصلبه فطعن بالسكين وصلب منكسا
ثم انزل واحرق بالنار. وحكى بعض المؤرخين انه لما رفعت خشبته وزالت عنها
الايدي استدارت وحولته عن القبلة فكان اية للجميع وكبر الناس وجا كلب
فولغ في دمه فقال يحيى بن عمر صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم وذكر حديثا
عنه عليه السلام انه قال لا يلغ الكلب في دم مسلم. وقال القاضي ابو عبد الله
بن المرابط من قال ان النبي صلى الله عليه وسلم هزم يستتاب فان تاب والا قتل
لانه تنقص اذ لا يجوز ذلك عليه في خاصته اذ هو على بصيرة من امره ويقين
من عصمته صلى الله عليه وسلم. وقال حبيب بن ربيع القروي مذهب مالك واصحابه
ان من قال فيه عليه السلام ما فيه نقص قتل دون استتابة. وقال ابن عتاب
الكتاب والسنة موجبان ان من قصد النبي صلى الله عليه وسلم باذى او نقص معرضا
او مصرحا وان قل فقتله واجب. فهذا الباب كله مما عده العلما سبا وتنقصا
يجب قتل قائله لم يختلف في ذلك متقدمهم ولا متأخرهم وان اختلفوا في حكم
قتله على ما اشرنا اليه ونبينه بعد. وكذلك اقول حكم من غمصه او عيره برعاية
الغنم او السهو او النسيان او السحر او ما اصابه من جرح او هزيمة لبعض جيوشه

أو أذى من عدوه أو سبه من رعيته أو بالمثل لمن سبه • حكم هذا كله لمن قصد
به نقصه القتل • وقد مضى من مذاهب العلماء في ذلك ويأتي ما يدل عليه •

فصل في الحجة في إيجاب قتل من سبه أو عابه عليه السلام • فمن القرآن
لعنه الله تعالى لمؤذيه في الدنيا والآخرة وقرانه تعالى أذاه بأذاه ولا خلاف في
قتل من سب الله وأن اللعن إنما يستوجبه من هو كافر وحكم الكافر القتل فقال
تعالى إن الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله الآية • وقال في قاتل المؤمن مثل
ذلك فمن لعنه في الدنيا القتل قال الله تعالى ملعونين أينما ثقفوا أخذوا وقتلوا
تقتيلا • وقال في المحاربين وذكر عقوبتهم ذلك لهم خزي في الدنيا وقد يقع القتل
بمعنى اللعن • قال الله تعالى قتل الخراصون • وقاتلهم الله أي لعنهم الله ولأنه
فرق بين أذاهما وأذى المؤمنين وفي أذى المؤمنين ما دون القتل من الضرب والنكال
فكان حكم مؤذي الله ونبيه أشد من ذلك وهو القتل • وقال تعالى فلا وربك
لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم الآية فسلب اسم الإيمان عمن وجد في صدره
حرجا من قضائه ولم يسلم له ومن تنقصه فقد ناقض هذا • وقال تعالى يا أيها
الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي إلى قوله أن تحبط أعمالكم
ولا يحبط العمل إلا الكفر والكافر يقتل • وقال تعالى وإذا جاءوك حيوك بما لم
يحيك به الله ثم قال حسبهم جهنم يصلونها فبئس المصير • وقال تعالى ومنهم الذين
يؤذون النبي ويقولون هو أذن ثم قال والذين يؤذون رسول الله لهم عذاب
أليم • وقال تعالى ولئن سألتهم ليقولن إنما كنا نخوض ونلعب إلى قوله قد كفرتم بعد
إيمانكم • قال أهل التفسير كفرتم بقولكم في رسول الله صلى الله عليه وسلم •
وأما الإجماع فقد ذكرناه • وأما الآثار فحدثنا الشيخ أبو عبد الله أحمد بن محمد
ابن غلبون عن الشيخ أبي ذر الهروي إجازة • قال حدثنا أبو الحسن الدارقطني •

قال أبو عمر بن حيوية فإنا حدثنا محمد بن نوح حدثنا عبد العزيز بن محمد بن
الحسن بن زبالة حدثنا عبد الله بن موسى بن جعفر عن علي بن موسى عن أبيه عن جده
عن محمد بن علي بن الحسين عن أبيه عن الحسين بن علي عن أبيه أن رسول الله صلى الله عليه و
سلم قال من سب نبيا فاقتلوه ومن سب أصحابي فاضربوه. وفي الحديث الصحيح أمر النبي الصحابة
صلى الله عليه وسلم بقتل كعب بن الأشرف وقوله عليه السلام من لكعب بن الأشرف
فإنه يؤذي الله ورسوله ووجه إليه من قتله غيلة دون دعوة بخلاف غيره
من المشركين وعلل بأذاه له فدل أن قتله إياه لغير الإشراك بل للأذى وكذلك
قتل أبا رافع قال البراء وكان يؤذي رسول الله صلى الله عليه وسلم ويعين عليه وكذلك
أمره يوم الفتح بقتل ابن خطل وجاريتيه اللتين كانتا تغنيان بسبه عليه السلام
وفي حديث آخر أن رجلا كان يسبه عليه السلام فقال من يكفيني عدوي فقال
خالد رضي الله عنه أنا فبعثه النبي صلى الله عليه وسلم فقتله وكذلك لم يقتل
جماعة ممن كان يؤذيه من الكفار ويسبه كالنضر بن الحارث وعقبة بن أبي معيط
وعهد بقتل جماعة منهم قبل الفتح وبعده فقتلوا إلا من بادر بإسلامه قبل القدرة
عليه وقد روى البزار عن ابن عباس رضي الله عنهما أن عقبة بن أبي معيط نادى
يا معشر قريش ما لي أقتل من بينكم صبرا فقال له النبي صلى الله عليه وسلم بكفرك
وافترائك على رسول الله صلى الله عليه وسلم وذكر عبد الرزاق أن النبي صلى الله
عليه وسلم سبه رجل فقال من يكفيني عدوي فقال الزبير رضي الله عنه أنا فبارزه
فقتله الزبير وروى أيضا أن امرأة كانت تسبه عليه السلام فقال من يكفيني
عدوي فخرج إليها خالد بن الوليد فقتلها وروي أن رجلا كذب على النبي
صلى الله عليه وسلم فبعث عليا والزبير إليه ليقتلاه وروى ابن قانع أن رجلا مطلب
جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله سمعت أبي يقول فيك قولا قبيحا

فقتله

فقتله ولم ينكر ذلك على النبي صلى الله عليه وسلم • ووقع للمهاجر بن أبي أمية
أمير اليمن لأبي بكر رضي الله عنه أن امرأة هنالك في الردة غنت بسب النبي
صلى الله عليه وسلم فقطع يدها ونزع ثنيتها فبلغ أبا بكر ذلك فقال له لولا ما فعلت
لأمرتك بقتلها لأن حد الأنبياء ليس يشبه الحدود • وعن ابن عباس رضي الله عنهما
هجت امرأة من خطمة النبي صلى الله عليه وسلم فقال عليه السلام من لي بها فقال
رجل من قومها أنا يا رسول الله فنهض فقتلها فأخبر النبي صلى الله عليه وسلم
فقال لا ينتطح فيها عنزان • وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن أعمى كانت له أم ولد
تسب النبي صلى الله عليه وسلم ويزجرها فلا تنزجر فلما كانت ذات ليلة جعلت
تقع في النبي صلى الله عليه وسلم وتشتمه فقتلها وأعلم النبي صلى الله عليه وسلم بذلك
فأهدر دمها • وفي حديث أبي برزة الأسلمي كنت يوما جالسا عند أبي بكر الصديق
رضي الله عنه فغضب على رجل من المسلمين • وحكى القاضي إسماعيل وغير واحد من
الأئمة في هذا الحديث أنه سب أبا بكر • ورواه النسائي أتيت أبا بكر وقد أغلظ لرجل
فرد عليه قال فقلت يا خليفة رسول الله دعني أضرب عنقه فقال اجلس
فليس ذلك لأحد إلا لرسول الله صلى الله عليه وسلم • قال القاضي أبو محمد بن نصر
ولم يخالف عليه أحد فاستدل الأئمة بهذا الحديث على قتل من أغضب النبي
صلى الله عليه وسلم بكل ما أغضبه أو آذاه أو سبه • ومن ذلك كتاب عمر بن عبد العزيز
إلى عامله بالكوفة وقد استشاره في قتل رجل سب عمر رضي الله عنه فكتب إليه عمر
إنه لا يحل قتل امرئ مسلم بسب أحد من الناس إلا رجلا سب رسول الله صلى الله
عليه وسلم فمن سبه فقد حل دمه • وسأل الرشيد مالكا في رجل شتم النبي صلى الله
عليه وسلم وذكر له أن فقهاء العراق أفتوه بجلده فغضب مالك وقال يا أمير المؤمنين
ما بقاء الأمة بعد شتم نبيها من شتم الأنبياء قتل ومن شتم أصحاب النبي صلى الله

عنه في الحد قال القاضي ابو الفضل رحمه الله ورضي عنه لكن وقع في هذه حكاية
رواها غير واحد من اصحاب مناقب مالك ومؤلفي اخباره وغيرهم ولا ادري
من هؤلاء الفقهاء بالعراق الذين افتوا الرشيد بما ذكر وقد ذكرنا مذهب العراقيين
بقتله ولعلهم ممن لم يشهر بعلم او ممن لا يوثق بفتواه او يميل به هواه او يكون ما قاله — يشتهر
يحمل على غير السب فيكون الخلاف هل هو سب او غير سب او يكون رجع وتاب عن سبه
فلم يقتله مالك على اصله والا فالاجماع على قتل من سبه كما قدمناه • ويدل على
قتله من جهة النظر والاعتبار ان من سبه او تنقصه عليه السلام فقد ظهرت
علامة مرض قلبه وبرهان سر طويته وكفره • ولهذا ما حكم له كثير من العلماء
بالردة • وهي رواية الشاميين عن مالك والاوزاعي وقول الثوري وابي حنيفة
والكوفيين • والقول الآخر انه دليل على الكفر فيقتل حدا وان لم يحكم له بالكفر
الا ان يكون متماديا على قوله غير منكر له ولا مقلع عنه فهذا كافر وقوله اما
صريح كفر كالتكذيب ونحوه او من كلمات الاستهزاء والذم فاعترافه بها وترك
توبته عنها دليل استحلاله لذلك وهو كفر ايضا فهذا كافر بلا خلاف قال الله
تعالى في مثله يحلفون بالله ما قالوا ولقد قالوا كلمة الكفر وكفروا بعد اسلامهم
قال اهل التفسير هي قولهم ان كان ما يقول محمد حقا لنحن شر من الحمير • وقيل
قول بعضهم ما مثلنا ومثل محمد الا قول القائل سمن كلبك يأكلك ولئن رجعنا
الى المدينة ليخرجن الاعز منها الاذل • وقد قيل ان قائل مثل هذا ان كان
مستترا به ان حكمه حكم الزنديق يقتل ولانه قد غير دينه وقد قال عليه السلام
من غير دينه فاضربوا عنقه ولان لحكم النبي صلى الله عليه وسلم في الحرمة مزية
على امته وساب الحر من امته يحد فكانت العقوبة لمن سبه عليه السلام القتل
لعظم قدره وشفوف منزلته عليه السلام على غيره فصل فان قلت فلم

لم يقتل النبي صلى الله عليه وسلم اليهودي الذي قال له السام عليكم وهذا دعاء عليه
ولا قتل الآخر الذي قال له إن هذه لقسمة ما أريد بها وجه الله وقد تأذى
النبي صلى الله عليه وسلم من ذلك وقال عليه السلام قد أوذي موسى بأكثر
من هذا فصبر، ولا قتل المنافقين الذين كانوا يؤذونه في أكثر الأحيان فاعلم
وفقنا الله وإياك أن النبي صلى الله عليه وسلم كان أول الإسلام يتألف
عليه الناس ويميل قلوبهم إليه ويحبب إليهم الإيمان ويزينه في قلوبهم ويداريهم
ويقول عليه السلام لأصحابه رضي الله عنهم إنما بعثتم ميسرين ولم تبعثوا
معسرين، ويقول يسروا ولا تعسروا وسكنوا ولا تنفروا، ويقول لا يتحدث
الناس أن محمدا يقتل أصحابه، وكان صلى الله عليه وسلم يداري الكفار والمنافقين
ويجمل صحبتهم ويغضي عليهم ويحتمل من أذاهم ويصبر على جفائهم ما لا يجوز
لنا اليوم الصبر لهم عليه، وكان يرفقهم بالعطاء والإحسان وبذلك أمره الله
تعالى فقال تعالى ولا تزال تطلع على خائنة منهم إلا قليلا منهم فاعف عنهم واصفح
الآية، وقال تعالى ادفع بالتي هي أحسن فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه
ولي حميم، وذلك لحاجة الناس للتألف أول الإسلام وجمع الكلمة عليه فلما استقر
وأظهره الله على الدين كله تولى من قدر عليه واشتهر أمره كفعله صلى الله عليه وسلم كم ره
بابن خطل ومن عهد بقتله يوم الفتح ومن أمكنه قتله غيلة من يهود وغيرهم
أو غلبة ممن لم ينتظمه قبل سلك صحبته والانخراط في جملة مظهري الإيمان به
ممن كان يؤذيه كابن الأشرف وأبي رافع والنضر وعقبة وكذلك ندر دم
جماعة سواهم ككعب بن زهير وابن الزبعرى وغيرهما ممن آذاه حتى ألقوا
بأيديهم ولقوه مسلمين، وبواطن المنافقين مستترة، وحكمه عليه السلام على الظاهر
وأكثر تلك الكلمات إنما كان يقولها القائل منهم خفية ومع أمثاله ويحلفون

عليها إذا أُمِنت وشُكروا نهارًا ويحلفون بالله ما قالوا ولقد قالوا كلمة الكفر وكفروا
وكان مع هذا يطمع في فيئهم ورجوعهم إلى الإسلام وتوبتهم فيصبر عليه السلام
على هناتهم وجفوتهم كما صبر أولو العزم من الرسل حتى فاء كثير منهم باطنًا كما فاء
ظاهرًا وأخلص سرًّا كما أظهر جهرًا ونفع الله بعدُ بكثير منهم وقام منهم للدين
وزراء وأعوان وحماة وأنصار كما جاءت به الأخبار وبهذا أجاب بعض أئمتنا
رحمهم الله عن هذا السؤال وقال لعلّه لم يثبت عنده من أقوالهم ما رُفع وإنما نقله عليه السلام
الواحد ومن لم يصل رتبة الشهادة في هذا الباب من صبيّ أو عبد أو امرأة والدماء
لا تُستباح إلا بعدلين وعلى هذا يُحمل أمر اليهود في السلام وأنّهم لووا به ألسنتهم
ولم يبيّنوه ألا ترى كيف نبّهت عائشة رضي الله عنها ولو كان صرّح بذلك
لم تنفرد بعلمه ولهذا نبّه النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه على فعلهم وقلّة صدقهم فيهم
في سلامهم وخيانتهم في ذلك ليًّا بألسنتهم وطعنًا في الدين فقال إنّ اليهود إذا
سلّم أحدهم فإنما يقول السام عليكم فقولوا عليكم وكذلك قال بعض
أصحابنا البغداديين إنّ النبي صلى الله عليه وسلم لم يقتل المنافقين بعلمه فيهم ولم
يأت أنّه قامت بيّنة على نفاقهم فلذلك تركهم وأيضًا فإنّ الأمر كان سرًّا
وباطنًا وظاهرهم الإسلام والإيمان وإن كان من أهل الذمّة بالعهد والجوار
والناس قريب عهدهم بالإسلام لم يتميّز بعدُ الخبيث من الطيّب وقد شاع
عن المذكورين في العرب كون من يتّهم بالنفاق من جملة المؤمنين وصحابة سيّد
المرسلين وأنصار الدين بحكم ظاهرهم فلو قتلهم النبي صلى الله عليه وسلم
لنفاقهم وما يبدر منهم وعلمه بما أسرّوا في أنفسهم لوجد المنفّر ما يقول ولارتاب
الشارد وأرجف المعاند وارتاع من صحبة النبي صلى الله عليه وسلم والدخول في
الإسلام غير واحد ولزعم الزاعم وظنّ العدوّ الظالم أنّ القتل إنما كان

للعداوة

وصل ٣

للعداوة أخذ البريء. وقد أشبع معنى ما حررته منسوبا إلى مالك بن أنس رحمه الله. ولهذا قال عليه السلام لا يتحدث الناس أن محمدا يقتل أصحابه. وقال عليه السلام أولئك الذين نهاني الله عن قتلهم. وهذا بخلاف إجراء الأحكام الظاهرة عليهم من حدود الزنا والقتل وشبهه لظهورها واستواء الناس في علمها. وقد قال محمد بن المواز لو أظهر المنافقون نفاقهم لقتلهم النبي صلى الله عليه وسلم. وقاله القاضي أبو الحسن ابن القصار. وقال قتادة في تفسير قوله تعالى لئن لم ينته المنافقون والذين في قلوبهم مرض والمرجفون في المدينة لنغرينك بهم ثم لا يجاورونك فيها إلا قليلا إلى قوله تقتيلا قال معناه إذا هم أظهروا النفاق. وحكى محمد بن مسلمة في المبسوط عن زيد بن أسلم أن قوله تعالى يا أيها النبي جاهد الكفار والمنافقين نسختها ما كان قبلها. وقال بعض مشايخنا لعل القائل هذه قسمة ما أريد بها وجه الله وقوله اعدل لم يفهم النبي صلى الله عليه وسلم منه الطعن عليه والتهمة له وإنما رآها من وجه الغلط في الرأي وأمور الدنيا والاجتهاد في مصالح أهلها فلم ير ذلك سبا ورأى أنه من الأذى الذي له العفو عنه والصبر عليه فلذلك لم يعاقبه. وكذلك يقال في اليهود إذ قالوا السام عليكم ليس فيه صريح سب ولا دعاء إلا بما لا بد منه من الموت الذي لا بد من لحاقه جميع البشر. وقيل بل المراد تسأمون دينكم والسأم والسآمة الملال. وهذا دعاء على سآمة الدين ليس بصريح سب. ولهذا ترجم البخاري رحمه الله على هذا الحديث باب إذا عرض الذمي وغيره بسب النبي صلى الله عليه وسلم قال بعض علمائنا وليس هذا بتعريض بالسب وإنما هو تعريض بالأذى. قال القاضي أبو الفضل رحمه الله قد قدمنا أن الأذى والسب في حقه عليه السلام سواء. وقال القاضي أبو محمد بن نصر مجيبا عن هذا الحديث ببعض ما تقدم ثم قال ولم يذكر في

حديث هل كان اليهودي من أهل العهد والذمة أو الحرب ولا يترك لموجب الأدلة
للأمر المحتمل والأولى في ذلك كله والأظهر من هذه الوجوه مقصد الاستئلاف
والمداراة على الدين لعلهم يؤمنون ولذلك ترجم البخاري على حديث القسمة
والخوارج باب من ترك قتال الخوارج للتألف ولئلا ينفر الناس عنه ولما ذكرنا
معناه عن مالك رحمه الله وقررناه قبل وقد صبر لهم عليه السلام على سحره وسمه
وهو أعظم من سبه إلى أن نصره الله عليهم وأذن له في قتل من حينه منهم وإنزالهم
من صياصيهم وقذف في قلوبهم الرعب وكتب على من شاء منهم الجلاء وأخرجهم
من ديارهم وخرب بيوتهم بأيديهم وأيدي المؤمنين وكاشفهم بالسب فقال
يا إخوة القردة والخنازير وحكم فيهم سيوف المسلمين وأجلاهم من جوارهم وأورثهم
أرضهم وديارهم وأموالهم لتكون كلمة الله هي العليا وكلمة الذين كفروا السفلى
فإن قلت فقد جاء في الحديث الصحيح عن عائشة رضي الله عنها أنه عليه السلام ما
انتقم لنفسه في شيء يؤتى إليه قط إلا أن تنتهك حرمة الله فينتقم لله فاعلم
أن هذا لا يقتضي أنه لم ينتقم ممن سبه أو آذاه وكذبه فإن هذه من حرمات الله
التي انتقم لها وإنما يكون ما لا ينتقم له فيما يتعلق بسوء أدب أو معاملة من القول
والفعل بالنفس والمال مما لم يقصد فاعله به أذاه لكن مما جبلت عليه الأعراب
من الجفاء والجهل أو جبل عليه البشر من الغفلة كجبذ الأعرابي بإزاره عليه السلام
حتى أثر في عنقه وكرفع صوت الآخر عنده وكجحد الأعرابي شراءه منه فرسه التي
شهد بها خزيمة وكما كان من تظاهر زوجتيه عليه وأشباه هذا مما يحسن
الصفح عنه أو يكون هذا ممن آذاه بكلام وجاء بعد ذلك إسلامه كعفوه عن
اليهودي الذي سحره وعن الأعرابي الذي أراد قتله وعن اليهودية التي سمته وقد
قيل قتلها ومثل هذا مما يبلغه من أذى أهل الكتاب والمنافقين فصفح عنهم رجاء

عليهم
حينه

قتله

استئلافهم

استذلالهم واستذلال غيرهم بهم كما قررناه قبل وبالله التوفيق فصل
تقدم الكلام في قتل القاصد لسبه والإزراء به وغمصه بأي وجه كان من ممكن
أو محال فهذا وجه بين لا إشكال فيه الوجه الثاني لاحق به في البيان والجلاء
وهو أن يكون القائل لما قال في جهته عليه السلام غير قاصد للسب والإزراء ولا
معتقد له ولكنه تكلم في جهته عليه السلام بكلمة الكفر من لعنه أو سبه أو تكذيبه
أو إضافة ما لا يجوز عليه أو نفي ما يجب له مما هو في حقه عليه السلام نقيصة مثل
أن ينسب إليه إتيان كبيرة أو مداهنة في تبليغ الرسالة أو في حكم بين الناس أو
يغض من مرتبته أو شرف نسبه أو وفور علمه أو عقله أو زهده صلى الله عليه وسلم
أو يكذب بما اشتهر من أمور أخبر بها عليه السلام وتواتر الخبر بها عنه عن قصد
لرد خبره أو يأتي بسفه من القول وقبيح من الكلام ونوع من السب في جهته وإن
ظهر بدليل حاله أنه لم يتعمد ذمه ولم يقصد سبه إما لجهالة حملته على ما قاله
أو لضجر أو سكر اضطره إليه أو قلة مراقبة وضبط للسانه وعجرفة وتهور في
كلامه فحكم هذا الوجه حكم الوجه الأول دون تلعثم إذ لا يعذر أحد
في الكفر بالجهالة ولا بدعوى زلل اللسان ولا بشيء مما ذكرناه إذا كان عقله في
فطرته سليما إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان • وبهذا أفتى الأندلسيون على
ابن حاتم في نفيه الزهد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي قدمناه • وقال
محمد بن سحنون في المأسور يسب النبي صلى الله عليه وسلم في أيدي العدو يقتل إلا أن
يعلم تنصره أو إكراهه وعن أبي محمد بن أبي زيد لا يعذر بدعوى زلل اللسان
في مثل هذا وأفتى أبو الحسن القابسي فيمن شتم النبي صلى الله عليه وسلم في سكره يقتل
لأنه يظن به أنه يعتقد هذا ويفعله في صحوه وأيضا فإنه حد لا يسقطه السكر
كالقذف والقتل وسائر الحدود لأنه أدخله على نفسه لأن من شرب الخمر على علم

من زوال عقله بها وإتيان ما أنكر منه فهو كالعامد لما يكون بسببه وعلى هذا
ألزمناه الطلاق والعتاق والقصاص والحدود • ولا يعترض على هذا بحديث
حمزة وقوله للنبي صلى الله عليه وسلم وهل أنتم إلا عبيد لأبي • قال فعرف النبي
صلى الله عليه وسلم أنه ثمل فانصرف لأن الخمر كانت حينئذ غير محرمة فلم يكن في
جناياتها إثم وكان حكم ما يحدث عنها معفوا عنه كما يحدث من النوم وشرب
الدواء المأمون **فصل الوجه الثالث** أن يقصد إلى تكذيبه فيما قاله وأتى به
أو ينفي نبوته أو رسالته أو وجوده أو يكفر به انتقل بقوله ذلك إلى دين آخر غير
ملته أم لا فهذا كافر بإجماع يجب قتله • ثم ينظر فإن كان مصرحا بذلك كان
حكمه أشبه بحكم المرتد وقوي الخلاف في استتابته وعلى القول الآخر لا يسقط
القتل عنه توبته لحق النبي صلى الله عليه وسلم إن كان ذكره بنقيصة فيما قاله
من كذب وغيره وإن كان مستسرا بذلك فحكمه حكم الزنديق لا تسقط قتله
توبته كما سنبينه • قال أبو حنيفة وأصحابه رحمهم الله من برئ من محمد صلى الله (يعني تاب)
عليه وسلم أو كذب به فهو مرتد حلال الدم إلا أن يرجع • وقال ابن القاسم
في المسلم إذا قال إن محمدا صلى الله عليه وسلم ليس بنبي أو لم يرسل أو لم ينزل
عليه قرآن وإنما هو شيء تقوله يقتل • قال ومن كفر برسول الله صلى الله عليه وسلم
وأنكره من المسلمين فهو بمنزلة المرتد وكذلك من أعلن بتكذيبه أنه كالمرتد يستتاب
وكذلك فيمن تنبأ وزعم أنه يوحى إليه • وقاله سحنون • وقال ابن القاسم
دعا إلى ذلك سرا أو جهرا • قال أصبغ وهو كالمرتد لأنه قد كفر بكتاب الله مع
الفرية على الله • وقال أشهب في يهودي تنبأ أو زعم أنه أرسل إلى الناس أو قال (إنه)
بعد نبيكم نبي إنه يستتاب إن كان معلنا بذلك فإن تاب وإلا قتل وذلك لأنه
مكذب للنبي صلى الله عليه وسلم في قوله عليه السلام لا نبي بعدي مفتر على الله في

دعوة علي بالرسالة والنبوة. وقال محمد بن سحنون من شك في حرف مما جاء به محمد
صلى الله عليه وسلم عن الله فهو كافر جاحد. وقال من كذب النبي صلى الله عليه وسلم
كان حكمه عند الأمة القتل. وقال أحمد بن أبي سليمان صاحب سحنون من قال
إن النبي صلى الله عليه وسلم أسود يقتل لم يكن عليه السلام بأسود. وقال نحوه أبو
عثمان الحداد قال لو قال إنه مات قبل أن يلتحي أو إنه كان بتاهرت ولم يكن
بتهامة قتل لأن هذا نفي. قال حبيب بن ربيع تبديل صفته ومواضعه كفر
والمظهر له كافر وفيه الاستتابة والمسر له زنديق يقتل دون استتابة
الوجه الرابع: أن يأتي من الكلام بمجمل ويلفظ من القول بمشكل يمكن حمله على
النبي صلى الله عليه وسلم أو غيره أو يتردد في المراد به من سلامته من المكروه أو شره
فهاهنا متردد النظر وحيرة العبر ومظنة اختلاف المجتهدين ووقفة استبراء
المقلدين ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينة فمنهم من غلب حرمة
النبي صلى الله عليه وسلم وحمى حمى عرضه فجسر على القتل ومنهم من عظم حرمة
الدم ودرأ الحد بالشبهة لاحتمال القول. وقد اختلف أئمتنا في رجل أغضبه
غريمه فقال له صل على النبي محمد فقال له الطالب لا صلى الله على من صلى عليه فقيل
لسحنون هل هو كمن شتم النبي صلى الله عليه وسلم أو شتم الملائكة الذين يصلون
عليه قال لا إذا كان على ما وصفت من الغضب لأنه لم يكن مضمرا الشتم. وقال
أبو إسحاق البرقي وأصبغ بن الفرج لا يقتل لأنه إنما شتم الناس. وهذا نحو قول
سحنون لأنه لم يعذره بالغضب في شتم النبي صلى الله عليه وسلم ولكنه لما احتمل
الكلام عنده ولم تكن معه قرينة تدل على شتم النبي صلى الله عليه وسلم أو شتم
الملائكة صلوات الله عليهم ولا مقدمة يحمل عليها كلامه بل القرينة تدل على
أن مراده الناس غير هؤلاء لأجل قول الآخر له صل على النبي صلى الله عليه وسلم

قبل نزوله وسنته لمن يصلي عليه الآن لاجل امر الاخر له بهذا عند غضبه
هذا معنى قول سحنون وهو مطابق لعلة صاحبه . وذهب الحرث بن
مسكين القاضي وغيره في مثل هذا الى المنع . وتوقف ابو الحسن القابسي في
قتل رجل قال كل صاحب فندق قرنان ولو كان نبيا مرسلا فامر بشده
في القيود والتضييق عليه حتى تستفهم البينة عن جملة الفاظه وما يدل على مقصده (بالقيود)
هل اراد اصحاب الفنادق الآن فمعلوم انه ليس فيهم نبي مرسل فيكون امره
اخف قال ولكن ظاهر لفظه العموم لكل صاحب فندق من المتقدمين
والمتأخرين . وقد كان فيمن تقدم من الانبياء والرسل من اكتسب المال
قال ودم المسلم لا يقدم عليه الا بامر بين وما ترد اليه التأويلات لا بد
من اعمال النظر فيه هذا معنى كلامه . وحكي عن ابي محمد بن ابي زيد رحمه الله
فيمن قال لعن الله العرب ولعن الله بني اسرائيل ولعن الله بني آدم وذكر انه لم يرد
الانبياء وانما اردت الظالمين منهم ان عليه الادب بقدر اجتهاد السلطان .
وكذلك افتى فيمن قال لعن الله من حرم المسكر وقال لم اعلم من حرمه وفي
من لعن حديث لا يبع حاضر لباد ولعن ما جاء به انه كان يعذر بالجهل (انه)
وعدم معرفته السنن فعليه الادب الوجيع وذلك ان هذا لم يقصد بظاهر
حاله سب الله تعالى ولا سب رسوله عليه السلام وانما لعن من حرمه من
الناس على نحو فتوى سحنون واصحابه في المسألة المتقدمة ومثل هذا ما
يجري في كلام سفهاء الناس من قول بعضهم لبعض يا ابن الف خنزير ويا ابن مائة
كلب وشبهه من هجر القول ولا شك انه يدخل في مثل هذا العدد من آبائه
واجداده جماعة من الانبياء ولعل بعض هذا العدد منقطع الى آدم عليه السلام
فينبغي الزجر عنه وتبيين ما جهل قائله منه وشدة الادب فيه ولو علم انه

قصد سبّ من في آبائه من الأنبياء على علم منه لقتلناه. وقد يضيق القول في نحو
هذا لو قال لرجل هاشمي لعن الله بني هاشم وقال أردت الظالمين منهم
أو قال لرجل من ذرية النبي صلى الله عليه وسلم قولا قبيحا في آبائه أو من نسله
أو ولده على علم منه أنه من ذرية النبي صلى الله عليه وسلم ولم تكن قرينة في
المسئلة تقتضي تخصيص آبائه وإخراج النبي صلى الله عليه وسلم ممن سبه منهم بعض
وقد كان اختلف شيوخنا فيمن قال لشاهد شهد عليه بشيء ثم قال له
تتهمني فقال له الآخر الأنبياء يتهمون فكيف أنت فكان شيخنا أبو إسحق
ابن جعفر يرى قتله لبشاعة ظاهر اللفظ. وكان القاضي أبو محمد بن
منصور يتوقف عن القتل لاحتمال اللفظ عنده أن يكون خبرا عمن
اتهمهم من الكفار. وأفتى فيها قاضي قرطبة أبو عبد الله بن الحاج بنحو
من هذا وشدد القاضي أبو محمد تصفيده وأطال سجنه ثم استحلفه
بعد على تكذيب ما شهد به عليه إذ دخل في شهادة بعض من شهد عليه
وهن ثم أطلقه. وشاهدت شيخنا القاضي أبا عبد الله بن عيسى أيام
قضائه أتي برجل هاتر رجلا اسمه محمد ثم قصد إلى كلب فضربه برجله
وقال له قم يا محمد فأنكر الرجل أن يكون قال ذلك وشهد عليه لفيف
من الناس فأمر به إلى السجن وتقصى عن حاله وهل يصحب من يستراب بدينه
فلما لم يجد ما يقوي الريبة باعتقاده ضربه بالسوط وأطلقه. فصل
الوجه الخامس أن لا يقصد نقصا ولا يذكر عيبا ولا سبا لكنه ينزع بذكر
بعض أوصافه أو يستشهد ببعض أحواله عليه السلام الجائزة عليه في
الدنيا على طريق ضرب المثل والحجة لنفسه أو لغيره أو على التشبه به أو عند
هضيمة نالته أو غضاضة لحقته ليس على طريق التأسي وطريق التحقيق

بل على مقصد الترفيع لنفسه او لغيره او على سبيل التمثيل وعدم التوقير لنبيه
عليه السلام او قصد الهزل والتندير بقوله كقول القائل ان قيل في السوء
فقد قيل في النبي او ان كذبت فقد كذبت الانبيا او ان اذنبت فقد اذنبوا
او انا اسلم من السنة الناس ولم يسلم منهم انبيا الله ورسله او قد صبرت
كما صبر اولو العزم او كصبر ايوب او قد صبر نبي الله من عداه وحلم على
اكثر مما صبرت. وكقول المتنبي انا في امة تداركها الله غريب كصالح في ثمود.
ونحوه من اشعار المتعجرفين في القول المتساهلين في الكلام كقول المعري
كنت موسى وافته بنت شعيب غير ان ليس فيكما من فقير. على ان اخر
البيت شديد وداخل في باب الازرا والتحقير بالنبي عليه السلام وتفضيل
حال غيره عليه. وكذلك قوله. لولا انقطاع الوحي بعد محمد.
قلنا محمد من ابيه بديل. هو مثله في الفضل الا انه. لم ياته برسالة جبريل.
فصدر البيت الثاني من هذا الفصل شديد لتشبيهه غير النبي عليه السلام في فضله
بالنبي عليه السلام والعجز محتمل لوجهين احدهما ان هذه الفضيلة نقصت
الممدوح والاخر استغناوه عنها وهذه اشد. ونحو منه قول الاخر.
واذا ما رفعت راياته صفقت بين جناحي جبرين. وقول الاخر من اهل العصر
فر من الخلد واستجار بنا. فصبر الله قلب رضوان. وكقول حسان
المصيصي من شعرا الاندلس في محمد بن عباد المعروف بالمعتمد ووزيره
ابي بكر بن زيدون. كان ابا بكر ابو بكر الرضى. وحسان حسان وانت محمد.
الى امثال هذا وانما كثرنا بشاهدها مع استثقالنا حكايتها لتعريف امثلتها
ولتساهل كثير من الناس في ولوج هذا الباب الضنك واستخفافهم فادح
هذا العبث وقلة علمهم بعظيم ما فيه من الوزر وكلامهم منه بما ليس لهم

به علم ويحسبونه هينا وهو عند الله عظيم لا سيما الشعر وأشدهم فيه
تصريحا وللسانه تسريحا ابن هانئ الأندلسي وابن سليمان المعري بل قد خرج
كثير من كلامهما إلى حد الاستخفاف والنقص وصريح الكفر وقد أجبنا عنه
وغرضنا الآن الكلام في هذا الفصل الذي سقنا أمثلته فإن هذه كلها
وإن لم تتضمن سبا ولا أضافت إلى الملائكة والأنبياء نقصا ولست أعني عجزي
بيتي المعري ولا قصد قائلها إزراء وغضا فما وقر النبوة ولا عظم الرسالة ولا
عزر حرمة الاصطفاء ولا عزز حظوة الكرامة حتى شبه من شبه في كرامة
نالها أو معرة قصد الانتفاء منها أو ضرب مثل لتطييب مجلسه أو إغلاء في وصف
لتحسين كلامه بمن عظم الله خطره وشرف قدره وألزم توقيره وبره ونهى
عن جهر القول له ورفع الصوت عنده صلى الله عليه وسلم فحق هذا إن درئ
عنه القتل الأدب والسجن وقوة تعزيره بحسب شنعة مقاله ومقتضى
قبح ما نطق به ومألوف عادته لمثله أو ندوره وقرينة كلامه أو ندمه على
ما سبق منه ولم يزل المتقدمون ينكرون مثل هذا ممن جاء به وقد أنكر
الرشيد على أبي نواس قوله فإن يك باقي سحر فرعون فيكم
فإن عصا موسى بكف خصيب وقال له يا ابن اللخناء أنت المستهزئ بعصا
موسى وأمر بإخراجه عن عسكره من ليلته وذكر القتيبي أن مما أخذ عليه
أيضا وكفر فيه أو قارب قوله في محمد الأمين وتشبيهه إياه بالنبي صلى الله عليه وسلم
تنازع الأحمدان الشبه فاشتبها خلقا وخلقا كما قد الشراكان وقد أنكروا
أيضا عليه قوله كيف لا يدنيك من أمل من رسول الله من نفره لأن حق
رسول الله صلى الله عليه وسلم وموجب تعظيمه وإنافة منزلته أن يضاف إليه
ولا يضاف فالحكم في أمثال هذا ما بسطناه في طريق الفتيا على هذا المنهج

جاءت فتيا إمام مذهبنا مالك بن أنس رحمه الله وأصحابه ففي النوادر من رواية
ابن أبي مريم عنه في رجل عيّر رجلاً بالفقر فقال تعيّرني بالفقر وقد رعى رسول الله
صلى الله عليه وسلم الغنم فقال مالك قد عرّض بذكر النبي صلى الله عليه وسلم في غير موضعه
أرى أن يؤدب. قال ولا ينبغي لأهل الذنوب إذا عوتبوا أن يقولوا قد
أخطأت الأنبياء قبلنا. وقال عمر بن عبد العزيز انظر لنا كاتباً يكون أبوه عربياً لرجل
فقال كاتب له قد كان أبو النبي عليه السلام كافراً فقال جعلت هذا مثلاً
فعزله وقال لا تكتب لي أبداً. وقد كره سحنون أن يصلى على النبي صلى الله عليه وسلم مطلب
عند التعجب إلا على طريق الثواب والاحتساب توقيراً له عليه السلام وتعظيماً
كما أمرنا الله. وسئل القابسي عن رجل قال لرجل قبيح كأنه وجه نكير ولرجل
عبوس كأنه وجه مالك الغضبان فقال أي شيء أراد بهذا ونكير أحد فتاني
القبر وهما ملكان فما الذي أراد أروع دخل عليه حين رآه من وجهه أم عاف
النظر إليه لدمامة خلقه فإن كان هذا فهو شديد لأنه جرى مجرى التحقير والتهوين
والتوهين فهو أشد عقوبة وليس فيه تصريح بالسب للملك وإنما السب
واقع على المخاطب. وفي الأدب بالسوط والسجن نكال للسفهاء قال وأما ذاكر على
مالك خازن النار فقد جفا الذي ذكره عندما أنكر من عبوس الآخر إلا
أن يكون المعبس له يد فيرهب بعبسته فيشبهه القائل على طريق الذم
لهذا في فعله ولزومه في ظلمه صفة مالك الملك المطيع لربه في فعله فيقول المعبس
كأنه يغضب غضب مالك فيكون أخف. وما كان ينبغي له التعرض لمثل
هذا ولو كان أثنى على العبوس بعبسته واحتج بصفة مالك كان أشد ويعاقب
المعاقبة الشديدة وليس في هذا ذم للملك ولو قصد ذمه لقتل. وقال أبو
الحسن أيضاً في شاب معروف بالخير قال لرجل شيئاً فقال له الرجل اسكت فإنك

أمّي، فقال الشاب أليس كان النبي عليه السلام أمّيًّا فشنّع عليه مقاله وكفّره
الناس وأشفق الشاب مما قال وأظهر الندم عليه فقال أبو الحسن أما إطلاق
الكفر عليه فخطأ لكنه مخطئ في استشهاده بصفة النبي صلى الله عليه وسلم
وكون النبي أمّيًّا آية له عليه السلام وكون هذا أمّيًّا نقيصة فيه وجهالة
ومن جهالته احتجاجه بصفة النبي صلى الله عليه وسلم لكنه إذا استغفر وتاب
واعترف ولجأ إلى الله تعالى فيترك لأن قوله لا ينتهي إلى حد القتل وما طريقه
الأدب فطوع فاعله بالندم عليه يوجب الكف عنه ونزلت أيضًا مسألة
استفتى فيها بعض قضاة الأندلس شيخنا القاضي أبا محمد بن منصور رحمه الله
في رجل تنقّصه رجل آخر بشيء فقال له إنما تريد نقصي بقولك وأنا بشر وجميع
البشر يلحقهم النقص حتى النبي صلى الله عليه وسلم فأفتاه بإطالة سجنه وإيجاع
أدبه إذ لم يقصد السب. وكان بعض فقهاء الأندلس أفتى بقتله فصل
الوجه السادس أن يقول القائل ذلك حاكيًا عن غيره وآثرًا له عن
سواه فهذا ينظر في صورة حكايته وقرينة مقالته ويختلف الحكم باختلاف
ذلك على أربعة وجوه الوجوب والندب والكراهة والتحريم فإن كان
أخبر به على وجه الشهادة والتعريف بقائله والإنكار والإعلام بقوله والتنفير
منه والتجريح له فهذا مما ينبغي امتثاله ويحمد فاعله وكذلك إن حكاه في كتاب
أو في مجلس على طريق الرد له والنقض على قائله والفتيا بما يلزمه وهذا منه
ما يجب ومنه ما يستحب بحسب حالات الحاكي لذلك والمحكي عنه فإن
كان القائل لذلك ممن تصدى لأن يؤخذ عنه العلم أو رواية الحديث أو
يقطع بحكمه أو شهادته أو فتياه في الحقوق وجب على سامعه الإشادة بما
سمع منه والتنفير للناس عنه والشهادة عليه بما قاله ووجب على من بلغه

مطلب [illegible]

ذلك من أئمة المسلمين إنكاره وبيان كفره وفساد قوله بقطع ضرره عن المسلمين
وقياما بحق سيد المرسلين. وكذلك إن كان ممن يعلم العامة أو يؤدب
الصبيان فإن من هذه سريرته لا يؤمن على إلقاء ذلك في قلوبهم فيتأكد
في هؤلاء الإيجاب لحق النبي صلى الله عليه وسلم ولحق شريعته. وإن لم يكن
القائل بهذه السبيل فالقيام بحق النبي صلى الله عليه وسلم واجب وحماية
عرضه متعين ونصرته عن الأذى حيا وميتا مستحق على كل مؤمن لكنه إذا
قام بهذا من ظهر به الحق وفصلت به القضية وبان به الأمر سقط عن
الباقي الفرض وبقي الاستحباب في تكثير الشهادة وعضد التحذير منه
وقد أجمع السلف على بيان حال المتهم في الحديث فكيف بمثل هذا. وقد سئل
أبو محمد بن أبي زيد عن الشاهد يسمع مثل هذا في حق الله تعالى أيسعه أن لا
يؤدي شهادته قال إن رجا نفاذ الحكم بشهادته فليشهد. وكذلك إن
علم أن الحاكم لا يرى القتل بما شهد به ويرى الاستتابة والأدب فليشهد
ويلزمه ذلك. وأما الإباحة لحكاية قوله لغير هذين المقصدين فلا أرى
لها مدخلا في الباب فليس التفكه بعرض النبي صلى الله عليه وسلم والتمضمض
بسوء ذكره لأحد لا ذاكرا ولا آثرا لغير غرض شرعي بمباح. وأما للأغراض
المتقدمة فمتردد بين الإيجاب والاستحباب. وقد حكى الله تعالى مقالات
المفترين عليه وعلى رسله عليه وعليهم السلام في كتابه على وجه الإنكار
لقولهم والتحذير من كفرهم والوعيد عليه والرد عليهم بما تلاه الله تعالى
علينا في محكم كتابه. وكذلك وقع من أمثاله في أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم
الصحيحة على الوجوه المتقدمة. وأجمع السلف والخلف من أئمة الهدى على
حكايات مقالات الكفرة والملحدين في كتبهم ومجالسهم ليبينوها للناس

والملحد

وينقضوا

ويقطعوا لسنتها عليهم. وإن كان ورد لأحمد بن حنبل رحمه الله إنكار
لبعض هذا على الحارث بن أسد فقد صنع أحمد مثله في رده على الجهمية والقائلين
بالمخلوق. فهذه الوجوه الشائعة لحكايتها عنها. فأما ذكرها على غير هذا من
حكاية سبه والإزراء بمنصبه على وجه الحكايات والأسمار والطرف وأحاديث
الناس ومقالاتهم في الغث والسمين ومضاحك المجان ونوادر السخفاء
والخوض في قيل وقال وما لا يعني فكل هذا ممنوع وبعضه أشد في المنع والعقوبة
من بعض. فما كان من قائله الحاكي له على غير قصد أو معرفة بمقدار ما حكاه
أو لم تكن عادته أو لم يكن الكلام من الشناعة حيث هو ولم يظهر على حاكيه
استحسانه واستصوابه زجر عن ذلك ونهي عن العودة إليه وإن قوم
ببعض الأدب فهو مستوجب له وإن كان لفظه من الشناعة حيث هو كان
الأدب أشد. وقد حكي أن رجلا سأل مالكا رحمه الله عمن يقول إن القرآن
مخلوق فقال مالك كافر فاقتلوه فقال إنما حكيته عن غيري فقال مالك إنما
سمعناه منك. وهذا من مالك رحمه الله على طريق الزجر والتغليظ بدليل أنه
لم ينفذ قتله. وإن اتهم هذا الحاكي فيما حكاه أنه اختلقه ونسبه إلى غيره
أو كانت تلك عادة له أو ظهر استحسانه لذلك أو كان مولعا بمثله والاستخفاف
له أو التحفظ لمثله وطلبه ورواية أشعار هجوه عليه السلام وسبه فحكم هذا
حكم الساب نفسه يؤاخذ بقوله ولا تنفعه نسبته إلى غيره فيبادر بقتله ويعجل
إلى الهاوية أمه. وقد قال أبو عبيد القاسم بن سلام فيمن حفظ شطر بيت مما هجي
به النبي صلى الله عليه وسلم فهو كفر. وقد ذكر بعض من ألف في الإجماع إجماع المسلمين
على تحريم رواية ما هجي به النبي صلى الله عليه وسلم وكتابته وقراءته وتركه متى
وجد دون محو. ورحم الله أسلافنا المتقين المتحرزين لدينهم فقد أسقطوا

من الشناعه

من احاديث المغازي والسير ما كان هذا سبيله وتركوا روايته الا اشياء ذكروها
يسيرة وغير مستبشعة على نحو الوجوه الاول ليروا نقمة الله من قائلها واخذه
المفتري عليه بذنبه، وهذا ابو عبيد القاسم بن سلام رحمه الله قد تحرى
فيما اضطر الى الاستشهاد به من اهاجي اشعار العرب في كتبه فكنى عن اسم
المهجو بوزن اسمه استبراء لدينه وتحفظا من المشاركة في ذم احد بروايته
او نشره فكيف بما يتطرق الى عرض سيد البشر صلى الله عليه وسلم **فصل**

الوجه السابع ان يذكر ما يجوز على النبي صلى الله عليه وسلم او يختلف في جوازه
عليه وما يطرأ من الامور البشرية به ويمكن اضافتها اليه او يذكر ما امتحن به
وصبر في ذات الله على شدته من مقاساة اعدائه واذاهم له ومعرفة
ابتداء حاله وسيرته وما لقيه من بؤس زمنه ومر عليه من معاناة عيشته كل
ذلك على طريق الرواية ومذاكرة العلم ومعرفة ما صحت منه العصمة للانبياء
عليهم السلام وما يجوز عليهم فهذا فن خارج عن هذه الفنون الستة اذ ليس
فيه غمص ولا نقص ولا ازراء ولا استخفاف لا في ظاهر اللفظ ولا في مقصد
اللافظ لكن يجب ان يكون الكلام فيه مع اهل العلم وفهماء طلبة الدين
ممن يفهم مقاصده، ويحققون فوائده، ويجنب ذلك من عساه لا يفقه او
يخشى به فتنته، فقد كره بعض السلف تعليم النساء سورة يوسف لما انطوت
عليه من تلك القصص لضعف معرفتهن ونقص عقولهن وادراكهن فقد قال
عليه السلام مخبرا عن نفسه باستيجاره لرعاية الغنم في ابتداء حاله وقال ما
من نبي الا وقد رعى الغنم واخبرنا الله تعالى بذلك عن موسى عليه السلام وهذا
لا غضاضة فيه جملة واحدة لمن ذكره على وجهه بخلاف من قصد به الغضاضة
والتحقير بل كانت عادة جميع العرب نعم في ذلك للانبياء حكمة بالغة

وتدريجُ الله تعالى لهم الى كرامته وتدريبٌ بمعاناتها لسياسة أممهم من
خليقته بما سبق لهم من الكرامة في الأزل ومتقدم العلم. وكذلك قد ذكر
الله يتمه وعيلته على طريق المنة عليه والتعريف بكرامته له فذكر الذاكر صلى الله عليه
لها على وجه تعريف حاله والخبر عن مبتداه والتعجب من منح الله قبله وعظيم سبحانه عنده
منته عنده فيها فائدة وفيه دلالة على نبوته وصحة دعوته اذ اظهره
الله تعالى بعد هذا على صناديد العرب ومن ناواه من اشرافهم شيئا فشيئا ونمى
امره حتى قهرهم وتمكن من ملك مقاليدهم واستباحة ممالك كثير من الامم
غيرهم باظهار الله تعالى له وتاييده بنصره وبالمؤمنين وألّف بين قلوبهم وامداده
بالملائكة المسومين. ولو كان ابن ملك او ذا اشياع متقدمين لحسب كثير من
الجهال ان ذلك موجب ظهوره ومقتضى علوه صلى الله عليه وسلم. ولهذا
قال هرقل حين سأل ابا سفيان عنه هل في آبائه من ملك ثم قال ولو كان في
آبائه ملك لقلنا رجل يطلب ملك ابيه. واذ اليتم من صفته واحدى
علاماته في الكتب المتقدمة واخبار الامم السالفة. وكذا وقع ذكره صلى الله
عليه وسلم في كتاب ارميا. وكذلك اذا وصف صلى الله عليه وسلم بانه أمي كما
وصفه الله تعالى به فهي مدحة له وفضيلة ثابتة فيه. وقاعدة معجزته
اذ معجزته العظمى من القرآن العظيم انما هي متعلقة بطريق المعارف والعلوم
مع ما منح صلى الله عليه وسلم وفضّل به من ذلك كما قدمناه في القسم الاول
ووجود مثل ذلك من رجل لم يقرأ ولم يكتب ولم يدارس ولا لُقّن مقتضى العجب ذاك
ومنتهى العبر ومعجزة البشر وليس في ذلك نقيصة اذ المطلوب من الكتابة
والقراءة المعرفة وانما هي آلة لها وواسطة موصلة اليها غير مرادة في نفسها
فاذا حصلت الثمرة والمطلوب استغني عن الواسطة والسبب. والأمية في غيره

وبهذا وصفه ابن ذي يزن لعبد المطلب وبحيرا لابي طالب

بنقصه لأنها سبب نجاته وعنوان السعادة فسبحان من جعل من شاء من أجر
عظيم وجعل شرفه فيما يحط منه سواه وحياته فيما فيه هلاك من عداه هذا
شق قلبه وإخراج حشوته كان تمام حياته وغاية قوة نفسه وثبات روعه
وهو فيمن سواه منتهى هلاكه وحتم موته وفنائه وهلم جرا إلى سائر ما روي
من أخباره وسيره وتقلله من الدنيا ومن الملبس والمطعم والمركب وتواضعه
ومهنته نفسه في أموره وخدمته بيته زهدا ورغبة عن الدنيا وتسويته بين
حقيرها وخطيرها لسرعة فناء أمورها وتقلب أحوالها كل هذا من فضائله
ومآثره وشرفه صلى الله عليه وسلم كما ذكرناه فمن أورد منها شيئا مورده وقصد
بها مقصده كان حسنا ومن أورد ذلك على غير وجهه وعلم منه بذلك
سوء قصده لحق بالفصول التي قدمناها وكذلك ما ورد من أخباره وأخبار
سائر الأنبياء عليهم السلام في الأحاديث مما في ظاهره إشكال يقتضي أمورا لا
تليق بهم بحال وتحتاج إلى تأويل وتردد في احتمال فلا يجب أن يتحدث
منها إلا بالصحيح ولا يروى منها إلا المعلوم الثابت ورحم الله مالكا فلقد
كره التحدث بمثل ذلك من الأحاديث الموهمة للتشبيه والمشكلة المعنى
وقال ما يدعو الناس إلى التحدث بمثل هذا فقيل له إن ابن عجلان يحدث
بها فقال لم يكن من الفقهاء وليت الناس وافقوه على ترك الحديث بها وساعدوه
على طيها فأكثرها ليس تحته عمل وقد حكي عن جماعة من السلف بل عنهم على
الجملة أنهم كانوا يكرهون الكلام فيما ليس تحته عمل والنبي صلى الله عليه وسلم
أوردها على قوم عرب يفهمون كلام العرب على وجهه وتصرفاتهم في حقيقته
ومجازه واستعارته وبليغه وإيجازه فلم تكن في حقهم مشكلة ثم جاء من غلبت
عليه العجمة وداخلته الأمية فلا يكاد يفهم من مقاصد العرب إلا نصها

وصريحها

وصحيحها ولا تحقق إسنادها إنابنا إلى غرض الإعجاز ورجحها ونقلها ولو حكيناها
متعرضين إلى تأويلها ساذجة مدرى فمنهم من ثبت به ومنهم من ذكره. فأما ما لا يصح من
هذه الأحاديث فواجب ألا يذكر منها شيء في حق الله ولا في حق أنبيائه
صلوات الله عليهم ولا يتحدث بها ولا يتكلف الكلام على معانيها والصواب
طرحها وترك الشغل بها إلا أن تذكر على وجه التعريف بأنها ضعيفة المعاد
واهية الإسناد. وقد أنكر الأشياخ على أبي بكر بن فورك تكلفه في مشكلها الكلام
على أحاديث ضعيفة موضوعة لا أصل لها أو منقولة عن أهل الكتاب الذين
يلبسون الحق بالباطل كان يكفيه طرحها ويغنيه عن الكلام عليها التنبيه
على ضعفها إذ المقصود بالكلام على مشكل ما فيها إزالة اللبس بها واجتثاثها
من أصلها وطرحها أكشف للبس وأشفى للنفس. والله أعلم. فصل
ومما يجب على المتكلم فيما يجوز على النبي صلى الله عليه وسلم وما لا يجوز والذاكر
من حالاته ما قدمناه في الفصل قبل هذا على طريق المذاكرة والتعليم أن يلتزم
في كلامه عند ذكره عليه السلام وذكر تلك الأحوال الواجب من توقيره وتعظيمه
ويراقب حال لسانه ولا يهمله وتظهر عليه علامات الأدب عند ذكره فإذا ذكر
ما قاساه من الشدائد ظهر عليه الإشفاق والارتماض والغيظ على عدوه ومودة
الفداء للنبي صلى الله عليه وسلم لو قدر عليه والنصرة له لو أمكنته. وإذا أخذ في
أبواب العصمة وتكلم على مجاري أعماله وأقواله عليه السلام تحرى أحسن اللفظ
وأدب العبارة ما أمكنه واجتنب بشيع ذلك وهجر من العبارة ما يقبح كلفظة الجهل
والكذب والمعصية فإذا تكلم في الأقوال قال هل يجوز عليه الخلف في القول
والإخبار بخلاف ما وقع سهوا أو غلطا ونحوه من العبارة ويتجنب لفظة الكذب
جملة واحدة وإذا تكلم على العلم قال هل يجوز أن لا يعلم إلا ما علم وهل يمكن أن لا يكون

بمنع علمه من بعض الأشياء حتى يوحى إليه ولا يقول يجهل لقبح اللفظ وبشاعته
وإذا تكلم في الأفعال قال هل يجوز منه المخالفة في بعض الأوامر والنواهي ومواقعة
الصغائر فهو أولى وآدب من قوله هل يجوز أن يعصي أو يذنب أو يفعل كذا وكذا
من أنواع المعاصي فهذا من حق توقيره عليه السلام وما يجب له من تعزير
وإعظام • وقد رأيت بعض العلماء لم يتحفظ من هذا فقبح منه ولم أستصوب
عبارته فيه • ووجدت بعض الجائرين قوّله لأجل ترك تحفظه في العبارة
ما لم يقله وشنّع عليه بما يأباه ويكفّر قائله • وإذا كان مثل هذا بين الناس
مستعملا في آدابهم وحسن معاشرتهم وخطابهم فاستعماله في حقه عليه السلام
أوجب والتزامه آكد فجودة العبارة تقبّح الشيء أو تحسّنه وتحريرها وتهذيبها
تعظّم الأمر أو تهوّنه • ولهذا قال عليه السلام إن من البيان لسحرا فأما ما أورده
على جهة النفي عنه والتنزيه فلا حرج في تسريح العبارة وتصريحها فيه كقوله
لا يجوز عليه الكذب جملة ولا إتيان الكبائر بوجه ولا الجور في الحكم على حال
ولكن مع هذا يجب ظهور توقيره وتعظيمه وتعزيره عند ذكره صلى الله عليه وسلم
مجردا فكيف عند ذكر مثل هذا • وقد كان السلف تظهر عليهم حالات شديدة
عند مجرد ذكره عليه السلام كما قدمناه في القسم الثاني • وكان بعضهم يلتزم
مثل ذلك عند تلاوة آي من القرآن حكى الله تعالى فيها مقال عداه ومن كفر بآياته
وافترى عليه الكذب فكان يخفض بها صوته إعظاما لربه وإجلالا له وإشفاقا
من التشبه بمن كفر به

الباب الثاني في حكم سابه

وشانئه ومتنقصه ومؤذيه وعقوبته وذكر استتابته ووراثته • قد قدمنا
ما هو سب وأذى في حقه عليه السلام وذكرنا إجماع العلماء على قتل فاعل ذلك
وقائله وتخيير الإمام في قتله أو صلبه على ما ذكرناه وقررنا الحجة عليه وبعد

فاعلم أن مشهور مذهب مالك وأصحابه وقول السلف وجمهور العلماء رحمهم الله
قتله حدًّا لا كفرًا إن أظهر التوبة منه ولهذا لا تقبل عندهم توبته ولا تنفعه
استقالته ولا فيئته كما قدمناه قبل وحكمه حكم الزنديق ومسرّ الكفر في هذا
القول وسواء كانت توبته على هذا بعد القدرة عليه والشهادة على قوله أو جاء
تائبًا من قبل نفسه لأنه حدّ وجب عليه لا تسقطه التوبة كسائر الحدود •
قال الشيخ أبو الحسن القابسي رحمه الله إذا أقر بالسب وتاب منه وأظهر التوبة
قتل بالسب لأنه حده • وقال أبو محمد بن أبي زيد مثله • وأما ما بينه وبين الله
تعالى فتوبته تنفعه • وقال ابن سحنون من شتم النبي صلى الله عليه وسلم من الموحدين
ثم تاب عن ذلك لم تزل توبته عنه القتل • وكذلك قد اختلف في الزنديق
إذا جاء تائبًا فحكى القاضي أبو الحسن بن القصار في ذلك قولين قال من شيوخنا
من قال أقتله بإقراره لأنه كان يقدر على ستر نفسه فلما اعترف خفنا أنه خشي
الظهور عليه فبادر لذلك • ومنهم من قال أقبل توبته لأني أستدل على صحتها
بمجيئه فكأنا وقفنا على باطنه بخلاف من أسرته البينة قال القاضي أبو الفضل
رحمه الله وهذا قول أصبغ • ومسألة ساب النبي صلى الله عليه وسلم أقوى لا يتصور
فيها الخلاف على الأصل المتقدم لأنه حق متعلق للنبي صلى الله عليه وسلم ولأمته
بسببه لا تسقطه التوبة كسائر حقوق الآدميين • والزنديق إذا تاب بعد
القدرة عليه فعند مالك والليث وإسحق وأبي يوسف وأحمد لا تقبل توبته
وعند الشافعي رضي الله عنه تقبل • واختلف فيه عن أبي حنيفة وأبي يوسف
رحمهما الله • وحكى ابن المنذر عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه يستتاب • قال محمد
ابن سحنون ولم يزل القتل عن المسلم بالتوبة من سبه عليه السلام لأنه لم ينتقل
من دين إلى غيره وإنما فعل شيئًا حده عندنا القتل لا عفو فيه لأحد كالزنديق

عنده

ثم توبته من ظاهر الى ظاهر • وقال القاضي ابو محمد بن نصر محتجا لسقوط اعتبار
توبته والفرق بينه وبين من سب الله تعالى على مشهور القول باستتابته ان النبي
صلى الله عليه وسلم بشر والبشر جنس تلحقهم المعرة الا من اكرمه الله بنبوته والباري
تعالى منزه عن جميع المعايب قطعا وليس من جنس تلحق المعرة بجنسه وليس سبه عليه
السلام كالارتداد المقبول فيه التوبة لان الارتداد معنى ينفرد به المرتد لا حق
فيه لغيره من الادميين فقبلت توبته • ومن سب النبي صلى الله عليه وسلم تعلق
فيه حق لادمي فكان كالمرتد يقتل حين ارتداده او يقذف فان توبته لا تسقط
عنه حد القتل والقذف • وايضا فان توبة المرتد اذا قبلت لا تسقط ذنوبه
من زنا وسرقة وغيرها ولم يقتل ساب النبي صلى الله عليه وسلم لكفره لكن لمعنى
يرجع الى تعظيم حرمته صلى الله عليه وسلم وزوال المعرة به وذلك لا تسقطه عنه
التوبة قال القاضي ابو الفضل رحمه الله يريد والله اعلم لان سبه لم يكن
بكلمة تقتضي الكفر ولكن بمعنى الازراء والاستخفاف او لان بتوبته واظهار
انابته ارتفع عنه اسم الكفر ظاهرا والله اعلم بسريرته وبقي حكم السب عليه
وقال ابو عمران القابسي من سب النبي صلى الله عليه وسلم ثم ارتد عن الاسلام قتل
ولم يستتب لان السب من حقوق الادميين التي لا تسقط عن المرتد وكلام شيوخنا
هؤلاء مبني على القول بقتله حدا لا كفرا وهو يحتاج الى تفصيل • واما على رواية
الوليد بن مسلم عن مالك رحمه الله ومن وافقه على ذلك ممن ذكرناه وقال به
من اهل العلم فقد صرحوا انه ردة قالوا ويستتاب منها فان تاب نكل وان ابى
قتل فحكم له بحكم المرتد مطلقا في هذا الوجه • والوجه الاول اشهر واظهر لما
قدمناه • ونحن نبسط الكلام فيه فنقول من لم يره ردة فهو يوجب القتل
فيه حدا وانما نقول ذلك مع فصلين • اما مع انكاره ما شهد عليه به او اظهاره

الإقلاع والتوبة عنه فقتله حداً لثبات كلمة الكفر عليه في حق النبي صلى الله
عليه وسلم وتحقيره ما عظم الله من حقه واجرينا حكمه في ميراثه وغير ذلك
حكم الزنديق اذا ظهر عليه وانكر او تاب. فان قيل فكيف تثبتون عليه الكفر
ويشهد عليه بكلمة الكفر ولا تحكمون عليه بحكمه من الاستتابة وتوابعها بها لحجة
قلنا نحن وان اثبتنا له حكم الكافر في القتل فلا نقطع عليه بذلك لاقراره
بالتوحيد والنبوة وانكاره ما شهد به عليه او زعمه ان ذلك كان منه وهلا و
ومعصية وانه مقلع عن ذلك نادم عليه ولا يمتنع اثبات بعض احكام
الكفر على بعض الاشخاص وان لم تثبت له خصائصه كقتل تارك الصلوة
واما من علم انه سبه معتقدا لاستحلاله فلا شك في كفره بذلك. وكذلك
ان كان سبه في نفسه كفرا كتكذيبه او تكفيره ونحوه فهذا مما لا اشكال
فيه ويقتل وان تاب منه لانا لا نقبل توبته ونقتله بعد التوبة حدا لقوله
ومتقدم كفره وامره بعد الى الله تعالى المطلع على صحة اقلاعه العالم بسره
وكذلك من لم يظهر التوبة واعترف بما شهد به عليه وصمم عليه فهذا كافر
بقوله وباستحلاله هتك حرمة الله وحرمة نبيه يقتل كافرا بلا خلاف
فعلى هذه التفصيلات خذ كلام العلماء ونزل مختلف عباراتهم في الاحتجاج
عليها واجر اختلافهم في الموارثة وغيرها على ترتيبها تتضح لك مقاصدهم
ان شاء الله فصل اذا قلنا بالاستتابة حيث تصح فالاختلاف فيها على
الاختلاف في توبة المرتد اذ لا فرق وقد اختلف السلف في وجوبها وصورتها
ومدتها فذهب جمهور اهل العلم الى ان المرتد يستتاب. وحكى ابن القصار انه
اجماع من الصحابة على تصويب قول عمر رضي الله عنه في الاستتابة ولم ينكره
واحد منهم وهو قول عثمان وعلي وابن مسعود رضي الله عنهم وبه قال عطا

بن أبي رباح والنخعي والثوري ومالك وأصحابه والأوزاعي والشافعي
وأحمد وإسحق وأصحاب الرأي. وذهب طاوس وعبيد بن عمير والحسن
في إحدى الروايتين عنه أنه لا يستتاب. وقاله عبد العزيز بن أبي سلمة وذكر
عن معاذ وأنكره سحنون عن معاذ وحكاه الطحاوي عن أبي يوسف وهو قول
أهل الظاهر قالوا وتنفعه توبته عند الله ولكن لا ندرأ القتل عنه لقوله
صلى الله عليه وسلم فاقتلوه. وحكي أيضا عن عطاء إن كان ممن ولد في الإسلام
لم يستتب ويستتاب الإسلامي. وجمهور العلماء على أن المرتد والمرتدة في
ذلك سواء. وروي عن علي رضي الله عنه لا تقتل المرتدة وتسترق. وقاله
عطاء وقتادة. وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما لا تقتل النساء في الردة
وبه قال أبو حنيفة. وقال مالك والحر والعبد والذكر والأنثى في ذلك سواء
وأما مدتها فمذهب الجمهور وروي عن عمر رضي الله عنه أنه يستتاب ثلثة
أيام يحبس فيها. وقد اختلف فيه عن عمر وهو أحد قولي الشافعي رضي الله عنه
وقول أحمد وإسحق واستحسنه مالك وقال لا يأتي الاستظهار إلا بخير
وليس عليه جماعة الناس. قال الشيخ أبو محمد بن أبي زيد يريد في الاستيناء
ثلثا وقال مالك أيضا الذي آخذ به في المرتد قول عمر رضي الله عنه يحبس
ثلثة أيام ويعرض عليه كل يوم فإن تاب وإلا قتل. وقال أبو الحسن ابن
القصار في أخذه بالثلاث روايتان عن مالك هل ذلك واجب أو مستحب
واستحسن الاستتابة والاستيناء ثلثا أصحاب الرأي. وروي عن أبي بكر
الصديق رضي الله عنه أنه استتاب امرأة فلم تتب فقتلها. وقال الشافعي
رضي الله عنه مرة أخرى فقال إن لم يتب مكانه قتل واستحسنه المزني
وقال الزهري يدعى إلى الإسلام ثلث مرات فإن أبى قتل. وروي عن علي

من بدل دينه

رضي الله عنه يستتاب شهرين. وقال النخعي يستتاب أبدا وبه أخذ الثوري
ما رجيت توبته. وحكى ابن القصار عن أبي حنيفة رحمه الله أنه يستتاب
ثلاث مرات في ثلاثة أيام أو ثلاث جمع كل يوم أو جمعة مرة. وفي كتاب محمد
عن ابن القاسم يدعى المرتد إلى الإسلام ثلاث مرات فإن أبى ضربت عنقه.
واختلف على هذا هل يهدد أو يشدد عليه أيام الاستتابة ليتوب أم لا
فقال مالك رحمه الله ما علمت في الاستتابة تجويعا ولا تعطيشا ويؤتى من
الطعام بما لا يضره. وقال أصبغ يخوف أيام الاستتابة بالقتل ويعرض عليه
الإسلام. وفي كتاب أبي الحسن الطابثي يوعظ في تلك الأيام ويذكر بالجنة
ويخوف بالنار. قال أصبغ وأي المواضع حبس فيها من السجون مع الناس
أو وحده إذا استوثق منه سواء ويوقف ماله إذا خيف أن يتلفه على المسلمين
ويطعم منه ويسقى. وكذلك يستتاب أبدا كلما رجع وارتد. وقد استتاب
النبي صلى الله عليه وسلم نبهان الذي ارتد أربع مرات أو خمسا. قال ابن وهب
عن مالك يستتاب أبدا كلما رجع وهو قول الشافعي وأحمد رحمهما الله وقاله
ابن القاسم. وقال إسحاق يقتل في الرابعة. وقال أصحاب الرأي إن لم يتب في
الرابعة قتل دون استتابة وإن تاب ضرب ضربا وجيعا ولم يخرج
من السجن حتى يظهر عليه خشوع التوبة. قال ابن المنذر ولا نعلم أحدا
أوجب على المرتد في المرة الأولى أدبا إذا رجع وهو على مذهب مالك والشافعي
والكوفي رحمهم الله تعالى فصل هذا حكم من ثبت عليه ذلك بما يجب
ثبوته من إقرار أو عدول لم يدفع فيهم فأما من لم تتم الشهادة عليه بما شهد
عليه الواحد أو اللفيف من الناس أو ثبت قوله لكن احتمل ولم يكن صريحا وكذلك
إن تاب على القول بقبول توبته فهذا يدرأ عنه القتل ويتسلط عليه اجتهاد

الإمام بقدر شهرة حاله وقوة الشهادة وضعفها وكثرة السماع عنه وصورة
حاله من التهمة في الدين والنبز بالسفه والمجون فمن قوي أمره أذاقه من
شديد النكال من التضييق في السجن والشد في القيود إلى الغاية التي هي منتهى
طاقته مما لا يمنعه القيام لضرورته ولا يقعده عن صلاته وهو حكم كل من
وجب عليه القتل لكن وقف عن قتله لمعنى أوجبه وتربص به لإشكال
وعائق اقتضاه أمره وحالات الشدة في نكاله تختلف بحسب اختلاف حاله
وقد روى الوليد عن مالك والأوزاعي أنها ردة فإذا تاب نكل ولمالك
في العتبية وكتاب محمد من رواية أشهب إذا تاب المرتد فلا عقوبة عليه
وقاله سحنون • وأفتى أبو عبد الله بن عتاب فيمن سب النبي صلى الله عليه وسلم
فشهد عليه شاهدان عدل أحدهما بالأدب الموجع والتنكيل والسجن
الطويل حتى تظهر توبته • وقال القابسي في مثل هذا • ومن كان أقصى
أمره القتل فعاق عائق أشكل في القتل لم ينبغ أن يطلق من السجن ويستطال
سجنه ولو كان فيه من المدة ما عسى أن يقيم ويحمل عليه من القيد ما يطيق
وقال في مثله ممن أشكل أمره يشد في القيود شدا ويضيق عليه في السجن حتى (مسألة)
ينظر فيما يجب عليه • وقال في مسألة أخرى مثلها ولا تهراق الدماء إلا بالأمر
الواضح • وفي الأدب بالسوط والسجن نكال للسفهاء ويعاقب عقوبة شديدة
فأما إن لم يشهد عليه سوى شاهدين فأثبت من عداوتهما أو جرحتهما ما (جرحتهما)
أسقطهما عنه ولم يسمع ذلك من غيرهما فأمره أخف لسقوط الحكم عنه
وكأنه لم يشهد عليه إلا أن يكون ممن يليق به ذلك ويكون الشاهدان
من أهل التبريز فأسقطهما بعداوة فهو وإن لم ينفذ الحكم عليه بشهادتهما
فلا يدفع الظن صدقهما وللحاكم هنا في تنكيله موضع اجتهاد والله ولي

الإرشاد

الإرشاد فصل هذا حكم المسلم فأما الذمي إذا صرح بسبه صلى الله
عليه وسلم أو عرّض أو استخف بقدره أو وصفه بغير الوجه الذي كفر به فلا
خلاف عندنا في قتله إن لم يسلم لأنا لم نعطه الذمة أو العهد على هذا
وهو قول عامة العلماء إلا أبا حنيفة والثوري وأتباعهما من أهل الكوفة
فإنهم قالوا لا يقتل وما هو عليه من الشرك أعظم ولكن يؤدب ويعزر
واستدل بعض شيوخنا على قتله بقوله تعالى وإن نكثوا أيمانهم من بعد
عهدهم وطعنوا في دينكم الآية ويستدل أيضا عليه بقتل النبي صلى الله
عليه وسلم لابن الأشرف وأشباهه ولأنا لم نعاهدهم ولم نعطهم الذمة
على هذا ولا يجوز لنا أن نفعل ذلك معهم فإذا أتوا ما لم يعطوا عليه العهد
ولا الذمة فقد نقضوا ذمتهم وصاروا كفارا أهل حرب يقتلون لكفرهم
وأيضا فإن ذمتهم لا تسقط حدود الإسلام عنهم من القطع في سرقة أموالهم
والقتل لمن قتلوه منهم وإن كان ذلك حلالا عندهم وكذلك سبهم للنبي
صلى الله عليه وسلم يقتلون به ووردت لأصحابنا ظواهر تقتضي الخلاف إذا
ذكره الذمي بالوجه الذي كفر به ستقف عليها من كلام ابن القاسم وابن سحنون
بعد وحكى أبو مصعب الخلاف فيها عن أصحابه المدنيين واختلفوا إذا سبه
ثم أسلم فقيل يسقط إسلامه قتله لأن الإسلام يجب ما قبله بخلاف المسلم
إذا سبه ثم تاب لأنا نعلم باطنه الكافر في بغضه له وتنقصه بقلبه لكنا
منعناه من إظهاره فلم يزدنا ما أظهره إلا مخالفة للأمر ونقضا للعهد فإذا
رجع عن دينه الأول إلى الإسلام سقط ما قبله قال الله تعالى قل للذين
كفروا إن ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف والمسلم بخلافه إذ كان ظننا بباطنه
حكم ظاهره وخلاف ما بدا منه الآن فلم نقبل بعد رجوعه ولا استنمنا

إلى باطنه إذ قد بدت سرائره وما ثبت عليه من الأحكام باقية عليه لم
يسقطها شيء • وقيل لا يسقط إسلام الذمي الساب قتله لأنه حق للنبي صلى الله
عليه وسلم وجب عليه لانتهاكه حرمته وقصده إلحاق النقيصة والمعرة به
فلم يكن رجوعه إلى الإسلام بالذي يسقطه كما وجب عليه من حقوق المسلمين
من قبل إسلامه من قتل وقذف • وإذا كنا لا نقبل توبة المسلم فأن لا نقبل
توبة الكافر أولى • قال مالك رحمه الله في كتاب ابن حبيب والمبسوط وابن القاسم
وابن الماجشون وابن عبد الحكم وأصبغ فيمن شتم نبينا صلى الله عليه وسلم
من أهل الذمة أو أحداً من الأنبياء عليهم السلام قتل إلا أن يسلم وقاله
ابن القاسم في العتبية وعند محمد وابن سحنون • وقال سحنون وأصبغ لا
يقال له أسلم ولا لا تسلم ولكن إن أسلم فذلك له توبة • وفي كتاب محمد
أخبرنا أصحاب مالك رحمه الله أنه قال من سب رسول الله صلى الله عليه وسلم
أو غيره من النبيين من مسلم أو كافر قتل ولم يستتب • وروي لنا عن مالك
إلا أن يسلم الكافر • وقد روى ابن وهب عن ابن عمر رضي الله عنه أن راهباً
تناول النبي صلى الله عليه وسلم فقال ابن عمر فهلا قتلتموه • وروى عيسى
عن ابن القاسم في ذمي قال إن محمداً لم يرسل إلينا إنما أرسل إليكم وإنما
نبينا موسى أو عيسى ونحو هذا لا شيء عليه لأن الله تعالى أقرهم على مثله
وأما إن سبه فقال ليس بنبي أو لم يرسل أو لم ينزل عليه قرآن وإنما هو
شيء تقوله أو نحو هذا فيقتل • قال ابن القاسم وإذا قال النصراني ديننا
خير من دينكم إنما دينكم دين الحمير ونحو هذا من القبيح أو سمع المؤذن
يقول أشهد أن محمداً رسول الله فقال كذلك يعطيكم الله ففي هذا الأدب
الموجع والسجن الطويل • قال وأما إن شتم النبي صلى الله عليه وسلم شتماً

نعرف بأنه نبي إلا أن يسلم قال وسألت أصبغ عنه مرة ولم يعرف أن نشاف. وقال ابن
القاسم ويحيى قول أنه عندي أن أسلم طائعا. وقال ابن سحنون وسؤالا ابن سحنون
عن سائر في اليهودي يقول للمؤذن إذا كذبت يعاقب عقوبة موجعة مع تشهدهم
السجن الطويل. وفي النوادر من رواية سحنون عنه من شتم الأنبياء من اليهود
والنصارى بغير الوجه الذي به كفروا ضربت عنقه إلا أن يسلم. قال محمد
ابن سحنون فإن قيل لم قتلته في سب النبي صلى الله عليه وسلم ومن دينه سبه
وتكذيبه قيل لأنا لم نعطهم العهد على ذلك ولا على قتلنا وأخذ أموالنا
فإذا قتل واحدا منا قتلناه وإن كان من دينه استحلاله فكذلك إظهاره
لسب نبينا صلى الله عليه وسلم. قال سحنون كما لو بذل لنا أهل الحرب الجزية
على إقرارهم على سبه لم يجز لنا ذلك في قول قائل كذلك ينتقض عهده
بسبه ولا يحل لنا دمه وكما لم يحصن الإسلام من سبه من القتل كذلك
لا يحصنه الذمة. قال القاضي أبو الفضل رحمه الله ما ذكره ابن سحنون
عن نفسه وعن أبيه مخالف لقول ابن القاسم فيما خفف عقوبتهم فيه مما به ما قرب
كفروا فتأمله. ويدل على أنه خلاف ما روي عن المدنيين في ذلك ما حكى
أبو المصعب الزهري قال أتيت بنصراني قال والذي اصطفى عيسى على محمد
فاختلف علي فيه فضربته حتى قتلته أو عاش يوما وليلة وأمرت من جر
برجله وطرح على مزبلة فأكلته الكلاب. وسئل أبو المصعب عن نصراني قال
عيسى خلق محمدا فقال يقتل. وقال ابن القاسم سألنا مالكا عن نصراني بمصر
شهد عليه أنه قال مسكين محمد أنه في جنة ما له لم ينفع نفسه إذ كانت يخبركم
الكلاب تأكل ساقيه لو قتلوه استراح منه الناس. قال مالك رحمه الله أرى
أن تضرب عنقه قال ولقد كدت أن لا أتكلم فيها ثم رأيت أنه لا يسعني الص

العهد. قال ابن كنانة في المبسوط من شتم النبي صلى الله عليه وسلم من اليهود
والنصارى فأرى للإمام أن يحرقه بالنار وإن شاء قتله ثم حرق جثته
وإن شاء أحرقه بالنار حيًّا إذا تهافتوا في سبه. ولقد كُتب إلى مالك رحمه الله
من مصر وذكر مسألة ابن القاسم المتقدمة قال فأمرني مالك فكتبت بأن
يُقتل وأن تُضرب عنقه وكتبت ثم قلت يا أبا عبد الله وأكتب ثم يُحرق بالنار
فقال إنه لحقيق بذلك وما أولاه به فكتبته بيدي بين يديه فما أنكره ولا
عابه ونفذت الصحيفة بذلك فقُتل وحُرق. وأفتى عبيد الله بن يحيى وابن
لبابة في جماعة سلف أصحابنا الأندلسيين بقتل نصرانية استهلت بنفي الربوبية
ونبوة عيسى لله وتكذيب محمد صلى الله عليه وسلم في النبوة وبقبول إسلامها
ودرء القتل عنها به قال غير واحد من المتأخرين منهم القابسي وابن الكاتب
وقال أبو القاسم بن الجلاب في كتابه من سب الله ورسوله من مسلم أو كافر
قُتل ولا يُستتاب. وحكى القاضي أبو محمد في الذمي يسب ثم يسلم روايتين في درء القتل
بإسلامه. وحكى ابن سحنون وحد القذف وشبهه من حقوق العباد لا
يسقطه عن الذمي إسلامه وإنما يسقط بإسلامه حدود الله. فأما حد
القذف فحق للعباد كان ذلك لنبي أو غيره فأوجب على الذمي إذا قذف
النبي صلى الله عليه وسلم ثم أسلم حد القذف ولكن انظر ماذا يجب عليه هل
حد القذف في حق النبي صلى الله عليه وسلم وهو القتل لزيادة حرمة النبي
صلى الله عليه وسلم على غيره أم هل يسقط القتل بإسلامه ويحد ثمانين فتأمله

فصل في ميراث من قتل في سب النبي صلى الله عليه وسلم وغسله والصلاة
عليه. اختلف العلماء في ميراث من قتل بسب النبي صلى الله عليه وسلم فذهب
سحنون إلى أنه لجماعة المسلمين من قبل أن شتم النبي صلى الله عليه وسلم كفر

بينة كفر الزندقة. وقال أصبغ ميراثه لورثته المسلمين إن كان مستترا
بذلك وإن كان مظهرا له مشتهرا به فميراثه للمسلمين ويقتل على كل
حال ولا يستتاب. قال أبو الحسن القابسي إن قتل وهو منكر للشهادة
فالحكم في ميراثه على ما أظهر من إقراره يعني لورثته والقتل حد ثبت
عليه ليس من الميراث في شيء. وكذلك لو أقر بالسب وأظهر التوبة لقتل
إذ هو حده وحكمه في ميراثه وسائر أحكامه حكم الإسلام. ولو أقر بالسب
وتمادى عليه وأبى التوبة منه فقتل على ذلك كان كافرا وميراثه للمسلمين
ولا يغسل ولا يصلى عليه ولا يكفن وتستر عورته ويوارى كما يفعل بالكفار.
وقول الشيخ أبي الحسن في المجاهر المتمادي بين لا يمكن الخلاف فيه لأنه كافر
مرتد غير تائب ولا مقلع وهو مثل قول أصبغ وكذلك في كتاب ابن سحنون
في الزنديق يتمادى على قوله. ومثله لابن القاسم في العتبية ولجماعة من
أصحاب مالك في كتاب ابن حبيب في من أعلن كفره مثله. قال ابن القاسم
وحكمه حكم المرتد لا ترثه ورثته من المسلمين ولا من أهل الدين الذي ارتد
إليه ولا تجوز وصاياه ولا عتقه. وقاله أصبغ قتل على ذلك أو مات عليه. وقال
أبو محمد بن أبي زيد وإنما يختلف في ميراث الزنديق الذي يستهل بالتوبة
فلا تقبل منه فأما المتمادي فلا خلاف أنه لا يورث. وقال أبو محمد فيمن سب
الله تعالى ثم مات ولم تعدل عليه بينة أو لم تقبل إنه يصلى عليه. وروى
أصبغ عن ابن القاسم في كتاب ابن حبيب فيمن كذب برسول الله صلى الله عليه وسلم
أو أعلن دينا مما يفارق به الإسلام أن ميراثه للمسلمين. وقال بقول مالك
إن ميراث المرتد للمسلمين ولا ترثه ورثته ربيعة والشافعي رضي الله عنه
وأبو ثور وابن أبي ليلى واختلف فيه عن أحمد. وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

وابن مسعود وابن المسيب والحسن والشعبي وعمر بن عبد العزيز والحكم والاوزاعي
والليث واسحق وابو حنيفة رحمهم الله يرثه ورثته من المسلمين. وما ذكرناه
كسبه قبل ارتداده وما كسبه في الارتداد فللمسلمين وتفصيل ابو الحسن في
خوابه حسن بين وهو على راي اصبغ وخلاف قول سحنون واحد لاقوالهما على
قول مالك رحمه الله في ميراث الزنديق قتله وورثته ورثته من المسلمين فامت
عليه بذلك بينة فانكرها او اعترف بذلك واظهر التوبة. وقاله اصبغ ومحمد
بن مسلمة وغير واحد من اصحابه لانه مظهر للاسلام بانكاره او توبته وحكمه
حكم المنافقين الذين كانوا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وروى ابن
نافع عنه في العتبية وكتاب محمد ان ميراثه لجماعة المسلمين لان ماله تبع لدمه
وقال به ايضا جماعة من اصحابه وقاله اشهب والمغيرة وعبد الملك ومحمد
وسحنون. وذهب ابن القاسم في العتبية الى انه ان اعترف بما شهد عليه به
وتاب فقتل فلا يورث وان لم يقر حتى قتل او مات ورث. قال وكذلك
كل من استتر بكفر فانهم يتوارثون بوراثة الاسلام وسئل ابو القاسم الكاتب
عن نصراني يسب النبي صلى الله عليه وسلم فقتل هل يرثه اهل دينه ام المسلمون
فاجاب انه للمسلمين ليس على جهة الميراث لانه لا توارث بين اهل ملتين
ولكن لانه من فيئهم لنقضه العهد هذا معنى قوله واختصاره.
الباب الثالث في ذكر من سب الله تعالى وملائكته
وانبياءه وكتبه وآل النبي وازواجه وصحبه صلى الله عليه وعليهم
اجمعين. لا خلاف ان ساب الله تعالى من المسلمين كافر حلال الدم
واختلف في استتابته فقال ابن القاسم في المبسوط وفي كتاب ابن سحنون ومحمد
ورواه ابن القاسم عن مالك في كتاب اسحق بن يحيى من سب الله تعالى من

[illegible]

المسلمين

المسلمين قبل ولم يستتب إلا أن يكون تبرأ على الله بارتداده إلى دين آخر
وأظهره فيستتاب وإن لم يظهره لم يستتب وقال في المبسوط مطرف
وعبد الملك مثله. وقال المخزومي ومحمد بن مسلمة وابن أبي حازم لا يقتل
المسلم بالسب حتى يستتاب. وكذلك اليهودي والنصراني فإن تابوا قبل
منهم وإن لم يتوبوا قتلوا ولا بد من الاستتابة وذلك كله كالردة وهو
الذي حكاه القاضي ابن نصر عن المذهب. وأفتى أبو محمد بن أبي زيد فيما
حكاه عنه في رجل لعن رجلا ولعن الله فقال إنما أردت أن ألعن الشيطان
فزل لساني فقال يقتل بظاهر كفره ولا يقبل عذره. وأما فيما بينه وبين
الله تعالى فمعذور. واختلف فقهاء قرطبة في مسألة هرون بن حبيب
أخي عبد الملك الفقيه وكان ضيق الصدر كثير التبرم وكان قد شهد
عليه بشهادات منها أنه قال عند استقلاله من مرض لقيت في مرضي
هذا ما لو قتلت أبا بكر وعمر لم أستوجب هذا كله فأفتى إبراهيم بن
حسين بن خالد بقتله وأن مضمن قوله تجوير لله تعالى وتظلم منه والتعريض
به كالتصريح. وأفتى أخوه عبد الملك بن حبيب وإبراهيم بن حسين بن
عاصم وسعيد بن سليمان القاضي بطرح القتل عنه إلا أن القاضي رأى عليه
التثقيل في الحبس والشدة في الأدب لاحتمال كلامه وصرفه إلى التشكي
فوجه من قال في ساب الله تعالى بالاستتابة أنه كفر وردة محضة لم يتعلق
بها حق لغير الله تعالى فأشبه قصد الكفر بغير سب الله وإظهار الانتقال
إلى دين آخر من الأديان المخالفة للإسلام ووجه ترك استتابته
أنه لما ظهر منه ذلك بعد إظهار الإسلام قبل اتهمناه وظننا أن لسانه
لم ينطق به إلا وهو معتقد له إذ لا يتساهل في هذا أحد فحكم

المرتدين لم تقبل توبته. وإذا انتقل من دين إلى آخر وأظهر السب بمعنى
الارتداد فهذا قد علم أنه خلع ربقة الإسلام من عنقه بخلاف الأول
المستمسك به وحكم هذا حكم المرتد يستتاب على مشهور مذاهب أكثر
العلماء وهو مذهب مالك وأصحابه على ما بيناه قبل وذكرنا الخلاف في
فصوله. فصل وأما من أضاف إلى الله تعالى ما لا يليق به ليس على طريق
السب ولا الردة وقصد الكفر ولكن على طريق التأويل والاجتهاد والخطأ
المفضي إلى الهوى والبدعة من تشبيه أو نعت بجارحة أو نفي صفة كمال
فهذا مما اختلف السلف والخلف في تكفير قائله ومعتقده واختلف قول
مالك وأصحابه في ذلك ولم يختلفوا في قتالهم إذا تحيزوا فئة وأنهم
يستتابون فإن تابوا وإلا قتلوا. وإنما اختلفوا في المنفرد منهم فأكثر قول
مالك وأصحابه ترك القول بتكفيرهم وترك قتلهم والمبالغة في عقوبتهم
وإطالة سجنهم حتى يظهر إقلاعهم وتستبين توبتهم. كما فعل عمر رضي الله عنه
بصبيغ وهذا قول محمد بن المواز في الخوارج وعبد الملك بن الماجشون وقول
سحنون في جميع أهل الأهواء وبه فسر قول مالك في الموطأ. وما رواه عن
عمر بن عبد العزيز وجده وعمه رحمهم الله من قولهم في القدرية يستتابون
فإن تابوا وإلا قتلوا. وقال عيسى عن ابن القاسم في أهل الأهواء من الإباضية
والقدرية وشبههم ممن خالف الجماعة من أهل البدع والتحريف لتأويل
كتاب الله تعالى يستتابون أظهروا ذلك أو أسروه فإن تابوا وإلا قتلوا وميراثهم
لورثتهم. وقال مثله أيضا ابن القاسم في كتاب محمد في أهل القدر وغيرهم
قال واستتابتهم أن يقال لهم اتركوا ما أنتم عليه ومثله في المبسوط
في الإباضية والقدرية وسائر أهل البدع قال وهم مسلمون وإنما قتلوا

لرأيهم

لرأيهم السوء وبهذا عمل عمر بن عبد العزيز وقال ابن القاسم من قال إن الله تعالى
لم يكلم موسى عليه السلام تكليما استتيب فإن تاب وإلا قتل وابن حبيب
وغيره من أصحابنا يرى تكفيرهم وتكفير أمثالهم من الخوارج والقدرية
والمرجئة وقد روي أيضا عن سحنون مثله فيمن قال ليس لله تعالى كلام
أنه كافر واختلفت الروايات عن مالك فأطلق في رواية الشاميين عن مسهر أبي
ومروان بن محمد الطاطري الكفر عليهم وقد شوور في زواج القدري فقال
لا تزوجه قال الله تعالى ولعبد مؤمن خير من مشرك ولو أعجبكم وروي
عنه أيضا أهل الأهواء كلهم كفار وقال من وصف شيئا من ذات الله تعالى
وأشار إلى شيء من جسده يد أو سمع أو بصر قطع ذلك منه لأنه شبه الله
بنفسه وقال فيمن قال القرآن مخلوق كافر فاقتلوه وقال أيضا في رواية
ابن نافع يجلد ويوجع ضربا ويحبس حتى يتوب وفي رواية بشر بن بكير
التنيسي عنه يقتل ولا تقبل توبته قال القاضي أبو عبد الله البرنكاني
والقاضي أبو عبد الله التستري من أئمة العراقيين جوابه مختلف يقتل المستبصر
الداعية وعلى هذا الخلاف اختلف قوله في إعادة الصلاة خلفهم وحكى
ابن المنذر عن الشافعي رحمه الله لا يستتاب القدري وأكثر أقوال السلف
تكفيرهم وممن قال به الليث وابن عيينة وابن لهيعة روي عنهم ذلك فيمن
قال بخلق القرآن وقاله ابن المبارك والأودي ووكيع وحفص بن غياث
وأبو إسحاق الفزاري وهشيم وعلي بن عاصم في آخرين وهو قول أكثر المحدثين من
والفقهاء والمتكلمين فيهم وفي الخوارج والقدرية وأهل الأهواء المضلة وأصحاب
البدع المتأولين وهو قول أحمد بن حنبل وكذلك قالوا في الواقفة والشاكة
في هذه الأصول وممن روي عنه معنى القول الآخر بترك تكفيرهم علي بن أبي طالب

وابن عمر وحسن البصري رضي الله عنه وهو رأي جماعة من الفقهاء النظار والمتكلمين
واحتجوا بتوريث الصحابة والتابعين رحمهم الله ورثة أهل حروراء ومن عرف
بالقدر ممن مات منهم ودفنهم في مقابر المسلمين وجري أحكام الإسلام عليهم
قال إسمعيل القاضي وإنما قال مالك في القدرية وسائر أهل البدع يستتابون
فإن تابوا وإلا قتلوا لأنه من الفساد في الأرض كما قال في المحارب إن رأى
الإمام قتله وإن لم يقتل قتله وفساد المحارب إنما هو في الأموال ومصالح
الدنيا وإن كان قد يدخل أيضا في أمر الدين من سبيل الحج والجهاد وفساد
أهل البدع معظمه على الدين وقد يدخل في أمر الدنيا بما يلقون بين المسلمين
من العداوة فصل في تحقيق القول في إكفار المتأولين قد ذكرنا مذاهب
السلف في إكفار أهل البدع والأهواء المتأولين ممن قال قولا يؤديه مساقه
إلى كفر هو إذا وقف عليه لا يقول بما يؤديه قوله إليه وعلى اختلافهم اختلف
الفقهاء والمتكلمون في ذلك فمنهم من صوب التكفير الذي قال به الجمهور من
السلف ومنهم من أباه ولم ير إخراجهم من سواد المؤمنين وهو قول أكثر
الفقهاء والمتكلمين وقالوا هم فساق وعصاة ضلال نورثهم من المسلمين ونحكم
لهم بأحكامهم ولهذا قال سحنون لا إعادة على من صلى خلفهم قال وهو قول
جميع أصحاب مالك المغيرة وابن كنانة وأشهب قال لأنه مسلم وذنبه لم
يخرجه من الإسلام واضطرب آخرون في ذلك ووقفوا عن القول بالتكفير والخلف
أو ضده واختلاف قول مالك في ذلك وتوقفه عن إعادة الصلوة خلفهم منه
وإلى نحو من هذا ذهب القاضي أبو بكر إمام أهل التحقيق وقال إنها من المعوصات
إذ القوم لم يصرحوا باسم الكفر وإنما قالوا قولا يؤدي إليه واضطرب قوله في
المسألة على نحو اضطراب قول إمامه مالك بن أنس رحمه الله حتى قال في بعض

كلامه

كلامه انهم على رأي من كفرهم بالمآل لا يجب مناكحتهم ولا أكل ذبائحهم ولا
الصلوة على ميتهم ويختلف في موارثتهم على الخلاف في ميراث المرتد وقال
ايضا نورث ميتهم ورثتهم من المسلمين ولا نورثهم من المسلمين واكثر ميله
الى ترك التكفير بالمآل وكذلك اضطرب فيه قول شيخه ابي الحسن الاشعري
واكثر قوله ترك التكفير وان الكفر خصلة واحدة وهو الجهل بوجود الباري
تعالى وقال مرة من اعتقد ان الله جسم او المسيح او بعض من يلقاه في الطرق فليس
عارفا به وهو كافر ولمثل هذا ذهب ابو المعالي رحمه الله في اجوبته لابي محمد
عبد الحق وكان سأله عن المسئلة فاعتذر له بان الغلط فيها يصعب لان
ادخال كافر في الملة او اخراج مسلم عنها عظيم في الدين وقال غيرهما من
المحققين الذي يجب الاحتراز من التكفير في اهل التأويل فان استباحة دماء
المسلمين المصلين الموحدين خطر والخطأ في ترك الف كافر اهون من الخطأ في
سفك محجمة من دم مسلم واحد وقد قال عليه السلام فاذا قالوها يعني
الشهادة عصموا مني دماءهم واموالهم الا بحقها وحسابهم على الله فالعصمة
مقطوع بها مع الشهادة ولا ترتفع ويستباح خلافها الا بقاطع ولا قاطع
من شرع ولا قياس عليه والفاظ الاحاديث الواردة في الباب معرضة تمام
للتأويل فما جاء منها في التصريح بكفر القدرية وقوله لا سهم لهم في الاسلام
وتسميته الرافضة بالشرك واطلاق اللعنة عليهم وكذلك في الخوارج
وغيرهم من اهل الاهواء فقد يحتج بها من يقول بالتكفير وقد يجيب الآخر
عنها بانه قد ورد مثل هذه الالفاظ في الحديث في غير الكفرة على طريق التغليظ
وكفر دون كفر واشراك دون شرك وقد ورد مثله في الرياء وعقوق الوالدين
والزوج وعن معصية واذا كان محتملا للأمرين فلا يقطع على احدهما الا بدليل

۱

باطع وقوله في الخوارج هم من شر البرية وهذه صفة الكفار وقال شر قتيل
تحت أديم السماء طوبى لمن قتلهم أو قتلوه وقال عليه السلام فإذا وجدتموهم
فاقتلوهم قتل عاد وثمود وظاهر هذا الكفر لا سيما مع تشبيههم بعاد فيحتج
به من يرى تكفيرهم فيقول له الآخر إنما ذلك من قتلهم لخروجهم على المسلمين
وبغيهم عليهم بدليله من الحديث نفسه يقتلون أهل الإسلام فقتلهم
هاهنا حد لا كفر وذكر عاد تشبيه للقتل وحله لا للمقتول وليس كل من
حكم بقتله يحكم بكفره ويعارضه بقول خالد في الحديث دعني أضرب عنقه
يا رسول الله فقال لعله يصلي فإن احتج بقوله عليه السلام يقرؤون القرآن
لا يجاوز حناجرهم فأخبر أن الإيمان لم يدخل قلوبهم وكذلك قوله عليه السلام
يمرقون من الدين مروق السهم من الرمية ثم لا يعودون إليه حتى يعود السهم
إلى فوقه وبقوله عليه السلام سبق الفرث والدم يدل على أنه لم يتعلق من الإسلام
بشيء أجابه الآخر أن معنى لا يجاوز حناجرهم لا يفهمون معانيه
بقلوبهم ولا تنشرح له صدورهم ولا تعمل به جوارحهم وعارضهم بقوله
ويتمارى في الفوق وهذا يقتضي التشكك في حاله فإن احتج بقول أبي
سعيد الخدري رضي الله عنه في هذا الحديث سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول يخرج في هذه الأمة ولم يقل منها وتحرير أبي سعيد الرواية وإتقانه
اللفظ أجابه الآخر بأن العبارة بفي لا تقتضي تصريحا بكونهم من غير الأمة
بخلاف لفظة من التي هي للتبعيض وكونهم من الأمة مع أنه قد روي عن أبي ذر
وعلي وأبي أمامة وغيرهم رضي الله عنهم في هذا الحديث يخرج من أمتي وسيكون
من أمتي وحروف المعاني مشتركة فلا تعويل على إخراجهم من الأمة بفي ولا
على إدخالهم فيها بمن لكن أبا سعيد رحمه الله أجاد ما شاء في التنبيه الذي

التشكك

نبّه عليه وهذا مما يدل على سعة فقه الصحابة رضي الله عنهم وتحقيقهم
بالمعاني واستنباطها من الألفاظ وتحريرهم لها وتوقّيهم في الرواية. هذه
المذاهب المعروفة لأهل السنة ولغيرهم من الفرق فيها مقالات كثيرة
مضطربة سخيفة أقربها قول جهم ومحمد بن شبيب أن الكفر بالله الجهل به
لا يكفر أحد بغير ذلك. وقال أبو الهذيل إن كل متأول كان تأويله
تشبيهاً لله تعالى بخلقه وتجويراً له في فعله وتكذيباً لخبره فهو كافر وكل من
أثبت شيئاً قديماً لا يقال له الله فهو كافر. وقال بعض المتكلمين إن كان ممن
عرف الأصل وبنى عليه وكان فيما هو من أوصاف الله تعالى فهو كافر وإن لم
يكن من هذا الباب ففاسق إلا أن يكون ممن لم يعرف الأصل فهو مخطئ غير
كافر. وذهب عبيد الله بن الحسن العنبري إلى تصويب أقوال المجتهدين في
أصول الدين فيما كان عرضة للتأويل. وفارق في ذلك فرق الأمة
إذ أجمعوا سواه على أن الحق في أصول الدين في واحد والمخطئ فيه آثم عاص
فاسق وإنما الخلاف في تكفيره. وقد حكى القاضي أبو بكر الباقلاني مثل قول
عبيد الله عن داود الأصبهاني وحكى قوم عنهما أنهما قالا ذلك في كل من
علم الله من حاله استفراغ الوسع في طلب الحق من أهل ملتنا أو غيرهم وقال
نحو هذا القول الجاحظ وثمامة في أن كثيراً من العامة والنساء والبله ومقلدة
النصارى واليهود وغيرهم لا حجة لله عليهم إذ لم تكن لهم طباع يمكن معها
الاستدلال. وقد نحا الغزالي رحمه الله قريباً من هذا المنحى في كتاب التفرقة
وقائل هذا كله كافر بالإجماع على كفر من لم يكفر أحداً من النصارى واليهود
وكل من فارق دين المسلمين أو وقف في تكفيرهم أو شك فيه. قال القاضي
أبو بكر لأن التوقيف والإجماع على كفرهم فمن وقف في ذلك فقد كذب

النص والتوقيف او شك فيه والتكذيب والشك به لا يقع الا من كافر
والله اعلم. فصل في بيان ما هو من المقالات كفر وما يتوقف او يختلف
فيه وما ليس بكفر. اعلم ان تحقيق هذا الفصل وكشف اللبس فيه مورده
الشرع ولا مجال للعقل فيه والفصل البين في هذا ان كل مقالة صرحت
بنفي الربوبية او الوحدانية او عبادة احد غير الله او مع الله فهي كفر
كمقالة الدهرية وسائر فرق اصحاب الاثنين من الديصانية والمانوية
واشباههم من الصابئين والنصارى والمجوس والذين اشركوا بعبادة الاوثان
او الملائكة او الشياطين او الشمس او النجوم او النار او احد غير الله من
مشركي العرب واهل الهند والصين والسودان وغيرهم ممن لا يرجع الى
كتاب. وكذلك القرامطة واصحاب الحلول والتناسخ من الباطنية والطيارة
من الروافض. وكذلك من اعترف بالاهية الله ووحدانيته ولكنه
اعتقد انه غير حي او غير قديم وانه محدث او مصور او ادعى له ولدا او
صاحبة او والدا او انه متولد من شيء او كائن عنه او ان معه في الازل
شيئا قديما غيره او ان ثم صانعا للعالم سواه او مدبرا غيره. فذلك كله كفر
باجماع المسلمين كقول الالاهيين من الفلاسفة والمنجمين والطبائعيين
وكذلك من ادعى مجالسة الله والعروج اليه ومكالمته او حلوله في احد
الاشخاص كقول بعض المتصوفة والباطنية والنصارى والقرامطة
وكذلك نقطع على كفر من قال بقدم العالم او بقائه او شك في ذلك على
مذهب بعض الفلاسفة والدهرية او قال بتناسخ الارواح وانتقالها
ابد الآباد في الاشخاص وتعذيبها او تنعمها فيها بحسب زكائها وخبثها.
وكذلك من اعترف بالالاهية والوحدانية ولكنه جحد النبوة من اصلها

عن شيء

بين

عموماً او نبوة نبينا صلى الله عليه وسلم خصوصاً او احد من الانبياء الذين
نص الله عليهم بعد علمه بذلك فهو كافر بلا ريب كالبراهمة ومعظم اليهود
والاروسية من النصارى والغرابية من الروافض الزاعمين ان علياً
رضي الله عنه كان المبعوث اليه جبريل وكالمعطلة والقرامطة والاسماعيلية
والعنبرية من الشيعة والعنبرية من الرافضة وان كان بعض هؤلاء قد
اشركوا في كفر اخر مع من قبلهم • وكذلك من دان بالوحدانية وصحة النبوة
ونبوة نبينا صلى الله عليه وسلم ولكن جوز على الانبياء الكذب فيما اتوا به ادعى
في ذلك المصلحة بزعمه او لم يدعها فهو كافر باجماع المسلمين كالمتفلسفين
وبعض الباطنية والروافض وغلاة المتصوفة واصحاب الاباحة فان هؤلاء
زعموا ان ظواهر الشرع واكثر ما جاءت به الرسل من الاخبار عما كان ويكون
من امور الاخرة والحشر والقيامة والجنة والنار ليس منها شيء على مقتضى
لفظها ومفهوم خطابها وانما خاطبوا بها الخلق على جهة المصلحة لهم اذ لم
يمكنهم التصريح لقصور افهامهم فمضمن مقالاتهم ابطال الشرائع وتعطيل الاوامر
والنواهي وتكذيب الرسل والارتياب فيما اتوا به • وكذلك من اضاف الى
نبينا صلى الله عليه وسلم تعمد الكذب فيما بلغه واخبر به او شك في صدقه
او سبه او قال انه لم يبلغ او استخف به او باحد من الانبياء او ازرى عليهم
او اذاهم او قتل نبياً او حاربه فهو كافر باجماع • وكذلك نكفر من ذهب
مذهب بعض القدماء في ان في كل جنس من الحيوان نذيراً ونبياً من القردة •
والخنازير والدواب والدود ويحتج بقوله تعالى وان من امة الا خلا فيها نذير اذ
ان ذلك يؤدي الى ان يوصف انبياء هذه الاجناس بصفاتهم المذمومة وفيه
من الازراء على هذا المنصب المنيف ما فيه مع اجماع المسلمين على خلافه وتكذيب

مطلب

مطلب

بالله. وكذلك نكفر من غيّر صفة من الأصول الصحيحة مما تقدم ونبوة نبينا
عليه السلام ولكن قال كان أسود أو مات قبل أن يلتحي وليس الذي كان بمكة
والحجاز أو ليس بقرشي لأن وصفه بغير صفاته المعلومة نفي له وتكذيب به
وكذلك من ادعى نبوة أحد مع نبينا عليه السلام أو بعده كالعيسوية من
اليهود القائلين بتخصيص رسالته إلى العرب وكالخرمية القائلين بتواتر الرسل
وكأكثر الرافضة القائلين بمشاركة علي في الرسالة للنبي صلى الله عليه وسلم وبعده مطلب
وكذلك كل إمام عند هؤلاء يقوم مقامه في النبوة والحجة. وكالبزيعية
والبيانية منهم القائلين بنبوة بزيع وبيان وأشباه هؤلاء. أو من ادعى
النبوة لنفسه أو جوز اكتسابها والبلوغ بصفاء القلب إلى مرتبتها كالفلاسفة
وغلاة المتصوفة. وكذلك من ادعى منهم أنه يوحى إليه وإن لم يدع النبوة
أو أنه يصعد إلى السماء ويدخل الجنة ويأكل من ثمارها ويعانق الحور العين
فهؤلاء كلهم كفار مكذبون للنبي صلى الله عليه وسلم لأنه أخبر عليه السلام
أنه خاتم النبيين ولا نبي بعده وأخبر عن الله تعالى أنه خاتم النبيين وأنه
أرسل للناس كافة. وأجمعت الأمة على حمل هذا الكلام على ظاهره وأن
مفهومه المراد به دون تأويل ولا تخصيص فلا شك في كفر هؤلاء الطوائف
كلها قطعا إجماعا وسمعا. وكذلك وقع الإجماع على تكفير كل من دافع نص
الكتاب أو خص حديثا مجمعا على نقله مقطوعا به مجمعا على حمله على ظاهره
كتكفير الخوارج بإبطال الرجم. ولهذا نكفر من دان بغير ملة المسلمين
من الملل أو وقف فيهم أو شك أو صحح مذهبهم وإن أظهر مع ذلك الإسلام
واعتقده واعتقد إبطال كل مذهب سواه فهو كافر بإظهاره ما أظهر من خلاف
ذلك. وكذلك نقطع بتكفير كل قائل قال قولا يتوصل به إلى تضليل الأمة

وتكفير

وتكفير جميع الصحابة رضي الله عنهم كقول الكميلية من الرافضة بتكفير
جميع الأمة بعد النبي صلى الله عليه وسلم إذ لم تقدم علياً وكفرت علياً رضي الله عنه
إذ لم يتقدم ويطلب حقه في التقديم فهؤلاء قد كفروا من وجوه لأنهم أبطلوا
الشريعة بأسرها إذ قد انقطع نقلها ونقل القرآن إذ ناقلوه كفرة على زعمهم
وإلى هذا والله أعلم أشار مالك رحمه الله في أحد قوليه بقتل من كفر الصحابة
ثم كفروا من وجه آخر بسبهم النبي صلى الله عليه وسلم على مقتضى قولهم وزعمهم
أنه عهد إلى علي رضي الله عنه وهو يعلم أنه يكفر بعده على قولهم لعنة الله
عليهم وصلى الله على رسوله وآله وسلم. وكذلك نكفر بكل فعل أجمع المسلمون أنه لا مصرحاً
يصدر إلا من كافر وإن كان صاحبه مصرا بالإسلام مع فعله ذلك الفعل
كالسجود للصنم وللشمس والقمر والصليب والنار والسعي إلى الكنائس والبيع
مع أهلها بزيهم من شد الزنانير وفحص الرؤوس فقد أجمع المسلمون أن هذا لا
يوجد إلا من كافر وأن هذه الأفعال علامة على الكفر وإن صرح فاعلها
بالإسلام. وكذلك أجمع المسلمون على تكفير كل من استحل القتل أو شرب خمر
أو الزنا مما حرم الله بعد علمه بتحريمه كأصحاب الإباحة من القرامطة وبعض
علماء المتصوفة. وكذلك نقطع بتكفير كل من كذب وأنكر قاعدة من قواعد
الشرع وما عرف يقيناً بالنقل المتواتر من فعل الرسول صلى الله عليه وسلم
ووقع الإجماع المتصل عليه كمن أنكر وجوب الصلوات الخمس وعدد ركعاتها
وسجداتها ويقول إنما أوجب الله تعالى علينا في كتابه الصلاة على الجملة وكونها
خمساً وعلى هذه الصفات والشروط لا أعلمه إذ لم يرد فيه في القرآن نص
جلي والخبر به عن الرسول صلى الله عليه وسلم خبر واحد. وكذلك أجمع على تكفير
من قال من الخوارج إن الصلاة طرفي النهار وعلى تكفير الباطنية في قولهم

أن الفرائض أسماء رجال أمروا بولايتهم والخبائث والمحارم أسماء رجال أمروا بالبراءة منهم، وقول بعض المتصوفة إن العبادة وطول المجاهدة إذا صفت نفوسهم أفضت بهم إلى إسقاطها وإباحة كل شيء لهم ورفع عهد الشرائع عنهم. وكذلك إن أنكر منكر مكة أو البيت أو المسجد الحرام أو صفة الحج، أو قال الحج واجب في القرآن واستقبال القبلة كذلك، ولكن كونه على هذه الهيئة المتعارفة وأن تلك البقعة هي مكة والبيت والمسجد الحرام لا أدري هل هي تلك أو غيرها، ولعل الناقلين أن النبي صلى الله عليه وسلم فسرها بهذه التفاسير غلطوا ووهموا، فهذا ومثله لا مرية في تكفيره إن كان ممن يظن به علم ذلك وممن خالط المسلمين، فلا تجد بينهم خلافا كافة عن كافة إلى معاصر الرسول صلى الله عليه وسلم أن هذه الأمور كما قيل لك، وأن تلك البقعة هي مكة والبيت الذي فيها هي الكعبة والقبلة التي صلى لها الرسول صلى الله عليه وسلم والمسلمون وحجوا إليها وطافوا بها، وأن تلك الأفعال هي صفات عبادة الحج والمراد به، وهي التي فعلها النبي صلى الله عليه وسلم والمسلمون، وأن صفات الصلوات المذكورة هي التي فعل النبي صلى الله عليه وسلم، وشرح مراد الله تعالى بذلك، وأبان حدودها، فيقع لك العلم كما وقع لهم، ولا ترتاب بذلك بعد، والمرتاب في ذلك والمنكر بعد البحث وصحبة المسلمين كافر باتفاق، ولا يعذر بقوله لا أدري، ولا يصدق فيه، بل ظاهره التستر عن التكذيب، إذ لا يمكن أنه لا يدري. وأيضا فإنه إذا جوز على جميع الأمة الوهم والغلط فيما نقلوه من ذلك، وأجمعوا أنه قول الرسول صلى الله عليه وسلم وفعله وتفسير مراد الله تعالى به، أدخل الاسترابة في جميع الشريعة، إذ هم الناقلون لها وللقرآن، وانحلت عرى الدين كرة، ومن قال هذا كافر. وكذلك من أنكر القرآن أو حرفا

حاشية
وامتدت صحبته لهم إلا أن يكون حديث عهد بإسلام فيقال له سبيلك أن تسأل عن هذا الذي لم تعلمه بعد كافة المسلمين

منه أو غيّر شيئاً منه أو زاد فيه كفعل الباطنية والإسماعيلية أو زعم
أنه ليس بحجة للنبي صلى الله عليه وسلم أو ليس فيه حجة ولا معجزة كقول
هشام الفوطي ومعمر الضيمري أنه لا يدل على الله ولا حجة فيه لرسوله صلى الله ولا محالة
عليه وسلم ولا يدل على ثواب ولا عقاب ولا حكم ولا محالة في كفرهما بذلك
القول وكذلك نكفرهما بإنكارهما أن يكون في سائر معجزات النبي صلى الله
عليه وسلم حجة له أو في خلق السموات والأرض دليل على الله لمخالفتهم الإجماع
والنقل المتواتر عن النبي صلى الله عليه وسلم باحتجاجه بهذا كله وتصريح القرآن
القرآن به. وكذلك من أنكر شيئاً مما نص فيه بعد علمه أنه من القرآن الذي في
أيدي الناس ومصاحف المسلمين ولم يكن جاهلاً به ولا قريب عهد بالإسلام
واحتج لإنكاره إما بأنه لم يصح النقل عنده ولا بلغه العلم به أو لتجويز
الوهم على ناقليه فنكفره بالطريقين المتقدمين لأنه مكذب للقرآن مكذب
للنبي صلى الله عليه وسلم لكنه تستر بدعواه. وكذلك من أنكر الجنة أو النار أو
البعث والحساب والقيامة فهو كافر بإجماع للنص عليه وإجماع الأمة على
صحة نقله متواتراً. وكذلك من اعترف بذلك ولكنه قال إن المراد بالجنة
والنار والحشر والنشر والثواب والعقاب معنى غير ظاهره وأنها لذات
روحانية ومعان باطنة كقول النصارى والفلاسفة والباطنية وبعض
المتصوفة وزعم أن معنى القيامة الموت أو فناء محض وانتقاض هيئة الأفلاك
وتحليل العالم كقول بعض الفلاسفة. وكذلك نقطع بتكفير غلاة الرافضة
في قولهم إن الأئمة أفضل من الأنبياء. فأما من أنكر ما عرف بالتواتر من الأخبار
والسير والبلاد التي لا ترجع إلى إبطال شريعة ولا تفضي إلى إنكار قاعدة
من الدين كإنكاره غزوة تبوك أو مؤتة أو وجود أبي بكر وعمر أو قتل عثمان خ انقاد

وجلالة علي رضي الله عنهم مما علم بالنقل ضرورة والشك في إنكاره تحقيقا
فلا سبيل إلى تكفيره بجحد ذلك وإنكار وقوعه إذ ليس في ذلك أكثر من
المباهتة كإنكار هشام وعباد وقعة الجمل ومحاربة علي من خالفه. فأما
إن ضعف ذلك من أجل تهمة الناقلين ووهم المسلمين أجمع فنكفره بذلك
لسريانه إلى إبطال الشريعة. فأما من أنكر الإجماع المجرد الذي ليس طريقه
النقل المتواتر عن الشارع. فأكثر المتكلمين من الفقهاء والنظار في هذا الباب
قالوا بتكفير كل من خالف الإجماع الصحيح الجامع لشروط الإجماع المتفق عليه
عموما. وحجتهم قوله تعالى ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى
وقوله عليه السلام من خالف الجماعة قيد شبر فقد خلع ربقة الإسلام
من عنقه وحكوا الإجماع على تكفير من خالف الإجماع. وذهب آخرون إلى
الوقوف عن القطع بتكفير من خالف الإجماع الذي يختص بنقله العلماء. وذهب
آخرون إلى التوقف في تكفير من خالف الإجماع الكائن عن نظر كتكفير
النظام بإنكاره الإجماع لأنه بقوله هذا مخالف إجماع السلف على احتجاجهم
به خارق للإجماع. قال القاضي أبو بكر القول عندي أن الكفر بالله هو الجهل
بوجوده والإيمان بالله هو العلم بوجوده وأنه لا يكفر أحد بقول ولا
رأي إلا أن يكون هو الجهل بالله فإن عصى بقول أو فعل نص الله ورسوله
عليه أو أجمع المسلمون أنه لا يوجد إلا من كافر أو يقوم دليل على ذلك فقد
كفر ليس لأجل قوله وفعله لكن لما يقارنه من الكفر فالكفر بالله لا يكون
إلا بأحد ثلاثة أمور أحدها الجهل بالله تعالى. والثاني أن يأتي فعلا أو
يقول قولا يخبر الله ورسوله عنه أو يجمع المسلمون أن ذلك لا يكون إلا
من كافر كالسجود للصنم والمشي إلى الكنائس بالتزام الزنار مع أصحابها

في اعتقادهم أو يكون ذلك القول يفضي لا محالة معه الجهل بالله فإن هذا
آخر باب وإن لم يكونا جهلا بالله فهما علمان أو علامتان في خروج من الإيمان
فأما من نفى صفة من صفات الله تعالى الذاتية أو جحدها مستبصرا في ذلك
كقوله ليس بعالم ولا قادر ولا مريد ولا متكلم وشبه ذلك من صفات الكمال
الواجبة له تعالى فقد نص أئمتنا على الإجماع على كفر من نفى عنه تعالى الوصف
بها وأعراه عنها، وعلى هذا حمل قول سحنون من قال ليس لله تعالى كلام فهو كافر
وهو لا يكفر المتأولين كما قدمناه، فأما من جهل صفة من هذه الصفات
فاختلف العلماء هاهنا فكفره بعضهم، وحكي ذلك عن أبي جعفر الطبري وغيره
وقال به أبو الحسن الأشعري مرة، وذهبت طائفة إلى أن هذا لا يخرجه عن
اسم الإيمان وإليه رجع الأشعري قال لأنه لم يعتقد ذلك اعتقادا يقطع
بصوابه ويراه دينا وشرعا وإنما يكفر من اعتقد أن مقاله حق، واحتج هؤلاء
بحديث السوداء وأن النبي صلى الله عليه وسلم إنما طلب منها التوحيد لا غير
وبحديث القائل لئن قدر الله علي وفي رواية فيه لعلي أضل الله ثم قال فغفر الله
له، قالوا ولو بحث أكثر الناس عن الصفات وكوشفوا عنها لما وجد من يعلمها بوحث
إلا الأقل، وقد أجاب الآخر عن هذا الحديث بوجوه منها أن قدر بمعنى قدر
ولا يكون شكه في القدرة على إحيائه بل في نفس البعث الذي لا يعلم إلا بشرع
ولعله لم يكن ورد عندهم به شرع يقطع عليه فيكون الشك فيه حينئذ
كفرا، فأما ما لم يرد به شرع فهو من مجوزات العقول، أو يكون قدر بمعنى
ضيق ويكون ما فعله بنفسه إزراء عليها وغضبا لعصيانها، وقيل إنما قاله
وهو غير عاقل لكلامه ولا ضابط للفظه مما استولى عليه من الجزع والخشية
التي أذهبت لبه فلم يؤاخذ به، وقيل كان هذا في زمان الفترة وحيث ينفع زمن

مخرج التوحيد وبيان هذا من مجاز كلام العرب الذي صورته الشك
ومعناه التحقيق وهو يسمى تجاهل العارف وله أمثلة في كلامهم كقوله
لعله يتذكر أو يخشى وقوله وإنا أو إياكم لعلى هدى أو في ضلال مبين فأما
من أثبت الوصف ونفى الصفة فقال أقول عالم ولكن لا علم له ومتكلم ولكن
لا كلام له وهكذا في سائر الصفات على مذهب المعتزلة فمن قال بالمآل
لما يؤدي إليه قوله ويسوقه إليه مذهبه كفره لأنه إذا نفى العلم انتفى
وصف عالم إذ لا يوصف بعالم إلا من له علم فكأنهم صرحوا عنده بما أدى
إليه قولهم وهكذا عند هذا سائر فرق أهل التأويل من المشبهة والقدرية
وغيرهم ومن لم يواخذهم بمآل قولهم ولا ألزمهم موجب مذهبهم لم ير
إكفارهم قال لأنهم إذا وقفوا على هذا قالوا لا نقول ليس بعالم ونحن ننتفي
من القول بالمآل الذي ألزمتموه لنا ونعتقد نحن وأنتم أنه كفر بل نقول
إن قولنا لا يؤول إليه على ما أصلناه فعلى هذين المأخذين اختلف الناس
في إكفار أهل التأويل وإذا فهمته اتضح لك الموجب لاختلاف الناس في ذلك
والصواب ترك إكفارهم والإعراض عن الحتم عليهم بالخسران وإجراء
حكم الإسلام عليهم في قصاصهم ووراثاتهم ومناكحاتهم ودياتهم والصلاة
عليهم ودفنهم في مقابر المسلمين وسائر معاملاتهم لكنهم يغلظ عليهم بوجيع
الأدب وشديد الزجر والهجر حتى يرجعوا عن بدعتهم وهذه كانت سيرة
الصدر الأول فيهم فقد كان نشأ على زمان الصحابة رضي الله عنهم
وبعدهم في التابعين رحمهم الله من قال بهذه الأقوال من القدر ورأي
الخوارج والاعتزال فما أزاحوا لهم قبرا ولا قطعوا لأحد منهم ميراثا لكنهم
هجروهم وأدبوهم بالضرب والنفي والقتل على قدر أحوالهم لأنهم فساق

ضلال لا عصاة أصحاب كبائر عند المحققين وأهل السنة ممن لم يقل بكفرهم
منهم خلافا لمن رأى غير ذلك، والله الموفق للصواب. قال القاضي أبو بكر
وأما مسائل الوعد والوعيد والرؤية والمخلوق وخلق الأفعال وبقاء
الأعراض والتولد وشبهها من الدقائق فالمنع في إكفار المتأولين بها أوضح
إذ ليس في الجهل بشيء منها جهل بالله تعالى، ولا أجمع المسلمون على إكفار من
جهل شيئا منها. وقد قدمنا في الفصل قبله من الكلام وصورة الخلاف في
هذا ما أغنى عن إعادته بحول الله. فصل هذا حكم المسلم الساب لله تعالى
وأما الذمي فروي عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما في ذمي تناول من حرمة
الله تعالى غير ما هو عليه من دينه وحاج فيه فخرج ابن عمر عليه بالسيف
وطلبه فهرب. وقال مالك رحمه الله في كتاب ابن حبيب والمبسوط
وابن القاسم في المبسوط وكتاب محمد وابن سحنون من شتم الله تعالى من
اليهود والنصارى بغير الوجه الذي به كفروا قتل ولم يستتب. قال
ابن القاسم إلا أن يسلم. قال في المبسوط طوعا. قال أصبغ لأن الوجه
الذي به كفروا هو دينهم وعليه عوهدوا من دعوى الصاحبة والشريك
والولد. وأما غير هذا من الفرية والشتم فلم يعاهدوا عليه فهو نقض
للعهد. قال ابن القاسم في كتاب محمد ومن شتم من غير أهل الأديان الله
تعالى بغير الوجه الذي ذكر في كتابه قتل إلا أن يسلم. وقال المخزومي
في المبسوط ومحمد بن مسلمة وابن أبي حازم لا يقتل حتى يستتاب مسلما كان
أو كافرا فإن تاب وإلا قتل. وقال مطرف وعبد الملك مثل قول مالك.
وقال أبو محمد بن أبي زيد من سب الله تعالى بغير الوجه الذي به كفر قتل إلا
أن يسلم. وقد ذكرنا قول ابن الجلاب قبل، وذكرنا قول عبيد الله بن

لأنه رسوخ الأديان في النصرانية وشباهم سبها بالوجه
الذي كفروا به ونبي عليه السلام وإجماعهم على ذلك وهو نحو القول
الآخر فيمن سب النبي صلى الله عليه وسلم منهم بالوجه الذي كفروا به ولا فرق في
ذلك بين سب الله تعالى به وسب نبيه عليه السلام لأنا عاهدناهم على أن لا
يظهروا لنا شيئا من كفرهم وأن لا يسمعونا شيئا من ذلك فمتى فعلوا شيئا منه فهو
نقض لعهدهم. واختلف العلماء في الذمي إذا تزندق فقال مالك رحمه الله
ومطرف وابن عبد الحكم وأصبغ لا يقتل لأنه خرج من كفر إلى كفر. وقال
عبد الملك بن الماجشون يقتل لأنه دين لا يقر عليه أحد ولا يؤخذ عليه
جزية. قال ابن حبيب وما أعلم من قاله غيره. فصل هذا حكم من صرح
بسبه وإضافة ما لا يليق بجلاله وإلهيته عز وجل. فأما مفتري الكذب
عليه تبارك وتعالى بادعاء الإلهية أو الرسالة أو نفي أن يكون الله تعالى
خالقه أو ربه أو قال ليس لي رب أو المتكلم بما لا يعقل من ذلك في سكره
أو غمرة جنونه فلا خلاف في كفر قائل ذلك ومدعيه مع سلامة عقله
كما قدمناه لكنه تقبل توبته على المشهور وتنفعه إنابته وتنجيه من
القتل فيئته لكنه لا يسلم من عظيم النكال ولا يرفه عن شديد العقاب
ليكون ذلك زجرا لمثله عن قوله وله عن العودة لكفره أو جهله إلا من
تكرر ذلك منه وعرف استهانته بما أتى به فهو دليل على سوء طويته وكذب
توبته وصار كالزنديق الذي لا نأمن باطنه ولا نقبل رجوعه وحكم السكران
في ذلك حكم الصاحي. وأما المجنون والمعتوه فما علم أنه قاله من ذلك في حال
غمرته وذهاب ميزه بالكلية فلا نظر فيه وما فعله من ذلك في حال
ميزه وإن لم تكن معه عقله وسقط تكليفه أدب على ذلك لينزجر عنه

كما يؤدَّب على قبائح الأفعال، ويُوالى أدبه على ذلك حتى ينكفّ عنه كما يُؤدَّب
البهيمة على سوء الخلق حتى تُراض. وقد حرَّق علي بن أبي طالب رضي الله عنه
من ادَّعى له الإلهية. وقد قتل عبد الملك بن مروان الحارث المتنبي وصلبه
وفعل ذلك غير واحد من الخلفاء والملوك بأشباههم. وأجمع علماء وقتهم
على صواب فعلهم. والمخالف في ذلك من كفرهم كافر. وأجمع فقهاء بغداد
أيام المقتدر من المالكية وقاضي قضاتها أبو عمر المالكي على قتل الحلاج وصلبه
لدعواه الإلهية والقول بالحلول، وقوله أنا الحق مع تمسكه في الظاهر بالشريعة
ولم يقبلوا توبته. وكذلك حكموا في ابن أبي الغراقر وكان على نحو مذهب
الحلاج بعد هذا أيام الراضي وقاضي قضاة بغداد يومئذ أبو الحسين بن أبي
عمر المالكي. وقال ابن عبد الحكم في المبسوط من تنبأ قُتل. وقال أبو حنيفة
وأصحابه رحمهم الله من جحد أن الله تعالى خالقه أو ربه أو قال ليس لي رب
فهو مرتد. وقال ابن القاسم في كتاب ابن حبيب ومحمد في العتبية فيمن
تنبأ يُستتاب أسرَّ ذلك أو أعلنه وهو كالمرتد. وقاله سحنون وغيره. وقاله
أشهب في يهودي تنبأ أو ادَّعى أنه رسول إلينا إن كان معلنًا بذلك استُتيب
فإن تاب وإلا قُتل. وقال أبو محمد بن أبي زيد فيمن لعن بارئه وادَّعى أن لسانه
زلَّ وإنما أراد لعن الشيطان يُقتل بكفره ولا يُقبل عذره. وهذا على القول
الآخر من أنه لا تُقبل توبته. وقال أبو الحسن القابسي في سكران قال أنا الله
أنا الله إن تاب أُدِّب فإن عاد إلى مثل قوله طُولب مطالبة الزنديق لأنّ
هذا كفر المتلاعبين. وأما من تكلم من سقط القول وسخف اللفظ
ممن لم يضبط كلامه وأهمل لسانه بما يقتضي الاستخفاف بعظمة ربه عز و
جلالة مولاه أو تمثّل في بعض الأشياء ببعض ما عظّم الله من ملكوته أو نزع

مطلب قتل الحلاج بن منصور

من الكلام لمخلوق بما لا يليق إلا في حق خالقه غير قاصد للكفر والاستخفاف
ولا عامد للإلحاد، فإن تكرر هذا منه وعرف به دل على تلاعبه بدينه
واستخفافه بحرمة ربه وجهله بعظيم عزته وكبريائه وهذا كفر لا مرية
فيه. وكذلك إن كان ما أورده يوجب الاستخفاف والتنقص لربه.
وقد أفتى ابن حبيب وأصبغ بن خليل من فقهاء قرطبة بقتل المعروف بابن أخي
عجب، وكان خرج يوما فأخذه المطر فقال بدأ الخراز يرش جلوده، وكان
بعض الفقهاء بها أبو زيد صاحب الثمانية وعبد الأعلى بن وهب وأبان بن
عيسى قد توقفوا عن سفك دمه وأشاروا إلى أنه عبث من القول يكفي فيه
الأدب. وأفتى بمثله القاضي حينئذ موسى بن زياد فقال ابن حبيب دمه
في عنقي أيشتم رب عبدناه ثم لا ننتصر له إنا إذا لعبيد سوء ما نحن له بعابدين
وبكى ورفع المجلس إلى الأمير بها عبد الرحمن بن الحكم الأموي وكانت عجب
عمة هذا المطلوب من حظاياه، وأعلم باختلاف الفقهاء فخرج الإذن من عنده
بالأخذ بقول ابن حبيب وصاحبه وأمر بقتله فقتل وصلب بحضرة الفقيهين
وعزل القاضي لتهمته بالمداهنة في هذه القصة ووبخ بقية الفقهاء وسبهم
وأما من صدرت عنه من ذلك الهنة الواحدة والفلتة الشاردة ما لم
تكن تنقصا وإزراء فيعاقب عليها ويؤدب بقدر مقتضاها وشنعة معناها
وصورة حال قائلها وشرح سببها ومقارنها. وقد سئل ابن القاسم عن
رجل نادى رجلا باسمه فأجابه لبيك اللهم لبيك قال إن كان جاهلا
أو قاله على وجه سفه فلا شيء عليه [قال القاضي؟] أبو الفضل رحمه الله
وشرح قوله أنه لا قتل عليه والجاهل يزجر ويعلم والسفيه يؤدب، ولو
قالها على اعتقاد إنزاله منزلة ربه لكفر هذا مقتضى قوله. وقد أسرف

كثير

كثير من سخفاء الشعراء ومتهميهم في هذا الباب واستخفوا عظيم هذه الحرمة
فأتوا من ذلك بما ننزه كتابنا ولساننا وأقلامنا عن ذكره. ولولا أنا قصدنا
نص مسائل حكيناها ما ذكرنا شيئا مما يثقل ذكره علينا مما حكيناه في هذه
الفصول. وأما ما ورد في هذا من أهل الجهالة وغالط اللسان كقول
بعض الأعراب. رب العباد ما لنا وما لكا. قد كنت تسقينا فما بدا لكا.
أنزل علينا الغيث لا أبا لكا. في أشباه هذا من كلام الجهال. ومن لم يقومه
ثقاف تأديب الشريعة والعلم في هذا الباب فقلما يصدر إلا من جاهل
يجب تعليمه وزجره والإغلاظ له عن العودة إلى مثله. قال أبو سليمان
الخطابي وهذا تهور من القول. والله تعالى منزه عن هذه الأمور. وقد
روينا عن عون بن عبد الله أنه قال ليعظم أحدكم ربه أن يذكر اسمه في
كل شيء حتى يقول أخزى الله الكلب وفعل به كذا وكذا. وكان بعض من
أدركنا من مشايخنا قلما يذكر اسم الله تعالى إلا فيما يتصل بطاعته وكان
يقول للإنسان جزيت خيرا. وقلما يقول جزاك الله خيرا إعظاما لاسمه
تعالى أن يمتهن في غير قربة. وحدثنا الثقة أن الإمام أبا بكر الشاشي
كان يعيب على أهل الكلام كثرة خوضهم فيه تعالى ويقول هؤلاء يتمندلون
وفي ذكر صفاته إجلالا لاسمه صح
بالله عز وجل. وينزل الكلام في هذا الباب تنزيله في باب ساب النبي
صلى الله عليه وسلم على الوجوه التي فصلناها والله الموفق. فصل
وحكم من سب سائر أنبياء الله تعالى وملائكته واستخف بهم أو كذبهم فيما
أتوا به أو أنكرهم وجحدهم حكم من سب نبينا عليه وعليهم السلام على مساق ما
قدمناه. قال الله تعالى إن الذين يكفرون بالله ورسله ويريدون أن
يفرقوا بين الله ورسله الآية. وقال تعالى قولوا آمنا بالله وما أنزل

إلينا وما أنزل إلى إبراهيم الآية إلى قوله لا نفرق بين أحد منهم. وقال تعالى
كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين أحد من رسله. قال
مالك في كتاب ابن حبيب ومحمد، وقاله ابن القاسم، وابن الماجشون،
وابن عبد الحكم، وأصبغ وسحنون، فيمن شتم الأنبياء أو أحداً منهم أو
تنقصه قتل ولم يستتب. ومن سبهم من أهل الذمة قتل إلا أن يسلم
وروى سحنون عن ابن القاسم من سب الأنبياء عليهم السلام من اليهود
والنصارى بغير الوجه الذي به كفر فاضرب عنقه إلا أن يسلم. وقد
تقدم الخلاف في هذا الأصل. وقال القاضي بقرطبة سعيد بن سليمان
في بعض أجوبته من سب الله وملائكته قتل. وقال سحنون من شتم ملكاً
من الملائكة فعليه القتل. وفي النوادر عن مالك رحمه الله فيمن قال
إن جبريل أخطأ بالوحي وإنما كان النبي علي بن أبي طالب استتيب فإن
تاب وإلا قتل. ونحوه عن سحنون. وهذا قول الغرابية من الروافض
سموا بذلك لقولهم كان النبي صلى الله عليه وسلم أشبه بعلي رضي الله عنه
من الغراب بالغراب. وقال أبو حنيفة وأصحابه على أصلهم من كذب
بأحد من الأنبياء أو تنقص أحداً منهم أو برئ منهم فهو مرتد. وقال
أبو الحسن القابسي في الذي قال لآخر كأنه وجه مالك الغضبان لو
عرف أنه قصد ذم الملك قتل. قال القاضي أبو الفضل رحمه الله وهذا
كله فيمن تكلم فيهم بما قلناه على جملة الملائكة والنبيين أو على معين ممن حققنا
كونه من الملائكة والنبيين ممن نص الله تعالى عليه في كتابه أو حققنا علمه
بالخبر المتواتر والمشتهر المتفق عليه بالإجماع القاطع كجبريل وميكائيل
ومالك وخزنة الجنة وجهنم والزبانية وحملة العرش المذكورين في القرآن

من

من الملائكة ومن سمي به من الأنبياء وكعزرائيل وإسرافيل ورضوان
والحفظة ومنكر ونكير من الملائكة المتفق على قبول الخبر بهما. فأما من لم تثبت
الأخبار بتعيينه ولا وقع الإجماع على كونه من الملائكة أو الأنبياء كهاروت
وماروت في الملائكة والخضر ولقمان وذي القرنين ومريم وآسية وخالد
بن سنان المذكور أنه نبي أهل الرس وزرادشت الذي يدعي المجوس
والمؤرخون نبوته فليس الحكم في سابهم والكافر بهم كالحكم فيمن قدمناه
إذ لم تثبت لهم تلك الحرمة ولكن يزجر من تنقصهم وآذاهم ويؤدب بقدر
حال المقول فيه لا سيما من عرفت صديقيته وفضله منهم وإن لم تثبت
نبوته. وأما إنكار نبوتهم أو كون الآخر من الملائكة فإن كان المتكلم في
ذلك من أهل العلم فلا حرج لاختلاف العلماء في ذلك. وإن كان من عوام
الناس زجر عن الخوض في مثل هذا فإن عاد أدب إذ ليس لهم الكلام في مثل
هذا. وقد كره السلف الكلام في مثل هذا مما ليس تحته عمل لأهل العلم فكيف
للعامة. فصل واعلم أن من استخف بالقرآن أو المصحف أو بشيء منه
أو سبهما أو جحده أو حرفا منه أو آية أو كذب به أو بشيء منه أو كذب بشيء
مما صرح به فيه من حكم أو خبر أو أثبت ما نفاه أو نفى ما أثبته على علم منه
بذلك أو شك في شيء من ذلك فهو كافر عند أهل العلم بإجماع. قال الله تعالى
وإنه لكتاب عزيز لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم
حميد. حدثنا الفقيه أبو الوليد هشام بن أحمد رحمه الله. حدثنا أبو علي
حدثنا ابن عبد البر حدثنا ابن عبد المؤمن حدثنا ابن داسة. حدثنا
أبو داود. حدثنا أحمد بن حنبل حدثنا يزيد بن هرون. حدثنا محمد بن عمرو
عن أبي سلمة عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال المراء

في القرآن كفر، تؤول بمعنى الشك وبمعنى الجدال. وعن ابن عباس رضي الله عنهما
عن النبي صلى الله عليه وسلم من جحد آية من كتاب الله من المسلمين فقد حل ضرب
عنقه. وكذلك إن جحد التوراة والإنجيل وكتب الله المنزلة أو كفر بها أو
لعنها أو سبها أو استخف بها فهو كافر. وقد أجمع المسلمون أن القرآن المتلو
في جميع أقطار الأرض المكتوب في المصحف بأيدي المسلمين مما جمعه الدفتان
من أول الحمد لله رب العالمين إلى آخر قل أعوذ برب الناس أنه كلام الله ووحيه
المنزل على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم وأن جميع ما فيه حق وأن من نقص منه
حرفا قاصدا لذلك أو بدله بحرف آخر مكانه أو زاد فيه حرفا مما لم يشتمل
عليه المصحف الذي وقع الإجماع عليه وأجمع على أنه ليس من القرآن عامدا
لكل هذا أنه كافر. ولهذا رأى مالك رحمه الله قتل من سب عائشة رضي الله عنها
بالفرية لأنه خالف القرآن. ومن خالف القرآن قتل أي لأنه كذب بما فيه.
وقال ابن القاسم من قال إن الله تعالى لم يكلم موسى تكليما يقتل. وقاله عبد
الرحمن بن مهدي. وقال محمد بن سحنون فيمن قال المعوذتان ليستا من كتاب
الله يضرب عنقه إلا أن يتوب. وكذلك كل من كذب بحرف منه قال
وكذلك إن شهد شاهد على من قال إن الله تعالى لم يكلم موسى تكليما
وشهد آخر عليه أنه قال إن الله تعالى لم يتخذ إبراهيم خليلا لأنهما اجتمعا
على أنه كذب النبي صلى الله عليه وسلم. وقال أبو عثمان الحداد جميع من ينتحل
التوحيد متفقون أن الجحد لحرف من التنزيل كفر. وكان أبو العالية إذا قرأ
عنده رجل لم يقل له ليس كما قرأت ويقول أما أنا فأقرأ كذا فبلغ ذلك إبراهيم
فقال أراه سمع أنه من كفر بحرف منه فقد كفر به كله. وقال عبد الله بن مسعود
رضي الله عنه من كفر بآية من القرآن فقد كفر به كله. وقال أصبغ بن الفرج من

[illegible marginal notes]

كفر

كذب

كذب ببعض القرآن فقد كذب به كله ومن كذب به كله فقد كفر به ومن كفر به
فقد كفر بالله. وقد سئل القابسي عمن خاصم يهوديا فحلف له بالتوراة فقال
الآخر لعن الله التوراة فشهد عليه بذلك شاهد ثم شهد آخر أنه سأله عن
القضية فقال إنما لعنت توراة اليهود فقال أبو الحسن الشاهد الواحد لا
يوجب القتل والثاني علق الأمر بصفة تحتمل التأويل إذ لعله لا يرى اليهود
متمسكين بشيء من عند الله لتبديلهم وتحريفهم. ولو اتفق الشاهدان على
لعن التوراة مجردا لضاق التأويل. وقد اتفق فقهاء بغداد على استتابة ابن
شنبوذ المقرئ أحد أئمة المقرئين المتصدرين بها مع ابن مجاهد لقراءته
وإقرائه بشواذ من الحروف مما ليس في المصحف وعقدوا عليه بالرجوع عنه
والتوبة منه سجلا أشهد فيه بذلك على نفسه في مجلس الوزير أبي علي
ابن مقلة سنة ثلاث وعشرين وثلاثمائة وكان فيمن أفتى عليه بذلك أبو بكر
الأبهري وغيره. وأفتى أبو محمد بن أبي زيد بالأدب فيمن قال لصبي لعن الله
معلمك وما علمك وقال أردت سوء الأدب ولم أرد القرآن. قال أبو محمد
وأما من لعن المصحف فإنه يقتل وسب آل بيته وأزواجه وأصحابه
عليه وعليهم السلام وتنقصهم حرام ملعون فاعله. حدثنا القاضي الشهيد
أبو علي رحمه الله حدثنا أبو الحسين الصيرفي وأبو الفضل بن خيرون قالا حدثنا
أبو يعلى حدثنا أبو علي السنجي حدثنا ابن محبوب حدثنا الترمذي حدثنا
محمد بن يحيى حدثنا يعقوب بن إبراهيم حدثنا عبيدة بن أبي رائطة عن
عبد الرحمن بن زياد عن عبد الله بن مغفل قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
الله الله في أصحابي الله الله في أصحابي لا تتخذوهم غرضا بعدي فمن أحبهم
فبحبي أحبهم ومن أبغضهم فببغضي أبغضهم ومن آذاهم فقد آذاني ومن آذاني

استتابة

فقد آذى الله ومن آذى الله يوشك أن يأخذه. وقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم لا تسبوا أصحابي فمن سبهم فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين
لا يقبل الله منه صرفا ولا عدلا. وقال عليه السلام لا تسبوا أصحابي فإنه
يجي قوم في آخر الزمان يسبون أصحابي فلا تصلوا عليهم ولا تصلوا معهم ولا
تناكحوهم ولا تجالسوهم وإن مرضوا فلا تعودوهم. وعنه عليه السلام
من سب أصحابي فاضربوه. وقد أعلم النبي صلى الله عليه وسلم أن سبهم وأذاهم
يؤذيه وأذى النبي صلى الله عليه وسلم حرام فقال لا تؤذوني في أصحابي
فإن من آذاهم فقد آذاني. وقال عليه السلام لا تؤذوني في عائشة.
وقال في فاطمة رضي الله عنها بضعة مني يؤذيني ما آذاها. وقد اختلف
العلماء في هذا فمشهور مذهب مالك رحمه الله في ذلك الاجتهاد والأدب
الموجع. قال مالك رحمه الله من شتم النبي صلى الله عليه وسلم قتل ومن شتم
أصحابه أدب. وقال أيضا من شتم أحدا من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم
أبا بكر أو عمر أو عثمان أو معوية أو عمرو بن العاص فإن قال كانوا على ضلال
وكفر قتل وإن شتمهم بغير هذا من مشاتمة الناس نكل نكالا شديدا. وقال
ابن حبيب من غلا من الشيعة إلى بغض عثمان رضي الله عنه والبراءة منه
أدب أدبا شديدا. ومن زاد إلى بغض أبي بكر وعمر فالعقوبة عليه أشد
ويكرر ضربه ويطال سجنه حتى يموت ولا يبلغ به القتل إلا في سب النبي
صلى الله عليه وسلم. وقال سحنون من كفر أحدا من أصحاب النبي صلى الله
عليه وسلم عليا أو عثمان رضي الله عنهما أو غيرهما يوجع ضربا. وحكى أبو محمد
ابن أبي زيد عن سحنون من قال في أبي بكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم
إنهم كانوا على ضلالة وكفر قتل. ومن شتم غيرهم من الصحابة بمثل هذا نكل

النكال

النكال الشديد وروى عن مالك رحمه الله من سب أبا بكر جلد ومن
سب عائشة قتل قيل له لم قال من رماها فقد خالف القرآن . وقال ابن شعبان
عنه لأن الله تعالى يقول يعظكم الله أن تعودوا لمثله الآية . فمن عاد
لمثله فقد كفر . وحكى أبو الحسن الصقلي أن القاضي أبا بكر بن الطيب قال
إن الله تعالى إذا ذكر في القرآن ما نسبه إليه المشركون سبح نفسه لنفسه
كقوله تعالى وقالوا اتخذ الرحمن ولدا سبحانه في آي كثيرة وذكر تعالى ما نسبه
المنافقون إلى عائشة فقال ولولا إذ سمعتموه قلتم ما يكون لنا أن نتكلم
بهذا سبحانك هذا بهتان عظيم سبح نفسه في تبرئتها من السوء كما سبح نفسه في تبرئته
في تبرئته من السوء وهذا يشهد لقول مالك رحمه الله في قتل من سب عائشة
ومعنى هذا والله أعلم أن الله تعالى عظم سبها كما عظم سبه وكان سبها
سبا لنبيه عليه السلام وقرن سب نبيه وأذاه بأذاه تعالى وكان حكم
مؤذيه تعالى القتل كان مؤذي نبيه كذلك كما قدمناه . وشتم رجل عائشة
بالكوفة فقدم إلى موسى بن عيسى العباسي فقال من حضر هذا فقال ابن أبي ليلى
أنا فجلده ثمانين وحلق رأسه وأسلمه إلى الحجامين . وروي عن عمر بن الخطاب
رضي الله عنه أنه نذر قطع لسان عبيد الله بن عمر إذ شتم المقداد بن الأسود
فكلم في ذلك فقال دعوني أقطع لسانه حتى لا يشتم أحد بعد أصحاب محمد
صلى الله عليه وسلم . وروى أبو ذر الهروي أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه
أتي بأعرابي يهجو الأنصار فقال لولا أن له صحبة لكفيتكموه . قال مالك
رحمه الله من تنقص أحدا من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فليس له في هذا
الفيء حق قد قسم الله تعالى الفيء في ثلاثة أصناف فقال تعالى للفقراء المهاجرين
الآية ثم قال والذين تبوءوا الدار والإيمان من قبلهم الآية وهم الأنصار

ثم قال والذين جاءوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا الآية. فمن تنقصهم
فلا حق له في فيء المسلمين. وفي كتاب ابن شعبان من قال في واحد منهم إنه ابن
زانية وأمه مسلمة حد عند بعض أصحابنا حدين حدا له وحدا لأمه ولا
أجعله كقاذف الجماعة في كلمة لفضل هذا على غيره ولقوله عليه السلام من سب
أصحابي فاجلدوه. قال ومن قذف أم أحدهم وهي كافرة حد حد الفرية
لأنه سب له فإن كان أحد من ولد هذا الصحابي حيا قام بما يجب له وإلا
فمن قام به من المسلمين كان على الإمام قبول قيامه. قال وليس هذا كحقوق
غير الصحابة لحرمة هؤلاء بتسميتهم عليه السلام. ولو سمعه الإمام وأشهد
عليه كان ولي القيام به. قال ومن سب غير عائشة من أزواج النبي صلى الله
عليه وسلم ففيها قولان أحدهما يقتل لأنه سب النبي صلى الله عليه وسلم
بسب حليلته والآخر أنها كسائر الصحابة يجلد حد المفتري قال وبالأول
أقول. وروى أبو مصعب عن مالك من سب آل بيت النبي صلى الله عليه وسلم
يضرب ضربا وجيعا ويشهر ويحبس طويلا حتى تظهر توبته لأنه استخفاف
بحق رسول الله صلى الله عليه وسلم. وأفتى أبو المطرف الشعبي فقيه مالقة في رجل
أنكر تحليف امرأة بالليل وقال لو كانت بنت أبي بكر الصديق ما حلفت إلا بالنهار
وصوب قوله بعض المتسمين بالفقه فقال أبو المطرف ذكر هذا لابنة أبي بكر
في مثل هذا يوجب عليه الضرب الشديد والسجن الطويل والفقيه الذي
صوب قوله هو أحق باسم الفسق من اسم الفقه فيتقدم إليه في ذلك ويزجر
ولا تقبل فتواه ولا شهادته وهي جرحة ثابتة فيه ويبغض في الله تعالى
قال القاضي أبو الفضل رحمه الله هنا انتهى القول بنا فيما حررناه
وانتجز الغرض الذي انتحيناه واستوفي الشرط الذي شرطناه مما أرجو

أن

أن يكون فيهم منه للمريد منتفعا، وفي كل باب منهجا إلى بغيته ومنزعا، وقد
سفرت فيه عن نكت تستغرب وتستبدع، وكرعت في مشارب من التحقيق
لم يورد لها قبل في أكثر التصانيف مشرع، وأودعته غير ما فصل وددت
لو وجدت من بسط قبلي الكلام فيه، أو مقتدى يفيدنيه عن كتابه أو فيه
لأكتفي بما أرويه عما أرويه، وإلى الله تعالى جزيل الضراعة في المنة بقبول ما منه
لوجهه، والعفو عما تخلله من تزين وتصنع لغيره، وأن يهب لنا ذلك بجميل
كرمه وعفوه لما أودعناه من شرف مصطفاه، وأمين وحيه، وأسهرنا به
جفوننا لتتبع فضائله، وأعملنا فيه خواطرنا من إبراز خصائصه ووسائله،
ويحمي أعراضنا عن ناره الموقدة لحمايتنا كريم عرضه، ويجعلنا ممن لا يذاد إذا
ذيد المبدل عن حوضه، ويجعله لنا ولمن تهمم باكتتابه واكتسابه، سببا
يصلنا بأسبابه، وذخيرة نجدها يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا
نحوز بها رضاه وجزيل ثوابه، ويخصنا بخصيصى زمرة نبينا صلى الله عليه وسلم
وجماعته، ويحشرنا في الرعيل الأول وأهل الباب الأيمن من أهل شفاعته،
ونحمده تعالى على ما هدى إليه من جمعه، وألهم، وفتح البصيرة لدرك حقائق
ما أودعناه وفهم، ونستعيذه جل اسمه من دعاء لا يسمع، وعلم لا ينفع،
وعمل لا يرفع، فهو الجواد الذي لا يخيب من أمله، ولا ينتصر من خذله،
ولا يرد دعوة القاصدين، ولا يصلح عمل المفسدين، وهو حسبنا ونعم الوكيل،
وصلواته على نبينا محمد خاتم النبيين، وسلم تسليما كثيرا إلى يوم الدين.

الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى

اما بعد فقد قرا علي جميع كتاب الشفا للامام ابي الفضل عياض بن موسى
ابن عياض اليحصبي السبتي المالكي رحمه الله تعالى ونفعنا بعلومه وبركاته في الدنيا والاخرة
من نسخة الصحيح الشيخ الاوحد الزاهد العابد المحدث المفيد شمس الدين ابو عبد الله
محمد بن الشيخ نور الدين علي ابن الشيخ عماد الدين اسماعيل احمد بن عثمان الدماطي الاصل الحلبي المالكي
نفعه الله تعالى بالعلم ونفع به قراءة صحيحة محررة في مجالس اخرها يوم الخميس ثالث عشرين
جمادى الاولى عام اربع وثمانين وثمانمائة واجزت له ان يرويه عني وجميع ما لي من مقروء
ومسموع ومجاز ومجموع بشرطه ... وكتبه عثمان ... الحلبي المالكي ... حامدا مصليا مسلما

الحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم وبعد فهذه احاديث خرجها بعض العلماء الاعلام في اصطناع
المعروف لقضاء حوائج المسلمين الحديث الاول عن انس رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال الخلق كلهم
عيال الله فاحب خلقه اليه انفعهم لعياله الحديث الثاني عن عمرو بن شعيب عن ابيه
عن جده قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لله تعالى عبادا اختصهم بحوائج الناس
آلى على نفسه ان لا يعذبهم بالنار فاذا كان يوم القيمة وضعت لهم منابر من نور يحدثون الله
والناس في الحساب الحديث الثالث عن ابن عمر رضي الله عنهما قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم ان لله عز وجل خلقا خلقهم لحوائج الناس يفزع الناس اليهم في حوائجهم
اولئك الآمنون من عذاب الله الحديث الرابع عن ابن عمر رضي الله عنهما قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم من قضى لاخيه حاجة كنت واقفا عند ميزانه فان رجح والا شفعت له الحديث الخامس
عن علي بن ابي طالب كرم الله وجهه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من مشى في عون اخيه
ومنفعته فله ثواب المجاهدين في سبيل الله الحديث السادس عن ابن عمر رضي الله عنهما قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم من كان وصلة لاخيه المسلم الى ذي سلطان في منفعة بر او تيسير عسير اعين على اجازة
الصراط يوم دحض الاقدام الحديث السابع عن انس رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان لله عز وجل خلقا خلقهم لحوائج الناس ... الحديث الثامن عن ابي سعيد الخدري
رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يرى المؤمن من اخيه عورة فيسترها عليه
الا ادخله الله الجنة الحديث التاسع عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
من فرج عن مؤمن كربة فرج الله عنه كربته ومن ستر على مؤمن عورة ستر الله عورته ولا يزال الله تعالى
في عونه ما دام في عون اخيه الحديث العاشر عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
من فرج عن مؤمن كربة جعل الله له شعبتين من نور على الصراط يستضيء بضوئهما عالم
لا يحصيهم الا رب العزة الحديث الحادي عشر عن ابن عباس رضي الله عنهما قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم من مشى مع اخيه في حاجة فناصحه فيها جعل الله بينه وبين النار يوم القيمة
سبع خنادق ما بين الخندق والخندق ما بين السماء والارض الحديث الثاني عشر عن مسلمة بن
مخلد رضي الله عنه ... عن مكروب كربة فرج الله عنه كربة من كرب يوم القيمة
ومن كان في حاجة اخيه كان الله في حاجته الحديث الثالث عشر عن ابن عمر رضي الله عنهما قال قال
النبي صلى الله عليه وسلم ان لله عبادا اختصهم بالنعم لمنافع العباد يقرهم فيها ما بذلوها فاذا منعوها حولها منهم
وجعلها في غيرهم الحديث الرابع عشر عن انس بن مالك رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
من اضاف مؤمنا او قضى له حاجة كان حقا على الله ان يخدمه وصيفا في الجنة الحديث
الخامس عشر عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من نفس عن اخيه
كربة من كرب الدنيا نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيمة ومن ستر مسلما ستر الله عليه
في الدنيا والآخرة والله في عون العبد ما دام العبد في عون اخيه ومن سلك طريقا يلتمس
فيه علما سهل الله له به طريقا الى الجنة وما جلس قوم في مسجد يتلون كتاب الله ويتدارسونه
بينهم الا نزلت عليهم السكينة وحفتهم الملائكة ومن ابطأ به عمله لم يسرع به نسبه الحديث
السادس عشر عن عمرو بن مرة رضي الله عنه وكانت له صحبة انه قال لمعاوية اني
سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما من امام يغلق بابه دون ذوي الحاجة
والخلة والمسكنة الا اغلق الله ابواب السماء دون خلته وحاجته ومسكنته الحديث السابع عشر

عن أبي موسى رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا جاءكم صاحب حاجة فاشفعوا له كي تؤجروا
ويقضي الله على لسان نبيه ما شاء [illegible] عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم من أغاث ملهوفا كتب الله له ثلاثا وسبعين حسنة واحدة منها يصلح الله بها
آخرته ودنياه والباقي في الدرجات [illegible] عن أنس بن مالك رضي الله عنه
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الله يحب إغاثة اللهفان [illegible]
عن ابن عباس رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كل معروف صدقة والدال على الخير
كفاعله والله يحب إغاثة اللهفان [illegible] عن جابر رضي الله عنه قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن من موجبات المغفرة إدخال السرور على أخيك المسلم إشباع جوعته
وتنفيس كربته [illegible] عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
من فرج عن أخيه المسلم كربة من كرب الدنيا فرج الله عنه كربة من كرب يوم القيامة ومن ستر على أخيه
ستر الله عليه في الدنيا والآخرة والله عز وجل في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه [illegible]
عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه من كان
في حاجة أخيه كان الله في حاجته ومن فرج عن مسلم كربة فرج الله عنه بها كربة من كرب يوم
القيامة ومن ستر مسلما ستره الله يوم القيامة [illegible] عن أنس بن مالك رضي الله عنه
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أغاث ملهوفا كتب الله له ثلاثا وسبعين مغفرة واحدة منها إصلاح
أمره كله وثنتان وسبعون له درجات يوم القيامة [illegible] عن أبي هريرة
رضي الله عنه قال قال رجل يا رسول الله أي العمل أفضل قال أن تدخل على أخيك المسلم سرورا أو تقضي
عنه دينا أو تطعمه خبزا [illegible] عن سمرة بن جندب رضي الله عنه قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم أفضل الصدقة صدقة اللسان قيل يا رسول الله وما صدقة اللسان
قال الشفاعة تفك بها الأسير وتحقن بها الدم وتجر بها المعروف إلى أخيك وتدفع عنه الكريهة [illegible]
[illegible] عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إذا عاد المؤمن
أخاه المسلم قال الله عز وجل طبت وطاب ممشاك وتبوأت من الجنة منزلا [illegible]
[illegible] عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي
[illegible] المؤمن حين [illegible] يخوض [illegible] [illegible] عن أبي هريرة
رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم [illegible] ما يقول [illegible] قالوا الله ورسوله
أعلم قال يقول اللهم لا تسلطني على أحد من أهل النار [illegible] عن أبي بكر بن حزم
عن أبيه عن جده عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من عاد مريضا لم يزل يخوض في الرحمة حتى إذا قعد استقر فيها
إذا رجع [illegible] [illegible] عن أنس رضي الله عنه قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم من [illegible] يوم القيامة [illegible]
[illegible] عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم الرحمة [illegible]
لا يضع الله الرحمة إلا على رحيم قلنا يا رسول الله كلنا رحيم قال ليس الذي يرحم نفسه وأهله خاصة ولكن الذي
يرحم المسلمين [illegible] عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
من [illegible] يوم القيامة [illegible] عن ابن عباس رضي الله عنهما قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم [illegible] إن هذا الخير خزائن ولتلك الخزائن مفاتيح
مفاتيح للخير [illegible] مفاتيح للشر [illegible]
[illegible] رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم [illegible]
فارحموا إخوانكم [illegible] عن أبي [illegible] أن النبي صلى الله عليه وسلم
قال المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا [illegible]
[illegible] عن أبي [illegible] قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم [illegible]
[illegible] يوم القيامة [illegible]

عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ألا أخبركم بأفضل من درجة الصيام والصلاة والصدقة
قالوا بلى قال صلاح ذات البين وفساد ذات البين
هي الحالقة [illegible] عن [illegible]
رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ينادي
منادي يوم القيامة لا يقوم اليوم إلا أحد له عند الله يد
فيقول الخلائق سبحانك بل لك اليد فيقول ذلك
مرارا فيقول بلى من عفى في الدنيا بعد قدرة
[illegible] عن ابن عمر رضي الله عنهما قال
قيل يا رسول الله أي الناس أحب إليك قال
أنفع الناس للناس

وحسبنا الله ونعم الوكيل
تم وهذا الكتاب الشريف
وكتب هذه الأحاديث الأربعين
[illegible]
[illegible]
عفا الله عنه ولوالديه
[illegible]
بالمغفرة والرضوان [illegible]
[illegible]

[illegible]

[illegible]
[illegible]

القسم الاول في تعظيم العلي الاعلى لقدره
٣ الباب الاول في ثناء الله تعالى عليه
٣ الفصل الاول فيما جاء من ذلك مجيء المدح
٥ الفصل الثاني في وصفه له تعالى بالشهادة
٧ الفصل الثالث في خطابه اياه مورد الملاطفة
٨ الفصل الرابع في قسمه تعالى بعظيم قدره
٩ الفصل الخامس في قسمه تعالى جده له لتحقق مكانته
١١ الفصل السادس فيما ورد من قول الله تعالى في جهته
١١ الفصل السابع فيما اخبر الله تعالى به
١٢ الفصل الثامن في اعلام الله تعالى خلقه
١٣ الفصل التاسع فيما تضمنته سورة الفتح من كراماته
١٤ الفصل العاشر فيما اظهره الله في كتابه من كراماته
١٥ الباب الثاني في تكميل الله تعالى له المحاسن
١٥ فصل اذا كانت خصال الكمال والجمال ما ذكرناه
١٦ فصل في انه عليه السلام اختلف الناس فيه
١٧ فصل في نظافة جسمه
١٨ فصل في وفور عقله
١٩ فصل في فصاحة اللسان
٢٠ فصل في شرف نسبه
٢١ فصل فيما تدعو ضرورة الحياة اليه
٢٢ فصل والضرب الثاني ما يتفق التمدح بكثرته
٢٣ فصل واما الضرب الثالث فهو ما تختلف الحالات
٢٤ فصل في الخصال المكتسبة
٢٥ فصل في اصل فروعها
٢٦ فصل في الحلم والاحتمال — فصل في جوده وكرمه
٢٩ فصل في شجاعته والنجدة
٢٩ فصل في الحياء والاغضاء
٣٠ فصل في حسن عشرته
٣١ فصل في شفقته ورأفته
٣٢ فصل في خلقه صلى الله عليه وسلم
٣٢ فصل في تواضعه
٣٤ فصل في عدله عليه السلام
٣٥ فصل في وقاره عليه السلام
٣٥ فصل في زهده عليه السلام
٣٦ فصل في خوفه من ربه عز وجل
٣٧ فصل في صفة جميع الانبياء والرسل
٣٩ فصل قد اتينا على ذكر الاخلاق الحميدة
٤٠ فصل في تفسير غريب هذا الحديث
٤٢ الباب الثالث فيما ورد من اخبار مخصصة
٤٣ الفصل الاول فيما ورد من ذكره عند ربه
٤٦ فصل في تفضيله بما تضمنته كرامة الاسراء
٤٩ فصل اختلف السلف هل كان الاسراء بالروح الخ
٥٠ فصل في ابطال حجج من قال انها نوم
٥١ فصل في رؤيته لربه عز وجل
٥٤ فصل في مناجاته لله تعالى
٥٤ فصل فيما ورد من حديث الاسراء
٥٥ فصل في تفضيله في القيامة بخصوص الكرامة
٥٦ فصل في تفضيله بالمحبة
٥٨ فصل في تفضيله بالشفاعة
٦١ فصل في تفضيله في الجنة بالوسيلة
٦١ فصل اذا تقرر من دليل القرآن افضليته
٦٣ فصل في اسمائه عليه السلام
٦٥ فصل في تشريف الله تعالى له بما سماه به
٦٨ فصل فيما قاله القائلين الى الفصل
٦٩ الباب الرابع فيما اظهره الله تعالى على يديه
٧٠ فصل في فرض الله تعالى على خلق المعرفة
٧١ فصل في تسمية ما جاءت به الانبياء معجزة
٧٤ فصل الوجه الثاني من اعجازه صورة نظمه
٧٦ فصل الوجه الثالث في اخباره بالمغيبات
٧٩ فصل فيما انبأ به من اخبار القرون السالفة
٧٨ فصل ومنها الروعة
٧٨ فصل هذه الوجوه الاربعة من اعجازه بينة

1

٧٨ فصل في وجوه الحجازة المعجزة
٧٩ فصل وفيما جاء عن الأئمة في الحجارة وجوهها كثيرة
٨٩ فصل في انشقاق القمر وحبس الشمس
٨١ فصل في نبع الماء من بين أصابعه
٨٢ فصل ومما يشبه هذا من معجزاته عليه السلام
٨٣ فصل ومن معجزاته تكثير الطعام ببركاته
٨٦ فصل في كلام الشجر وشهادتها له بالنبوة
٨٧ فصل في قصة حنين الجذع
٨٨ فصل ومثل هذا في سائر الجمادات
٨٩ فصل في الآيات في ضروب الحيوانات
٩١ فصل في إحياء الموتى
٩٣ فصل في إبراء المرضى
٩٤ فصل في إجابة دعائه
٩٦ فصل في كراماته وبركاته
٩٨ فصل ما اطلع عليه من الغيوب
١٠١ فصل في عصمة الله تعالى له
١٠٢ فصل ومن معجزاته الباهرة
١٠٥ فصل ومن كراماته وخصائصه
١٠٦ فصل ومن دلائل نبوته
١٠٧ فصل ما ظهر من الآيات
١٠٧ فصل في نكتة من معجزاته
١١٢ القسم الثاني فيما يجب على الأنام من حقوقه
١١٠ الباب الأول في فرض الإيمان به
١١١ فصل في وجوب طاعته
١١٢ فصل في وجوب اتباعه
١١٣ فصل فيما ورد عن الأئمة والسلف من اتباع سنته
١١٤ فصل في مخالفة أمره
١١٥ الباب الثاني في لزوم محبته وفضل محبتها
١١٦ فصل فيما روي عن السلف من محبتهم له
١١١ فصل في علامة محبته
١١٨ فصل في معنى المحبة للنبي عليه السلام
١١٩ فصل في وجوب مناصحته
١٢٠ الباب الثالث في تعظيم أمره
١٢١ فصل في عادة الصحابة في تعظيمه
١٢٢ فصل في لزوم حرمته بعد موته
١٢٣ فصل في سيرة السلف في تعظيم رواية الحديث
١٢٤ فصل ومن توقيره وبره عليه السلام بر آله
١٢٦ فصل ومن توقيره وبره عليه السلام توقير أصحابه
١٢٧ فصل ومن إعظامه وإكباره
١٢٨ الباب الرابع في حكم الصلاة والتسليم عليه
١٢٩ فصل في فرض الصلاة عليه
١٣٠ فصل في المواطن التي يستحب فيها الصلاة عليه
١٣٢ فصل في كيفية الصلاة والتسليم عليه
١٣٤ فصل في فضيلة الصلاة عليه
١٣٥ فصل في ذم من لم يصل عليه
١٣٥ فصل في تخصيصه بتبليغ صلاة من صلى عليه
١٣٦ فصل في الاختلاف في الصلاة على غيره
١٣٧ فصل في حكم زيارة قبره
١٣٩ فصل فيما يلزم من دخل مسجده
١٤١ القسم الثالث فيما يجب له وما يستحيل أو يجوز
١٤٢ الباب الأول فيما يختص بالأمور الدينية
١٤٣ فصل في حكم عقد قلبه عليه السلام وقت نبوته
١٤٧ فصل في عصمتهم عليهم السلام قبل النبوة
١٤٩ فصل في عقود قلوبهم
١٥٠ فصل في عصمته من الشيطان بإجماع الأئمة
١٥٢ فصل في أقواله عليه السلام
١٥٤ فصل في توجيه سؤالات لبعض الطاعنين
١٥٧ فصل فيما طريقه البلاغ
١٥٨ فصل في حديث السهو
١٦٠ فصل فيما يتعلق بالجوارح من الأعمال
١٦٢ فصل فيما اختلف في عصمتهم من المعاصي
١٦٢ فصل في حكم ما يكون المخالفة فيه من الأعمال
١٦٣ فصل في الكلام على الأحاديث المذكور فيها السهو منه
١٦٥ فصل في الرد على من أجاز عليهم الصغائر
١٧١ فصل فيما إذا انتفت عنهم الذنوب
١٧٢ فصل فيما هو الحق من عصمتهم
١٧٣ فصل في القول في عصمة الملائكة

١٧٥ الباب الثاني فيما يختص بالامور الدينية
١٧٦ فصل فيما جاءت الاخبار من النبي صلعم
١٧٧ فصل في قاله عليه السلام في محمد صلعم
١٧٧ فصل فيما يعتقد في امور احكام البشر الجارية
١٧٨ فصل في اقواله عليه السلام النبوية
١٨٠ فصل في تقرير عصمته في اقواله
١٨١ فصل فان قيل فما وجه حديثه ايضا
١٨٢ فصل في افعاله الدينية
١٨٤ فصل في اجراء الاعراض عليه وعلى غيره من الانبياء
١٨٧ القسم الرابع في تصرف وجوه الاحكام فيمن تنقصه
١٨٨ الباب الاول في بيان ما هو في حقه
١٩٠ فصل في الحجة في ايجاب قتل من سبه عليه السلام
١٩١ فصل لم لم يقتل النبي عليه السلام اليهودي الخ
١٩٤ فصل فيما اذا السب امر غير قاصر
١٩٤ فصل فيمن يقصد تكذيبه
١٩٥ فصل ان ياتي من الكلام بمجمل
١٩٦ فصل ان لا يقصد نقصا
١٩٨ فصل ان يقول القايل ذلك حاكيا
١٩٩ فصل ان يذكر ما يجوز للنبي عليه السلام
٢٠١ فصل ومما يجب على المتكلم
٢٠١ الباب الثاني في حكم سابه عليه السلام
٢٠٣ فصل اذا قلنا بالاستتابة حيث تصح
٢٠٤ فصل هذا حكم من ثبت عليه ذلك
٢٠٥ فصل هذا حكم المسلم
٢٠٦ فصل في ميراث من قتل لسبه عليه السلام
٢٠٧ الباب الثالث في حكم من سب الله تعالى جل شانه
٢٠٨ فصل فيمن اضاف الى الله تعالى ما لا يليق به
٢٠٩ فصل في تحقيق القول في اكفار المتاولين
٢١١ فصل في بيان ما هو من المقالات كفر
٢١٦ فصل هذا حكم المسلم
٢١٦ فصل في حكم من صرح بسبه تعالى جل جلاله
٢١٧ فصل في حكم من سقط القول له
٢١٨ فصل في حكم من سب سائر الانبياء
٢١٩ فصل فيمن استخف بالقرآن
٢٢٠ فصل في حكم اهل بيته

ELS. No 382
الشفا للقاضي عياض بطرة ذهبية
نفيسة ... مشكول ... الذهبي
AUT.I.
حيدر تركي

٣٩٨
ELS No
382
الشفاء بالقطع الكامل بطرة ذهبية
نفيسة ... خط نسخ جيد فصيح
مشكول نسخ ملوكي على خط
الذهبي
حيدر تركي

ECS № 382
الشفا للقاضي عياض
AUT. S.

PRINCETON UNIVERSITY LIBRARY
GIFT OF ROBERT GARRETT '97